

للإمام العالم العلامة أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي

المتوفى ٤٢٧ هـ

تحقيق

الشيخ سيد كسروي حسن

الجزء السادس

المحتوى:

من أول سورة النجم - إلى آخر سورة الناس

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

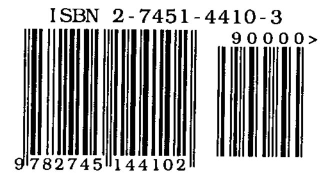
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4410-3



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النجم(١)

مكية، وهي ألف وأربعمائة وخمسة أحرف،
وثلاثمائة وستون كلمة، واثنتان وستّون آية

أخبرنا أبو الحسين محمد بن القاسم بن أحمد بقراءتي عليه أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر، أخبرنا أبو عمرو الحيري وعمر بن عبد الله البصري، قالا: حدثنا محمد بن عبد الوهاب أخبرنا أحمد ابن عبد الله بن يونس أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أُبيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة: والنجم حصل من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ﷺ وكذب به».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾: قال ابن عباس في رواية الوالبي، والعوفي، ومجاهد برواية ابن أبي نجيح: يعني: والثريا إذا سقطت وغابت. والعرب تسمي الثريا نجمًا، وإن كانت في العدد نجومًا.

وقال أبو بكر محمد بن الحسن الدريدي: هي سبعة أنجم ستة منها ظاهرة وواحد منها خفي

---

(١) جاء بأعلى هامش الصفحة قبل البسملة وقف لهذا الجزء من المخطوط هذا نصه:
وقفت لله تعالى هذا المجلد من تفسير الإمام الثعلبي، والنظر فيه لنفسي مدة حياتي ثم ذريتي ذكرًا كان أو أنثى إن كان لي عقب وإلا فللأرشد من ذرية جدي شيخ الإسلام محمد مراد بن الحافظ يعقوب بن محمود الأنصاري السندي ذكرًا كان أو أنثى ينتفع بنظره الخاص والعام. وكتبه واقفه محمد عابد بن الشيخ أحمد علي بن محمد مراد الأنصاري في ذي القعدة سنة (موضع النقط لم تظهر منه السنة والتي أرجح أنها سنة سبعمائة.

يمحتن الناس به أبصارهم، ومنه قول العرب:

إذا طلع النجم عشا ابغ للراعى كسا

وعن مجاهد أيضًا: يعنى نجوم السماء كلها حتى تغرب، لفظه واحد، ومعناه تقطع، كقول الراعى:

وبات بعد النجم فى مستجيره سريع بأيدى الآكلين جمودها

وسمى الكوكب نجمًا لطلوعه، وكل طالع نجم، يقال: نجم السِّن، والقرن، والنبت، إذا طلع.

وروى عكرمة عن ابن عباس: أنه الرجوم من النجوم. يعنى ما ترمى به الشياطين عند استراقهم السمع، وقال الضحاك: يعنى القرآن إذا أُنزل ثلاث آيات، وأربع آيات، وسورة، وكان بين أوله وآخره ثلاث وعشرون سنة، وهى رواية الأعمش عن مجاهد، وحيان عن الكلبى. والعرب تسمى التفريق تنجيمًا، والمفرق نجومًا الليل.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن خلف أخبرنا إسحاق بن محمد أخبرنا أبى أخبرنا إبراهيم بن عيسى أخبرنا على بن على أخبرنا أبو حمزة الثمالى فى قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال: يقال: هى النجوم إذا انتثرت يوم القيامة، وقال الأخفش: هو النبت، ومنه قوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن:٦)، وهويه سقوطه على الأرض لأنه مما ليس له ساق[1].

وقال جعفر الصادق: يعنى محمداً ﷺ إذا نزل من السماء ليلة المعراج. والهوى النزول، والسقوط، يقال: هوى يهوى هويًا، مثل مضى يمضى مضيًا؛ قال زهير:

يشج بها الأمَاعز وهى تهوى هوى الدلو أسلمها الرِّشاءُ

وروى عروة بن الزبير عن رجال من أهل بيته قالوا: كانت بنت رسول الله ﷺ عند عتبة بن أبى لهب: فأراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتين محمداً فلأوذينه فى ربِّه. فأتاه، فقال: يا محمد، هو يكفر بالنجم إذا هوى، وبالذى دنا فتدلى، ثم تفل فى وجهه، وردّ عليه ابنته، وطلقها. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك». قال: وأبو طالب حاضر، فوجم لها، فقال: ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة.

فرجع عتبة إلى أبيه، فأخبره بذلك. ثم خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم: هذه أرض مسبعة. فقال أبو لهب لأصحابه: أعينونا يا معشر

---

(١) قلت: يريد النبت الذى يفترش الأرض كالبطيخ ونظائره من النباتات التى ليس لها سيقان. والله أعلم وليس ذلك منى إقراراً بالمعنى ولكن توضيح للقول.

قريش هذه الليلة ، فإنى أخاف على ابنى دعوة محمد - ﷺ - فجمعوا أحمالهم ، وفرشوا لعتبة فى أعلاها ، وباتوا حوله . فجاء الأسد ، فجعل يتشمم وجوههم ، ثم ثنى ذنبه فوثب وضرب عتبة بيده ضربة واحدة فخدشه ، فقال : قتلتنى ، ومات مكانه .

فقال فى ذلك حسان بن ثابت :

سائل بنى الأصعر إن جئتهم	مـا كـان أنباء أبى واسع
لا وسـع الله له قبره	بل ضيق الله على القاطع
رمى برسـول الله من بينهم	دون قريش رميـة القـارع
فاستوجب الدعوة منه بما	بين للنـاظر والسامـع
أن سلط الله به كلبـه	يمشى الهوينا مشية الخادع
حتى أتاه وسط أصحـابه	وقـد علتهم سِنة الهاجـع
فالتقم الرأس بيافوخـه	والنحر منـه قفَرة الجـائع
ثم تلا بعـد بأنيـابه	منعفراً وسـط دم ناقـع
قـد كـان هـذا لكم عبرة	للسيـد المتبـوع والتـابع
من يرجع العـام إلى أهله	فمـا أكيل السبع بالراجع

قوله تعالى : ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ : محمد ﷺ ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ : هذا جواب القسم .

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ : أى بالهوى ، والعرب تعاقب بين عن وبين الباء فتقيم أحدهما مقام الآخر .

﴿إِنْ هُوَ﴾ : ما نطقه فى الدين ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ : إليه .

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ : وهو جبريل عليه السلام .

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ : قوة وشدة ، ورجل مرير أى قوى ؛ قال الشاعر :

ترى الرجل النحيف فتزدريه	وحشـو ثيـابه جلد مريرُ

وأصله من أمررت الحبل إذا أحكمت فتله ومنه قول النبى ﷺ : «لا تحل الصدقة لغنى ، ولا لذى مرَّة سوى» .

قال الكلبى : وكان شدته أنه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ، ثم قلبها . وكانت شدته أيضًا أنه أبصر إبليس وهو يُكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة ألقاه فى أقصى جبل بالهند . وكانت شدته أيضًا صيحته بثمود فأصبحوا جاثمين خامدين . وكانت شدته أيضًا هبوطه من

السماء على الأنبياء وصعوده إليها فى أسرع من الطرف، وقال قطرب: تقول العرب لكل جَزْلِ الرأى حصيف العقل: ذو مرَّة، وقال الشاعر:

قد كنت قبلَ لقائكم ذا مرّة　　　عندى لكل مخاصم ميزانه

وكانت جزالة رأيه وحصافة عقله أنَ الله عز وجل ائتمنه على تبليغ وحيه إلى جميع رسله عليهم السلام.

وقال ابن عباس: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أى ذو منظر حسن. وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن.

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ : يعنى جبريل ﴿وَهُوَ﴾ : يعنى محمداً ﷺ، وأكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف فى مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون: استوى هو وفلان، وقَلّ ما يقولون: استوى وفلان، وأنشد الفراء:

ألم تر أن النبع يصلب عوده　　　ولا يستوى والخروع المتقصفُ

والمعنى: ولا يستوى هو والخروع.

ونظيره قوله عز وجل: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ (النمل: ٦٧) فعطف بالآباء على المكنى فى ﴿كُنَّا﴾ من غير إظهار نحن. ومعنى الآية: استوى جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ ليلة المعراج، ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ : وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس فى السماء. وقيل: استويا فى القوة والصعود إلى السماء. وقيل: استويا فى العلم بالوحى، وقال بعضهم: معنى الآية استوى جبريل أى ارتفع وعلا فى السماء بعد أن عَلَّمَ محمداً ﷺ. عن سعيد بن المسيب، وقيل: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ : أى قام فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها، وذلك أنه كان يأتى رسول الله ﷺ فى صورة الآدميين كما كان يأتى النبيين، فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه فى صورته التى جُبل عليها، فأراه نفسه مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء. فأما فى الأرض: ففى الأفق الأعلى، وذلك أن محمداً ﷺ كان بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسَدّ الأفق إلى المغرب، فخَرّ رسول الله ﷺ مغشيًا عليه، فنزل جبريل فى صورة الآدميين وضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ (التكوير: ٢٣) وأما فى السماء: فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا محمد المصطفى ﷺ[(١)].

---

(١) ما اختلف فى تأويله فيرجع علمه إلى الله تعالى ويؤمن به كل مسلم يخاف الله تعالى ويرجو ثواب الآخرة، ولا يقفُ ما ليس له به علم ولو أراد الله تعالى بيانه لبينه لعباده، وهو أمر لا يترتب عليه عمل، ولا يؤثر أى معنى أخذت به فى الاعتقاد ما لم تشط عن معانى اللغة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾: اختلف العلماء فى معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناها: ﴿فَكَانَ﴾ ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾: فنزل إلى محمد ﷺ بالوحى وأهوى إليه ﴿فَكَانَ﴾: منه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾: أى بل أدنى. وبه قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، والربيع.

قال أهل المعانى: وفى الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ثم تدلى فدنا لأن التدلى سبب الدنو ولكنه سائغ حسن، لأن التدلى يدل على الدنو، والدنو يدل على التدلى، وإنما تدلى للدنو، ودنا للتدلى. وقال آخرون: معناه، ثم دنا الرب من محمد ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: فقرب منه حتى كان ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾. وأصل التدلى النزول إلى الشىء حتى يقرب منه فوضع موضع القرب، قال لبيد:

فتدليت عليه قافلاً وعلى الأرض غيابات الطفل

هذا معنى قول أنس، ورواية أبى سلمة عن ابن عباس.

وأخبرنى عقيل بن محمد أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان ابن بلال عن شريك ابن نمير قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة المسرى: أنه عرج جبريل برسول الله ﷺ إلى السماء السابعة، ثم علا به بما لا يعلمه إلاّ الله تعالى حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾. ودنو الله من العبد، ودنو العبد منه بالرتبة والمكانة والمنزلة وإجابة الدعوة وإعطاء المنية لا بالمكان والمسافة والنقلة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)[1].

وقال بعضهم: معناه: ثم دنا جبريل من ربه عز وجل فكان منه قاب قوسين أو أدنى، وهذا قول مجاهد، يدل عليه ما روى فى الحديث: «إن أقرب الملائكة إلى الله عز وجل جبريل».

وقال الضحاك؛ ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ محمد من ربه ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فأهوى للسجود ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

وقيل: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ محمد من ساق العرش ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أى جاوز الحجب والسرادقات لا يُقله مكان وهو قائم بإذن الله تعالى كالمتعلق بالشىء لا يثبت قدمه على مكان، وهذا معنى قول الحسين بن الفضل.

(١) هذا الرأى إن لم يكن هو الصواب فهو أقربها إلى الصواب والمراد والله أعلم كقول أحدنا: ساعتها شعرت أن الله معى، أو أن الله قريب منى. والله أعلم.

ومعنى قوله: ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾ قدر قوسين عربيتين، عن ابن عباس، وعطاء والقابُ والقيب، والقاد والقيد عبارة عن مقدار الشيء. ونظيره من الكلام مخ ريرٌ، ورار، قال ﷺ: «لقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها».

وقال مجاهد: معناه: حيث الوَتَرُ منَ القوس، وقال سعيد بن المسيب: القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذى يتنكبه صاحبه، ولكل قوس قاب واحد، فأخبر أن قُرب جبريل عليه السلام من محمد ﷺ عند الوحى كقرب قاب قوسين.

وقال أهل المعانى: هذا إشارة إلى تأكيد المحبة والقُربَة، ورفع المنزلة والرتبة، وأصله أن الحليفين والمحبين فى الجاهلية كانا إذا أرادا عقد الصفا والوفا والعهد، خرجا بقوسيهما والصفا بينهما، يريدان بذلك أنهما متظاهران متحاميان يحامى كل واحد منهما عن صاحبه.

وقيل هذا تمثيل فى تقريب الشيء من الشيء، وهو مستعمل فى أمثال العرب وأشعارهم، وقال شقيق بن مسلمة، وسعيد بن جبير وعطاء وأبو إسحاق الهمدانى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾: أى قدر ذراعين، والقوس الذراع يقاس بها كل شيء، وهى لغة بعض أهل الحجاز: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾: بل أقرب.

وقال بعض المحققين: إنما قال: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ لأنه لم يُرد أن يجعل لذلك حَدًا محصوراً.

وسئل أبو العباس بن عطاء عن هذه الآية فقال: كيف أصف لكم مقامًا انقطع عنه جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ولم يكن إلاّ محمد عليه السلام، وربه عز وجل؟

وقال الكسائى: ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾ أراد قوسًا واحدًا كقول الشاعر:

ومهمهين مذفذفين مرتين قطعته باللامِ بالسمنتين

أراد مهمهًا واحدًا.

وقال بعض أهل المعانى: معنى قوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فتدلل من الدلال كقولهم تظنيت، وتقصّى البازى، وأمل وأملل بمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾: يعنى فأوحى الله سبحانه ﴿إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾: محمد ﷺ ﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾: قال الحسن، والربيع، وابن زيد: معناه ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾ جبريل إلى رسول الله ﷺ ﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾ إليه ربه عز وجل؛ قال سعيد بن جبير: أوحى إليه: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ۝﴾ (الضحى: ٦) إلى قوله: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ۝﴾ (الشرح: ٤). وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك، وسئل أبو الحسين الثورى عنه فقال: أوحى إليه سراً بسرٍ من سر فى سر، وفى ذلك يقول القائل:

بين المحبين سر ليس يفشيـه قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجـــه أنس يقابله نور تحير فى بحر من التيـــه

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قرأ الحسن، وأبو جعفر والجحدرى، وقتادة، وهشام (كذَّب) بتشديد الذال. أى ما كَذَّب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه. وقرأ الباقون بالتخفيف أى: ﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤاد محمد ﷺ الذى رأى بل صدقه، ومجاز الآية: ما كذب الفؤاد فيما رأى، فأسقط الصفة، كقول الشاعر:

لو كنتِ صادقة الذى حَدَّثتنى لنجوت منجى الحارث بن هشام

أى فى الذى حدثتنى.

وقال بندار بن الحسين: الفؤاد وعاء القلب، فما ارتاب الفؤاد فيما رأى الأصل، وهو القلب.

واختلفوا فى الذى رآه: فقال قوم: رأى جبريل عليه السلام، وإليه ذهب ابن مسعود. وقال آخرون: هو الله سبحانه وتعالى. ثم اختلفوا فى معنى الرؤية: فقال بعضهم: جعل بصره فى فؤاده، فرآه بفؤاده، ولم يره بعينه. وقال قوم: بل رآه بعينه.

❖ ذكر من قال: إنه رآه بعينه:

أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا الكندى أخبرنا أبو يعلى محمد بن زهير الأبلى أخبرنا على بن قيس الضبعى أخبرنا أبو بكر البكراوى عن شعبة عن قتادة عن أنس: أن رسول الله ﷺ رأى ربه عز وجل.

وأخبرنى الحسين بن فنجويه أخبرنا ابن حبش المقرئ أخبرنا ابن زنجويه أخبرنا سلمة أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن التيمى عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله تعالى، لقد رأى محمد ﷺ الله تعالى.

وأنبأنى عقيل بن محمد أنبأنى المعافى بن زكريا أخبرنا محمد بن جرير أخبرنا ابن حميد أخبرنا مهران عن سفيان عن أبى إسحاق عمن سمع، وابن عباس يقول: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأى محمد ﷺ ربه سبحانه وتعالى.

وبإسناده عن ابن حميد أخبرنا يحيى بن واضح أخبرنا قيس[1] بن عبيد قال سمعت عكرمة، وسئل: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال: نعم، قد رأى ربه.

---

(١) وضع فوقه الناسخ كلمة: عيسى، وربما كان تصحيحًا له من نسخة أخرى، والله أعلم.

وبه عن ابن حميد أخبرنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع : ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال : رأى ربه عز وجل .

❖ ذكر من قال: لم يره:

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين بن فنجويه الحافظ بقراءتى عليه فى دارى أخبرنا موسى ابن محمد بن على أخبرنا إبراهيم بن زهير أخبرنا مكى ابن إبراهيم أخبرنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله رأيت ربك؟ قال : «رأيته مرتين بفؤادى ولم أره بعينى» . ثم تلا هذه الآية : ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [١] . ومثله روى ابن الحنيفية عن أبيه ، وأبو العالية عن ابن عباس .

وأخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن عبد الله بن حاتم أخبرنا جدى لأمى محمد ابن عبيد الله بن مرزوق أخبرنا عثمان[٢] بن مسلم أخبرنا همام عن عبد الله ابن شقيق قال : قلت لأبى ذر : لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته . قال : وعَمَّ كنت تسأله؟ قال : كنت أسأله : هل رأى ربه عز وجل؟ قال : فإنى قد سألته ، فقال : «رأيت نوراً أَنَّى أراهُ» .

وكذلك روى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : سُئل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل : ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال : «رأيت نوراً» .

ومثله روى مجاهد وعكرمة عن ابن عباس .

وقد ورد فى هذا الباب حديث جامع وهو ما أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى أخبرنا أبو على بن حبش المقرئ أخبرنا على بن زنجويه أخبرنا سلمة أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن مجالد بن سعيد عن الشعبى عن عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس ، وكعب . فقال ابن عباس : أما نحن بنو هاشم فنقول : إن محمداً رأى ربه مرتين . وقال ابن عباس : تعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد ﷺ. قال : فكَبّر كعب حتى جاوبته الجبال ، ثم قال : إن الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد ﷺ ، وموسى عليه السلام فكلّمه موسى ، ورآه محمد ﷺ.

قال مجالد ، وقال مسروق فأخبرنى مسروق : أنه قال لعائشة رضى الله عنها : يا أُمَّاهُ ، هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل قط؟ قالت : إنك لتقول قولاً إنه ليقف منه شعرى . قال : قلت

---

(١) فى إسناد هذا الحديث مقال ، فلا يصح الاحتجاج بمثله .

(٢) كتب فوق الاسم فى المخطوط بخط دقيق بقلم الناسخ : عنان ، وربما كان ذلك تصويب من نسخة أخرى مع الناسخ والله أعلم .

رويدًا، فقرأت عليها: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾. فقالت: رويدًا أين يُذْهَبُ بك، إنما رأى جبريل عليه السلام فى صورته، من حدّثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)، ومن حدثك أنه يعلم الخمس من الغيب فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ...﴾ (لقمان: ٣٤) الآية، ومن حدثك أن محمدًا قد كتم شيئًا من الوحى فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (المائدة: ٦٧) الآية.

قال عبد الرزاق: فذكرت هذا الحديث لعمر فقال: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أى رأى.

قرأ على، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة ومسروق والنخعى، وحمزة، والكسائى، وخلف، ويعقوب: (أفتَمرونه) بفتح التاء من غير ألف، على معنى أفتجحدونه، واختاره أبو عبيد، قال: لأنهم لم يماروه، وإنما جحدوه، وتقول العرب مَرَيْتُ الرجل حقه إذا جحدته، قال الشاعر:

لئن هجرت أخا صِدق ومكرمة ... لقد مَرَيْتَ أخا ما كان يمريكا

أى جحدته.

وقرأ سعيد بن جبير، وطلحة بن مُصَرف: (أفتُمرونَهُ) بضم التاء بلا ألف. أى تريبونه وتشككونه. وقرأ الباقون: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ بالألف وضم التاء على معنى أفتجادلونه، وهو اختيار أبى حاتم، وفى الحديث: «لا تماروا فى القرآن فإن المراء فيه كفر»

❖ ❖ ❖

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ يعنى رأى محمد ﷺ ربه فى قول ابن عباس وأصحابه. وقيل: رأى جبريل. ﴿نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ مرة أخرى، فسماها نزلة على الاستعارة. وذلك أن جبريل رآه النبى ﷺ على

صورته[1] التى خلق عليها مرتين: مرة بالأفق الأعلى فى الأرض. ومرة عند سدرة المنتهى فى السماء. وهذا قول عائشة رضى الله عنه، وأكثر العلماء وهو الاختيار لأنه قرن الرؤية بالمكان فقال: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾. ولأنه قال: ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وتقديرها، وقد رآه نازلاً نزلة أُخرى. ووصف الله سبحانه بالمكان والنزول الذى هو الانتقال محال، ولأنه قال: ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ولم يُروَ فى الحديث أنه ﷺ رأى ربه عز وجل قبل ليلة المعراج، فرآه تلك الليلة مرةً أخرى، يدل عليه ما أخبرنى محمد بن الفضل بن محمد السلمى، أخبرنا محمد بن إسحاق حدثنا محمد ابن المثنى، ومحمد بن يسار، وأخبرنى عقيل بن عقيل بن محمد: أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم عن محمد بن جرير حدثنا محمد بن المثنى قالوا: حدثنا عبد الوهاب الثقفى حدثنا داود بن غامر عن مسروق: أن عائشة رضى الله عنها قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله؛ قال: وكنت متكئا، فجلست، وقلت: يا أم المؤمنين: انظرينى ولا تعجلينى، أرأيت قول الله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ (التكوير: ٢٣) قالت: إنما هو جبريل، رآه على صورته التى خلق عليها مرتين مرة حين هبط من السماء إلى الأرض سَاداًّ عظَمُ خَلْقه ما بين السماء إلى الأرض ومَرَّةً عند سدْرة المنتهى. قالت: وأنا أول من سأل النبى ﷺ عن هَذه الآية، فقال: «هو جبريل».

قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ عندَ صلة من قوله: ﴿رَءَاهُ﴾. والسدرة: شجرة النبق، وقيل لها سدرة المنتهى، لأن إليها ينتهى علم كل عالم.

قال هلال بن يساف: سأل ابن عباس كعبًا عن سدرة المنتهى، وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة فى أصل العرش على رؤوس حملة العرش، وإليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلاّ الله عز وجل[2].

وقال ابن مسعود: سميت بذلك لأنه ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله عز وجل إذا انتهى من يصعد إليها من الأرض قبض منها، وإذا انتهى ما يهبط من فوقها إليها قبض منها، فسميت المنتهى، لأنه ينتهى إليها كل شىء من أمر الله عز وجل ولا يعدوها، وإلى هذا ذهب الضحاك. وقيل: إنه ينتهى إليها ما عرج من أرواح المؤمنين وقيل: لأنه ينتهى إليها كل من مات على سُنَّة رسول الله ﷺ ومنهاجه.

وروى الربيع عن أبى العالية عن أبى هريرة قال: لما أُسرى بالنبى ﷺ انتهى إلى السدرة،

---

(١) جاء فى المخطوط: صورة، وهو تحريف.
(٢) فى هذا القول نظر حيث لم يذكر لها تفسير عن النبى ﷺ فيجب الوقوف عند ذلك.

فقيل له هذه سدرة المنتهى، ينتهى إليها كل أحد خلا من أمتك على سُنَّتك، فإذا هى شجرة يخرج من أصلها أنهار. وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عامًا لا يقطعها، والورقة منها مغطية للأمة كلها[١].

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا التنوخى أخبرنا عبيد الله بن يعيش أخبرنا يونس بن بكير أخبرنا محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبى بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ يذكر سدرة المنتهى قال: «يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة عام، ويستظل فى الفنن منها مائة ألف راكب، فيها فراش من ذهب، كأن ثمرها القلال[٢]».

وقال مقاتل: هى شجرة لو أن ورقة منها وضعت فى الأرض لأضاءت لأهل الأرض، تحمل الحلى والحلل، والثمار من جميع الألوان ولو أن رجلا ركب حقَّةً فطاف على ساقها ما بلغ المكان الذى ركب منه حتى يقتله الهَرَمُ، وهى طوى التى ذكرها الله عز وجل فى سورة الرعد[٣]. وقد تقصَّيت وصفها فى قصة المسرى.

قوله عز وجل: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال ابن مسعود وأصحابه: فراش من ذهب. وهى رواية الضحاك عن ابن عباس رفعه إلى النبى ﷺ.

وقال الحسن: غشيها نور رب العزة فاستنارت. وقيل: الملائكة. ويروى أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت على كل ورقة من ورقها ملكًا قائمًا يسبح الله عز وجل». وروى الربيع عن أبى العالية عن أبى هريرة أو غيره قال: لما أسرى بالنبى ﷺ قال: فغشيها نور الخلائق، وغشيتها الملائكة من حب الله عز وجل أمثال الغربان حين يقعن على الشجر».

قال: فكلمه عند ذلك فقال له: سل.

وفى الحديث: أن النبى ﷺ قال: «فغشيها رفرف من طير خضر».

وقال السدى: من الطيور فوقها. وروى أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «انتهيت إلى السدرة

---

(١) هذا حديث معلق ليس له إسناد وإنما ديننا بُنى على السند، ومتنه لا يقبله العقل فضلا عن خلوه من الأدلة الشرعية والبراهين التى بها يؤخذ فى أمر الدين والتعبد.

(٢) فى إسناده محمد بن إسحاق، وهو ابن يسار صاحب المغازى، وهو ثقة موصوف بالتدليس، وقد عنعن، وإذا عنعن المدلس فى قواعد أهل الحديث يصير حديثه فى هذه الحالة ضعيفًا فلا يعتد به، وعليه فهذا الخبر لا يعتد به كسابقه.

(٣) هذا قول موقوف على مقاتل، وهو وإن كان من كبار المفسرين إلاّ أنه لا يؤخذ بقوله فى مثل هذه الأمور الغيبية حتى يأتى على قوله بالحجة والدليل القاطع الدال على ذلك.

وأنا أعرف أنها سدرة أعرف ثمرها وورقها، وإذا نبقها مثل الجرار، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشيها تحولت ياقوتًا وزمردًا حتى ما يستطيع أحد أن يصفها عندها جنة المأوى».

قوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ قال ابن عباس: هى عن يمين العرش، وهى منزلة الشهداء. نظيره: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (السجدة: ١٩). أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو عمر بن أحمد بن عمر بن محمد بن الحارث القضبانى أخبرنا على بن العباس المقانعى أخبرنا ميمون بن الأصبغ أخبرنا يحيى بن صالح يعنى الوحاظى أخبرنا محمد بن سليمان ابن حمزة البصرى أخبرنا عبد الله بن أبى قيس قال سمعت عبد الله بن الزبير يقرأ هذه الآية: (عندها جنه) بالهاء ﴿ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ قال: جنة المبيت.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد قالا: أخبرنا أبو بكر بن مجاهد حدثنى ابن صدقة حدثنى أبو الأسباط أخبرنا عبد الرحمن عن على بن القاسم الكندى عن موسى بن عبيدة قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقرأ (جنه المأوى).

قال ابن مجاهد: يريد أجنَّه[1]، والهاء فى هذه القراءة كناية عن النبى ﷺ. قال أبو حاتم وهى قراءة على وأنس، يعنى ستره وقال الأخفش أدركه.

وأخبرنا الحسن بن محمد قال: حدثنا أبو عبد الله عمر بن أحمد بن محمد بن الحارث القضبانى. قال: حدثنا على بن العباس المقانعى، قال: حدثنا ميمون بن الأصبع، قال: حدثنا يحيى بن طالح الوحاظى قال: حدثنا محمد بن سليمان بن حمزة البصرى قال: حدثنا عبد الله ابن أبى قيس، قال سمعت عبد الله بن الزبير يقرأ هذه الآية (عندها جنه) بالهاء ﴿ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ يعنى جنه المبيت.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد قالا: حدثنا أبو بكر ابن مجاهد، قال: حدثنى أبو صدقة قال: حدثنا أبو الأسباط قال: حدثنا عبد الرحمن عن على بن القاسم الكندى عن موسى بن عبيدة، قال: سمعت محمد بن كعب القرظى يقرأ (جنه المأوى) وقال مجاهد: يريد أجنه، والهاء فى هذه القراءة كناية عن النبى ﷺ.

قال أبو حاتم: وهى قراءة على وأنس يعنى ستره، وقال الأخفش: أدركه.

قوله عز وجل: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أى ما جاوز ما أمر به، ولا مال عما قصد له.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ أى الآية الكبرى.

---

(١) كذا رسمت فى المخطوط. وربما كان المراد: (عند جنة) والله أعلم.

قال ابن مسعود: رأى رفرفًا أخضر من الجنة قد سَدَّ الأفق. وقال الضحاك: سدرة المنتهى. وقال عبد الرحمن بن زيد، ومقاتل بن حيان: رأى جبريل فى صورته التى تكون فى السموات. وقيل: المعراج، وما أرى تلك الليلة فى مسراه، وعوده وبدئه. دليله قوله سبحانه: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ (الإسراء: ١).

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ قراءة العامة بتخفيف التاء وهى من الله ألحقت بها التاء فأنثت، كما قيل: عمر للذكر، ثم قيل للأنثى: عمرة، وكما قيل: عباس وعباسة. وكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى فقالوا من الله اللاَّت، ومن العزيز العُزى.

قال قتادة: أما اللاَّت، فكانت بالطائف. وقال ابن زيد: اللاَّت بيت بنخلة كانت قريش تعبده.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وأبو صالح: اللات بتشديد التاء، وقالوا: كان رجلاً يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. وروى السّدى على أبى صالح: أنه كان بالطائف وكان يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق، فلما مات عبدوه.

وقال مجاهد: كان رجلاً فى رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن، ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها، ثم يتخذ منها حيسًا فيطعم الحاج، وكان ببطن نخلة، فلما مات عكفوا على قبره، فعبدوه، وهو اللاَّت. وقال الكلبى: كان رجلاً من ثقيف يقال له: صرْمَةُ بن غنم، كان يسلأ السمن فيضعها على صخرة، ثم تأتيه العرب فتلت به أسوقتهم، فلما مات الرجل حوَّلتها ثقيف إلى منازلها فعبدتها، فمدرة الطائف على موت اللات. والعزى: اختلفوا؛ فقال مجاهد: هى شجرة بغطفان يعبدونها وهى التى بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، فجعل يضربها بالفأس ويقول:

يا عُزَّ كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها. ويقال: إن خالدًا رجع إلى النبى ﷺ فقال: قد قطعتها، فقال: «ما رأيت؟» قال: لم أر شيئًا فقال النبى ﷺ: «ما قطعت». فعاودها ومعه المعول فقلعها، واجتث أصلها، فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها، ثم رجع إلى النبى ﷺ وأخبره بذلك، فقال: «تلك العزى ولن تعبد أبدًا»[1].

وقال الضحاك: هى صنم لغطفان، وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفانى، وذلك أنه قدم

(١) هذا خبر ليس له إسناد، ومتنه منكر فلا يعتد بمثله، وفى كتب الأخبار نحو هذا كثير بمثل هذا الإسناد فلا ينظر إليه أهل العلم وأهل الحديث ينكرون مثل هذا المتن.

مكة فرأى الصفا والمروة، ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فعاد إلى بطن نخلة، وقال لقومه: إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم، ولهم إله يعبدونه وليس لكم. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أنا أصنع لكم كذلك، فأخذ حجراً من الصفا، فقال: هذا الصفا، وآخر من المروة، وقال: هذا المروة فنقلهما إلى بطن نخلة فوضع الذى من الصفا فقال: هذا الصفا، ثم وضع الذى أخذه من المروة فقال: هذا المروة، ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة وقال هذا ربكم فاعبدوه؛ فجعلوا يطوفون بين الحجرين، ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة فأمر برفع الحجارة، وبعث خالد إلى العُزَّى فقطعها. وقال ابن زيد: هى بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف.

﴿وَمَنَوٰةَ﴾ قرأ ابن كثير بالمد، ومثله روى الشمونى عن أبى بكر عن عاصم، وأنشد.

ألا هل أتى التيم بن عبد مَنْاة على الشنو فيما بيننا ابن تميم

(وقرأ)[1] الباقون بالقصر.

قال قتادة: هى بخزاعة، وكانت بقديد. وقال ابن زيد: بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب. وقال الضحاك: مناة: صنم لهذيل، وخزاعة تعبدها أهل مكة. وقيل: اشتقاقها من ناء النجم ينوء نوءاً. وقال بعضهم: اللاّت، والعزى، ومناة: أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها.

واختلف القراء فى الوقف على اللاّت، ومناة، فوقف بعضهم عليهما بالهاء، وبعضهم بالتاء. وقال بعضهم: كل شىء فى القرآن مكتوب بالتاء فإن الوقف عليه بالتاء نحو: ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ (القلم: ٢)، و﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ (الصافات: ٦٢) ونحوها. وما كان مكتوبًا بالهاء، فالوقف عليه بالهاء. وقال بعضهم: الاختيار فيما لم يُضف أن يكون بالهاء نحو: ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ (الكهف: ٩٨)، و﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ﴾ (المؤمنون: ٢٠)، وما كان مضافًا فجائز بالتاء والهاء، فالتاء للإضافة، والهاء لأنه يُفْرَدُ ويوقف عليه دون الثانى.

وأما قوله: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فإن العرب لا يقولون للثالثة أخرى، وإنما الأخرى نَعْتٌ للثانية، فاختلفوا فى وجهها. فقال الخليل: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآى كقوله: ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ ولم يقل أُخر. وقال الحسين بن الفضل: فى الآية تقديم وتأخير مجازها: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة، ومعنى الآية: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللاّت، والعزى، ومناة بنات الله.

(١) هذا لفظ تركه المؤلف اختصاراً، فأضفته إيضاحًا للمعنى وحتى لا يظن أن هناك سقطًا.

﴿أَلَكُمُ﴾ أتجعلون لكم ﴿ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ روى القواس، والبزى عن ابن كثير بالهمز، والباقون بغير همز. قال ابن عباس وقتادة: يعنى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم. وقال مجاهد، ومقاتل: عوجا. وقال الحسين: غير معتدلة. وقال ابن سيرين: غير مستوية أن يكون لهم الذكور ولله الإناث. وقال الضحاك: ناقصة. وقال سفيان: منقوصة. وقال ابن زيد: مخالفة. وقال الكسائى: يقال منه: ضاز يضيز ضيزًا، وضاز يضوز ضوزًا، وضأز يضأزُ ضأزًا، إذا ظلم ونقص. قال الشاعر:

ضازت بنو أسد بحكمهم   أن يجعلوا الرأس كالذنب

وأنشد الأخفش:

إن تنْأَ عَنَّا ننتقصك[1] وإن تغب   فسهمك مضئوز وأنفك راغم

وتقدير (ضيزى) من الكلام فُعْلَى بضم الفاء لأنها صفة، والصفات لا تكون إلا فُعْلَى بضم الفاء نحو: حُبْلى، وأنثى، وبُشرَى. أو فعلى بفتح الفاء نحو غضبى، وسكرى، وعطشى، وليس فى كلام العرب فعلى بكسر الفاء فى النعوت، وإنما يكون فى الأسماء مثل دِفزى، وذكرى، وشعرى. قال المؤرج: كرهوا ضم الضاد، وخافوا انقلاب الياء واوًا وهو من بنات الياء، وكسروا الضاد لهذه العلة. كما قالوا فى جمع أبيض بيضٌ، والأصل بُيْضٌ، مثل جمع أحمر وأصفر: حُمْرٌ وصُفْرٌ. فأما من قال: ضاز يضوز، فالاسم منه ضُوزى مثل شُورى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ﴾ يعنى هذه الأوثان ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ﴾ قرأ العامة: بالياء. وقرأ عيسى بالتاء. ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ من قولهم: إنها آلهة، وإنها شفعاؤهم. ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ البيان، وأنها ليست بآلهة، وإن العبادة لا تصلح إلاّ لله الواحد القهار.



﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى

(١) هكذا رسمها بالمخطوط: «فقبضك».

مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ اشتهى وهم الكفار، زعموا أن الأصنام تشفع لهم عند الله تعالى، يعني أيظنون أن لهم ما يتمنون من شفاعة الأصنام فليس كما ظنوا وتمنوا. ﴿فَلِلَّهِ﴾. أي بل لله ﴿ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يعني الدنيا يعطي ما يشاء، ويمنع ما يشاء لا ما تمنى الإنسان واشتهى. وهذا كقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ (النمل: ٦٠)، أي لا إله مع الله. وقال ابن زيد: يعني إن كان محمد تمنى شيئًا فأعطاه الله تعالى ذلك فلا تنكروه.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يُعطي من شاء ما شاء ويحرم من شاء ما شاء.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ممن يعبدهم هؤلاء الكفار، ويزعمون أنهم بنات الله ويرجون شفاعتهم عند الله ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ قال الأخفش: المَلَكُ مُوَحَّدٌ، ومعناه الجمع وهو مثل قوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ (الحاقة: ٤٧).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ أي كتسمية أو بتسمية الأنثى وذلك حين قالوا: إنهم بنات الله عز وجل، تعالى الله عن افترائهم. ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي من العذاب. ﴿شَيْـًٔا﴾ نظيره: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ (الحجر: ٨) يعني أنها لا تشفع لهم، وأن ظنهم لا ينقذهم من العذاب.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعني القرآن. وقيل: الإيمان. وقيل: محمد ﷺ.

﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ قال الفراء: صغر رأيهم وأزرى بهم، يقول: ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عن دينه. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ اختلفوا في معنى: ﴿إِلَّا﴾. فقال قوم:

هو استثناء صحيح . واللمم من الكبائر والفواحش ، ومعنى الآية : إلاّ أن يلم بالفاحشة ، ثم يتوب ، ويقع الوقعة ، ثم ينتهى . وهو قول أبى هريرة ، ومجاهد ، والحسن ، وأبى صالح . ورواية عطاء عن ابن عباس قال : هو الرجل يلمُّ بالفاحشة ثم يتوب . قال : وقال رسول الله ﷺ :

إن تغفر اللهم تغفر جَمًّا وأى عبد لك لا أَلَمَّا

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : اللمم ما دون الشرك .

وقال الآخرون : هو استثناء منقطع ، مجازه : لكن اللمم ، ولم يجعلوا اللمم من الكبائر . والفواحش . ثم اختلفوا فى معناه ، فقال بعضهم : هو ما سلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم به . وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين إنما كانوا بالأمس يعملون معنا كما نعمل ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وهذا قول زيد بن ثابت ، وزيد بن أسلم وابنه ، ورواية الوالبى عن ابن عباس . وقال بعضهم : هو صغار الذنوب مثل النظرة ، والغمزة والقبلة ، وهو من ألم بالشىء إذا لم يتعمق فيه ، ولم يلزمه ، وهو قول ابن مسعود ، ومسروق ، والشعبى ، وأبى سعيد الخدرى ، وحذيفة بن اليمان . ورواية طاوس عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى ﷺ : «إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدركه ذلك لا محالة ، فزنا العينين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، وزنا الشفتين التقبيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشى ، والنفس تتمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . فإن تقدم فرجه كان زانيًا ، وإلاّ فهو اللمم» .

وقال ابن الزبير وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ؛ هو ما بين الحدين ، حد الدنيا وعذاب الآخرة . وهى رواية العوفى ، والحكم بن عيينة عن ابن عباس . وقال الكلبى : اللمم على وجهين : كل ذنب لم يذكر الله عليه حدًا فى الدنيا ، ولا عذابًا فى الآخرة فذلك الذى تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش . والوجه الآخر : هو الذنب العظيم ، يُلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه . وقال مقاتل : اللمم ما بين الحدين من الذنوب نزلت فى نبهان التمار ، وقد مضت القصة فى سورة آل عمران . وقال عطاء بن أبى رباح : اللمم عادة النفس الحين بعد الحين . وقال سعيد بن المسيب : هو ما لَمَّ على القلب أى خطر . وقال محمد بن الحنفية : كل ما هممت به من خير أو شر فهو لمم .

دليل هذا التأويل الخبر المروى : «إن للشيطان لُمَّةً وللملك لُمَّةً فلُمَّة الشيطان الوسوسة ولُمَّة الملك الإلهام» .

وقال الحسين بن الفضل: اللمم النظرة من غير تعمد، وهو مغفور، فإن أعاد النظر فليس بلمم بل[1] هو ذنب. وقال الفراء: اللمم المتقارب من صغار الذنوب وأصل اللمم الإلمام، والإلمام هو ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة، والحين بعد الحين، ولا يتعمق فيه، ولا يقيم عليه. ويقال: ألممت به إذا زُرتُهُ وانصرفت. ومنه إلمام الخيال، قال الأعشى:

ألم خيال من قتيلة بعدما وهى حَبْلهَا من حَبْلنَا فَتَصرَّمَا

وقال آخر:

أنّى ألم بكِ الخيـال يُطيف ومطافه لك فكرة وشُغُوفُ

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لا يتعاظمه ذنب نظيره: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن النعمان بن عبد السلام الأصفهانى أخبرنا محمد بن عاصم أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن عمرو بن مرة عن أبى وائل قال: رأى أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من أفاضل أصحاب عبد الله - فى المنام فقال: رأيت كأنى أُدخلت الجنة، وإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه. فقالوا: لذى الكلاع، وحوشب وكانا ممن قتل مع معاوية - فقلت: أين عمار وأصحابه؟ قالوا: أمامك. قلت: قَتَل بعضهم بعضًا؟ قالوا: إنهم لقوا الله عز وجل فوجدوه واسع المغفرة.

قال أبو خالد: بلغنى أن ذا الكلاع أعتق اثنى عشر ألف بيتًا. قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أى خلقكم من تراب. ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين وهو الولد ما دام فى البطن يسمى جنينًا لاجتنانه أى استتاره.

روى مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت: كانت اليهود إذا هلك لهم صبى قالوا: هو صديق، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «كذبوا ما من نسمة يخلقها الله عز وجل فى بطن أُمها إلاّ شقى أو سعيد» فأنزل الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ قال ابن عباس: فلا تمدحوها. قال مجاهد، وزيد بن أسلم: فلا تبرئوها. وقال الكلبى، ومقاتل: كان أناس يعملون أعمالاً خبيثة، ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال النبى ﷺ: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب».

---

(١) فى متن المخطوط: «وهو ذنب». وفى الهامش: «بل». وهو تصحيح للعبارة وربما كان من نسخة أخرى فحذفت الواو وجمعت بين القولين.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ أى بمن اتقى الشرك فآمن. وقال على بن أبى طالب عليه السلام: يعنى عمل حسنة وارعوى عن سيئة. وقال الحسن: أخلص العمل لله تعالى.

❖ ❖ ❖

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ الآيات قال ابن عباس، والكلبى، والسدى، والمسيب بن شريك: نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يتصدق وينفق فى الخير، فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح: ما هذا الذى تصنع؟ يوشك أن لا يبقى لك شىء. فقال عثمان: إن لى ذنوبًا وخطايا، وإنى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال له عبد الله: أعطنى ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة والنفقة، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ يعنى يوم أحد حين ترك المركز.

﴿وَأَعْطَىٰ﴾ يعنى صاحبه. ﴿قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ ثم قطع نفقته، فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله.

وقال مجاهد، وابن زيد: نزلت فى الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين، وقال له: أتركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم فى النار كان ينبغى لك أن تنصرهم. قال إنى خشيت عذاب الله تعالى، فضمن له الذى عاتبه إن هو أعطاه شيئًا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، ففعل. فأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له، ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن له، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ أدبر عن الإيمان ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ يعنى صاحبه الضامن ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ بخل بالباقى. وقال مقاتل: يعنى أعطى الوليد قليلاً من الخير بلسانه، ثم ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ أى قطعه فلم يُقم عليه.

وروى موسى بن عبيدة الزبيدى عن عطاء بن يسار قال: نزلت فى رجل قال لأهله: جهزونى أنطلق إلى هذا الرجل - يعنى النبى ﷺ - فتجهز وخرج فلقيه رجل من الكفار، فقال:

أين تريد؟ قال محمدًا لعلى أصيب من خيره. فقال له الرجل: أعطنى جهازك وأحمل عنك إثمك، فنزلت فيه هذه الآية.

وروى عن السدى أيضًا قال: نزلت فى العاص بن وائل السهمى، وذلك أنه ربما كان يوافق رسول الله ﷺ فى بعض الأمور. وقال محمد بن كعب القرظى: نزلت فى أبى جهل وذلك أنه قال: والله ما يأمرنا محمد إلاّ بمكارم الأخلاق، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ أى لم يؤمن به.

قال المفسرون: ﴿وَأَكْدَىٰ﴾ أى قطعه ولم يقم عليه وأصله الكدية، وهو حجر يظهر فى البئر، ويمنع من الحفر ويؤيس من الماء.

قال الكسائى: تقول العرب: أكدى الحافر وأجبل، إذا بلغ فى الحفر الكُدية والجبل. ويقال: كديت أصابعه إذا مجلت، وكديت يده، إذا كَلّت فلم تعمل شيئًا، وكَدَىَ النبت، إذا قَلّ ريعه. وقال المؤرج: أكدى أى منع الخير. قال الحطيئة:

وأعطى قليلاً ثم أكدى بماله، ومن يبذل المعروف فى الناس يُحْمَد.

قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾. يخبر. ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ يعنى أسفار التوراة. ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ ما أرسل به من تبليغ الرسالة وهى قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وروى عكرمة وطاوس عن ابن عباس قال: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره، ويأخذون الولى بالولى فى القتل حتى إن الرجل يقتل بأبيه وأخيه وابنه وعمه وخاله، والزوج يقتل بامرأته، والسيد يقتل بعبده، حتى كان إبراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وقال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد: عمل بما أُمر به، وبلغ رسالات ربه إلى خلقه. وقال مجاهد: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ بما فرض عليه. وقال ربيع: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ برؤياه، وقام بذبح ابنه. وقال عطاء الخراسانى: استعمل الطاعة. وقال أبو العالية: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ بتمام الإسلام، وهو قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤) وما ابتلى بهذا الدين أحد فأقام سهامه كلها إلاّ إبراهيم عليه السلام. والتوفية: الإتمام، يقال: وفيت عليه حقه، ووفرته، قال الله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ (فاطر: ٣٠) وقال سفيان بن عيينة: أدى الأمانة. وقال الضحاك: وفى بشأن المناسك. وقال عطاء بن السائب: بلغنى أن إبراهيم عليه السلام كان قد عهد أن لا يسأل مخلوقًا شيئًا، فلما قذف فى النار، وأتاه جبريل، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فأثنى الله تعالى عليه بقيامه بما قال، ووفائه بما عهد، فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾

وقال الحسين بن الفضل: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ بشأن الأضياف حتى سمى أبا الأضياف. قال أبو بكر الوراق: قام بشرط ما ادعى، وذلك أن الله عز وجل قال له: أسلم، قال: أسلمت، فطالبه الله تعالى بصحة دعواه فابتلاه بماله وولده ونفسه فوجده فى ذلك كله وافيا، فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ أى ادعى الإسلام ثم صحح دعواه.

وقد روى عن النبى ﷺ فى تفسير هذه الآية قولان:

أحدهما: ما أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل أخبرنا أبى أخبرنا حسن أخبرنا ابن لهيعة أخبرنا ريان بن قائد عن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لمَ سمى الله إبراهيم خليله الذى وفّى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم: ١٧)» حتى يختم الآية.

والآخر: ما أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله أخبرنا أحمد بن الفرج المقرئ أخبرنا أبو عمرو أخبرنا نصر بن على أخبرنا معتمر بن سليمان عن جعفر عن القاسم عن أبى أمامة أن النبى ﷺ قرأ: « ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ » قال: «أتدرون بما وفى؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «وفّى يعنى عمل يومه بأربع ركعات كان يصليهن من أول النهار».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن مالك القطيعى، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبى أخبرنا ابن مهدى أخبرنا معاوية عن أبى الزاهرية عن كثير بن مُرَّةَ عن نعيم بن همام[1] أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع كلمات من أول النهار أكفك آخره».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن أبى سمرة، أخبرنا أبو طلحة أحمد بن محمد بن عبد الكريم أخبرنا نصر بن على أخبرنا المعتمر بن سليمان أخبرنا محمد بن المعتصم أبو جميل عن ورقاء[2] بن يزيد عن سعيد بن جبير: أنه قرأ: (وإبراهيم الذي وفَي) خفيفة.

وأما الجامع بين قوله عز وجل: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وبين قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (العنكبوت: ١٣) فهو ما قال الحسين بن الفضل: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ طوعًا ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ كرهًا.

وأخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا أحمد

---

(١) كذا بالمتن، وبهامش المخطوط: هماز، وهو تصويب من بعض النسخ وهو بقلم الناسخ.

(٢) كذا فى المتن، وفى الهامش: «وقاص»، وربما كان ذلك فى نسخة أخرى مع الناسخ والله أعلم.

ابن يحيى الحلوانى أخبرنا يحيى بن عبد الحميد أخبرنا عبد الله بن إياد بن لقيط عن أبى رمثة قال: انطلقت مع أبى إلى النبى ﷺ فلما رأيته قال لى أبى: أتدرى من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ. قال: فاقشعررت عند ذلك حين قال لى، وكنت أظن رسول الله ﷺ شيئًا لا يشبه الناس، فإذا هو بشر ذو وَفرَة بها رَدْع من حناء، وعليه ثوبان أخضران فسلم عليه أبى، ثم جلسنا، فتحدثنا ساعة، ثم قال رسول الله ﷺ لأبى: «هذا ابنك»؟ قال أبى: إى ورب الكعبة حقًا أشهد به. فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا من ثبت شبهى بأبى، ومن حلف أبى عَلَىَّ، قال: «أما إنه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ثم نظر أبى إلى مثل السلعة بين كتفيه، فقال: يا رسول الله إنى أطبب الرجل ألا أعالجها لك؟ قال: «لا طبيبها الذى خلقها».

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ أى عمل؛ نظيره قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل: ٤).

قال ابن عباس: هذه الآية منسوخة، فأنزل الله تعالى بعدها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور: ٢١) فأدخل الأبناء بصلاح الآباء الجنة[1]. وقال عكرمة: ذلك لقوم إبراهيم وموسى، فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى غيرهم بخبر سعد حين سأل رسول الله ﷺ: هل لأمى إن تطوعت عنها؟ قال: «نعم»، وخبر المرأة التى سألت رسول الله ﷺ، فقالت: إن أبى مات ولم يحج؟ قال: «فحجى عنه».

وقال الربيع بن أنس: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ قال: الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى، وما سُعِىَ له. وقيل: ليس للكافر من الخير إلاّ ما عمله فيثاب عليه فى دار الدنيا حتى لا يبقى له فى الآخرة خير.

ويروى: أن عبد الله بن أُبَىّ كان أعطى العباس قميصًا ألبسه إياه، فلما مات عبد الله أرسل رسول الله ﷺ قميصه ليكفن فيه، فلم تبق له حسنة فى الآخرة يثاب عليها.

سمعت الأستاذ أبا القاسم بن محمد بن حبيب يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبى يقول دعا عبد الله بن طاهر والى خراسان الحسين بن الفضل فقال له: أُشكلت عَلَىّ ثلاث آيات، دَعَوْتُكَ لتكشفها لى. قال: وما هن أيها الأمير؟

---

(١) هذا قول فيه نظر وقد سبق أن تكلمت عن قول بعض العلماء وكلامهم فى مسألة الناسخ والمنسوخ واعتراض بعضهم على ذلك، والآية المدعى نسخها هنا لا تعارضها التى ادعى بها النسخ بل كلاهما توضح الأخرى وتشرحها وتكملها، وفى القول بعده ما يؤيد ما أشرت إليه، والله أعلم.

قال: قوله تعالى فى وصف ابن آدم ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ (المائدة: ٣١) وصَحّ الخبر: بأن «الندم توبة». وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩)، وصَحَّ الخبر: «أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة»، وقوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ . فما بال الأضعاف؟ فقال الحسين: يجوز أن لا يكون ندم قابيل توبة له، ويكون ندم هذه الأمة توبة لها لأن الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم يشركهم فيها الأمم.

وفيه قول آخر: وهو أن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل وإنما كان على حمله. وأما قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ يعنى عن طريق العدل. ومجاز الآية: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى عدلاً. ولى أن أجزيه بواحدة ألفًا فضلاً. وأما قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فإنها شؤون يعيدها لا شؤون يبديها. وقيل: شؤون يبديها لا شؤون يبتديها. ومجاز الآية: سوق المقادير إلى المواقيت. قال: فقام عبد الله بن طاهر، فقَبّل رأسه وَسَرَّع خراجه.

وقال أبو بكر الوراق: ﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ أى نوى بيانه قول النبى ﷺ «يبعث الله الناس يوم القيامة على نياتهم». قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ الإثم. قال الأخفش: يقال: جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء لا فرق بينهما. قال الشاعر:

إنْ أجْزِ علقمة بن سعد سعيه ... لم أجْزِهِ ببلاءِ يومٍ واحــــدِ

فجمع بين اللغتين.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أى منتهى الخلق ومصيرهم، وهو مجازيهم بأعمالهم، وقيل منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال. أخبرنا الحسين بن محمد السفيانى أخبرنا محمد بن سماء بن الفتح الحنبلى أخبرنا على بن محمد البصرى أخبرنا إسحاق بن منصور الصغدى أخبرنا العباس ابن زُفر عن أبى جعفر الرازى عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أُبَىّ بن كعب عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قال: «لا فكرة فى الرب».

والشاهد لهذا الحديث ما أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا عمير ابن مرداس أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم السلمى أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «إذا ذكر الله تعالى فانتهوا».

وحدثنا الإمام أبو منصور محمد بن عبد الله الحمشاذى لفظا سنة سبع وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محبوب أخبرنا أبو يحيى البزاز أخبرنا محمد بن زكريا أخبرنا إبراهيم بن الجنيد أخبرنا محمد بن يحيى المغنى أخبرنا داود عن الحسن بن واصل عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتفكرون، فقال:

«فيم أنتم؟». قالوا: نتفكر فى الخالق، قال: «تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة، تفكروا أن الله خلق السموات والأرض سبعًا ثخانة كل أرض خمسمائة عام، وما بين كل أرضين خمسمائة عام وما بين السماء والأرض خمسمائة عام وثخانة كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله فيه ملك قائم لم يجاوز الماء كعبه»[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾ من شاء من خلقه. ﴿وَأَبْكَىٰ﴾. من شاء منهم.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عمر بن الخطاب أخبرنا عبد الله ابن الفضل أخبرنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثتنا دلال بنت أبى المُدل قالت حدثتنا الصهباء عن عائشة رضى الله عنها قالت: مَرّ النبى ﷺ على قوم يضحكون، فقَال: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً» فنزل عليه جبريل فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾، فرجع إليهم، فقال: «ما خطوت أربعين خطوة حتى أتى جبريل، فقال: ائت هؤلاء فقل لهم إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾.

وقال عطاء بن أبى مسلم: يعنى أفرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء.

وسمعت أبا منصور الجمشاذى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سُئل طاهر المقدسى: أتضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم. وقيل لعمر رضى الله عنه: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم والله والإيمان[2] أثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى، وقال مجاهد: ﴿أَضْحَكَ﴾ أهل الجنة فى الجنة، و﴿وَأَبْكَىٰ﴾ أهل النار فى النار. وقال الضحاك: ﴿أَضْحَكَ﴾ الأرض بالنبات، ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ السماء بالمطر. وقيل: ﴿أَضْحَكَ﴾ الأشجار بالأنوار ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ السحاب بالأمطار. وقال ذو النون: ﴿أَضْحَكَ﴾ قلوب المؤمنين العارفين بشمس معرفته، ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته. وقال سهل: ﴿أَضْحَكَ﴾ المطيع بالرحمة، ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ العاصى بالسخطة. وقال محمد بن على الترمذى: ﴿أَضْحَكَ﴾ المؤمن فى

(١) فى إسناد هذا الحديث شهر بن حوشب وهو رجل صالح، فى الاحتجاج بحديثه مقال فمنهم من قبل حديثه ومنهم من تركه، ومتن هذا الحديث يفيد عدم صحته خصوصًا فيما يخص أسماك السموات والأرض وما تحمله من تلك الأعداد والله أعلم.

(٢) بهامش المخطوط: «وَللإِيمَانُ» وربما كان ذلك فى نسخة أخرى مع الناسخ رحمنا الله وإياه.

الآخرة وأبكاه في الدنيا. وقال بسام بن عبد الله: ﴿أَضْحَكَ﴾ أسنانهم، ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ قلوبهم، وأنشد في معناه:

أليس تضحك والأحشاء تحترق ... وإنما ضحكها زور ومخترق

يا رب باك بعين لا دموع لها ... ورب ضاحك سن ما به رمق

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ يعني ﴿أَمَاتَ﴾ أفنى في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث. وقيل: ﴿أَمَاتَ﴾ الآباء ﴿وَأَحْيَا﴾ الأبناء. وقيل: ﴿أَمَاتَ﴾ النطفة ﴿وَأَحْيَا﴾ النسمة. وقيل: ﴿أَمَاتَ﴾ الكافر بالنكرة والقطيعة ﴿وَأَحْيَا﴾ المؤمن بالمعرفة والصلة، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ (الأنعام: ١٢٢). وقال القاسم: ﴿أَمَاتَ﴾ عن ذكره ﴿وَأَحْيَا﴾ بذكره. وقال ابن عطاء: ﴿أَمَاتَ﴾ بعدله، ﴿وَأَحْيَا﴾ بفضله. وقيل ﴿أَمَاتَ﴾ بالمنع والبخل ﴿وَأَحْيَا﴾ بالجود والبذل.

❖ ❖ ❖

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ۝﴾

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ تصب في الرحم يقال: مَنى الرجل وأمْنى، قاله الضحاك، وعطاء بن أبي رباح. وقال آخرون: يُقَدّر، يقال: منيت الشيء إذا قدَّرته. ويقال: ارضَ بما يُمْنى لك المانى. ومنه سميت المنية لأنها مقدرة وأصلها مَمْنَة.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الخلق الآخر يعيدهم أحياء.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ قال أبو الصلاح: ﴿أَغْنَىٰ﴾ الناس بالمال. ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أعطى القنية وأصول الأموال. قال الضحاك: ﴿أَغْنَىٰ﴾ بالذهب والفضة وصنوف الأموال ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ بالإبل، والبقر، والغنم، وقال مجاهد، والحسن، وقتادة: ﴿أَغْنَىٰ﴾ أخدم. وقال ابن عباس: أرضى

بما أعطى، وهى رواية ابن أبى نجيح، وليث عن مجاهد بن سليمان التيمى عن الحضرمى: ﴿أَغْنَىٰ﴾ نفسه، وأفقر الخلائق إليه. وقال ابن زيد: ﴿أَغْنَىٰ﴾ أكثر ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أقل وقرأ: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الإسراء: ٣٠). وقال الأخفش: ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أفقر. وقال ابن كيسان: أولد.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ وهو كوكب خلف الجوزاء تتبعه يقال له: مرزم الجوزاء، وهما شعريان يقال لأحدهما: العبور، وللأخرى: الغميضاء.

وقالت العرب فى خرافاتها: إن سهيلاً والشِّعْريين كانتا مجتمعة فأنجز[1] سهيل فصار يمانيًا فتبعه الشعرى العبور، فعبرت المجرة، فسميت العبور. وأقامت الغميضاء، فبكت لفقد سهيل حتى غمضت عينها فسميت الغميضاء لأنها أخفى من الأخرى. وأراد ههنا الشعرى العبور، وكانت خزاعة تعبده، وأول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبد الشعرى العبور. وقال لأن النجوم تقطع السماء عرضًا، والشعرى تقطع طولاً، فهى مخالفة لها، فعبدتها خزاعة جميعًا؛ فلما خرج رسول الله ﷺ خلاف العرب فى الدين شبهوه بأبى كبشة، فسموه بأبى كبشة لخلافه إياهم كخلاف أبى كبشة فى عبادة الشعرى.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ وهم قوم هود عليه السلام.

وقرأ أهل المدينة، وأبو عمرو، ويعقوب: عاداً لُوْلى مُدْرَجًا مُدْغمًا، وهمز واوه نافع برواية المسيبى وقالون من طريق الحلوانى، والعرب تفعل ذلك، تقول: قُمْ لانَ عَنّا، يريدون[2]: قُم الآن عَنَّا وضم لثنين يريدون ضم الاثنين.

﴿وَثَمُودَا۟﴾ يعنى قوم صالح عليه السلام. ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ المنقلبة، وهى قرى قوم لوط الأربع: صنواهم، ودازوما، وعامورا، وسدوم ﴿أَهْوَىٰ﴾ يعنى أهواها جبريل عليه السلام إلى الأرض بعدما رفعها إلى السماء.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ يعنى الحجارة المنضودة المسومة.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أى نعمائه عليك ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ تشك، وتجادل.

﴿هَـٰذَا﴾ يعنى محمداً ﷺ ﴿نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ الرسل الأولى أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم. وهذا كما يقال فلان واحد من بنى آدم، وواحد من الناس. وقال أبو مالك: يعنى هذا الذى أنذرتكم به من وقائع الأمم الخالية العاصية فى صحف إبراهيم وموسى.

(١) كذا فى المتن، وفى هامش المخطوط: «فانحدر». وربما كان ذلك بنسخة أخرى بيد الناسخ رحمنا الله وإياه.

(٢) فى المخطوط: يريدن. وهو تحريف فقد سقطت الواو سهواً من الناسخ رحمنا الله وإياه.

قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ يعنى قربت القيامة. ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ مظهرة مقيمة، والهاء فيه للمبالغة. بيانه قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأعراف: ١٨٧) وقال قتادة: ليس لها من دون الله راد وقيل: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أى كشفٌ وقيام، ولا تقوم إلاّ بإقامة الله إياها وهى على هذا القول اسم، والهاء فيه كالهاء فى الباقية، والعافية، والداهية، ثم قال لمشركى العرب: ﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعنى القرآن. ﴿تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ﴾ ساهون لاهون، غافلون. يقال: دع عَنك سمودك: أى لهوك. وهى رواية الوالبى والعوفى عن ابن عباس. وقال عكرمة عنه: هو الغناء، وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا. وهى لغة أهل اليمن يقولون: اسمد لنا، أى تغن لنا.

قال الكلبى: السامد: الحزين بلغة طيء. وبلسان أهل اليمن اللاهى. قال الضحاك: أشِرُونَ بَطِرُونَ. قال: وقال ابن عباس: كانوا يمرون على النبى ﷺ شامخين، ألم تر إلى الفَحل كيفَ يخطر شامخًا، وقال عكرمة: هوْ الغناء بلغة الحميرية.

قال أبو عبيدة: يقال للجارية: اسمدى لنا أى غنى. وقال مجاهد: غضاب مبرطمون. فقيل له: ما البرطمة؟ قال: الإعراض.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن صقلاب أخبرنا ابن أبى الخصيب، أخبرنا محمد بن يونس أخبرنا عبد الله بن عمرو الباهلى أخبرنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال: لما نزلت هذه الآية ﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ بكى أهل الصُّفَّة حتى جرت دموعهم على خدودهم؛ فلما سمع رسول الله ﷺ حنينهم بكى معهم فبكينا لبكائه، فقال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى ولا يدخل الجنة مُصرٌّ على معصية الله تعالى، ولو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون ثم يغفر لهم ويدخلهم الجنة».

وأخبرنا ابن فنجويه، حدثنا ابن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبى أخبرنا إبراهيم بن خالد أخبرنا رباح أبو الجراح عن رجل من أصحابهم يقال له حازم: أن النبى ﷺ نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكى، فقال له: من هذا؟ فقال: «فلان». قال جبريل: إنّا نزن أعمال بنى آدم كلها إلاّ البكاء فإن الله تعالى يطفئ بالدمعه بحوراً من نيران جهنم.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان بن عبد الله أخبرنا إبراهيم بن سهلويه أخبرنا جعفر ابن محمد أبو بكر الخراز أخبرنا سعيد بن يعقوب الطالقانى أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا إسماعيل ابن رافع حدثنا ابن أبى مليكة الأحول عن عبد الله بن السائب، قال: قدم علينا سعد بن أبى وقاص بعدما كُفَّ بصره، فأتيته مسلمًا عليه، فانتسبنى فانتسبت، فقال: مرحبًا بابن أخى،

بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا».

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبى أخبرنا وكيع أخبرنا زياد بن أبى مسلم عن صالح بن الخليل قال: لما أنزلت ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ ما رؤى النبى ﷺ ضاحكًا.

﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩﴾ أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ بقراءتى عليه قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن محبوب بن حسان يعنى البصرى أخبرنا عبد الوارث بن سعيد أخبرنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: قرأ رسول الله ﷺ: سورة النجم فسجد فيها، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس إلاّ رجلاً واحداً فإنه قبض قبضة من التراب ورفعها إلى جبهته، وقال يكفينى هذا، فمات كافراً[1].

وأخبرنا أحمد بن يوسف أخبرنا مكى بن عبدان، أخبرنا محمد بن يحيى، قال: وفيما قرأت على عبد الله بن نافع: وحدثنى مطرف بن عبد الله، أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ لهم ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ فسجد فيها.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن حمدان أخبرنا ابن ماهان أخبرنا عبد الله بن مسلمة عن ابن أبى ذئب عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت: أنه قرأ على النبى ﷺ بالنجم، فلم يسجد فيها.



(١) هذا حديث ضعيف تكلم فيه أهل الحديث كثيراً.

سُورَةُ القَمَرِ

مكية، وهى ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفًا،
وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلمة وخمس وخمسون آية

أخبرنا أبو الحسين محمد بن القاسم الفقيه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يزيد العدل أخبرنا أبو يحيى البزاز أخبرنا محمد بن منصور أخبرنا محمد بن عمران بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى حدثنا أبى عن مجالد بن عبد الواحد عن الحجاج بن عبد الله عن أبى الخليل عن على بن زيد وعطاء بن أبى ميمون عن زر بن حبيش عن أُبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ فى كل غداة بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر، ومن قرأها فى كل ليلة كان أفضل، وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ دنت القيامة. ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قال ابن كيسان: فى الآية تقديم وتأخير، مجازها: انشق القمر واقتربت الساعة. يدل عليه قراءة حذيفة: اقتربت الساعة وقد انشق القمر. وروى عثمان بن عطاء عن أبيه: أن معناه: وسينشق القمر. والعلماء على خلافه، والأخبار الصحاح ناطقة بأن هذه الآية قد مضت.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر

أخبرنا روح بن عبادة عن شعبة قال سمعت سليمان قال سمعت إبراهيم يحدث عن أبى معمر عن عبد الله : أن القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فكانت إحداهما فوق الجبل ، والأخرى أسفل من الجبل ، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم اشهد» .

وقال أيضًا : «اشهدوا» .

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا عمر بن الحسن بن على بن مالك القاضى أخبرنا أحمد بن الحسن بن سعيد أخبرنا أبى أخبرنا الحسين عن الأعمش ، وعَبدةُ الضبى عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر على عهد النبى ﷺ حتى رأيت فلقتيه .

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا أبو الأزهر أخبرنا روح عن شعبة عن سليمان عن مجاهد عن ابن عمر نحو حديث ابن مسعود .

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر بن يزيد الصيرفى أخبرنا على بن حرب أخبرنا ابن فضيل أخبرنا حصين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : انشق القمر ونحن مع النبى ﷺ بمكة .

وأخبرنا عبيد بن حامد أخبرنا عمر بن الحسن الشيبانى أخبرنا أحمد بن الحسين أخبرنا أبى أخبرنا الحسين عن سعد عن عكرمة عن ابن عباس والحكم عن مجاهد عن ابن عباس . ومقسم عن ابن عباس قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ باثنين شطره على السويداء وشطره على الخندمة .

وأنبأنى عقيل بن محمد أن أبا الفرج البغدادى القاضى حدثهم عن محمد بن جرير حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع أخبرنا بشر بن المفضل أخبرنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس ابن مالك : أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا الجبل بينهما .

وبه عن محمد بن جرير أخبرنا على بن سهل أخبرنا حجاج بن محمد عن شعبة عن قتادة عن أنس قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ مرتين .

وبه عن محمد بن جرير أخبرنا يعقوب أخبرنا ابن علية ، أخبرنا عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : نزلنا المدائن وكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبى وحضرت معه ، فخطبنا حذيفة ، فقال : ألاَ إن الله سبحانه يقول : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ ألاَ وإن الساعة قد اقتربت ، ألاَ وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد أذنت بفراق ، ألاَ وإن اليوم المضمار وغدًا السباق . فقلت لأبى : أيستبق الناس غدًا؟ فقال : يا بُنى إنك لجاهل ، إنما

هو السباق بالأعمال. ثم جاءت الجمعة الأخرى، فحضرنا فخطب حذيفة فقال: ألاَ إن الله يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ ألاَ وإن الساعة قد اقتربت، ألاَ وإن القمر قد انشق، ألاَ وإن الدنيا قد أذنت بفراق، ألاَ وإن اليوم المضمار وغداً السباق، ألاَ وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة.

وبه عن ابن جرير أخبرنا الحسين بن أبي يحيى المقدسي أخبرنا يحيى بن حماد أخبرنا أبو عوانة عن المغيرة، عن أبي الضحى عن مسروق، عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة سحركم، سلوا السُّفَّار، فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ذاهب، سوف يذهب ويبطل، من قولهم مَرَّ الشيء، واستمر إذا ذهب. ونظيره: قرَّ واستقر هذا قول مجاهد وقتادة، والفراء، والكسائي.

وقال أبو العالية، والضحاك: محكم شديد قوي. وقال شيبان عن قتادة: غالب، وهو من قولهم: مَرَّ الحبل إذا صلب واشتد وقوي وأمررته أنا إذا أحكمت فتله. وقال ربيع: نافذ. وقال يمان: ماض. وقال أبو عبيدة: باطل. وقيل: يشبه بعضه بعضاً.

﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ يقول: وكل أمر من خير أو شر مستقر قراره، ومتناه نهايته، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

قال قتادة: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي بأهل الخير الخير، وبأهل الشر الشر. وقال مقاتل: لكل امرئ منتهى، وقيل: لكل أمر حقيقته. قال الحسن بن الفضل: يعني يستقر قرار تكذيبهم وقرار تصديق المؤمنين حتى يعرفوا حقيقته في الثواب والعقاب. وقيل: مجازه كل ما قدر كائن واقع لا محالة. وقيل: كل أمر من الأمور التي أمضيتها في خلقي مستقر قراره لا يزول. وحكى أبو حاتم عن شيبة، ونافع: مُسْتَقَرٌّ بفتح القاف. وذكر الفضل بن شاذان عن أبي جعفر بكسر الراء.

ولا وجه لهما. قال مقاتل: انشق القمر ثم التأم بعد ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ يعني أهل مكة. ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ متناه، قاله مجاهد. وقال سفيان: منتهى وهو مفتعل من الزجر وأصله مزتجر، فقلبت التاء دالاً.

﴿حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ ۖ﴾ تامة ليس فيها نقصان وهي القرآن. ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ إذا كذبوهم وخالفوهم.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ﴾ نسختها آية القتال[1] ﴿يَوۡمَ﴾ إلى يوم ﴿يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ منكر، فظيع عظيم، وهو النار. وقيل: القيامة. وخفف الحسن وابن كثير كافه. وغيرهما مثقل. وقرأ مجاهد: نُكِرَ على الفعل المجهول، أى أنكرَ.

﴿خُشَّعًا﴾ ذليلة. ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ وهو نَصب على الحال، مجازه: يخرجون من الأجداث خشعًا. وقرأ ابن عباس، وأبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائى، وخلف: خاشعًا، بالألف على الواحد. واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم اعتبارًا بقراءة عبد الله، وأبى رجاء: خاشعة أبصارهم. وقرأ الباقون: خُشَّعًا بلا ألف على الجمع.

قال الفراء، وأبو عبيد: إذا تأخرت الأسماء عن فعلها فلك فيه التوحيد والجمع والتأنيث والتذكير تقول من ذلك: مررت برجال حسن وجوههم، وحسنة وجوههم وحسان وجوههم، قال الشاعر:

وشبان حسن أوجههم   من إياد بن نزار بن معد

فمن وَحد فلأنه فى معنى الجمع، ومن جمع فلأنه صفات، والصفات أسماء، ومن أنث فلتأنيث الجماعة. وقال الآخر:

يرمى الفجاج بها الركبان معترضًا   أعناق بزلها مرخى لها الجدل

جمع الجديل، وهو الزمام.

قال الفراء: لو قال معترضًا أو معترضات أو مرخاة كان ذلك كله جائزًا.

قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ القبور. ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ حيارى. وذكر منتشر على لفظ الجراد نظيرها: ﴿مُّهۡطِعِينَ﴾.

﴿إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ مفزعين منقلبين عامدين.

❖ ❖ ❖

﴿۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد

(١) فى النسخ كلام، قد سبق أن ذكرته فى أكثر من موضع وأرى الآية قائمة هامة فى موضوعها خصوصًا فى حاجة الدعاة الملحة إليها، والله أعلم.

تَرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ﴾ أى قبل أهل مكة ﴿قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾ نوحًا عليه السلام ﴿وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ﴾ أى هو مجنون. ﴿وَٱزۡدُجِرَ﴾ عن دعوته ومقالته وقال مجاهد: استطر جنونًا. وقال ابن زيد: اتهموه، وزجروه، وأوعدوه «لئن لم يفعل ليكونن من المرجومين».

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ﴾ مقهور. ﴿فَٱنتَصِرۡ﴾ فانتقم لى منهم.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن يوسف أخبرنا الوفراوندى أخبرنا يوسف بن موسى أخبرنا وكيع عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد الله بن عمير قال: إن الرجل من قوم نوح ليلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيًا عليه، فيفيق حين يفيق ويقول: رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون.

﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ منصب مندفق لم يقلع ولم ينقطع أربعين يومًا.

قال ابن عباس. وقال القرظى: منفجر من الأرض. وقال يمان: قد طبق ما بين السماء والأرض وقال أبو عبيدة: هائل. وقال الكسائى: سائل.

وقال امرؤ القيس يصف غيثًا:

طاح تمريه الصَّبا ثم انتحى ... فيه شربوب جنوب منهمر

وقال سلامة بن جندل يصف فرسًا:

فالمـاء منهمر والشّدُّ منحـدرٌ ... والقصب مضطر واللون غربيب

﴿وَفَجَّرۡنَا﴾ شققنا ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالماء ﴿عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ﴾ يعنى ماء السماء، وماء الأرض. وإنما قال: (التقى الماء) والالتقاء لا يكون من واحد، وإنما يكون من اثنين فصاعداً. لأن الماء يكون جمعًا وواحدًا.

وقرأ عاصم الجحدرى: فالتقى الماءان. وقرأ الحسن: فالتقى الماوان، فجعل إحدى الألفين واوًا. ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ قضى عليهم فى أم الكتاب.

قال محمد بن كعب: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القدر قبل البلاء، وتلا هذه الآية:

﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ﴾ ذكر النعت وترك الاسم مجازه على سفينة ذات ألواح من الخشب. ﴿وَدُسُرٖ﴾ مسامير واحدها دسار، ودسير، ويقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير، وهذا قول القرظى، وقتادة، وابن زيد، ورواية الوالبى عن ابن عباس. وقال

الحسن، وشهر بن حوشب هى صدر السفينة، وسميت بذلك لأنها تدسر الماء بجؤجئها، أى تدفع وهذه رواية العوفى عن ابن عباس قال: الدُّسُرُ كلكل السفينة، وأصل الدَّسْرِ الجر والدفع، ومنه الحديث فى العنبر: «إنما هو شىء دسره البحر» أى دفعه ورمى به. وقال مجاهد: هى عوارض السفينة. وقال الضحاك: الألواح جانباها والدسر أصلها وطرفاها. وقال ليث، وابن أبى نجيح عن مجاهد: أضلاعها.

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ أى بمرأى منَّا. وقال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قول الناس للمودع: عينُ الله عليك. وقال مقاتل بنَ سليمان: بوحينا. وقال سفيان: بأمرنا. ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ يعنى فعلنا ذلك ثوابًا لنوح عليه السلام ومجاز الآية: لمن جُحِدَ وأنكر، وكفر بالله فيه. وجعل بعضهم (من) ههنا بمعنى (ما)، وقال: معناه: جزاء لمن كانَ كفر من أيادى الله تعالى ونعمه عند الذين غرقهم. وإليه ذهب ابن زيد. وقيل: معناه: عاقبناهم لله، ولأجل كفرهم به.

وقرأ مجاهد: (جزاءً لمن كان كَفَر) بفتح الكاف والفاء، يعنى كان الغرق جزاءً لمن كان كفر بالله وكذب برسوله فأهلكهم الله.

وما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء إلى حُجزته وكان السبب فى نجاته على ما ذُكر: أن نوحًا عليه السلام احتاج إلى خشب ساج للسفينة، فلم يمكنه نقلها، فحمل عوج ذلك الخشب إليه من الشام، فشكر الله تعالى ذلك له ونجاه من الغرق[1].

﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ﴾ يعنى السفينة. ﴿ءَايَةً﴾ عبرة.

وقال قتادة: أبقاها الله تعالى بباقردى من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظرًا، وكم من سفينة بعدها قد صارت رمادًا ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ معتبر، وخائف مثل عقوبتهم.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أى إنذارى. قال الفراء: الإنذار والنذر مصدران، تقول العرب: أنذرت إنذارًا، ونذرًا كقولك: أنفقت إنفاقًا ونفقة، وأيقنت إيقانا ويقينًا.

❖ ❖ ❖

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ كَذَّبَتۡ عَادٌ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا فِي يَوۡمِ نَحۡسٍ مُّسۡتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ

(١) هذا قول ليس له إسناد، ثم إنه معارض لصريح القرآن الكريم حيث قال سبحانه: ﴿﴾ فما عدا هؤلاء الذين ركبوا معه فقد هلكوا بلا استثناء، والله أعلم، ونعوذ بالله أن نقفو ما ليس لنا به علم.

مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾»

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ سهلنا وهوّنّا ﴿ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أى ليتذكر ويعتبر به ويتفكر فيه. وقال سعيد ابن جبير: يسرناه للحفظ ظاهراً وليس من كتب الله كتاب يُقْرأُ كله ظاهراً إلاّ القرآن. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ بواعظ.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا أبو الحسين محمد بن إسحاق بن راهويه أخبرنا عمير بن النخاس ببيت المقدس أخبرنا ضمرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب عن مطر الوراق فى قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قال: فهل من طالب علم فيعان عليه.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم

وشر، ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ وكان يوم الأربعاء ﴿نَحْسٍ﴾ شديد ماض على الصغير والكبير فلم تبق منهم أحداً إلاّ أهلكته، وقرأ هارون الأعور: نَحِس بكسر الحاء.

﴿تَنزِعُ﴾ تقلع. ﴿ٱلنَّاسَ﴾ ثم ترمى بهم على رءوسهم فتدق رقابهم قال ابن إسحاق: لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة سمى لنا منهم ستة من أشد عاد وأجسمها منهم: عمرو بن الحلى، والحارث بن شداد، والهلقام، وابنا ثقن، وخلجان بن سعد، فأولجوا العيال فى شعب بين جبلين، ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عمن فى الشعب من العيال، فجعلت الريح تخفقهم رجلاً رجلاً، فقالت امرأة من عاد:

ذهب الدهر بعمرو بن خلى والهنيات ثم بالحارث والهلقــام طُلاّع الثنيات

والذى سَدَّ مهب الريح أيام البليــات

وبإسناد أبى حمزة الثمالى حدثنى محمد بن سفيان عن محمد بن قرظة بن كعب عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «انتزعت الريح الناس من قبورهم».

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ قال ابن عباس: أصول. وقال الضحاك: أوراك نخل. ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ منقلع من مكانه ساقط على الأرض. وواحد الأعجاز عجز مثل عضد وأعضاد، وإنما قال ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ وهى أصولها التى تقطعت فروعها، لأن الريح كانت تبين رءوسهُم من أجسادهم فتبقى أجسام بلا رءوس.

وسمعت الأستاذ أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أبا على الحسين بن محمد القاضى البيهقى، يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن القاسم بن يسار الأنبارى يقول: سُئل المبرد بحضرة إسماعيل بن إسحاق القاضى عن ألف مسألة هذه من جملتها وهو أن السائل قال: ما الفرق بين قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ (يونس: ٢٢)، و﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ (الأنبياء: ٨١)؟ وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٧) و ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾؟ فقال: كل ما ورد عليك من هذا الباب، فلك أن ترده إلى اللفظ تذكيراً، ولك أن ترده إلى المعنى تأنيثًا.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ متعظ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ۝ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا﴾ آدميًا واحدًا منا. ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ ونحن جماعة كثيرة وهو واحد. وقرأ أبو السماك العدوى: أبشرٌ منّا واحدٌ بالرفع، وكلا الوجهين سائغ فى عائد الذكر. ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن فعلنا ذلك وتركنا دين آبائنا وتابعناه على دينه وهو واحد منا آدمى مثلنا ﴿لَّفِى ضَلَـٰلٍ﴾ ذهاب عن الصواب. ﴿وَسُعُرٍ﴾ قال ابن عباس: يعنى وعذاب. وقال الحسن: شدة العذاب. وقال قتادة: عناء. وقال سفيان بن

عيينة: هو جمع سعير وقال الفراء: جُنون، يقال: ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها قال الشاعر يصف ناقة:

تخال بها سُعْرًا إذا العيس هزها ومیل وإيقــاع من السير متعب

وقال وهب بن منبه: ﴿وَسُعُرٍ﴾ أی بعد عن الحق.

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ﴾ أأُنزل الوحی. ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ ترح، مرح، بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة.

وقال عبد الرحمن بن أبی حماد: الأشر الذی لا يبالی ما قال. وقرأ مجاهد: (أشر) بفتح الألف وضم الشين. وهما لغتان مثل حَذِرٍ وحذُرٍ ويَقِظٍ ويَقُظٍ وعَجِلٍ وعَجُلٍ، ونَجِد ونَجُد، الشجاع.

﴿سَيَعْلَمُونَ[1] غَدًا﴾ بالتاء شامی، والأعمش ويحيى بن وثاب، وحمزة وغيرهم بالياء، فمن قرأها بالتاء فهو من قول صالح لهم. ومن قرأها بالياء فهو من قول الله عز وجل. ومعنى الكلام فی الغد القريب على عادة الناس فی قولهم للعواقب: إن مع اليوم غدا، وإن مع اليوم أخاه غدًا. وأراد به وقت نزول العذاب بهم. ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾. وقرأ أبو قلابة: من الكذاب الأشَرُّ بفتح الشين وتشديد الراء، على وزن أفعل من الشر. والقراءة الصحيحة ما عليه العامة.

قال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالأشَرّ والأخير إلاّ فی ضرورة الشعر كقول رؤبة:

❖ بلال خير الناس وابن الأخير ❖

إنما يقولون: خير وشر. قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وقال: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ (يوسف: ٧٧).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ باعثوها ومخرجوها من الهضبة التی سألوا ﴿فِتْنَةً﴾ محنة. ﴿لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ واصبر على ارتكابهم وأذاهم، ولا تعجل حتى يأتيهم أمری. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ افتعل من الصبر، وأصل الطاء فيه تاء، فتحولت طاء لأجل الصاد.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة غبًا، لها يوم ولهم يوم. وإنما قال: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لأن العرب إذا أخبرت عن بنی آدم وعن البهائم غلّبوا بنی آدم على البهائم. ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ نصيب

---

(١) فی متن المخطوط: «فستعلمون» بالفاء أوله وبالتاء ورسمت ما فی مصحف عثمان بقراءة حفص وتركت الشرح للمؤلف وأثبت الفاء أو الكلمة كلها بالهامش.

من الماء. ﴿مُحْتَضَرٌ﴾ يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم. وقال مجاهد: يعنى يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت حضروا اللبن.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف، وكان أشقر، ولذلك قيل له: أشقر ثمود. ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ فتناول الناقة بسيفه فعقرها، ولذلك سمت العرب الجزار قدّاراً تشبيها به، قال الشاعر:

إنّا لنضرب بالسيوف رءوسهم ضرب القدار فقيعة القدام

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ثم بين عذابه فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ وقرأ الحسن، وقتادة: بفتح الظاء، أراد الحظيرة. وقرأ الباقون بكسر الظاء، أرادوا صاحب الحظيرة.

قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم. وقال قتادة: يعنى كالعظام النخرة المحترقة، وهى رواية العوفى، وأبى ظبيان عن ابن عباس. وعنه أيضًا: كحشيش تأكله الغنم. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذى يتناثر من الحائط. وقال ابن زيد: هو الشجر البالى الذى تهشم حتى ذرته الريح. والعرب تسمى كل شىء كان رطبًا فيبس هشيمًا.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ هوّنا وتبينًا ﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحًا ترميهم بالحصباء، وهى الحصى، وقال بعضهم: هو الحجر نفسه.

وقال الضحاك: يعنى صغار الحصى. والحاصب والحصب والحصباء هى الحجر الذى دون ملء الكف، والمحصَّب الموضع الذى يرمى فيه الجمار. وقال سعيد بن المسيب: سمعت عمر ابن الخطاب عليه السلام يقول لأهل المسجد: حصبوا المسجد، أى صبوا فيه الحجارة.

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ أى أتباعه على دينه من أهله وأمته ﴿نَّجَّيْنَاهُم﴾ من العذاب. ﴿بِسَحَرٍ﴾ قال الأخفش: إنما أجراه لأنه نكرة. ومجازه: بسَحَر من الأسحار، ولو أراد بسحر يومًا بعينه لقال بسَحَر غير مجرى، ونظيره قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ (البقرة: ٦١).

﴿نِّعْمَةً﴾. يعنى كان ذلك، وجعلناه نعمة. ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ عليهم حيث أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزينا لوطًا وآله ﴿نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ وآمن بالله وأطاعه.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوط. ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذنا إياهم بالعقوبة قبل حلولها بهم ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ فكذبوا بإنذاره شكًا منهم فيه، وهو تفاعل من المرية.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ طالبوه، وسألوه أن يخلى بينهم وبينهم، تقول العرب: راده

يروده وارتاده يرتاده، وراوده يراوده. نظيرها: ﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ (يوسف: ٢٣).

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أى أعميناهم وصيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق. وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط عليه السلام وعالجوا الباب ليدخلوا قالت الرُّسُل للوط عليه السلام: خل بينهم وبين الدخول فإنّا رُسُل ربك، لن يصلوا إلينا. فدخلوا الدار فاستأذن جبريل ربه عز وجل فى عقوبتهم، فأذن له فصفقهم بجناحه، فتركهم عُميًا يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب؛ فأخرجهم لوط عميا لا يبصرون. هذا قول عامة المفسرين. وقال الضحاك: طمس الله تعالى على أبصارهم فلم يروا الرُّسُل، وقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا؟ فلم يروهم ورجعوا. ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾ جاءهم العذاب وقت الصبح ﴿بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ دائم عام استقر فيهم حتى يفضى بهم إلى عذاب الآخرة. ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ يعنى موسى وهارون عليهما السلام.

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ التسع. ﴿كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ﴾ بالعذاب. ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ قادر لا يعجزه شىء أراده، ثم خوّف أهل مكة فقال سبحانه: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَـٰٓئِكُمْ﴾ الذين أحللت بهم نقمتى من قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وآل فرعون. ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ﴾ من العذاب. ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ الكتب تأمنون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يعنى كفار مكة. ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أى جماعة لا ترام، ولا تضام، ولا يقصدنا أحد بسوء، ولا يريد حربنا، ولا تفريق جمعنا إلاّ انتقمنا منه. وكان حقه منتصرون، فتتبع رءوس الآى.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ قرأه العامة على غير تسمية الفاعل. وقرأ يعقوب بالنون، والنصب، وكسر الزاى وفتح العين على التعظيم، والنون مفتوحة. ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أى الأدبار، فوحّد والمراد الجمع لأجل رءوس الآى كما يقال: ضربنا منهم الرءوس، وضربنا منهم الرأس، إذا كان الواحد يؤدى عن معنى جميعه، فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر.

قال مقاتل: ضرب أبو جهل فرسه فتقدم يوم بدر فى الصف فقال: نحن ننتصر اليوم من محمد ﷺ وأصحابه.

وقال سعيد بن المسيب: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ كنت لا أدرى أى جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبى ﷺ ثبت فى

درعه ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ جميعًا ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ أعظم بلية، وأشد مرارة من عذاب يوم بدر.

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا محمد بن إبراهيم ابن زياد أخبرنا أبو مصعب أخبرنا محرز بن هارون عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعًا، ما تنتظرون، هل هو إلاّ فقر مُنْس، أو غنًى مُطْغ، أو مرض مفْسد، أو كبر مُفَنِّد، أو موت مجهز أو الدجال فشر منتظر، أو السّاعة، والساعة أدهى وأمر»(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ قال الضحاك: يعنى نارًا ستعرض عليهم. وقال الحسين بن الفضل: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ فى الدنيا، ونار فى الآخرة وقال ابن كيسان: بعد من الحق. وقيل: جنون. وقال قتادة: فى عناء وعذاب. ثم بين عذابهم، فقال عز من قائل: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ يجرّون. ﴿فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ وإنما هو كقولك: ذق ألم السياط.

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ﴾ بالنصب قراءة العامة وقرأ أبو السماك العدوى: كُلُّ بالرفع. ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ قال الحسن: قدّر الله لكل شىء من خلقه قدره الذى ينبغى له. وقال الربيع هو كقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٣) أى أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر. وقال ابن عباس: إنا كل شىء جعلنا له شكلاً يوافقه ويصلح له، فالمرأة للرجل والأتان للحمار، والرمكة للفرس، وثياب الرجال للرجال لا تصلح للنساء، وثياب النساء للنساء لا تصلح للرجال، وكذلك ما شاكلها على هذا.

وروى على بن أبى طلحة عنه قال: خلق الله تعالى الخلق كلهم بقدر وخلق لهم الخير والشر، فخير الخير السعادة، وشر الشر الشقاوة.



﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى

(١) هذا خبر لا يصح وفى إسناده محمد بن إبراهيم بن زياد الرازى الطيالسى فمنهم من ضعفه ومنهم من تركه.

مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ رجفة واحدة. قال أبو عبيدة: هو نعت للمعنى دون اللفظ مجازها: وما أمرنا إلاّ مرة واحدة، يعنى الساعة. وقيل: معناه: وما أمرنا للشىء إذا أردنا تكوينه إلاّ كلمة واحدة (كن) فيكون لا مراجعة فيها ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ وذكر أن هذه الآيات نزلت فى القدرية.

أخبرنا الحسين بن فنجويه أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن النعمان أخبرنا أحمد بن محمد بن حفص أخبرنا الحسين بن حفص، أخبرنا سفيان عن زياد بن إسماعيل السهمى عن محمد بن عباد المخزومى عن أبى هريرة قال: جاء مشركو قريش إلى النبى ﷺ يخاصمونه فى القدر، فنزلت هذه الآيات: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ إلى آخر السورة.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبيد الله ابن محمد بن شنبة أخبرنا جعفر بن محمد الفريابى أخبرنا عبد الأعلى بن حماد أخبرنا معمر ابن سليمان حدثنى أبو مخزوم عن سيار بن الحكم قال: بلغنا أن وفد نجران قالوا: أما الأرزاق والآجال فبقدر، وأما الأعمال فليس بقدر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ إلى آخر السورة.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا أبو حامد أحمد بن جعفر المستملى أخبرنا ابن أبى العوام أخبرنا أبى أخبرنا الصباح بن سهل البصرى أبو سهل أخبرنا جعفر بن سليمان عن خالد بن مسلمة عن سعيد بن عمر عن عمر بن زرارة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فقرأ: «﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾» إلى آخر السورة، فقال رسول الله ﷺ: «نزلت هذه الآيات فى ناس يكونون فى آخر أمتى يكذبون بقدر الله عز وجل».

وأخبرنا أحمد بن محمد بن يعقوب بن حمويه الفقيه بالقصر أخبرنا أبو على إسماعيل بن على بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل أخبرنا الحسن بن عرفة العبدى أخبرنا مروان ابن شجاع الجزرى عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبى رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع فى زمزم قد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له: قد تُكلِّم فى القدر. فقال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلاّ فيهم ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أولئك شرار هذه الأمة لا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم إن أريتنى أحدًا منهم فقأت عينيه بأصبعى هاتين.

أخبرنا عقيل بن محمد الفقيه أخبرنا أبو الفرج البغدادى أخبرنا محمد بن جرير أخبرنا يعقوب بن عقيل بن إبراهيم، أخبرنا هشيم أخبرنا حصين، عن سعيد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ قال رجل: يا رسول الله ففيم العمل فى شىء يستأنفه أو فى شىء قد فرغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر سنيسره لليسرى، وسنيسره للعسرى».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن الحسن ابن صقلاب أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد ابن عبيد الله الطوائفى أخبرنا على بن حرب الطائى أخبرنا أبو مسعود - يعنى الزجاج - أخبرنا أبو سعد عن طلق بن حبيب عن كعب قال: نجد فى التوراة أن القدرية يسحبون فى النار على وجوههم.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا عبد الله بن محمد بن سنان أخبرنا عمرو ابن منصور أبو عثمان القيسى أخبرنا أبو أسد الثقفى حدثنى ثابت البنانى عن أنس ابن مالك قال: تمارينا عند رسول الله ﷺ فى القدر، فكره ذلك رسول الله ﷺ كراهية شديدة حتى كأنما فقئ فى وجهه حب الرمان، فقال: «فيم أنتم؟» قالوا: تمارينا فى القدر، فقال رسول الله ﷺ: «كل شىء بقدر حتى هذه» وأشار بإصبعيه السبابة حتى ضرب على زراعه الأيسر.

وأخبرنا ابن السرى النحوى فى درب حاجب أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد العماش أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر أخبرنا أبى أخبرنا على بن موسى الرضا حدثنى أبى موسى بن جعفر حدثنى أبى جعفر بن محمد حدثنا أبى محمد بن على حدثنى أبى على بن الحسين حدثنى أبى الحسين بن على حدثنى أبى على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قدَّر المقادير، ودبّر التدبير قبل أن يخلق آدم بألفى عام».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى قال: حدثنى أحمد بن حماد بن سفيان قال: حدثنا السرى بن عاصم الهمدانى أخبرنا محمد بن مصعب القرقيسانى عن الأوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد ابن على بن الحسن الصوفى أخبرنا زكريا بن يحيى الناجى أخبرنا محمد بن المثنى أخبرنا إبراهيم بن أبى الوزير أخبرنا مروان بن معاوية الفزارى أخبرنا سيف الكوفى عن أبى فزارة قال: قال ابن عباس: إذا كثرت القدرية فى

البصرة ائتفكت بأهلها ، وإذا كثرت السبائية بالكوفة ائتفكت بأهلها .

وبه عن الساجى حسن بن حميد أخبرنا عبد الله ابن الحسن بن عبد الملك بن حسان الكلبى حدثنى سعيد بن محمد الغسانى قال : لما أخذ أبو شاكر الديصانى بالبصرة فأقر أنه ديصانى ، وكان يظهر القول بالرفض ، والقدر فقيل له : لما اخترت القول بالقدر ، والرفض؟ قال : اخترت القول بالقدر لأخرج أفعال العباد من قدرة الله عز وجل ، وأنه ليس بخالقها ، فإذا جاز أن يخرج من قدرته شىء جاز أن تخرج الأشياء كلها من قدرته . واخترت القول بالرفض للتوصل بالطعن إلى نقلة هذا الدين ، فإذا بطل النقلة بطل المنقول .

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله ابن عبد الرحمن الدقاق أخبرنا محمد ابن عبد العزيز أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب أخبرنا الدراوردى قال : قال لى أبو سهيل : إذا سلم عليك القدرية فرد عليهم كما ترد على اليهود ، قل : وعليك .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم فى الكفر من الأمم السالفة . ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ۝ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ﴾ من خير وشر ، يعنى الأشياع . ﴿فِى ٱلزُّبُرِ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ۝﴾ فى كتب الحفظة .

وقيل : فى اللوح المحفوظ . ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ منهم ومن أعمالهم . ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مكتوب محفوظ عليهم . يقال : كتبت ، واكتتبت ، وسطرت واستطرت وقرأت ، واقترأت .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ بساتين . ﴿وَنَهَرٍ﴾ أنهار ووحده لأجل رءوس الآى كقوله : ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ . وقال الضحاك : فى ضياء وسعة ، ومنه النهار ، وقال الشاعر :

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

أى وسعت خرقها .

وقرأ الأعرج وطلحة بن مُصرف : ونُهُرٍ بضمتين كأنها جمع نهار ، يعنى لا ليل لهم .

قال الفراء : وأنشدنى بعض العرب :

إن تك ليليًا فإنى نُهُرْ متى أتى الصبح فلا أنتظر

أى صاحب نهار ، وقال الآخر :

لولا الثريدان هلكنا بالظهر ثريد ليـــل وثريد بالنُّهُر

﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة . ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ملك قادر ﴿عِندَ﴾ إشارة إلى القربة والرتبة .

قال الصادق عليه السلام : مدح الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق .

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا المسيب بن شريك عن إبراهيم البكرى عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة أنه قال فى قوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ قال: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار تبارك الله وتعالى، فيقرأون عليه القرآن، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى هو مجلسه على منابر الدُّر والياقوت والزُّمرد، والذهب، والفضة بأعمالهم، فلم تقر أعينهم بشىء قط كما تقر أعينهم بذلك ولم يسمعوا شيئًا أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد(١).

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا سعيد بن محمد بن إسحاق الصيرفى أخبرنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن عاصم ابن ضمرة عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: أتينا رسول الله ﷺ يومًا فى مسجد المدينة، فذكر بعض أصحابه الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل لواء من نور، وعمودًا من زبرجد خلقهما قبل أن يخلق السموات بألفى سنة مكتوب على رداء ذلك اللواء لا إله إلا الله محمد رسول الله آل محمد خير البرية صاحب اللواء إمام القوم». فقال على: الحمد لله الذى هدانا بك وكرمنا وشرفنا، فقال له النبى ﷺ: «يا على أما علمت أن من أحبنا وانتحل محبتنا أسكنه الله تعالى معنا؟»(٢) وتلا هذه الآية: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن ماجه أخبرنا الحسن بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبى زياد أخبرنا سيار أخبرنا رباح القيسى عن ثور قال: بلغنا أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون: يا أولياء الله انطلقوا فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقولون: إنكم لتذهبون بنا إلى غير بغيتنا فيقولون لهم: وما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد مع الحبيب.

وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أبا محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم البلاذرى يقول سمعت بكر بن عبد الرحمن يقول: كان ذو النون المصرى يحض أصحابه على التهجد وقيام الليل، فإذا أحس منهم فترة قال:

كدوا يا أولياء الله كدوا ... فإن لأوليـــــاء الله عتقا

مقعد صدق يكشف حجبا ... يوم ترون الجليـــل حقا

---

(١) هذا القول موقوف على عبد الله بن بريدة بن الحصيب وفى حديثه مقال وقد ضعفه بعضهم، ومثل هذا الخبر لا يعتد به إذ لا يجوز فى مثل هذه الأمور الاجتهاد لأنها مثل أمور الغيب، وما هو فى علم الله مما يكون عليه حال أهل الجنة والنار، والله أعلم.

(٢) هذا خبر لا يصح، وعلامات الوضع واضحة عليه ولا يحتاج إلى بحث ولا إلى جهد فمتنه ينطق بذلك.

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

(تقدست أسماؤه وجل ثناؤه)

مكية، وهى ألف وستمائة وستة وثلاثون حرفًا،
وثلاثمائة وإحدى وخمسون كلمة، وثمان وسبعون آية

حدثنا الأستاذ أبو الحسين على بن محمد بن الحسن الخبازى قال: حُدثت عن أحمد بن الحسن المقرئ أخبرنا محمد بن يحيى الكسائى أخبرنا هشام البربَرى أخبرنا على بن حمزة الكسائى أخبرنا موسى بن جعفر عن أبيه جعفر عن أبيه عن على بن الحسين عن أبيه عن على عليهم السلام قال سمعت النبى ﷺ يقول: «لكل شىء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره».

وأخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم العبدى قراءة عليه سنة أربع وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد الجيزى أخبرنا إبراهيم بن شريك بن الفضل الكوفى أخبرنا أحمد بن عبيد الله أخبرنا سلام بن سليم المدائنى أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى إمامة الباهلى عن أُبَىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه وأدى شكر ما أنعم الله تعالى عليه».

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله ابن مسعود: وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا، فقالوا: ما سمعت قريش القرآن يُجهر به، فمن رجل يسمعهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا؛ فقالوا: نخشى عليك منهم، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه؛ فقال: دعونى فإن الله عز وجل سيمنعنى منهم، ثم قام عند المقام فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ رافعًا بها صوته، وقريش فى أنديتها؛ فتأملوا وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟ ثم قاموا إليه فجعلوا يضربونه وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله؛ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا فى وجهه؛ فقالوا: هذا الذى خشينا عليك.



﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾

﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: نزلت حين قالوا: وما الرحمن؟ وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا: إنما يعلمه بشر.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: قال ابن عباس، وقتادة: يعني آدم عليه السلام.

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم عليه السلام يتكلم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية[1]، وقال الآخرون: أراد جميع الناس لأن الإنسان اسم جنس؛ ثم اختلفوا في معنى البيان: فروى عن قتادة أنه قال: علمه بيان الحلال والحرام وبين له الخير والشر، وما يأتي، وما يذر ليحتج بذلك عليه.

وقال أبو العالية، ومرة الهمداني، وابن زيد: يعني الكلام الحسن، والمنطق، والتمييز، وقال محمد بن كعب: ما يقول، وما يقال له وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به، وقال يمان: الكتابة، والخط بالقلم؛ نظيره: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ (العلق: ٤) وقال ابن كيسان: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ يعني: بيان ما كان، وما يكون، لأنه كان يبين عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين.

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي بحساب ومنازل لا تعدونها قاله ابن عباس، وقتادة وأبو مالك.

وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني بهما بحسب الأوقات، والأعمار، والآجال، ولولا الليل والنهار، والشمس والقمر لم يدر أحد كيف نحتسب شيئًا لو كان الدهر كله ليلاً، أو كله نهارًا كيف نحسب، وقال الضحاك: يجريان بقدرته؛ قال مجاهد: كحسبان الرحى، يدوران في مثل قطب الرحى؛ قال السدي: بأجل كآجال الناس، فإذا جاء أجلهما هلكا؛ نظيره: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الرعد: ٢) وقال يمان: يجريان بأجل الدنيا وقضائها[2] وفنائها.

والحسبان قد يكون مصدر حسبت حسابًا وحسبانًا. مثل الغفران، والكفران، والرجحان،

---

(١) ليس على هذا القول دليل.

(٢) كذا في متن المخطوط، وبهامشه: «وانقضائها» وربما كان ذلك من نسخة أخرى مع الناسخ رحمنا الله وإياه.

والنقصان، والبرهان، وقد يكون جمع الحساب مثل: الشهبان، والركبان، والقضبان، والرهبان.

وارتفاع الشمس والقمر بإضمار فعل مجازه: والشمس والقمر يجريان بحسبان، وقيل: مبتدأ، وخبره فيما بعده.

ونظم الآية: الرحمن علم القرآن وقدر الشمس والقمر. وقيل: هو مردود على البيان، أى علمه البيان أن الشمس والقمر بحسبان.

ويقال: سعة الشمس ستة آلاف فرسخ، وأربعمائة فرسخ فى مثلها. وسعة القمر ألف فرسخ فى ألف فرسخ.

مكتوب فى وجه الشمس: لا إله إلا الله محمد رسول الله، خلق الله الشمس بقدرته وأجراها بأمره. وفى بطنها مكتوب: لا إله إلاّ الله، رضاه كلام، وغضبه كلام، ورحمته كلام وعذابه كلام. وفى وجه القمر مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، خلق الله القمر، وخلق الظلمات والنور. وفى بطنه مكتوب: لا إله إلا الله، خلق الخير والشر بقدرته يبتلى بهما من يشاء من خلقه، فطوبى لمن أجرى الله الخير على يديه، والويل لمن أجرى الله الشر على يديه[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾. قيل: هو ما ليس له ساق من الأشجار وينبسط على وجه الأرض. وقال السدى: هو جمع النبات سمى نجمًا لطلوعه من الأرض،

(١) هذه الأقوال على الرغم مما فيها من شدة الحب للإيمان والإسلام من قائلها، وما فيها من قدر الحرص عليه إلاّ أن فيها عوامل هدم لهذا الدين أشد مما فيها من محاولة إثبات صحته وسيادته وقد عرف المسلم العربى القديم بعضًا من حقائق الشمس والقمر بل وكتبوا فى ذلك كتبًا ورسائل من أهم دعائم العلوم العصرية بل هى من أهم مراجعهم عليها بنى العلماء علومهم التى أوصلتهم إلى أن أصبحوا اليوم يقفون فوق سطح القمر بأقدام ثابتة راسخة، ويعلمون حقائقه عن قرب بل ويأتون إلينا ببعض أحجاره ليدرسوها هنا على سطح الأرض ومما وقفت عليه مما أُلّف فى القمر رسالة تحت يدى لأبى الحسن بن الهيثم تتناول السطح الظاهر لنا من القمر بعنوان: الأثر الظاهر فى وجه القمر.

وقد أثنى علماء العصور الحديثة على تلك الرسالة وتعجبوا من علم المسلمين وقدرتهم على معرفة ذلك وطبعًا ابن الهيثم لا يجهله إلاّ جاهل ويكفيه فخرًا أنه صاحب نظرية بناء السد العالى بمصر الذى تم تنفيذه بعد مئات السنين من وفاته وعاد بالخير الذى لا ينكر على مصر وأهلها بل هو أهم وليس من أهل بل أهم نقطة فى حياة المصريين من كل النواحى الحياتية بكافة أنواعها بل فاض خيره حتى وصل إلى تركيا مارًا بالأردن وسوريا ولبنان وغيرها من البلاد، وعلى العموم فلم يرد فى رسالة ابن الهيثم مثل هذا القول بل قال: إن ما نراه نحن بالعين المجرده ما هو إلا نتوءات ومنخفضات هائلة تحدث ظلالاً، فعلى العاقل أن لا ينظر إلى مثل تلك الأقوال السالفة، ويلتمس لقائليها العذر، فهذا قدر علمهم فى أيامهم وفى عصورنا عرفنا عن الشمس ما عرفنا، وسيعرف عنها أكثر وأكثر من سيأتى بعدنا فسبحان خالقها ومسيرها وناسفها وطامسها يوم يشاء.

وسجودهما سجود ظلهما، وقال مجاهد، وقتادة: هو الكوكب، وسجوده طلوعه.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾: قال مجاهد: العدل، وقال الحسن، وقتادة، والضحاك: هو الذى يوزن به ليتوصل به إلى الإنصاف والانتصاف.

وقال الحسن بن الفضل: هو القرآن، وأصل الوزن التقدير.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾: يعنى لئلا تميلوا، وتظلموا، وتجاوزوا الحق ﴿فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، وقال أبو الدرداء: أقيموا لسان الميزان بالقسط وقال ابن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب ﴿وَلَا تُخْسِرُوا﴾: ولا تنقصوا ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾: ولا تطففوا فى الكيل والوزن.

وقرأه العامة: ﴿تُخْسِرُوا﴾ بضم التاء، وكسر السين، وقرأ بلال بن أبى بردة بفتح التاء، وكسر السين، وهما لغتان.

قال قتادة فى هذه الآية: اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تُحب أن يوفى لك فإن العدل صلاح الناس.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ للخلق، وقال الحسن: للجن والإنس، وقال ابن عباس، والشعبى: لكل ذى روح.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾: يعنى أنواع الفاكهة؛ قال ابن كيسان: يعنى ما يفكههم الله به من النعم التى لا تحصى وكل النعم يتفكه بها ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾: أوعية الثمر واحدها: كُمٌّ، وكل ما ستر شيئًا فهو كُم وكُمة، ومنه كُم القميص، ويقال للقلنسوة: كمة، قال الشاعر:

فقلت لهم كيلوا بكمة بعضكم ... دراهمكم إنى كذاك أكيل

وقال الضحاك: ﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ أى ذات الغلف، وقال الحسن: أكمامها: ليفها، وقال قتادة: رقابها، وقال ابن زيد: الطلع قبل أن يتفتق.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾: قال مجاهد: هو ورق الزرع؛ قال ابن السكيت: تقول العرب لورق الزرع: العصف، والعصيفة، والجل بكسر الجيم، قال علقمة بن عبدة:

تسقى مذانب قد مالت عصيفتها ... جذورها من أتى الماء مطموم[1]

وقال ابن كيسان: العصف ورق كل شيء خرج منه الحب يبدو أولاً ورقًا ثم يكون سوقًا ثم يُحدث الله فيه أكمامًا ثم يُحدث فى الأكمام الحب، وقال ابن عباس فى رواية الوالبى: هو النبى، ومثله قال الضحاك.

وقال عطية عنه: العصف ورق الزرع الأخضر إذا طلع رؤوسه وييس؛ نظيره: قوله:

(١) كذا فى متن المخطوط، وبهامشه: مكموم، وربما كان ذلك من نسخة أخرى والله أعلم.

﴿كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ (الفيل: ٥).

﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ : قال مجاهد: هو الرزق، وهى رواية عكرمة عن ابن عباس قال: كل ريحان فى القرآن فهو الرزق.

وقال مقاتل بن حيان: الريحان الرزق بلغة حمير، قال الشاعر:

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درَر

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: الريحان: الربيع، وقال الضَحاك: هو الطعام؛ قال: فالعصف هو التين والريحان ثمرته، وقال الحسن، وابن زيد: هو ريحانكم هذا الذى يُشَمُّ؛ قال الوالبى عن ابن عباس: هو خضرة الزرع وقال سعيد بن جبير: ما قام على الساق، وقرأه العامة: ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ كلها مرفوعًا بالرد على الفاكهة.

ونصبها كلها ابن عامر على معنى خلق الإنسان، وخلق هذه الأشياء.

وقرأ أهل الكوفة إلا عاصمًا: والريحان بالجر عطفًا على العصف.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ : نعم ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أيها الثقلان.

يدل عليه ما أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين المقرئ بقراءتى عليه أخبرنا أحمد بن جعفر ابن سلم الختلى أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق أخبرنا عبد الوهاب الوراق أخبرنا إبراهيم الترجمانى أخبرنا هشام بن عمار الدمشقى أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «ما لى أراكم سكوتًا؟ للجن كانوا أحسن منكم ردًا، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلاّ قالوا: ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب».

وقيل: خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب، وقد مضت هذه المسألة فى قوله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ (ق: ٢٤).

وأما الحكمة فى تكرارها: فقال[1] القتيبى: إن الله عز وجل عَدَّدَ فى هذه السورة نعماه وَذَكَّرَ خلقه آلاءه، ثم أتبع ذكر كل كلمة وضعها، ونعمة ذكرها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها، وهو كقولك لرجل أحسنت إليه وتابعت عليه بالأيادى، وهو فى كل ذلك ينكرك ويُكَفِّرُكَ ألم تكن فقيرًا فأغنيتك أفتنكر هذا؟ ألم تك عريانًا فكسوتك أفتنكر هذا؟ ألم أحملك وأنتَ راجل أفتنكر هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك، أفتنكر هذا؟ ألم تكن صرورة فحججت بك أفتنكر هذا؟

(١) فى المخطوط: «فيقال» وهو تحريف.

والتكرار سائغ فى كلام العرب حسن فى مثل هذا الموضع، قال الشاعر:

❖ المم سلومه المم المم ❖

وقال آخر:

كم نعمة كانت لكم كـم كـم وكـم

وقال آخر:

لا تقطعن الصديق ما طرفت عيناك من قول كاشح أشرِ
ولا تملــن مـــن زيارتــه زره وزره وزر وزر وزر

وقال الحسن بن الفضل التكرار لطرد الغفلة، وتأكيد الحجة.

❖ ❖ ❖

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾: وهو أبو الجن، وقال الضحاك: هو إبليس، وقال أبو عبيدة: الجان واحد الجن ﴿مِن مَّارِجٍ﴾: من لهب صاف خالص لا دخان فيه، وقال ابن عباس: هو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا التهبت، وقال عكرمة: هو أحسنها، وقال مجاهد: هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذى يعلو النار إذا أوقدت، وهو من قولهم: مرج أمر القوم، إذا اختلط، ومرجت عهودهم وأماناتهم ﴿مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: مشرق الصيف، ومشرق الشتاء ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾: مغرب الصيف، ومغرب الشتاء.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ﴾ أرسل ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: العذب والملح وخلاّهما

وجعلهما ﴿يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ : حاجز وحائل من قدرة الله تعالى وحكمته ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ : لا يختلطان، ولا يتغيران، ولا يبغى أحدهما على صاحبه، وقال قتادة: لا يبغيان على الناس بالغرق، وقال الحسن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ يعنى بحر الروم وبحر الهند، واسم الحاجز بينهما، وعن قتادة أيضًا: بحر فارس، وبحر الروم، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ وهو الجزائر؛ قال مجاهد، والضحاك: يعنى بحر السماء، وبحر الأرض يلتقيان كل عام[1].

﴿يَخْرُجُ﴾ [2]: قرأ أهل المدينة، وأبو عمرو، ويعقوب بضم الياء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل، واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم والباقون على الضد.

﴿مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ﴾ : أى من البحرين؛ قال أهل المعانى: إنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب، ولكن هذا جائز فى كلام العرب أن تذكر شيئين، ثم تخص أحدهما بفعل دون الآخر كقول الله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ (الأنعام: ١٣٠) والرسل من الإنس دون الجن، قاله الكلبى، وقال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ (نوح: ١٦) وإنما هو فى واحدة منهما، وقال بعضهم: يخرج من ماء السماء وماء البحر اللؤلؤ وهو ما عظم من الدُّر واحدتها لؤلؤة ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ : هو صغارها، وقال مرة: المرجان جيد اللؤلؤ، وروى السدى عن أبى مالك: أن المرجان الخرز الأحمر، وقال عطاء الخراسانى هو البسذ يدل عليه قول ابن مسعود: المرجان حجر، والذى حكينا، هو أن المراد بالبحرين القطر والبحر، وأن الكناية فى قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ راجعة إليهما، وهو قول الضحاك، ورواية عطية عن ابن عباس، وليث عن مجاهد.

وتصديقهم: ما أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا على بن محمد بن لؤلؤ أخبرنا الهيثم بن خلف أخبرنا أحمد بن إبراهيم الدورقى أخبرنا حجاج بن محمد عن ابن جريج فى قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال: إذا مطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة.

ولقد ذكر لى أن نواة كانت فى جوف صدف فأصابت قطرة بعض النواة ولم تصب بعضها فكان حيث ما أصاب القطر من النواة لؤلؤة وسائرها نواة[3].

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الدينورى العدل، أخبرنا موسى بن محمد على بن

(١) هذا قول واضح عواره لا يحتاج إلى تدليل على خطئه.

(٢) فى المخطوط: (يُخْرجُ) وإنما أثبت ما فى الرسم العثمانى، وتركت المؤلف يشرح الخلاف، أو الفرق بين القراءات.

(٣) من المعلوم أن اللؤلؤ نوع من أحجار البحر تتكون من نوع معين من حبات رماله وتكوينه يعرفه أهل الجيولوجيا جيدًا وهو بعيد عن هذا الكلام والله أعلم.

عبد الله قال: قرأ أبى على محمد الحسن بن علوية يعنى القطان من كتابه وأن أسمع - أخبرنا بعض أصحابنا حدثنى رجل من أهل مصر يقال له: طسم أخبرنا أبو حذيفة عن أبيه عن سفيان الثورى فى قول الله عز وجل: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ قال: فاطمة وعلى. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ : قال: الحسن والحسين[١].

وروى هذا القول أيضًا عن سعيد بن جبير، وقال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ محمد ﷺ، والله أعلم.

وقال أهل الإشارة: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أحدهما: معرفة القلب، والثانى: معصية النفس فى معرفة القلب، بينهما برزخ الرحمة والعصمة.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا تؤثر معصية النفس فى معرفة القلب، وقال ابن عطاء: بين العبد وبين الرب بحران أحدهما: بحر النجاة، وهو القرآن من تعلق به نجا، والثانى: بحر الهلاك وهو الدنيا، من تمسك بها وركن إليها هلك، وقيل: بحر الدنيا والعقبة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ هو القبر، قال الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠). ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ : لا يحل أحدهما بالآخر، وقيل: بحر العقل والهوى ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ لطف الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ التوفيق والعصمة، وقيل: بحر الحياة، وبحر الوفاة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ وهو الأجل، وقيل: بحر الحُجة والشُّبهة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ وهو النظر والاستدلال ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الحق والصواب[٢]. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ السفن الكبار ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ : كسَر حمزة شينها، وهى رواية المفضل عن عاصم وكذلك أبو بكر عنه - يعنى المقبلات المبتديات اللاتى أنشأن بجريهن وسيرهن، وقرأ الآخرون: بفتحه، أى المخلوقات المرفوعات المسخرات ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ : أى على الأرض من حيوان كناية عن غير مذكور وكقول الناس: ما عليها أكرم من فلان، يعنون الأرض، وما بين لابتيها أفضل من فلان، يعنون جزءى المدينة ﴿فَانٍ﴾ : هالك؛ قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فأنزل الله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ﴾ (القصص: ٨٨) فأيقنت الملائكة بالهلاك[٣].

---

(١) هذا قول غلاة الشيعة هدانا الله وإياهم إلى سواء السبيل فلا ينظر إليه.

(٢) أما أقوال أهل الإشارة فلا تلزم حكمًا شرعيًا ولا تفيد حقيقة التنزيل، وإنما هى أشياء يتأملونها هم لا صلة لها بالتنزيل ولا بالتفسير.

(٣) هذا قول موقوف على ابن عباس فى أمر غيب وفيه لا يعتد إلا بما هو عن النبى ﷺ أو صريح من قول الله سبحانه، فالملائكة أعلم الخلق بالموت والبعث.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ : قراءة العامة بالواو ، وقرأ عبد الله : ذى الجلال بالياء على نعت الرب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله أخبرنا عبيد بن أحمد بن منصور الكسائى قال أخبرنا الحارث بن عبد الله أخبرنا عبد الرحمن بن عثمان الوقاصى أخبرنا محمد بن كعب القرظى قال : قال عبد الله بن سلام بَعَثَ إلىَّ النبى ﷺ فقال : «يا ابن سلام إن الله تعالى يقول : ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ فأما الإكرام فقد عرفت فما الجلال»؟ قال : بأبى أنت ، إنّا نجد فى الكتب أنها الجنة المحيطة بالعرش .

قال : «فكم بينها وبين الجنان التى يُسكن الله عباده»؟ قال : مدى سبعمائة سنة ، قال : فنزل جبريل بتصديقه[1] .

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حماد ابن سلمة أخبرنا سعيد الجريرى عمن سمع اللجلاج يقول سمعت معاذ بن جبل وكان له أخًا وصديقًا قال سمعته يقول : إن رسول الله ﷺ مَرَّ برجل وهو يصلى وهو يقول : يا ذا الجلال والإكرام ، فقال رسول الله : «قد استجيب لك»[2] .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد بن الحسن بن بشر أخبرنا أبو بكر بن أبى الخصيب المصيصى أخبرنا هلال بن العلاء أخبرنا أبو الجواب أخبرنا عمار بن زريق عن الأعمش عن يزيد الرقاشى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» .

وأخبرنا ابن فنجويه ، وأخبرنا ابن صقلاب أخبرنا ابن أبى الخصيب أخبرنا محمد بن يونس عن بشر بن عمر أخبرنا وهيب بن خالد بن عجلان عن سعيد المقبرى قال : ألح رجل فقعد ينادى : يا ذا الجلال والإكرام ، فنودى : أن قد سمعت ، فما حاجتك[3]؟

قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من ملك ، وإنس وجن وغيرهم لا غنى لأحد منهم عنه ؛ قال ابن عباس : فأهل السموات يسألونه المغفرة

---

(١) هذا خبر موضوع ولا يحتاج إلى بحث ولا إلى عناء فى معرفته فإن متنه ناطق بالكذب والبهتان على رسول الله ﷺ ولا يجوز اعتقاد مثل هذا الكلام كما أنه لا يجوز أن يظن مسلم برسول الله ﷺ مثل ذلك عافانا الله وإياكم من مثل هذا الاعتقاد وهذا الظن برسول الله ﷺ .

(٢) هذا خبر فيه مجاهيل ، ثم هو من رواية الحلاج وهو من هو بين أهل الضلال وقد تبرأ منه أهل العلم وعلى رأسهم الصوفية فضلاً عن غيرهم .

(٣) هذا خبر لا يصح .

ولا يسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونه الرزق والمغفرة.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: قال مقاتل: نزلت هذه في اليهود حين قالوا: إن الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئًا، فأنزل الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

وأخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الجرمي أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أخبرنا عبد الله بن محمد بن نصر بن طويط أبو الفضل البزاز أخبرنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي أخبرني عمرو بن بكر أخبرنا حارث بن عبدة بن رياح - يعني الغساني - عن أبيه عن عبدة بن أبي رياح عن منيب بن عبد الله الأزدي عن أبيه عن عبد الله بن منيب قال: تلا علينا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قلنا: يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: «يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين».

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس إملاءً أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى البزاز أخبرنا يحيى بن الربيع المكي أخبرنا سفيان بن عيينة أخبرنا أبو حمزة الثمالي عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: إن أول ما خلق الله تعالى لوح من دُرَّة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق، ويرزق، ويحيي، ويميت ويعز، ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1].

وقال مجاهد، وعبيد بن عمير: من شأنه أنه يجيب داعيًا، ويعطي سائلاً، ويفك عانيًا، ويشفي عقيمًا، ويغفر ذنبًا، ويتوب على قوم، وقال سفيان بن عيينة: الدهر كله عند الله تعالى يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة، والشأن الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، وشأن يوم القيامة، الجزاء والحساب والثواب، والعقاب، وقال الحسين بن الفضل: هو سَوْق المقادير إلى المواقيت.

ويقال: شأنه جل ذكره، أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر؛ عسكرًا من أصلاب الآباء إلى الأرحام، وعسكرًا من الأرحام إلى الدنيا، وعسكرًا من الدنيا إلى القبور، ثم يرتحلون جميعًا إلى الله عز وجل، وقال الربيع بن أنس: يخلق خلقًا، ويميت خلقًا ويرزقهم ويكلأهم، وقال سويد بن جبلة الفزاري: يعتق رقابًا، ويقحم رقابًا، ويعطي رغابًا، وقال بعضهم: هو الجمع والتفريق، وقال أبو سليمان الداراني: هو إيصاله المنافع إليك، ودفعه

---

(١) هذا خبر في إسناده أبو حمزة الثمالي، وهو ثابت بن أبي صفية، وقد تكلموا فيه، فمنهم من تركه، ومنهم من ضعفه، وعليه فهذا الخبر لا يصح، وإذا لم يصح فلا يعتد به ولا ينظر إليه وكأنه لم يكن فلا تناقش ما ورد به.

المضـار عنك ، فَلِمَ تغفل عن طاعة من لا يغفل عنـا ، وقال أيضًا هو ، فى هذه الآية : كل يوم له إلى العبيد برٌّ جديد .

وحكى عن بعض الأمراء أنه سأل وزيره عن معنى هـذه الآية ، فلم يعرفه ، واستمهله إلى الـغد ؛ فرجع الـوزير إلى داره كئيبًا حزينًا ، فقـال له غلام أسـود من غلمـانه : يا مـولاى ما أصابك ؟ فزجره ، قـال : يا مولاى ، أخبرنـى فلعل الله يسهل لـك الفرج علـى يدى ، فأخبره بذلك ، فقال له : عُد إلـى الأمير ، وقل له : إن لى غلامًا أسـود إن أذنت له فسر لك هذه الآية ، ففعل ذلك ، فدعـا الأمير الغلام وسـأله عن ذلك ؛ فقـال : أيها الأمـير شأن الله تعـالى أن يولـج الليل فى النهـار ، ويولج النهار فـى الليل ، ويخـرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويشفى سقيمًا ، ويسقم سليمًا ، ويبتلى معافًى ويعافى مبتلى ، ويعز ذليلاً ، ويذل عزيزًا ، ويفقر غنيًا ، ويغنـى فقيرًا ؛ فقال الأمير : أحسنت يا غلام ، قد فرّجت عنـى ثم أمر الوزير بخلع ثياب الوزارة وكساها الغلام . قال : يا مولاى هذا شأن الله عز وجل .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

❖ ❖ ❖

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعـالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ قرأ عبد الله ، وأُبَىّ : (سنفرغ إليكم) ، وقـرأ الأعمش بضم الياء ، وفتح الراء[1] على غير تسمية الفاعل ، وقرأ الأعرج : بفتح النون والراء ؛ قال الكسائى : هـى لغة تميم ، وقـرأ حمزة ، والكسائى ، وخلف : بـضم الياء ، وفتح الـراء ، واختاره أبـو عبيد اعتبارًا بقوله : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فأتبع الخبر الخبر ، وقرأ البـاقون : بفتح الياء وضم الراء واختاره أبو حـاتم ؛ فإن قيل : إن الفراغ لا يكون إلا عن شغل . والله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ؛ قلنا اختلف العلماء فى معنى هذه الآية : فقال قوم : هذا وعيد ، وتهديد من الله

---

(١) أى : سيفرغ .

تعالى لهم كقول القائل: لأفرغن[1] لك، وما به شغل. وهذا قول ابن عباس، والضحاك. وقال الآخرون معناه: سنقصدكم بعد الترك والإمهال، ونأخذ فى أمركم، وقد يقول القائل للذى لا شغل له، قد فرغت لى، وفرغت لشتمى أى أخذت فيه وأقبلت عليه، وقال جرير بن الخطفى:

ولما التقى القين العراقى بأسه فرغت إلى القين المقيد بالحجل

أى قصدته بما يسوءه، وهذا القول اختيار القتيبى، والكسائى.

وقال بعضهم: إن الله تعالى وعد على التقوى، وأوعد على الفجور ثم قال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مما وعدناكم وأوحينا إليكم، وأخبرناكم فنحاسبكم به ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، ونوصل كُلاًّ ما وعدناه فنتمم ذلك ونفرغ منه؛ إلى هذا ذهب الحسن، ومقاتل، وابن زيد. وقال ابن كيسان: الفراغ للفعل هو التوفر عليه. دون غيره ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: أى الجن والإنس؛ دليله قوله فى عَقَبه: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾(الأنعام: ١٣٠) سُمِّيا ثقلين لأنهما ثقلا على الأرض أحياءً وأمواتًا قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (الزلزلة: ٢)، وقال بعض أهل المعانى: كل شىء له وزن وقَدْرٌ ينافس فيه فهو ثقل، ومنه قيل لبيض النعام: ثقل لأن واجده وصائده يفرح إذا ظفر به، وقال الشاعر:

فتذكرا ثقلاً رثيدًا بعدما ألقت ذكاء يمينها فى كافر

وقال النبى ﷺ: «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى».

فجعلهما ثقلين إعظامًا لحقهما، وقال جعفر بن محمد الصادق: سمى الإنس والجن ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب.

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: ولم يقل: إن استطعتما لأنهما فريقان فى حالة جمع كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (النمل: ٤٥) و﴿۞ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ (الحج: ١٩).

﴿أَن تَنفُذُوا۟﴾: تجوزوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أى أطرافهما ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾: ومعنى الآية: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا، وإنما يقال لهم هذا يوم القيامة؛ قال الضحاك: يعنى هاربين من الموت، فأخبر أنه لا يجيرهم أحد من الموت، ولا محيص لهم منه ولو نفذوا من أقطار السموات والأرض كانوا فى سلطان الله وملكه، وقال ابن عباس يعنى إن استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض

(١) كذا فى المتن وفى الهامش: «لا تفرغن».

فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان؛ يعنى البينة من الله تعالى ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: أى حجة.

وقال ابن عباس وعطاء: لا تخرجون من سلطانى، وقيل معناه: إلاّ إلى سلطانى، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ (يوسف: ١٠٠) أى إلىّ، وقال الشاعر:

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة لدينا ولا مقليـــة إن تقلت

وفى الخبر: يحاط على الخلق بملائكة وبلسان من نار، ثم ينادون: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ...﴾الآية فذلك قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾.

قرأ ابن كثير، وابن أبى إسحاق: بكسر الشين وغيرهما بضمه، وهما لغتان مثل صُوار من البقر، وصَوار وهو اللهب الذى لا دخان فيه، قاله أكثر المفسرين، وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار؛ قال حسان بن ثابت يهجو أمية بن الصلت:

هجوتك فاختضعت لها بذُل بقافيـــة تأجج كالشُّوَاظِ

وقال رؤبة:

إن لهم من وقعنا أقياظا ونار حرب تُسْعرُ الشواظا

وقال الضحاك: هو الدخان الذى يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب، قوله: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بكسر السين عطفًا على النار، واختاره أبو حاتم.

وقرأ الباقون بالرفع عطفًا على الشواظ، واختاره أبو عبيد.

قال سعيد بن جبير: النحاس الدخان. وهى رواية أبى صالح، وابن أبى طلحة عن ابن عباس.

قال النابغة:

يضىء كضوء سراج السَّليط لم يجعل الله فيـه نُحاسا

وقال الأصمعى: سمعت أعرابيًا يقول: السليط دهن السنام فلا دخان له، وقال مجاهد وقتادة: هو الصفر المذاب يصب على رءوسهم، وهى رواية العوفى عن ابن عباس، وقال مقاتل: هى خمسة أنهار من صفر ذائب تجرى من تحت العرش على رءوس أهل النار ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار النهار[١].

وقال عبد الله بن مسعود: النحاس: المهل، وقال ربيع: القطر، وقال الضحاك: دردى الزيت، وقال الكسائى: هو الذى له ريح شديد ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ تنتقمان، وتمتنعان.

---

(١) هذا قول ليس عليه دليل ولا يعلم مقدار عذاب الله إلاّ الله سبحانه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ﴾ : انفرجت ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ : فصارت أبوابًا لنزول الملائكة؛ بيانه قوله : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٥). ﴿فَكَانَتْ﴾ : فصار ﴿وَرْدَةً﴾ : مشرقة. وقيل: متغيرة. وقيل: بلون الورد.

قال قتادة: إنها اليوم خضراء، وسيكون لها يومئذ لون أحمر ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ : اختلفوا فيه: فقال ابن عباس، والضحاك، وقتادة والربيع: يعنى كلون غرس الورد، يكون فى الربيع كميتا أصفر فإذا ضربه أول الشتاء يكون كميتا أحمر، فإذا اشتد الشتاء يكون كميتا أغبر. فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الغرس فى تلونه، وقال مجاهد، وأبو العالية: كالدهن، وهى رواية شيبان، وعن قتادة قال: الدهان جمع الدهن، وللدُّهن ألوان فشبه السماء بألوانه. قال عطاء بن أبى رباح: كعصير الزيت يتلون فى الساعة ألوانًا.

وقال الحسن بن الفضل: كصبيب الدهن يتلون. وقال ابن جريج: تذوب السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حرُّ جهنم. قال مقاتل: كدهن الورد الصافى. وقال المؤرج: كالوردة الحمراء. قال الكلبى: كالأديم الأحمر. وجمعه أدهنة ودهن.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ : أخبرنا الحسين بن فنجويه أخبرنا ابن ماجه أخبرنا ابن أيوب أخبرنا القطوانى أخبرنا سيار أخبرنا عبد القدوس بن الحوارى أخبرنا لقمان الحنفى قال: أتى النبى ﷺ على شاب فى جوف الليل وهو يقرأ هذه الآية: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول: ويحيى من يوم تنشق فيه السماء ويحيى. فقال النبى ﷺ: «يا فتى مثلها أو مثلها فوالذى نفسى بيده لقد بكت الملائكة من بكائك».



﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ

إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾»

قوله عز وجل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ قال الحسن وقتادة: لا يُسألون عن ذنوبهم لأن الله تعالى علمها منهم وحفظها عليهم وكتبت الملائكة عليهم، وهى رواية العوفى عن ابن عباس. وعنه أيضًا: لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم. دليله ما بعده. وإلى هذا القول ذهب مجاهد، وعن ابن عباس أيضًا فى قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٩٢). وقال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ قال: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم لمَ عملتم كذا وكذا؟ وقال عكرمة: إنها مواطن يُسأل فى بعضها ولا يُسأل فى بعضها. وقال ابن عباس أيضًا: لا يُسألون سؤال شفاء وراحة إنما يُسألون سؤال تقريع وتوبيخ، وقال أبو العالية: لا يُسأل غير المذنب عن ذنب المجرمِ إنس ولا جان.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾: وهو سواد الوجوه، وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾: فيسحبون إلى النار ويقذفون فيها ثم يقال لهم فيها ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾: قد انتهى حَرّه، وقال قتادة: قد أتى طبخه منذ خلق الله تعالى السموات والأرض، ومعنى الآية: أنهم يسعون بين الجحيم والحميم. وقال كعب الأحبار: ﴿آنٍ﴾ وادٍ من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم وهم فى الأغلال فيغمسون فى ذلك الوادى حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله تعالى لهم خلقًا جديدًا فيلقون فى النار[1]، فذلك قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أى مقامه بين يديه. وقيل: قيامه لربه بيانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٦) وقيل: قيام ربه عليه.

---

(١) هذا قول كعب الأحبار ولا دليل عليه.

وبيانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ (الرعد:٣٣) قال إبراهيم، ومجاهد: هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافة الله عز وجل وقال ذو النون: علامة الخوف من الله تعالى، أن يؤمنك خوفه من كل خوف، وقال السدى: شيئان مفقودان الخوف المزعج والشوق المقلق.

﴿جَنَّتَانِ﴾: بستانان من الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر ترابهما الكافور والعنبر، وحمأتهما المسك الأذفر، كل بستان منها مسيرة مائة سنة فى وسط كل بستان دار من نور[١].

وقال محمد بن على الترمذى: جنة بخوفه ربه، وجنة بتركه شهوته؛ قال مقاتل: هما جنة عدن، وجنة نعيم. وقال أبو موسى الأشعرى: جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين.

وروى أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «هل تدرون ما هاتان الجنتان؟ هما بستانان فى بساتين قرارهما ثابت وفرعهما ثابت وشجرهما ثابت».

أخبرنا عقيل بن محمد إجازة أخبرنا المعافى بن زكريا قراءة أخبرنا محمد بن جرير الطبرى حدثنى محمد بن موسى الجرشى أخبرنا عبد الله بن الحارث القرشى أخبرنا شعبة بن الحجاج أخبرنا سعيد[٢] الحريرى عن محمد بن سعد عن أبى الدرداء قال: قرأ[٣] رسول الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق، وعلى رغم أنف أبى الدرداء».

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾قال ابن عباس: ألوان. واحدها فن، وهو من قولهم افتن فلان فى حديثه إذا أخذ فى فنون منه وضروب، قال الضحاك: ألوان الفواكه، وقال مجاهد: أغصان، وواحدها فنن، وقال عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان، وقال الحسن: ذواتا ظلال، وهو كقوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ (الواقعة:٣٠) وقال الضحاك أيضًا: ذواتا أغصان، وفصول وغصونها كالمعروشات تمس بعضها بعضًا، وهى رواية العوفى عن ابن عباس، وقال قتادة: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما. وقال ابن كيسان: ذواتا أصول.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾قال ابن عباس: بالكرامة

---

(١) فى جنان ربى ما لا يمكن وصفه، وأصدق ما قيل فيها وما يحسن اعتقاده وترك ما سواه: فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(٢) فى متن المخطوط: «شعبة» والتصويب من هامشه.

(٣) فى متن المخطوط: «قال» والتصويب من هامشه.

والزيادة على أهل الجنة، وقال الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما: التسنيم، والأخرى: السلسبيل.

قال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين. وقيل: إنهما تجريان من جبل من مسك، وقال أبو بكر محمد بن عمرو الوراق: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ لمن كان له فى الدنيا عينان تجريان بالبكاء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: صنفان.

قال ابن عباس: ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلاّ وهى فى الجنة حتى الحنظل إلاّ أنه حلو.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِـِٔينَ﴾: حال ﴿عَلَىٰ فُرُشٍ﴾: جمع فراش ﴿بَطَآئِنُهَا﴾: جمع البطانة ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: وهو ما غلظ من الديباج وحسن. وقيل: هو أستبر مُعَرَّبٌ.

قال ابن مسعود، وأبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر، وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧).

وعنه أيضًا قال: بطانتها من إستبرق وظواهرها من نور جامد، وقال الفراء: أراد بالبطائن الظواهر.

قال المؤرج: هو بلغة القبط، وقد تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة، لأن كل واحد منهما يكون وجهًا، تقول العرب: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء للذى يراه، وقال عبد الله بن الزبير فى قتلة عثمان رضى الله عنه: قتلهم الله شر قتلة ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب، يعنى هربوا ليلاً. فجعل ظهور الكواكب بطونًا.

قال القتيبى: هذا من عجيب التفسير، وكيف تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة، والبطانة ما بطن من الثوب، وكان من شأن الناس إخفاؤه والظهارة ما ظهر منه. ومن شأن الناس أبدا إبداؤه، وهل يجوز لأحد أن يقول لوجه المصلى هذا بطانته، ولما يلى الأرض هذا ظهارته، لا والله لا يجوز هذا، وإنما أراد الله أن يعرفنا لطفه من حيث نعلم فضل هذه الفرش، وأن ما ولى الأرض منها إستبرق، وإذا كانت البطانة كذلك فالظهارة أعلى وأشرف، وكذلك قول النبى ﷺ: «لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذه الحلة» فَذَكَرَ المناديل دون غيرها لأنها أحسن ويصدق قول القتيبى ما حكيناه عن عبد الله بن مسعود، وأبى هريرة، والله أعلم.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾: ثمرهما ﴿دَانٍ﴾: قريب يناله القائم والقاعد والنائم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ : غاضات الأعين قد قصر طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم، ولا يردن غيرهم؛ قال ابن زيد: تقول لزوجها: وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيئًا أحسن منك، فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجك ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ : قرأ الكسائى برواية أبى عُمر بضم الميم فى الأول، وأبو الحارث عنه فى الثانى كذلك. ومعناه لم يجامعهن ولم يفترعهن، وأصله من الدم، ومنه قيل للحائض طامث كأنه قال لم يدمهن بالجماع ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ : قال مجاهد: إذا جامع الرجل فلم يسم انطوى الجان على[1] إحليله فجامع معه، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ ، أى لم يجامعهن. ومنه قول النبى ﷺ: «أيما امرأة ماتت بجمع لم تطمث دخلت الجنة» قال الشاعر:

دفعن إلىّ لم يطمثن قبلى وهن أصح من بيض النعام

قال سهل من أمسك طرفه فى الدنيا عن اللذات عُوض فى الآخرة القاصرات، وقال أرطأة ابن المنذر: سألت ضمرة بن حبيب هل للجن من ثواب؟ قال: نعم، وقرأ هذه الآية، قال: فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال قتادة: فى صفاء الياقوت، وفى بياض المرجان.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا هارون ابن محمد بن هارون أخبرنا حازم بن يحيى الحلوانى أخبرنا سهل بن عثمان العسكرى، أخبرنا عبد[2] بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ: «إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير، ومخها، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه.

وروى سفيان عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون قال: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ قوله تعالى: ﴿هَلْ﴾ هل فى كلام العرب على أربعة أوجه:

---

(١) فى متن المخطوط: مع وكتب فوقها على وهو تصويب من الناسخ، والخبر أو القول اجتهاد من قائله لا يجوز القول بمثله إلا بدليل قاطع.

(٢) فى هامش المخطوط: «عبيدة» وأثبت ما فى المتن وهو الصحيح أو تصحيح من الناسخ رحمنا الله وإياه.

الأول: بمعنى قد كقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ (الإنسان: ١) و﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ (الغاشية: ١).

والثاني: بمعنى الاستفهام كقوله: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ (الأعراف: ٤٤).

والثالث: بمعنى الأمر كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١) أى فانتهوا.

والرابع: بمعنى ما الجحد كقوله: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: ٣٥) و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾.

وأخبرنا الحسين بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد ابن شنبة بن حمدان، والفضل بن الفضل، والحسين بن على قالوا: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام أخبرنا الحجاج بن يوسف المكتب أخبرنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ ثم قال: «هل تدرون ماذا قال ربكم عز وجل؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة».

وأخبرنا أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد المزني لفظًا أخبرنا جدى أبو الحسن محمد بن محمود بن عبيد الله أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا محمد بن مبشر أخبرنا إسحاق بن زياد الأُبُلى أخبرنا بشر بن عبد الله الفارسى عن بشر بن عبادة عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال سمعت ابن عمر، وابن عباس يقولان: قال رسول الله ﷺ: «﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ يقول الله تعالى: هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتى وتوحيدى إلاّ أن أسكنه جنتى وحظيرة قدسى برحمتى».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن إبراهيم النيسابورى أخبرنا أبى أخبرنا عبد الملك بن محمد بن عدى أخبرنا صالح بن شعيب الخواص ببيت المقدس أخبرنا عبيد بن بكار أخبرنا محمد بن جابر اليمانى عن ابن المنكدر، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ قال: هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلاّ الجنة، وقال ابن عباس: هل جزاء من عمل فى الدنيا حسنًا، وقال: لا إله إلاّ الله، إلاّ الجنة فى الآخرة، وقال السدى: هل جزاء الذين أطاعوا فى الدنيا إلاّ الكرامة فى الآخرة، وقال الصادق: هل جزاء من أحسنت إليه فى الأزل إلاّ حفظ الإحسان عليه إلى الأبد، وقال محمد بن الحنفية، والحسن: هى مسجلة للبر والفاجر، للفاجر فى دنياه، وللبر فى أخراه.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَمِن دُونِهِمَا﴾ يعنى من دون الجنتين الأوليين ﴿جَنَّتَانِ﴾ أخريان واختلف العلماء فى معنى قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾: فقال ابن عباس: ومن دونهما فى الدرج. وقال ابن زيد: ومن دونهما فى الفضل وقال ابن جريج: هن أربع جنتان

للمقربين السابقين ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ . وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ وقال أبو معاذ الفضل بن يحيى : أراد غيرهما إلاّ أنهما دون الأوليين، وقال الكسائى : يعنى أمامهما وقبلهما كقول الشاعر :

وفلاة دونها يحرس السفر ... وميل يفضى إلى أميال

أى قبل الفلاة الأولى، ودليل هذا التأويل قول الضحاك : الجنتان الأوليان من ذهب وفضة، والأخريان من ياقوت وزمرد، وهما أفضل من الأوليين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ : ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد؛ قال ذو الرمة :

كسا الأكم بهمى غضَّةً حبشية ... توأمًا وقيعان الظهور الأقارع

فجعلها حبشية لما اشتدت خضرتها، وقيل : ملتفتان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ : ممتلئتان، فياضتان، فوارتان بالماء لا ينقطعان، وقال الحسن، وعطاء بن أبى مسلم : تنبعان ثم تجريان، وقال ابن عباس : تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة، وقال ابن مسعود : تنضخان على أولياء الله عز وجل بالمسك والكافور، وقال سعيد بن جبير : نضاختان بالماء وأنواع الفواكه. وقال أنس بن مالك : تنضخ بالمسك والعنبر فى دور أهل الجنة كما ينضخ طش المطر، وأصل النضخ الرش، وهو أكثر من النضخ. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

❖ ❖ ❖

﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾

قوله تعالى : ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفضيل كقوله : ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ (البقرة:٩٨)، وقوله : ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ (البقرة:٢٣٨)، وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ

﴿ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج:١٨)، وكقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ (الأحزاب:٧) الآية.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا الفريابى أخبرنا منجاب بن الحارث أخبرنا على بن مسهر عن مسعر عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال: إن نخل الجنة نضدها ما بين أصله إلى فرعه وثمره كأمثال القلال كلما نزعت عادت مكانها أخرى، العنقود منها اثنا عشر ذراعًا، وأنهارها تجرى فى[1] غير أخدود.

قال: فقلت له: من حدثك بهذا؟ قال: أما إنى لم أخترعه حدثنى مسروق.

وأخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا عمر بن أحمد بن القاسم أخبرنا عبد الله بن العباس الطيالسى أخبرنا أحمد حفص حدثنى أبى حدثنا إبراهيم ابن طهمان عن مطر قال: نخل الجنة عذوقها من فضة وجذوعها ذهب وسعفها خلل وقنوانها دُرٌّ وهى أحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم.

وأخبرنا ابن فنجويه الحديثى أخبرنا ابن ماهان أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حماد بن سلمة عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى: أن رسول الله ﷺ قال: «نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب[2]، وإذا طيرها كالبخت، وإذا فيها جارية، فقلت: يا جارية لمن أنت؟

قالت: لزيد بن حارثة فبشرت بها زيداً، وإذا فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال الكسائى: ذكر الله تعالى الجنتين والجنتين ثم جمعهن فقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾. قراءة العامة بالتخفيف، وقرأ أبو رجاء العطاردى: خيّرات بتشديد الياء.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حبش المقرئ، أخبرنا ابن مجاهد أخبرنا الصاغانى أخبرنا عبد الله بن أبى بكر عن أبيه أنه قرأ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ بالتشديد وهما لغتان مثل هَيّن وهَيْنٍ ولَيّنٍ ولَيْنٍ.

---

(١) فى متن المخطوط: «من» ثم كتب الناسخ فوقها «فى» وهو الأنسب للسياق وهو تصحيح منه رحمنا الله وإياه، فأثبت ما يناسب السياق، ثم إنه ليس هذا إقرارًا منى بصحة الخبر أو الموافقة عليه وفى الخبر وسائل رده وإنما ذكرت ما يضبط السياق كما أراد الناسخ، والله أعلم.

(٢) كذا فى المتن، وفى هامش المخطوط: «المقبب».

وأنبأنا عقيل بن محمد الفقيه: أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمد بن جرير الطبرى أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب أخبرنا محمد بن الفرج الصدفى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أم سلمة قالت: قلت لرسول الله ﷺ: أخبرنا عن قول الله تعالى: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ قال: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه».

وقال الحسن: ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ فاضلات، وقال إسماعيل بن أبى خالد: عذارى، وقال جرير بن عبد الله: مختارات.

وقال المفسرون: ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ لسن بذربات ولا دفرات ولا نجرات، ولا متطلعات، ولا متشوقات، ولا متسلطات، ولا طماحات ولا طوّافات فى الطرق، ولا يغرن، ولا يؤذين.

وأخبرنا ابن فنجويه العدل أخبرنا محمد بن على ابن الحسن - يعنى الصوفى - أخبرنا حامد ابن شعيب البلخى أخبرنا سريج بن يونس أخبرنا مسلم بن قتيبة عن سلام بن مسكين عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر قال: نساء أهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدى بعض ويتغنين بأصوت لم يسمع الخلائق مثلها نحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا، ونحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام.

وروى الأسود عن عائشة رضى الله عنها: أن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا، نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن. قالت عائشة: فغلبنهن والله.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ محبوسات مستورات فى الحجال، يقال: امرأة قصيرٌ، وقصور، ومقصورة، إذا كانت مخدورة مستورة لا تخرج، قال الشاعر:

وأنت التى حببت كل قصيرة إلىّ وما تدرى بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطا شر النساء البحاتر

وقال مجاهد: يعنى قصر بهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن شاذان أخبرنا القطان أخبرنا ابن حسان حدثنى نصر العطار أخبرنا عمر بن سعيد عن أبان بن أبى عياش عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن حوراء بزقت فى بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها».

﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾: جمع الخيمة؛ قال ابن مسعود: لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلاً، وتصديق هذا التفسير ما أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن شنبة أخبرنا الفريابى أخبرنا أبو

بكر بن أبى شيبة أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا همام بن يحيى أخبرنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن أبى موسى الأشعرى عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «الخيمة من درة واحدة طولها فى السماء ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون».

وأخبرنا عقيل بن محمد الفقيه: أن أبا الفرج القاضى البغدادى أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا يحيى بن طلحة اليربوعى أخبرنا فضيل ابن عياض عن هشام عن محمد عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قال: الخيمة لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ فى أربعة فراسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

وأخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب المثُوثى أخبرنا أبو يوسف عبد الله بن الحسن الحرانى أخبرنا محمد بن موسى القرشى أخبرنا حماد بن هلال السكرى أخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسرى بى بنهر حافتاه قباب المرجان، فنوديت منه السلام عليك يا رسول الله.

فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: جوار من الحور العين استأذن ربهن أن يسلمن عليك فأذن لهن فقلن: نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا أزواج رجال كرام». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾. محبوسات.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يمسسهن ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾: قراءة العامة بكسر الميم. وهو اختيار أبى عبيد، وأبى حاتم. وقرأ أبو حيوة الشامى، وطلحة بن مصرف بالضم فيهما. وكان الكسائى يكسر أحدهما، ويضم الأخرى، ويخير فى ذلك، والعلة فيه ما أخبرنا أبو محمد بن شيبة بن محمد المقرئ أخبرنا أبو عمرو، ومحمد بن محمد ابن عبدوس حدثنى ابن شنبوذ أخبرنى عياش بن محمد الجوهرى أخبرنا أبو عمر الدورى عن الكسائى قال: إذا رفع الأول كسر الآخر، وإذا رفع الآخر كسر الأول؛ قال: وهى قراءة أبى إسحاق السبيعى. قال: وقال أبو إسحاق: كنت أصلى خلف أصحاب على بن أبى طالب عليه السلام فأسمعهم يقرءون: لم يطمُثهن برفع الميم، وكنت أصلى خلف أصحاب عبد الله فكنت أسمعهم يقرءون: ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾ بكسر الميم، وكان الكسائى يقرأ واحدة برفع الميم والأخرى بكسر الميم لئلا يخرج من هذين الأثرين واللغتين، وهما لغتان.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾: قال سعيد بن جبير: وهى رياض الجنة خضر مخضبة، وروى ذلك عن ابن عباس. واحدتها رفرفة، والرفارف جمع الجمع.

وروى العوفى عن ابن عباس قال: الرفرف فضول المجالس والبسط. وقال عنترة عنه: فضول الفرش والمجالس. وقال قتادة، والضحاك: مجالس خُضر فوق الفرش.

وقال الحسن، والقرظى: البسط. وقال ابن عيينة: الزرابى. وقال ابن كيسان: المرافق، وهى رواية قتادة، وعن الحسن وأبو عبيدة: حاشية الثوب. وغيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف.

قال ابن مقبل:

وإنا لنزالون نُغشى نعالنا ... سواقط من أصناف ريط ورفرف

﴿وَعَبْقَرِيّ حِسَانٍ﴾: وهى الزرابى والطنافس الثخان، وهى جمع واحدتها عبقرية، وقد ذكر عن العرب أنها تسمى كل شىء من البُسط عبقريًا.

قال قتادة: العبقرى عتاق الزرابى. وقال مجاهد: هو الديباج.

وقال أبو العالية: الطنافس المخملة إلى الرقة باهى.

وقال الحسن: الدرانيك - يعنى الثخان. وقال القتيبى: كل ثوب موشى عند العرب عبقرى.

قال أبو عبيد: هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشى.

قال ذو الرمة:

حتى كأن رياض القُفِّ ألبسها ... من وشىٍ عبقرى تجليل وتنجيد

قال: ويقال: إن عبقر أرض يسكنها الجن.

قال الشاعر زهير:

بخيل عليها جنة عبقرية ... جديرون يومًا أن ينالوا فيستعلوا

وقال قطرب: ليس هذا بمنسوب، ولكنه بمنزلة قولك: كرسى، وكراسى، وبختى وبخاتى. وقال الخليل: كل جليل نفيس فاضل فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقرى، ومنه الحديث فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه «فلم أر عبقريًا يفرى فريه».

أخبرنا أبو محمد الحسن بن على بن المؤمل بقراءتى عليه أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحاق الصغانى أخبرنا الحسن بن محمد.

(ح)[1] وأخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا محمد ابن

(١) زيادة حديثية يتطلبها السياق.

إبراهيم بن ناصح أخبرنا أحمد بن زهير بن حرب أخبرنا أبو أحمد الحسين بن محمد المروزى أخبرنا الأرطبانى - وهو ابن عمر عبد الله بن عون - عن عاصم الجحدرى عن أبى بكرة أن النبى ﷺ قرأ: (متكئين على رفارف خضر وعباقرى حسان).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام): بالواو شامى، وكذلك هو فى مصاحفهم. والباقون بالياء ﴿ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.



سورة الواقعة

مكية، وهى ألف وسبعمائة وثلاثة أحرف،
وثلاثمائة وثمان وسبعون [١] كلمة وست وتسعون آية

أخبرنا أبو الحسين على بن محمد الخبازى عن مرة أخبرنا أبو الشيخ الحافظ أخبرنا ابن أبى عاصم أخبرنا عمرو بن عثمان أخبرنا أبو بكر العطاردى[٢] أخبرنا السرى بن يحيى عن شجاع عن أبى طيبة الجرجانى قال: دخل عثمان بن عفان على عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما يعوده فى مرضه الذى مات فيه، فقال: ما تشتكى؟ قال: أشتكى ذنوبى. قال: فما تشتهى؟ قال: أشتهى رحمة ربى. قال: أفلا ندعو الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضنى. قال: أفلا نأمر بعطائك؟ قال: لا حاجة لى به. قال: ندفعه إلى بناتك؟ قال: لا حاجة لهن به قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا».

وأخبرنى محمد بن القاسم أخبرنا عبد الله بن أحمد الشعرانى أخبرنى أحمد بن على بن رزين أخبرنى أحمد بن عبد الله العتكى أخبرنى جرير عن منصور عن هلال بن سياف عن مسروق قال: من أراد أن يتعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا، ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾

(١) كذا فى المخطوط، وقد كتب الناسخ بالهامش «وتسعون».

(٢) فى الهامش: العطار.

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: أى إذا نزلت صيحة القيامة، وتلك النفخة الأخيرة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾: تكذيب، ومردودة، ومثنوية، وذكره سيبويه وهو اسم كالعافية، والنازلة، والعاقبة، عن الفراء، وقال الكسائى: هى بمعنى الكذب، كقوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ (الغاشية: ١١) أى لغو، ومنه قول العامة: عائذ بالله، أى معاذ الله، وقم قائمًا أى قم قيامًا.

ولبعض نساء الأعراب ترقص ابنها:

قم قائمًا قم قائمًا أصبت عبدًا نائمًا

﴿خَافِضَةٌ﴾: أى هى خافضة ﴿رَّافِعَةٌ﴾: تخفض قومًا إلى النار، وترفع آخرين إلى[1] الجنة.

وقال عكرمة، والسدى ومقاتل: خفضت الصوت فأسمعت من دنا، ورفعت الصوت فأسمعت من نأى يعنى أنها أسمعت القريب والبعيد، ورفعت قومًا كانوا مذللين فرفعتهم إلى أعلى عليين، ووضعت قومًا كانوا فى الدنيا مرتفعين، ووضعتهم إلى أسفل السافلين.

وقال ابن عطاء: خفضت قومًا بالعدل ورفعت قومًا بالفضل.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾: أى رجفت وزلزلت، وحركت تحريكًا من قولهم: السهم يرتج فى الغرض بمعنى يهتز ويضطرب.

قال الكلبى: وذلك أن الله تعالى إذا أوحى لها اضطربت من الفَرَق.

وقال المفسرون: ترج كما ترج الصبى فى المهد، حتى ينهدم كل بناء عليها، وينكسر كل شىء عليها من الجبال وغيرها.

وأصل الرج فى اللغة التحريك، يقال رججته ارتج فإن ضاعفته قلت: رجرجته فترجرج.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾: أى حتت حتًا، وفتت فتًّا، فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول والبسيسة عند العرب الدقيق أو السويق يلت ويتخذ زادًا.

وذكر عن لص من غطفان: أنه أراد أن يخبز فخاف أن يُعجل عن الخبز فقال:

لا تخبزا خبزًا وبُسابَسًا ولا تُطيلا بمناخ حبسا

وقال عطاء: أذهبت إذهابًا. وقال سعيد بن المسيب، والسدى: كسرت كسرًا.

وقال الكلبى: سيرت عن وجه الأرض تسييرًا. وقال مجاهد: لُتَّت لتا.

وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت بعدما كانت صخرة صماء. نظيرها: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ (طه: ١٠٥).

وقال عطية: بسطت بسطًا كالرمل والتراب.

---

(١) فى المخطوط: «من» وهو تحريف.

وقال ابن كيسان: جعلت كثيبًا مهيلاً بعد أن كانت شامخة طويلة.

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ : قال ابن عباس: شعاع الشمس حين يدخل من الكوة.

قال علىّ عليه السلام: رهج الدواب.

عطية: ما تطاير من شرر النار. وقال قتادة: حطام الشجر. وقراءة العامة: ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ بالثاء أى متفرقًا. وقرأ النخعى بالتاء أى منقطعًا.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ : أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾ : ثم بين من هم، فقال عز من قائل ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ : هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة.

وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على يمين آدم عليه السلام حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله سبحانه لهم: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى.

وقال الضحاك: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم.

وقال الحسن، والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم فى طاعة الله تعالى، وهم التابعون بإحسان.

ثم عجب نبيه ﷺ فقال: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وهذا كما يقال: زيد ما زيد يراد زيد شديد.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ : أى الشمال، والعرب تسمى اليد اليسرى الشُّؤمى، قال الشاعر:

السُّهم والشُّرى فى شومى يديك لهم   وفى عينيك ماء المزن والضرب

ومنه الشام واليمن لأن اليمن عن يمين الكعبة، والشام عن شماله إذا دخل الحجر تحت الميزاب.

وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

وقيل: هم الذين كانوا على شمال آدم عليه السلام عند إخراج الذرية، وقال الله تعالى لهم: هؤلاء فى النار ولا أبالى.

وقيل: هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم[1].

وقال الحسن: هم المشائيم على أنفسهم، وكانت أعمارهم فى المعاصى.

﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قال ابن سيرين: هم الذين صلوا القبلتين؛ دليله قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ (التوبة: ١٠٠).

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان حدثنا أبى أخبرنا محمد بن داود الدينورى أخبرنا

---

(١) فى الهامش: «بشمائلهم».

المضاء بن الجارود عن عبد الغفور أبى الصباح عن أبى على عن كعب فى قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۞ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: هم أهل القرآن، وهم المتوَّجون يوم القيامة.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرانى أخبرنا يحيى بن عبد الله البابلى أخبرنا الأوزاعى قال سمعت عثمان بن أبى سودة يقول ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجًا فى سبيل الله عز وجل.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن ماجه أخبرنا ابن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبى زياد أخبرنا سيار بن حاتم أخبرنا عبد الله بن شميط قال سمعت أبى يقول: الناس ثلاثة: فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنِّه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المُقَرَّبُ، ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطولَ الغفلة ثم يراجع بتوبة فهذا صاحب يمين. ورجل ابتكر الشر فى حداثته ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب شمال.

وقال ابن عباس: السابقون إلى الهجرة هم السابقون فى الآخرة، وقال على بن أبى طالب عليه السلام إلى الصلوات الخمس.

وقال عكرمة: إلى الإسلام. وقال الضحاك: إلى الجهاد. وقال القرظى: إلى كل خير، وقال سعيد بن جبير: هم المسارعون إلى التوبة، وإلى أعمال البر؛ نظيره قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (الحديد: ٢١).

ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١) وقال الربيع بن أنس: السابقون إلى إجابة الرسول فى الدنيا السابقون إلى الجنة فى العقبى.

وقال ابن كيسان: السابقون إلى كل ما دعاهم الله إليه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ من الله، ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد الدينورى أخبرنا على بن إبراهيم ابن موسى - يعنى الموصلى - أخبرنا محمد بن مخلد العطار أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا وكيع أخبرنا شعبة، ومسعر عن سعد بن إبراهيم عن عروة ابن الزبير قال: كان يقال: تقدموا تقدموا.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن ماجه أخبرنا ابن أيوب أخبرنا القطوانى أخبرنا يسار أخبرنا جعفر حدثنى عوف حدثنى رجل من أهل الكوفة قال: بلغنى أنه إذا خرج رجل من السابقين المقربين من مسكنه فى الجنة كان له ضوء يعرفه من دونه فيقول هذا ضوء رجل من السابقين المقربين.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ۝٢٦ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ﴾ جماعة ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أى الأمم الماضية ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾: أمة محمد ﷺ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: مرمولة منسوجة مشبكة بالذهب والجواهر قد أدخل بعضها فى بعض كما توضن حلق الدرع بعضها فى بعض مضاعفة ومنه قول الأعشى:

ومن نسج داود موضونةٍ تساق مع الحى عيراً فعيرا

وقال أيضًا:

وبيضاء كالنهى موضونة لها قونس فوق جيب البدن

ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفًا كحلق الدرع.

قال الكلبى: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت، وإذا جلس عليها ارتفعت.

وقال الضحاك: موضونة مصفوفة، وهى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس، ويقال: آجرٌ موضون، إذا صف بعضها على بعض.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾: فى الزيارة، لا ينظر بعضهم فى قفا بعض ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: بالخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ﴾: غلمان ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: أى لا يموتون، عن مجاهد. وقال الكلبى: ولا ينقصون، ولا يتغيرون وليسوا يهرمون وليسوا كخدم الدنيا يتغيرون من حال إلى حال.

قال ابن كيسان: معنى مخلدين يعنى ولْدَانًا لا يتحولون من حال إلى حال. وقال عكرمة: منعمون. وقال سعيد بن جبير: مقرطون. قال المؤرج: ويقال للقرط: الخلد؛ قال الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أوساطهن أفاوز الكثبان

وقال على والحسن: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها، لأن الجنة لا ولادة فيها.

وفى الحديث: «أطفال الكفار خدم أهل الجنة».

﴿بِأَكْوَابٍ﴾: جمع كوب ﴿وَأَبَارِيقَ﴾: جمع إبريق، سمى ذلك ببريق لونه ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾: خمر جارية ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾: لا تصدع رؤوسهم عن شربها ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: يختارون ويشتهون.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حبش المقرئ أخبرنا زكار أخبرنا هناد أخبرنا أبو معاوية عن عبيد الله ابن الوليد عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة لطيراً فيه سبعون ألف ريشة، فيجيء فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة، ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون أبيض من الثلج والبرد وألين من الزبد، وأعذب من الشهد ليس فيه لون يشبه صاحبه ثم يطير فيذهب».

قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرأ أبو جعفر، والمفضل، وحمزة والكسائى بكسر الرَّاء والنون، أى وبحور عين، أتْبعُوا الأخير الأول فى الإعراب على اللفظ وإن اختلفا فى المعنى لأن الحور لا يطاف بهن؛ كقول الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يومًا ... وزججن الحواجب والعيونا

والعين لا تزجج وإنما تكحل.

وقال الآخر:

ورأيت بعلك فى الوغى ... متقلدًا سيفًا ورمحًا

ومثله كثير.

وقرأ إبراهيم النخعى وأشهب العقيلى وحوراً عينًا، بالنصب، وكذلك هو فى مصحف أُبَىّ على معنى ويزوجون حوراً عينًا، وقرأ الباقون بالرفع أى ويطوف حور عين وقال الأخفش: رفع بخبر حرف الصفة أى لهم حور عين.

وقيل: هو ابتداء وخبره ما بعده.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد ابن الحسين بن صقلاب أخبرنا أبو عبد الله محمد بن بشر بن يوسف بن النضر أخبرنا بكر بن سهل الدمياطى أخبرنا عمرو بن هشام أخبرنا سليمان ابن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قال: «حورٌ: بيض، عِينٌ: ضخام الأعين».

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن صقلاب أخبرنا أبو بكر ابن أبى الخصيب حدثنى محمد بن

غالب أخبرنا الحارث بن خليفة أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الحور العين من الزعفران».

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن برزة أخبرنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزاز أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شُرَحْبيل أخبرنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه عن خالد ابن معدان عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يدخل الجنة إلاّ وهو يزوج باثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين، وسبعون من ميراثه من أهل النار ليس منهن امرأة إلاّ ولها قُبُلٌ شهى وله ذكرٌ لا ينثنى»[1].

أخبرنا ابن فنجويه أحمد بن محمد بن على أخبرنا عثمان بن نصر البغدادى أخبرنا محمد ابن المهاجر أبو حُنيف أخبرنا خليس بن محمد الكلابى أخبرنا سفيان الثورى عن منصور أو المغيرة عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «سطع نور فى الجنة، فقالوا: ما هذا؟ قالوا ضوء ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها».

ويروى أن الحوراء إذا مشت سمع تقديس الخلاخل من ساقيها، وتمجيد الأسورة من ساعديها، وأن عقد الياقوت يضحك فى نحرها، وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح».

وكان يحيى بن معاذ الرازى يقول: اخطب زوجة لا تسلبها منك المنايا، وأعرس بها فى دار لا يخرجها دوران البلايا، وشبك لها حجلة لا تحرقها نيران الرزايا.

وقال مجاهد: سميت حوراً لأنه يحار فيهن الطرف.

﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾: المخزون فى الصدف الذى لم تمسه الأيدى ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾: وفى نصبهما وجهان:

أحدهما: اتباع للقيل.

والثانى: بل يسمعون سلامًا؛ ثم يرجع إلى ذكر منازل أصحاب الميمنة فقال: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾: لا شوك فيه كأنه خُضِّد شوكه أى قطع، ونزع.

ومنه الحديث فى المدينة: «لا يخضد شوكها، ويعضد شجرها» وهذا قول ابن عباس،

---

(١) حاش لله أن يصدر مثل هذا القول عن رسول الله ﷺ الطاهر المطهر الزكى المزكى وآفة هذا الخبر هو خالد بن يزيد ابن عبد الرحمن بن أبى مالك هانئ الهمدانى الدمشقى أبو هاشم، وقد ضعفه بعضهم وتركه البعض، ومتن الحديث يدل دلالة واضحة على عدم صحته إذ لا يليق أن يصدر نحوه فضلاً عن مثله عن رسول الله ﷺ الداعى إلى العفاف وصلة الرحم بشهادة أعدائه فضلاً عن أتباعه.

وعكرمة، وقثامة بن زهير.

وقال الحسن: لا تعقر الأيدى. وقال قتادة: هو الذى لا ترد اليد منها شوك ولا بعد.

وقال الضحاك، ومجاهد، ومقاتل بن حيان: هو الموقر حملاً.

قال سعيد بن جبير: ثمرها أعظم من القلال. وقال ابن كيسان: هو الذى لا أذى فيه.

وليس شيء من ثمر الجنة فى غلف كما يكون فى الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول مشروب ومشموم ومنظور إليه.

قال أبو العالية، والضحاك: نظر المسلمون إلى وَجّ وهو وادٍ مخصب بالطائف فأعجبهم سدره.

فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال أمية بن أبى الصلت فى وصف الجنة:

إن الحدائق فى الجنات ظليلة ... فيها الكواعب سدرها مخضود

﴿وَطَلْحٍ﴾: موز، واحدتها طلحة عن أكثر المفسرين.

وقال الحسن: ليس هو بالموز، ولكنه شجر له ظل بارد طيب.

وقال الفراء، وأبو عبيدة: الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك، قال بعض الحُدَاةُ:

بشرها دليلها وقالا ... غداً ترين الطلح والحبالا

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حيان أخبرنا ابن رضوان أخبرنا أبى أخبرنا إبراهيم بن عيسى أخبرنا على ابن على قال: زعم أبو حمزة الثمالى عن الحسن مولى الحسن بن على: أن عليًا عليه السلام قرأ: وطلع منضود. بالعين.

وأنبأنى عقيل بن محمد أخبرنا المعافى بن زكريا أخبرنا محمد بن جرير أخبرنا سعيد بن يحيى أخبرنا أُبى أخبرنا مجالد عن الحسن بن سعيد عن قيس بن سعد قال: قرأ رجل عند على عليه السلام: ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾. فقال عَلىّ عليه السلام: وما شأن الطلح؟! إنما هو: وطلع منضود، ثم قرأ: (طَلْعٌ منضود) فقلتُ: إنها فى المصحف بالحاء، أفلا تحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل.

والمنضود: المتراكم الذى قد نضد بأكمله من أوله إلى آخره ليست له سوق بارزة.

قال مسروق: وأشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله.

❖ ❖ ❖

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝﴾

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: دائم لا تنسخه الشمس.

قال الربيع: يعنى ظل العرش. وقال عمرو بن ميمون: مسيرة سبعين ألف سنة.

قال أبو عبيدة: تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل، والشيء الذى لا ينقطع: ممدود.

قال لبيد:

غلب العزاء وغير كل مغلب ... دهر طويل دائم ممدود

أخبرنا أبو محمد بن مهدى بن عبيد الله بن القاسم بن الحسن العلوى إملاءً فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد بن الحجاج أخبرنا محمد بن يونس الكديمى أخبرنا أبو عامر العقدى أخبرنا ربيعة بن صالح عن سلمة عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله عز وجل: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ قال: شجرة فى الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون فى أصلها، ويتذكر بعضهم، ويشتهى بعضهم لهو الدنيا، فيرسل الله عز وجل عليها ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا.

وأخبرنا ابن فنجويه، أخبرنا محمد بن حبش بن عمر المقرئ، أخبرنا زكار بن الحسن، أخبرنا هناد بن السرى أخبرنا عبدة عن محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا إن شئتم قول الله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾».

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: مصبوب يجرى دائمًا من غير أخدود.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا محمد بن موسى الحلوانى أخبرنا خزيمة ابن أحمد الباوردى أخبرنا إسحاق بن إسماعيل أخبرنا الحسين بن على الجعفى أخبرنا مزاحم ابن داود بن علية قال: مات أخ لى وكان بارًا بأمه، فرأيته فيما يرى النائم، فقلت: له: يا أخى إن أخاك يحب أن يعلم إلى ماذا صرت؟

فقال لى: أنا فى ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾: بالأزمان ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾: بالأثمان.

قال القتيبى: لا محذور عليها كما يحذر على بساتين الدنيا. وقيل: لا تنقطع الثمرة إذا

جنيت، بل يخرج مكانها مثلها.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن زنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا محمد ابن أحمد بن إبراهيم أخبرنا محمد بن حسان الأزرقى أخبرنا ريحان بن سعيد أخبرنا عباد بن كثير عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قطعت من ثمار الجنة ثمرة إلاّ أبدل الله تعالى مكانها ضعفين».

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾: أخبرنا على بن أبى عمر الجبرى الحرشى أخبرنا أبى أخبرنا الحسين بن هارون أخبرنا عمار بن عبد الجبار أخبرنا رشدين.

(ح)[1] وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو عبد الرحمن الموصلى أخبرنا أبو كريب أخبرنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن الدراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾قال: «إن ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام».

وقال أبو أمامة الباهلى: لو طرح فراش من أعلاها إلى أسفلها لم يستقر إلا بعد سبعين خريفًا.

قال على بن أبى طالب عليه السلام: مرفوعة على الأسرة، وقيل: أراد بالفُرش، النساء، والعرب تسمى المرأة فراشًا ولباسًا، وإزارًا على الاستعارة لأن الفراش محل النساء. ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ رفعت بالجمال، والفضل على نساء أهل الدنيا.

ودليل هذا التأويل قوله فى عَقبه: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً۝ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾: عذارى ﴿عُرُبًا﴾: عواشق متحببات إلى أزواجهن، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، وهى رواية الوالبى عن ابن عباس. وقال عكرمة عنه: ملقة. وقال عكرمة: غنجة.

وقال ابن زيد: الشركلة بلغة مكة، المغنوجة بلغة المدينة.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ، أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان أخبرنا عبيد الله بن ثابت بن أحمد أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا ابن يمان عن أسامة بن زيد عن أبيه: ﴿عُرُبًا﴾قال: حسنات الكلام.

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق العُيينى أخبرنا حامد ابن شعيب البلخى أخبرنا شريح بن يونس أخبرنا هشيم أخبرنا مغيرة عن عثمان عن تميم بن خذلم قال: هى الحسنة التَّبَعُّل، وكانت العرب تقول للمرأة إذا كانت حسنة التبعل إنها العربة،

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد حتى لا يحدث خلط بين الإسنادين.

واحدتها عَرُوب ﴿أَتۡرَابٗا﴾: مستويات فى السن.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا الفريابى أخبرنا عثمان بن أبى شيبة أخبرنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن على بن يزيد عن سعيد بن مسيب عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة، خُردًا، مُردًا، بيضًا، جعادًا، مُكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين سَنة، على خلق آدم طوله ستون ذراعًا فى سبعة أَذرع».

قال المفسرون: هذه مؤمنات نساء الدنيا، ومعنى قوله: ﴿أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ خلقناهن بعد الخلق الأول، وبهذا جاءت الأخبار.

أخبرنا أبو عبد الله الثقفى أخبرنا محمد بن الحسن بن على اليقطينى أخبرنا أحمد بن عبد الله ابن يزيد العقيلى أخبرنا صفوان بن صالح أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا عبد العزيز ابن الحسين عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: دخل رسول الله ﷺ على عائشة رضى الله عنها وعندها عجوز من بنى عامر، فقال: «من هذه العجوز عندك يا عائشة»؟

قالت: إحدى خالاتى يا رسول الله، فقال: «إن الجنة لا تدخلها عجوز». فبلغ ذلك من العجوز كل مبلغ، فلما رجع النبى ﷺ ذكرت له عائشة ما لقيت العجوز، فقال لها: «إنها إذا دخلت الجنة أُنشئت خلقًا آخر».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا أبو زرعة أحمد بن الحسين بن على الرازى أخبرنا أبو على الحسين بن إسماعيل الفارسى نزيل بخارى أخبرنا عيسى بن عمرو بن ميمون البخارى أخبرنا المسيب بن إسحاق أخبرنا عيسى بن موسى غنجار أخبرنا إسماعيل ابن أبى زياد عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أم سلمة زوج النبى ﷺ، أنها قالت: سألت النبى ﷺ عن قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝ عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾ فقال: «يا أم سلمة، هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمط عمش رُمص جعلهن الله بعد الكبر أترابًا على ميلاد واحد من الاستواء».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا الحسن بن عيسى أخبرنا المسيب بن شريك: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾.

قال: هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقًا جديدًا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا. فلما سمعت عائشة رضى الله عنها قالت: وا وجعاه، فقال رسول الله: «ليس هناك وجع».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد بن على بن الحسن الصوفى أخبرنا أبو

مسلم - يعنى الكجى - أخبرنا حجاج أخبرنا مبارك أخبرنا الحسن بن أبى الحسن: أن امرأة عجوزًا كبيرة أتت النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة، فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها العجائز». فولت وهى تبكى.

فقال رسول الله ﷺ: «أخبروها ليست يومئذ عجوزًا فإن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلۡنَـٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝ عُرُبًا أَتۡرَابًا﴾.

وبإسناد المسيب بن شريك حدثنا عبد الرحمن الإفريقى عن سعد بن مسعود قال: إذا دخلت الجنة نساء الدنيا فضلن على الحور العين بصلاتهن فى الدنيا.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الطيب أخبرنا أبو سعد عمرو بن محمد بن منصور أخبرنا أبو بكر محمد بن سليمان بن الحارث الواسطى ببغداد أخبرنا خلاد بن يحيى ابن صفوان السلمى أخبرنا سفيان الثورى عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَـٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «عجائزكن فى الدنيا عمشًا رمضًا فجعلن أبكارًا».

وقيل: هى الحور العين.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عمر بن الخطاب أخبرنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الملك العثمانى أخبرنا العباس بن الوليد أخبرنا عبد الله بن هارون عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلق الحور العين من تسبيح الملائكة فليس فيهن أذًى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلۡنَـٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝ عُرُبًا﴾ [1] عواشق لأزواجهن ﴿أَتۡرَابًا﴾.



﴿لِّأَصۡحَـٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٠ وَأَصۡحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحۡمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤٦ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ۝٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٥٣ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَـٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ۝٥٥

(١) جاء بهامش المخطوط هذه العبارة وربما كانت ساقطة من المتن ونصها: (عُرْبًا): قرأ أبو بكر بإسكان الراء.

هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني من الأمم الماضية ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾ : من أمة محمد ﷺ.

أخبرنا الحسين بن محمد العدل أخبرنا عبد الله ابن عبد الرحمن الدقاق أخبرنا محمد بن عبد العزيز أخبرنا محمد بن الوليد القرشي، وعيسى بن المساور، واللفظ له ـ قالا: أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا عيسى بن موسى أبو محمد وغيره عن عروة بن رؤيم قال: لما أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾ فبكى عمر رضي الله عنه، فقال: يا نبي الله ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾ آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل، فأنزل الله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾ فدعا رسول الله ﷺ عمر، فقال: «يا ابن الخطاب قد أنزل الله تعالى فيما قلت فجعل ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ﴾ فقال عمر رضينا عن ربنا ونصدق نبينا.

فقال رسول الله ﷺ: «من آدم إلينا ثلة، ومنى إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الأسودان إلا سودان من رعاء الإبل ممن قال: لا إله إلاّ الله».

وأنبأني عقيل بن محمد الفقيه أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا بشر أخبرنا يزيد أخبرنا سعد عن قتادة عن الحسن أخبرنا عمران بن حصين عن عبد الله ابن مسعود قال: تحدثنا عند رسول الله ﷺ ذات ليلة حتى أكثرنا الحديث، ثم رجعنا إلى أهلنا، فلما أصبحنا غدونا إلى رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «عرضت عَلَيّ الأنبياء الليلة بأتباعها من أمتها، فكان النبي يجيء معه الثلاثة من أمته، والنبي معه العصابة من أمته، والنبي معه النفر من أمته، والنبي معه الرجل من أمته، والنبي ما معه من أمته أحدٌ، حتى دخل موسى عليه السلام في كبكبة بني إسرائيل، فلما رأيتهم أعجبوني، فقلت: أي رب من هؤلاء؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه من بني إسرائيل، قلت: رب فأين أمتي؟ قيل: انظر على يمينك فإذا ظراب مكة قد سُدت بوجوه الرجال، قلت: من هؤلاء؟ فقيل: هؤلاء أمتك، أرضيت؟ قلت: رب رضيت، قيل: انظر عن يسارك، فإذا الأفق قد سُدَّ بوجوه الرجال.

فقلت: رب من هؤلاء؟ قيل: هؤلاء أمتك، أرضيت؟ قلت: رب رضيت، رب رضيت،

فقيل إن مع هؤلاء سبعين ألفًا من أمتك يدخلون الجنة بلا حساب عليهم».

قال: فأنشأ عكاشة بن محصن رجل من بنى أسد بن خزيمة فقال يا نبى الله ادع ربك أن يجعلنى منهم، قال: «اللهم اجعله منهم» ثم أنشأ رجل آخر، فقال: يا نبى الله ادع ربك أن يجعلنى منهم.

فقال: «سبقك بها عكاشة».

فقال رسول الله ﷺ: «فداكم أبى وأمى إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفًا فكونوا، وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الأفق، فإنى قد رأيت ثَمَّ أُناس يتهاوشون كثيرًا.

قال: قلت: من هؤلاء السبعون؟ فاتفق رأينا على أنهم أناس ولدوا فى الإسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فنمى حديثهم إلى رسول الله ﷺ فقال: «ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

ثم قال رسول الله ﷺ: «إنى لأرجو أن يكون من تبعنى من أمتى ربع أهل الجنة» فكبرنا، ثم قال رسول الله ﷺ: «إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا، ثم قال رسول الله ﷺ: «إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة». ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

وقال مجاهد وأبو العالية، وعطاء بن أبى رباح والضحاك: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعنى سابقى هذه الأمة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ من هذ الأمة فى آخر الزمان.

يدل عليه ما أخبرنا الحسن بن محمد بن فنجويه أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى أخبرنا أبو حنيفة أخبرنا الفضل بن الحباب أخبرنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان بن أبان عن ابن أبى عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «هما جميعًا من أمتى».

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝ فِى سَمُومٍ﴾ ريح حارة.

﴿وَحَمِيمٍ﴾: ماء حار ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾: دخان شديد السواد؛ تقول العرب: اسود يحموم، إذا كان شديد السواد، وأنشد قطرب:

وماء قد شربت ببطن بَرْك   فرات المد كاليحموم جارى

وقال ابن بريدة: اليحموم جبل فى جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار.

﴿لَّا بَارِدٍ﴾: بل حار، لأنه من دخان سعير جهنم ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: ولا عذب؛ عن سعيد بن

جبير: ولا حسن. نظيره: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء: ٧).

قال مقاتل: طيب. وقال قتادة: ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ المنزل، ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ المنظر.

وقال الفراء: العرب تجعل الكريم تابعًا لكل شيء نفت عليه فعلاً فيه ذم. قال ابن كيسان: اليحموم: اسم من أسماء النار. وقال الضحاك: النار سوداء، وأهلها سود، وكل شيء منها أسود.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾: في الدنيا.

﴿مُتْرَفِينَ﴾: منعمين ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾: يقيمون ﴿عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾: الذنب الكبير، وهو الشرك.

وقال أبو بكر الأصم: كانوا يقسمون أن لا بعث وأن الأصنام أنداد لله وكانوا يقيمون عليه، فذلك حنثهم.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: لحق ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ ثم يقال لهم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾: قرأ أهل المدينة، وعاصم، والأعمش، وحمزة، وأيوب: ﴿شُرْبَ﴾ بضم الشين، واختاره أبو حاتم، وقرأ الباقون بفتحه، واختاره أبو عبيد.

وروى عن الكسائي، عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج أنه قال: ذكرت لجعفر بن محمد قراءَةَ أصحاب عبد الله: شَرْبَ الهيم، بفتح الشين. فقال: أما[1] بلغك أن رسول الله ﷺ بعث بُدَيل بن ورقاء إلى أهلِ منى في أيام التشريق فقال: «إنها أيام أكل وشَربٍ وبعَالٍ».

يعني بفتح الشين. وبعدهما لغتان جيدتان.

تقول العرب: شَرَبْتُ شَرَبًا، وشُربًا، وشُرُبًا بضمتين.

قال أبو زيد الأنصاري: سمعت العرب تقول: شَربتُ شِربًا بكسر الشين.

أما الهيم: فالإبل العطاش، وقال عكرمة، وقتادة: هو داء بالإبل لا تروى معها ولا تزال تشرب حتى تهلك، ويقال لذلك الداء الهيام. ويقال: جمل أهيم، وناقة هيماء، وإبل هيم. وقال لبيد:

أجمرت على معارفها بشعث ... واطلاع من المهرى هيم

(١) في متن المخطوط: «إنما»، وفي الهامش «أما» وهو تصويب من الناسخ فأثبته بالمتن.

وقال الضحاك، وابن عيينة، وابن كيسان: (الهيم): الأرض السهلة ذات الرمل.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾: رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾: تصبون فى الأرحام من النطف.

وقرأ أبو السماك: (تَمنون)، بفتح التاء. وهما لغتان.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾: خفيف مكى، غيره بالتشديد ﴿بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾: فمنكم من يعيش إلى أن يبلغ الهَرَم، ومنكم من يموت شابًا وصبيًا صغيراً ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: عاجزين عن إهلاككم ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أو إبدالكم بأمثالكم، فذلك قوله عز وجل ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾: خلقكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من الصور؛ قال مجاهد: فى أى خلق شئنًا.

وقال سعيد بن المسيب: ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعنى فى حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف، وبرهوت واد باليمن(١)، وقال الحسن: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أى نبدل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم.

وقال السدى: نخلقكم فى سوى خلقكم.



﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ

(١) سقط من أصل المخطوط الأوراق التى تحمل تفسير باقى سورة الواقعة وأنا أستتم ما سقط من تفسير القرطبى حيث إن القرطبى ينقل معظم ما ورد عند الثعلبى نصًا خصوصًا فى اللغة، والقراءات وأقوال المفسرين كابن جرير، ومجاهد، وابن عباس... إلخ، فرأيت من وجهة نظرى أنه أفضل ما يمكن أن يستتم به ما سقط من هذا الكتاب والله أعلم وهو الموفق والهادى للصواب وأضع ما سقط ابتداءً أول المعقوف وفى النهاية إن شاء الله أغلق المعقوف وأسير هناك إلى النهاية مع حذف بعض ما أرى أنه مكرر من الآيات أو الإطالة فى الشرح أو بعض العبارات اليسيرة والله الموفق.

مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ﴾: أى الخلقة ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ أى إذا خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئًا، عن مجاهد وغيره. وقال قتادة والضحاك: يعنى خلق آدم عليه السلام ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أى فهلا تذكرون؟ أى قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم وفى الخبر: عجبًا كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبًا للمصدق بالنشأة الأخرى وهو لا يسعى لدار القرار.

وقال الحسين بن الفضل فى هذه الوجوه: وإن كانت غير مردودة، فالذى عندى فى هذه الآية ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أى خلقتكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون كيف شئت وذلك أنكم علمتم النشأة الأولى كيف كانت فى بطون الأمهات وليست الأخرى كذلك.

وقراءة العامة: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ بالقصر. وقرأ مجاهد، والحسن، وابن كثير، وأبو عمرو: (النَّشَاءَةَ) بالمد. وقد مضى فى العنكبوت بيانه.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: حُجة أخرى أى أخبرونى عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر، أنتم تنبتونه وتحصلونه زرعًا فيكون السنبل، والحب أم نحن نفعل ذلك؟ وإنما منكم البذر وشق الأرض، فإذا أقررتم بأن إخراج السنبل من الحب ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟ وأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى لأن الحرث فعلهم، ويجرى على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم.

أخبرنى الحسين، حدثنا عمر بن محمد بن على الزيات، حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن مرزوق، حدثنا مسلم بن أبى مسلم الجرمى، حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله».

قال أبو هريرة: ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾

والمستحب لكل من يلقى البذر فى الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ الآية، ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ، اللهم صلى على محمد، وارزقنا ثمره، وجنبنا ضرره، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وبارك لنا فيه يا رب العالمين.

ومعنى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ أى تجعلونه زرعًا وقد يقال: فلان زرّاع كما يقال حرّاث، أى يفعل ما يؤول إلى أن يكون زرعًا يعجب الزراع.

وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الأرض وتكريبها تجوزًا.

قلت[1]: فهو نهى إرشاد لا حظر وإيجاب. ومنه قوله عليه السلام: «لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى، وليقول: غلامى، وجاريتى، وفتاى، وفتاتى» . . . وقد بالغ بعض العلماء فقال: لا يقل حرثت فأصبت، بل يقل: أعاننى الله فحرثت، وأعطانى بفضله ما أصبت.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾: أى متكسرًا يعنى الزرع، والحطام الهشيم الهالك الذى لا ينتفع به فى مطعم ولا غذاء. فنبه بذلك أيضًا على أمرين أحدهما: ما أولاهم به من النعم فى زرعهم إذ له يجعله حطامًا ليشكروه.

والثانى: ليعتبروا بذلك فى أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع حطامًا إذا شاء كذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: أى تعجبون بذهابها وتندمون مما حَلّ بكم قاله الحسن، وقتادة وغيرهما.

وفى الصحاح: تفكه أى تعجب، ويقال: تندم قال الله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أى تندمون وتفكهت بالشىء تمتعت به. وقال يمان: تندمون على نفقاتكم، دليله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ (الكهف: ٤٢). وقال عكرمة: تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله التى أوجبت عقوبتكم حتى نالكم فى زرعكم. وقال كيسان: تحزنون. والمعنى متقارب، وفيه لغتان: تفكهون، تفكنون. قال الفراء: والنون لغة عُكْل. وفى الصحاح: التفكن: التندم على ما فات. وقيل: التفكه، التكلم فيما لا يعنيك، ومنه قيل للمزاح فُكَاهة بالضم، أما الفكاهة بالفتح فمصدر فَكِهَ الرجل بالكسر فهو فَكِهٌ إذا كان طيب النفس مَزّاحا.

وقراءة العامة: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ بفتح الظاء. وقرأ عبد الله: ﴿فَظِلْتُمْ﴾ بكسر الظاء، ورواها هارون عن حسين عن أبى بكر. فمن فتح فعلى الأصل، والأصل: ظَلَلْتم، فحذف اللام الأولى

(١) أى القرطبى، وقد نقلت كلامه هنا لأهميته جدًا إذ بالغ كثير من الناس فى مثل هذه المسائل فرأيت أن نقله قد يفيد والله أعلم.

تخفيفًا، ومن كسر نقل كسرة اللام الأولى إلى الظاء ثم حذفها.

﴿إِنَّا﴾ وقرأ أبو بكر، والمفضل: أئنا. بهمزتين على الاستفهام، ورواه عاصم عن زر ابن حبيش. وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر، أى يقولون: ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ أى معذبون. عن ابن عباس، وقتادة قالا: والغرام العذاب، ومنه قول ابن المحلِّم.

وثقت بأن الحفظ منى سجية وأن فؤادى مُتبل بك مُغْرَمُ

وقال مجاهد، وعكرمة: المولع بنا، ومنه قول النمر بن تولب:

سلام عن تذكره تكتما وكان رهينا بها مغرما

يقال: أغرم فلان فلانة أى أولع بها ومنه الغرام، وهو الشر اللازم.

وقال مجاهد أيضًا: لملقون للشر. وقال مقاتل بن حيان: مهلكون. وقال النحاس: ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ مأخوذ من الغرام وهو الهلاك، كما قال:

يوم النسار ويوم الجفَا كانا عذابًا وكانا غراما

الضحاك وابن كيسان: هو من الغُرم، والمُغْرَم: الذى ذهب ماله بغير عوض أى غرمنا الحب الذى بذرناه، وقال مُرَّة الهمدانى: محاسبون.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أى حرمنا ما طلبنا من الريع. والمحروم: الممنوع من الرزق. والمحروم: ضد المرزوق وهو المحارف فى قول قتادة.

وعن أنس: أن النبى ﷺ مَرَّ بأرض الأنصار فقال: «ما يمنعكم من الحرث»؟ قالوا: الجدوبة، فقال: «لا تفعلوا فإن الله تعالى يقول أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء وإن شئت زرعت بالريح، وإن شئت بالبذر». ثم تلا: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾.

قلت[1]: وفى هذا الخبر والحديث الذى قبله ما يصحح قول من أدخل الزارع فى أسماء الله سبحانه، وأباه الجمهور من العلماء وقد ذكرنا ذلك فى الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى.

---

(١) أى القرطبى، وذكرت هذا القول له لأهميته فى البيان أن هناك خلاف أسماء الله الحسنى وأن حديث الترمذى الذى حوى الأسماء التسعة والتسعين ضعيف.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ لتحيوا به أنفسكم، وتسكنوا به عطشكم لأن الشراب إنما يكون تبعًا للمطعوم، ولهذا جاء الطعام مقدمًا فى الآية قبل؟ ألا ترى أنك تسقى ضيفك بعد أن تطعمه.

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أى السحاب الواحدة مُزنة، فقال الشاعر:

فنحن كماء المزن ما فى نصابنا كهام ولا فينا يُعد بخيل

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما: إن المزن السحاب. وعن ابن عباس أيضًا والثورى: المُزن السحاب والسماء.

وفى الصحاح: قال أبو زيد: المُزنة: السحابة، والجمع: مُزن، والمزنة: المَطْرَة، قال:

ألم تر أن الله أنزل مزنةً وعُفْرُ الظباء فى الكنَاس تَقَمَّعُ

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ أى فإذا عرفتم بأنى أنزلته فَلِمَ لا تشكرونى بإخلاص العبادة لى؟

وَلِمَ تنكرون قدرتى على الإعادة؟

﴿أُجَاجًا﴾ أى ملحًا شديد الملوحة، قاله ابن عباس. وقال الحسن: مرًّا قعاعًا لا تنتفعون به فى شرب ولا زرع، ولا غيرهما.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾أى فهلا تشكرون الذى صنع ذلك بكم. قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أى أخبرونى عن النار التى تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب. ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ يعنى التى تكونْ منها الزناد وهى المَرْخُ والعَفَار.

ومنه قولهم: فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، أى استكثرا منها، كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما. ويقال: لأنهما يُسرعان الورى. ويقال: أوريت النار إذا قدحتها.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ أى المخترعون الخالقون، أى فإذا عرفتم قدرتى فاشكرونى ولا تنكروا قدرتى على البعث.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ يعنى نار الدنيا موعظة للنار الكبرى، قاله قتادة. وقال مجاهد: تبصرة للناس من الظلام. وصح عن النبى ﷺ أنه قال: «إن ناركم هذه التى توقد بنو آدم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم». فقالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلّهن مثل حَرِّها».

﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال الضحاك: أى منفعة للمسافرين سموا بذلك لنزولهم القوى وهو القفر. وقال الفراء: إنما يقال للمسافرين مُقْوين إذا نزلوا القِىّ وهى الأرض القفر التى لا شىء

فيها، وكذلك القوى، والقواء بالمدّ والقصر، ومنزل قواء لا أنيس به. يقال: أقوت الدار وقويت أيضًا أى خلت من سكانها، قال النابغة:

يا دار ميـــة بالعليـاء فالسنـــد بها أَقْوَتْ وطال عليها سالف الأمد

وقال عنترة:

حبيت منْ طَلَلٍ تقـادم عَهْـــدُهُ أقوى وأقْفَرَ بعد أُمّ بعد أُمِّ الهَيْثَم

ويقال: أقوى، أى قوِّى وقَوى أصحابه. وأقوى إذا سافر، أى نزل القَوَاء والقىّ.

وقال مجاهد: (للمقوين) للمستمتعين بها من الناس أجمعين فى الطبخ، والخبز، والاصطلاء، والاستضاءة، ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله منها. وقال ابن زيد: للجائعين فى إصلاح طعامهم؛ يقال: أقويت مذ كذا وكذا، أى ما أكلت شيئًا. وبات فلان القواء، وبات القفَر، إذا بات جائعًا على غير طعام، قال الشاعر:

وإنى لأختار القوى طاوى الحَشَى محافظـــة من أن يقـــال لئيم

وقال الربيع والسدى: المقوين المنزلين لا زناد معهم يعنى نارًا يوقدون فيختبزون بها. ورواه العوفى عن ابن عباس وقال قطرب: المُقوى من الأضداد، يكون بمعنى الفقير، ويكون بمعنى الغنى، ويقال: أقوى الرجل، إذا لم يكن معه زاد، وأقوى إذا قويت دوابه وكثر ماله.

وقال المهدوى: الآية تصلح للجميع لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغنى والفقير. وحكى الثعلبى: أن أكثر المفسرين على القول الأول. وقال القشيرى: وخص المسافر بالانتفاع بها لأن انتفاعه بها أكثر من نفعة المقيم لأن أهل البادية لابدّ لهم من النار يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع وفى كثير من حوائجهم.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أى نزه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد والعجز عن البعث.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» صلة فى قول أكثر المفسرين، والمعنى فأقسم بدليل قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ وقال الفراء: هى نفى والمعنى ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف ﴿أُقْسِمُ﴾ وقد يقول الرجل: لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفى اليمين بل يريد به نفى كلام تقدم، أى ليس الأمر كما ذكرت بل هو كذا.

وقيل: «لا» بمعنى ألاَ للتنبيه كما قال:

❖ ألاَ عِمْ صَبَاحًا أيها الطلل البالى ❖

ونبه بهذا على فضيلة القرآن ليتدبروه، وإنه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا.

وقرأ الحسن، وحميد وعيسى بن عمر: فَلأُقسم، بغير ألف بعد اللام على التحقيق، وهو فعل حال، ويقدر مبتدأ محذوف، التقدير: فلأَنا أقسم بذلك. ولو أريد به الاستقبال للزمت النونَ، وقد جاء حذف النون مع الفعل الذى يراد به الاستقبال وهو شاذ قوله تعالى: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ مواقع النجوم: مساقطها، ومغارها فى قول قتادة وغيره[1].

وقال عطاء بن أبى رباح: منازلها. وقال الحسن: انكدارها وانتثارها يوم القيامة. وقال الضحاك: هى الأنواء التى كان أهل الجاهلية يقولون: إذا مطروا قالوا: مُطِرْنا بنوء كذا. وقال الماوردى: ويكون قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ مستعملاً على حقيقته من نَفى القسم. وقال القشيرى: هو قسم، و لله تعالى أن يقسم بما يريد، وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة. يدل على هذا قراءة الحسن: فلأ قسم، وما أقسم به سبحانه من مخلوقاته فى غير موضع من كتابه.

وقال ابن عباس: المراد بمواقع النجوم، نزول القرآن نجومًا أنزل الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العالية إلى السفرة الكاتبين، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام عشرين سنة، فهو ينزله على الأحداث من أمته، حكاه الماوردى عن ابن عباس، والسدى.

وقال أبو بكر الأنبارى: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى حدثنا حجاج بن المنال حدثنا همام عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل إلى الأرض نجومًا، وفرق بعد ذلك خمس آيات، خمس آيات، وأقل، وأكثر، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ﴾

وحكى الفراء عن ابن مسعود: أن مواقع النجوم هو محكم القرآن.

وقرأ حمزة، والكسائى: بموقع، على التوحيد وهى قراءة عبد الله بن مسعود، والنخعى والأعمش، وابن محيصن، ورويس عن يعقوب. وقرأ الباقون على الجمع. فمن أفرد فلأنه اسم جنس يؤدى الواحد فيها عن الجمع، ومن جمع فلاختلاف أنواعه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: إن الهاء تعود على القرآن، أى أن القرآن لقسم عظيم، قاله ابن عباس وغيره، وقيل: ما أقسم الله به عظيم ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ﴾ ذكر المقسم

---

(١) قال الأستاذ الدكتور زغلول النجار فى تفسيره العلمى لهذه الآية: إن ما نراه فى السماء ليس نجومًا كما نظن أو نعتقد وإنما هى مواقع كان فيها النجم وقد تركها ومضى منذ مئات السنين، وهذا معنى ما ذكر فى تفسيره غفر الله لنا وله وأسكنا وإياه فسيح جناته برحمته آمين.

عليه، أى أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن قرآن كريم ليس بسحر، ولا كهانة، وليس بمفترى بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزة لنبيه ﷺ، وهو كريم على المؤمنين لأنه كلام ربهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء لأنه تنزيل ربهم ووحيه. وقيل: كريم، أى غير مخلوق. وقيل: كريم لمَ فيه من كريم الأخلاق ومعالى الأمور. وقيل: لأنه يكرم حافظه، ويعظم قارئه. قوله تعالى: ﴿فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ مصون عند الله تعالى.

وقيل: ﴿مَّكْنُونٍ﴾ محفوظ عن الباطل. والكتاب هنا كتاب فى السماء، قاله ابن عباس. وقال جابر بن زيد، وابن عباس أيضًا: هو اللوح المحفوظ. وقال عكرمة: التوراة والإنجيل فيهما ذكر القرآن، ومن ينزل عليه. وقال السدى: الزبور. وقال مجاهد، وقتادة: هو المصحف الذى فى أيدينا.

❖ ❖ ❖

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ اختلف فى معنى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ هل هو حقيقة فى المس بالجارحة أو معنى؟ وكذلك اختلف فى ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من هم؟

فقال أنس، وسعيد بن جبير: لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب، وهم الملائكة. وكذا قال أبو العالية، وابن زيد: إنهم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة، والرسل من بنى آدم، فجبريل النازل به مطهر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مطهرون. وقال الكلبى: هم السفرة الكرام البررة. وهذا كله قول واحد، وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال: أحسن ما سمعت فى قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أنها بمنزلة الآية التى فى ﴿عَبَسَ

وَتَوَلَّىٰ﴾: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ (عبس: ١٢-١٦) يريد أن المطهرون هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة فى سورة عبس. وقيل: معنى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ لا ينزل به ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء، وقيل: لا يمس اللوح المحفوظ الذى هو الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهرون. وقيل: إن إسرافيل هو الموكل بذلك، حكاه القشيرى (عن)[1] ابن العربى. وهذا باطل لأن الملائكة لا تناله فى وقت، ولا تصل إليه بحال، ولو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء فيه مجال. وأما من قال: إنه الذى بأيدى الملائكة فى الصحف. فهو قول محتمل، وهو اختيار مالك. وقيل: المراد بالكتاب المصحف الذى بأيدينا، وهو الأظهر.

وقد روى مالك وغيره أن فى كتاب عمرو بن حزم الذى كتبه له رسول الله ﷺ ونسخته: «من محمد النبى إلى شرحبيل بن عبد كلال، والحارث بن عبد كلال، ونعيم ابن عبد كلال قَيْل ذى رُعين، ومعافر، وهمدان أما بعد».

وكان فى كتابه: أن لا يمس القرآن إلا طاهر.

وقال ابن عمر قال النبى ﷺ: (لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر) وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه، وقد دخل عليها، ودعا بالصحيفة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ فقام واغتسل وأسلم.

وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من الأحداث والأنجاس. وقال الكلبى: من الشرك. وقال الربيع بن أنس: من الذنوب والخطايا.

وقيل معنى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾: لا يقرؤه إلا المطهرون الموحدون، قاله محمد بن فضيل، وعبيدة. قال عكرمة: كان ابن عباس ينهى أن يمكن أحد من اليهود والنصارى من قراءة القرآن. وقال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه وبركته إلا المطهرون أى المؤمنون بالقرآن. وقال ابن العربى: وهو اختيار البخارى، قال النبى ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيًا».

وقال الحسين بن الفضل: لا يعرف تفسيره وتأويله إلاّ من طهره الله من الشرك، والنفاق، وقال أبو بكر الوراق: لا يوفق للعمل به إلاّ السعداء وقيل المعنى: لا يمس ثوابه إلاّ المؤمنون، ورواه معاذ عن النبى ﷺ. ثم قيل: ظاهر الآية خبر عن الشرع، أى لا يمسه إلاّ المطهرون شرعًا، فإن وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع، وهذا اختيار القاضى أبى بكر بن العربى، وأبطل أن يكون لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر.

---

(١) زيادة يتطلبها السياق، وابن عربى هذا صوفى اتهم بالحلول وقتل على ما أعلن من القول فى ذات الله تعالى.

وقال المهدوى: يجوز أن يكون أمراً وتكون ضمة السين ضمة إعراب. ويجوز أن يكون نهيًا، وتكون ضمة السين ضمة بناء، والفعل مجزوم.

واختلف العلماء فى مس المصحف على غير وضوء: فالجمهور على المنع من مسه لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب عَلى، وابن مسعود، وسعد ابن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وعطاء، والزهرى، والنخعى، والحاكم، وحماد، وجماعة من الفقهاء منهم مالك، والشافعى.

واختلفت الرواية عن أبى حنيفة، فروى عنه أنه يمسه المحدث، وقد روى هذا عن جماعة من السلف منهم: ابن عباس، والشعبى وغيرهما. وروى عنه أنه يمس ظاهره وحواشيه، وما لا مكتوب فيه، وأما الكتاب فلا يمسه إلا طاهر. وقال ابن العربى: وهذا إن سلّمه مما يُقَوّى الحجة عليه لأن حريم الممنوع ممنوع. وفيما كتبه النبى ﷺ لعمرو بن حزم أقوى دليل عليه. وقال مالك: لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة. وقال أبو حنيفة: لا بأس بذلك، ولم يمنع من يحمله بعلاقة أو مسه بحائل. وقد روى عن الحكم، وحماد، وداود بن على: أنه لا بأس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرًا أو مُحْدثًا إلاّ أن داود قال: لا يجوز للمشرك حمله، واحتجوا فى إباحة ذلك بكتاب النبى ﷺ قيصر، وهو موضع ضرورة، فلا حجة فيه. وفى مس الصبيان إياه على وجهين: أحدهما: المنع اعتباراً بالبالغ. والثانى: الجواز، لأنه لو منع لم يحفظ القرآن لأن تعلمه حال الصغر، ولأن الصبى وإن كانت له طهارة إلا أنها ليست بكاملة، لأن النية لا تصح منه، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة جاز أن يحمله محدثًا.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أى منزل كقولهم ضَرْب الأمير، ونسج اليمن، وقيل: ﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ . وقيل: أى هو تنزيل.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعنى القرآن. ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أى مكذبون، قاله ابن عباس، وعطاء، وغيرهما. والمدهن: الذى ظاهره خلاف باطنه كأنه شبه بالدهن فى سهولة ظاهره. وقال مقاتل بن سليمان، وقتادة: مدهنون كافرون. نظيره: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم: ٩). وقال المؤرج: المدهن المنافق أو الكافر الذى يُلين جانبه ليُخْفى كفره. والإدهان، والمداهنة: التكذيب والكفر والنفاق، وأصله اللين، وأن يُسِرَّ خلاف ما يظهر به.

قال قيس بن الأسلت:

الحـزم والقـوة خير مـن الإدهان والفَهَّة[١] والهَاع[٢]

وادهـن وداهن واحـد. وقال قـوم: داهنت واريت. وادهنت بمعنى غششت. وقال الضحاك: ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ معرضـون، وقال مجاهد: ممالئون الكفار على الكفر به وقال ابن كيسان: المدهن الذى لا يعقل ما حق الله عليه، ويدفعه بالعلل. وقال بعض اللغويين ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ تاركون للحزم فى قبول القرآن.

قـوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عباس: تجعلون شرككم التكذيب. وذكر الهيثم بن على: أن من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان، أى ما شكره.

وإنما صلح أن يوضع اسم الرزق مكان شكره لأن شكر الرزق يقتضى الزيادة فيه، فيكون الشكر رزقًا على هذا المعنى فقيل: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أى شكر رزقكم الذى لو وجد منكم لعاد رزقًا لكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بالرزق أى تضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ (الأنفال: ٣٥) أى لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة. ففيه بيان أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغى أن يروى من قبل الوسائط التى جرت العادة بأن تكون أسبابًا بل ينبغى أن يروها من قبل الله تعالى، ثم يقابلونه بشكر إن كان نعمة أو صبر إن كان مكروها تعبدًا له وتذللاً. وروى عن على بن أبى طالب أن النبى ﷺ قرأ: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. حقيقة. عن ابن عباس: أن المراد به الاستسقاء بالأنواء، وهو قول العرب مُطرنا بنوء كذا. رواه على بن أبى طالب عن النبى ﷺ. وفى صحيح مسلم: عن ابن عباس قال: مُطر الناس على عهد النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: «أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر قالوا: هذه رحمة وضعها الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا» قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

وعنه أيضًا: أن النبى ﷺ خرج فى سفر فعطشوا، فقال النبى ﷺ: «أرأيتم إن دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم تقولون هذا المطر بنوء كذا». فقالوا: يا رسول الله، ما هذا بحين الأنواء، فصلى ركعتين، ودعا ربه، فهاجت ريح، ثم هاجت سحابة فمطروا حتى سالت الأودية وملئوا الأسقية، ثم ركب رسول الله ﷺ فمر النبى ﷺ ومعه عصابة من أصحابه برجل يغترف بقدح له، وهو يقول: سقينا بنوء كذا، ولم يقل هذا من رزق الله، فنزلت: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ

(١) الفَهَّة: العىّ.

(٢) والهاع: سوء الحرص مع الضعف.

أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أى شكركم لله على رزقه إياكم أنكم تكذبون بالنعمة، وتقولون سقينا بنوء كذا، كقولك: جعلت إحسانى إليك إساءة منك إلىّ، وجعلت إنعامى لديك أن اتخذتنى عدوًا.

وفى الموطأ عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: (أتدرون ماذا قال ربكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، (قال)[1]: «قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك مؤمن بالكوكب كافر بى».

قال الشافعى رحمه الله: لا أحب أحدًا أن يقول مطرنا بنوء كذا وكذا وإن كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يمطر ولا يحبس شيئًا من المطر، والذى أحب أن يقول: مطرنا وقت كذا، كما تقول: شهر كذا، ومن قال مطرنا بنوء كذا وهو يريد النوء أنزل الماء كما عنى بعض أهل الشرك من الجاهلية بقوله: فهو كافر حلال دمه إن لم يتب.

وقال أبو عمر بن عبد البر: وأما قوله عليه الصلاة والسلام حاكيًا عن الله سبحانه «أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر». فمعناه عنى على وجهين: أما أحدهما: فإن المعتقد بأن النوء هو الموجب لنزول الماء وهو المنشئ للسحاب دون الله عز وجل فذلك كافر كفرًا صريحًا يجب استتابته عليه وقتله إن أَبى لنبذه الإسلام، ورده القرآن.

والوجه الآخر: أن يعتقد أن النوء ينزل الله به الماء، وأنه سبب الماء على ما قدره الله، وسبق فى علمه، وهذا وإن كان وجهًا مباحًا، فإن فيه أيضًا كفرًا بنعمة الله عز وجل وجهل بلطيف حكمته فى أنه ينزل الماء متى شاء مرة بنوء كذا، ومرة بنوء كذا، وكثيرًا ما ينوء النوء فلا ينزل معه شىء من الماء، وذلك من الله تعالى لا من النوء.

وكذلك كان أبو هريرة يقول: إذا أصبح وقد مُطر: مطرنا بنوء الفتح، ثم يتلو: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر: ٢). قال أبو عمر: وهذا عندى نحو قول رسول الله ﷺ: «مطرنا بفضل الله ورحمته». ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب للعباس ابن عبد المطلب حين استسقى به: يا عم رسول الله ﷺ كم بقى من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يزعمون أنها يعترض فى الأفق سبعًا بعد سقوطها، فما مضت سابعة حتى مطروا. فقال عمر: الحمد لله هذا بفضل الله ورحمته. وكان عمر رحمه الله قد علم أن نوء الثريا وقت يرجى فيه المطر،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

ويؤمل فسأله عنه أَخَرَجَ أم بقيت منه بقية؟

وروى سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أمية: أن نبى الله ﷺ سمع رجلاً فى بعض أسفاره يقول مطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، بل هو سُقْيا الله عز وجل». قال سفيان: عثانين الأسد: الذراع والجبهة.

وقراءة العامة: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ من التكذيب. وقرأ المفضل عن عاصم، ويحيى بن وثاب تَكْذبون، مخففا، ومعناه ما قدّمناه من قول من قال: مطرنا بنوء كذا.

وثبت من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لم يزلن فى أمتى التفاخر فى الأحساب، والنياحة، والأنواء» ولفظ مسلم فى هذا: «أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم، والنياحة».

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أى فهلاّ إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم، ولم يتقدم لها ذكر لأن المعنى معروف، قال حاتم:

أماوى مـا يُغْنى الثراء عن الفنى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

وفى حديث: «إن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق، ويجمعون الروح شيئًا فشيئًا حتى ينتهى بها إلى الحلقوم فيتوفّاها ملك الموت». ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أمرى وسلطانى. وقيل: تنظرون إلى الميت لا تقدرون له على شيء، وقال ابن عباس: يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه. ثم قيل: هو ردٌّ عليهم فى قولهم لإخوانهم ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ (آل عمران: ١٥٦) أى فهل ردوا روح الواحد منهم إذا بلغت الحلقوم.

وقيل: المعنى: فهلاّ إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزع، وأنتم حضور أمسكتم روحه فى جسده مع حرصكم على امتداد عمره، وحبكم لبقائه. وهذا رد لقولهم: نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدَّهر.

وقيل: هو خطاب لمن هو فى النزع أى إن لم يكن ما بك من الله فهلاّ حفظت على نفسك الروح.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أى بالقدرة، والعلم، والرؤية. قال عامر بن عبد القيس: ما نظرت إلى شيء إلاّ رأيت الله تعالى أقرب إلىّ منه. وقيل: أراد؛ ورسلنا الذين يتولون قبضه أقرب إليه منكم. ﴿وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أى لا ترونهم. قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أى فهلاّ إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين بأعمالكم. ومنه قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (الصافات: ٥٣) أى مجزيون محاسبون، وقد تقدم. وقيل: غير مملوكين ولا مقهورين: قال

الفراء وغيره: دنته ملكته، وأنشد للحطيئة:

لقد دُيِّنْت أمر بَنيك حتى تركْتهم أدقّ من الطَّحين

يعنى مُلِّكْت. ودانه أى أذله، واستعبده، يقال: دنْته فَدَانَ..

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ ترجعون الروح إلى الجسد. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أى ولن ترجعوها، فبطل زعمكم أنكم غير مملوكين، ولا محاسبين، و﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ جواب لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾، ولقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أُجيبا بجواب واحد. قال الفراء: وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٣٨) أُجيبا بجواب واحد، وهما شرطان. وقيل: حذف أحدهما بدلالة الآخر عليه. وقيل: فيها تقديم وتأخير مجازه: فلولا وهلاّ إن كنتم غير مدينين ترجعونها تردون نَفْس هذا الميت إلى جسده إذا بلغت الحلقوم.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث وبين درجاتهم فقال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ هذا المتوفى: ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ وقراءة العامة: ﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء، ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا. وقال الحسن: الروح الرحمة. وقال الضحاك: الروح الاستراحة. وقال القتبى: المعنى له فى القبر طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الروح: النظر إلى وجه الله تعالى، والريحان: الاستماع لكلامه ووحيه.

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ هو ألا يحجب فيها عن الله عز وجل. وقرأ الحسن، وقتادة، ونصر بن عاصم، والجحدرى، ورُوَيس، وزيد عن يعقوب: (فَرُوحٌ) بضم الراء، ورويت عن ابن عباس. قال الحسن: الروح الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم. وقالت عائشة رضى الله عنها: قرأ النبى ﷺ: (فَرُوح)، بضم الراء، ومعناه: فبقاء له وحياة فى الجنة وهذا هو الرحمة.

﴿وَرَيْحَانٌ﴾ قال مجاهد، وسعيد بن جبير: أى رزق. قال مقاتل: هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت أطلب ريحان الله أى رزقه. قال النمر بن تولب:

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء دِرَرْ

وقال قتادة: إنه الجنة. وقال الضحاك: الرحمة. وقيل: الريحان المعروف الذى يُشَم، قاله الحسن، وقتادة أيضًا. وقال الربيع بن خثيم: هذا عند الموت، والجنة مخبوءة إلى أن يبعث. وقال أبو الجوزاء: هذا عند قبض روحه يتلقى بضبائر الريحان.

وقال أبو العالية: لا يفارق أحد روحه من المقربين فى الدنيا حتى يؤتى بغصنين من ريحان

فيشمهما، ثم يقبض روحه فيهما. وأصل ريحان واشتقاقه تقدم فى أول سورة الرحمن، فتأمله[١]. وقد سرد الثعلبى فى الروح والريحان أقوالا كثيرة سوى ما ذكرنا من أرادها وجدها هناك[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أى: ﴿إِن كَانَ﴾ هذا المتوفى ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾. ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أى لست ترى منهم إلاّ ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم، فإنهم يسلمون من عذاب الله. وقيل: المعنى سلام لك منهم: أى أنت سالم من الاغتمام لهم، والمعنى واحد. وقيل: أى إن أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلى الله عليك ويسلم. وقيل: المعنى إنهم يسلمون عليك يا محمد. وقيل: معناه سلمت أيها العبد مما تكره فإنك من أصحاب اليمين، فحذف إنك. وقيل: إنه يحيى بالسلام إكرامًا. فعلى هذا فى محل السلام ثلاثة أقاويل: أحدها عند قبض روحه من الدنيا. يسلم عليه ملك الموت، قاله الضحاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام..

الثانى: عند مساءلته فى القبر يسلم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه فى القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها. قلت: وقد يحتمل أن تسلم عليه فى المواطن الثلاثة، ويكون ذلك إكرامًا بعد إكرام، والله أعلم.

وجواب ﴿إِن﴾ عند المبرد، محذوف والتقدير: مهما يكن من شىء فسلام لك من أصحاب اليمين. فحذف جواب الشرط لدلالة ما تقدم عليه كما حذف الجواب فى نحو قولك: أنت ظالم إن فعلت لدلالة ما تقدم عليه. ومذهب الأخفش: أن الفاء جواب ﴿أَمَّآ﴾ و﴿إِن﴾.

ومعنى ذلك: أن الفاء جواب ﴿أَمَّآ﴾ وقد سدت مسدّ جواب ﴿إِن﴾ على التقدير المتقدم والفاء جواب لهما على هذا الحد. ومعنى ﴿أَمَّآ﴾ عند الزجاج: الخروج من شىء إلى شىء، أى دع ما كنا فيه وخذ فى غيره. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث. ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الهدى وطريق الحق ﴿فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ أى فلهم رزق من حميم، كما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝ لَأٓكِلُونَ﴾ (الواقعة: ٥٠، ٥١)، وكما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ (الصافات: ٦٧). ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ إدخال فى النار. وقيل: إقامة فى الجحيم، ومقاساة لأنواع

(١) فى تفسير القرطبى وليس فى هذا الكتاب.
(٢) عفواً هذا قول القرطبى عما ذكر الثعلبى هنا وللأسف فقد سقطت الأوراق التى يشير إليها القرطبى من هذا الموضع ولهذا أنا أنقل عنه تفسير ما سقط من تلك السورة.

عذابها، يقال: أصلاه النار، أى جعله يصلاها. والمصدر ههنا أضيف إلى المفعول، كما يقال: لفلان أعطاء مال، أى يعطى المال. وقرئ: وتَصْلِيَة، بكسر التاء أى ونزل من تصلية جحيم.

ثم أدغم أبو عمرو التاء فى الجحيم وهو بعيد.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أى هذا الذى قصصناه محض اليقين وخالصه.

وجاز إضافة الحق إلى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما. قال المبرد: هو كقولك عين اليقين، ومحض اليقين فهو من باب إضافة الشىء إلى نفسه عند الكوفيين. وعند البصريين حق الأمر اليقين أو الخبر اليقين. وقيل: هو توكيل. وقيل: أصل اليقين أن يكون نعتًا للحق فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز، كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ (يوسف: ١٠٩).

وقال قتادة فى هذه الآية: إن الله ليس بتارك أحدًا من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر: فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أى نزه الله تعالى عن السوء، والباء زائدة أى سبح اسم ربك. الاسم المسمى. وقيل: ﴿فَسَبِّحْ﴾ أى فصل بذكر ربك، وبأمره. وقيل: فاذكر اسم ربك، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا ابن شنبة، حدثنا حمزة بن محمد الكاتب، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب الغافقى عن عمه وهو إياس بن عامر عن عقبة بن عامر قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال النبى ﷺ: «اجعلوها فى ركوعكم» ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١)، قال النبى ﷺ: «اجعلوها فى سجودكم». خرجه أبو داود. والله أعلم[1].



(١) هذه السورة سقطت من أثناء الآية (٥٩) إلى آخر السورة وما هنا فهو من تفسير القرطبى فيلاحظ ذلك أثناء الشرح حتى لا يحدث خلط بين شرح الثعلبى، والقرطبى والله الموفق والهادى للصواب.

سُورَةُ الحَدِيدِ

مدنية، وهى ألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفًا،
وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وتسع وعشرون آية[1]

أخبرنا أبو الحسين المقرئ، حدثنا أبو بكر الإسماعيلى، حدثنا أبو الشيخ الأصفهانى قالا، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك، حدثنا أحمد بن يونس اليربوعى، حدثنا سلام بن سليم المدائنى، حدثنا هارون بن كثير، حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة، عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله».

عن العرباض بن سارية: أن النبى ﷺ كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد، ويقول: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية» يعنى بالمسبحات: الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا

(١) لم يكتب هنا عدد حروف السورة ولا عدد كلماتها لسقط أوراق افتتاحيتها ضمن ما سقط من أوراق المخطوط، وأنا أنقل هنا من تفسير القرطبى حتى نهاية الآية الثانية من السورة حتى أستدرك ما سقط بأقرب أسلوب إلى أسلوب المؤلف وسبق أن بينت أن القرطبى ينقل كثيراً نصًا من الثعلبى.

لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أى مجد الله تعالى ونزهه عن السوء. وقال ابن عباس: صلى لله ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ممن خلق من الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ من شىء فيه رُوح أو لا روح فيه. وقيل: هو تسبيح الدلالة. وأنكر الزجاج هذا وقال: لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور الصنعة لكانت مفهومة، فَلِمَ قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء:٤٤) وإنما هو تسبيح مقال.

واستدل بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ (الأنبياء:٧٨) فلو كان هذا تسبيح دلالة فأى تخصيص لداود؟!

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أى انفرد بذلك، والمُلك عباره عن المَلْك، ونفوذ الأمر، فهو سبحانه الملك القادر، القاهر. وقيل: أراد خزائن المطر، والنبات، وسائر الرزق. ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ يميت الأحياء فى الدنيا، ويحيى الأموات للبعث. وقيل: يحيى النطف وهى موات، ويميت الأحياء. وموضع ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ رفع على معنى، وهو يحيى ويميت. ويجوز أن يكون نصبًا بمعنى ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ محييًا ومميتًا على الحال من المجرور فى ﴿لَهُۥ﴾ والجار عاملاً فيها. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أى الله لا يعجزه شىء. قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ اختلف فى معانى هذه الأسماء[1]، وقد شرحها رسول الله ﷺ شرحًا يغنى عن قول كل قائل، فقال فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة:

«اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنا الدَّين واغننا من الفقر». عنى بالظاهر الغالب، وبالباطن العالم، والله أعلم. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ بما كان أو يكون فلا يخفى عليه شىء)[2].

---

(١) قال القرطبى بعد هذه العبارة: وقد بيناها فى الكتاب الأسنى.
قلت: وهو كتابه المعروف بالأسنى فى أسماء الله الحسنى وجعلت العبارة هنا أولى حتى لا يختلط القول على القارئ فيظن أن الكتاب للثعلبى.

(٢) إلى هنا انتهى النقل عن تفسير القرطبى، ثم نعود إلى استئناف تفسير الثعلبى من مخطوط المدينة المنورة سائلين الله العود على الإنجاز اللهم يسر بفضلك وعونك يا كريم آمين.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه أخبرنا عمر بن الخطاب أخبرنا عبد الله بن الفضل حدثنى أحمد بن وردان أخبرنا على بن الحسن بن شقيق قال: قلت لعبد الله ابن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: فى السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما قالت الجهمية هاهنا فى الأرض.

وقد ذكرنا معنى الاستواء وحققنا الكلام فيه فأغنى عن الإعادة. قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعنى بالعلم والقدرة. ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ﴾ مملكين معمرين. ﴿فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ فى ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه، قاله مجاهد. وقيل: أخذ ميثاقكم بأن ركب فيكم العقول، وأقام الحجج والدلائل التى تدعو إلى متابعة الرسول.

وقراءة العامة بفتح الهمزة والقاف.

وقرأه أبو عمرو بضمهما على وجه ما لم يسم فاعله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يومًا من الأيام، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والأعلام على حقيقة الإسلام، وصحة نبوة المصطفى ﷺ.



﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ. ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم﴾ الله بالقرآن. وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة. ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ثم بين فضل السابقين فى الإنفاق والجهاد،

فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ يعنى فتح مكة فى قول أكثر المفسرين.

وقال الشعبى: هو صلح الحديبية. قال: وقال أصحاب رسول الله ﷺ، أفتح هو؟ قال: «نعم عظيم». ﴿وَقَـٰتَلَ﴾ مع رسول الله ﷺ.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾ أى من بعد الفتح. ﴿وَقَـٰتَلُواْ﴾.

أخبرنا عقيل بن محمد الجرجانى أن المعافى بن زكريا البغدادى أخبرهم عن محمد بن جرير الطبرى حدثنى ابن الرقى أخبرنا ابن أبى مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا زيد بن أسلم عن أبى سعيد التمار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم».

قلنا: من هم يا رسول الله؟ قريش؟

قال: «لا، هم أرق أفئدة وألين قلوبًا» وأشار بيده إلى اليمن وقال: «هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية».

قلنا: يا رسول الله، هم خير منا؟

قال: «والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه فى سبيل الله ما أدرك مُدّ أحدكم ولا نصفه». ثم جمع أصابعه، ومَدّ خنصره، وقال: «ألاَ إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾».

وروى محمد بن فضيل عن الكلبى: أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وفى هذه الآية دلالة واضحة وحجة بينة على تفضيل أبى بكر وتقديمه لأنه أول من أسلم.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا أبو بكر أحمد ابن إسحاق الفقيه أخبرنا محمد بن أيوب أخبرنا الوليد الطيالسى أخبرنا عكرمة بن عمار أخبرنا شداد ابن عبد الله أبو عمار - وقد كان أدرك نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ - قال: قال أبو أمامة لعمرو بن عنبسة: بأى شىء تدعى أنك ربع الإسلام؟ قال: إنى كنت أرى الناس على الضلالة، ولا أرى الأوثان شيئًا، ثم سمعت عن رجل يخبرنا أخبارًا بمكة، فركبت راحلتى حتى قدمت عليه، فإذا قومه عليه جرآء[1].

قال: فقلت: ما أنت؟

فقال: أنا نبى قلت: وما نبى؟ فقال: رسول الله.

(١) فى الهامش: «حداه»، وما بالمتن هو الصواب.

فقلت: بأى شىء أرسلك؟ قال: «أُوحد الله تعالى ولا أشرك به شيئًا، وكسر الأوثان، وصلة الأرحام». قلت: من معك على هذا؟ فقال: «حُرٌّ، وعبد»، وإذا معه أبو بكر، وبلال، فأسلمت عند ذلك، فلقد رأيتنى ربع الإسلام، ولأنه أول من أظهر الإسلام.

أخبرنا أبو محمد الأصبهانى أخبرنا أبو بكر الضبعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبى أخبرنا يحيى بن أبى كثير أخبرنا زائدة عن عاصم بن أبى النجود عن زر عن عبد الله قال: كان أول من أظهر الإسلام رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمار، وأمه سمية، وصُهيب، وبلال، والمقداد، ولأنه أول من قاتل على الإسلام.

وأخبرنا أبو نصر النعمان بن محمد الجرجانى أخبرنا أبو طاهر محمد بن الحسن عن المحمدآباذى، أخبرنا أبو قلابة أخبرنا يحيى بن أبى كثير، أخبرنا زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال: أول من أظهر الإسلام بسيفه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه ولأنه أول من أنفق على رسول الله ﷺ فى سبيل الله.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن إسحاق ابن أيوب أخبرنا محمد بن يونس أخبرنا العلاء بن عمرو الشيبانى أخبرنا أبو إسحاق الفزارى أخبرنا سفيان بن سعيد عن آدم بن على عن ابن عمر قال: كنت عند النبى ﷺ وعنده أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وعليه عباءة قد جللها فى صدره بجلال، فنزل عليه جبريل، فقال: ما لى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بجلال؟ فقال: «أنفق ماله عَلَى قبل الفتح». قال: فإن الله تعالى يقول: اقرأ عليه السلام، وقال له: أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط؟.

فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك أراضٍ أنت فى فقرك هذا أم ساخط»؟.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: أأسخط على ربى؟! إنى عن ربى راض إنى عن ربى راض.

ولهذا قدمه الصحابة رضى الله عنهم على أنفسهم وأقروا له بالتقدم والسبق.

أخبرنا عبد الله بن حامد الفقيه أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا محمد بن يونس أخبرنا عقبة بن سنان أبو بشر أخبرنا الهيضم بن شداخ عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسلمة عن على ابن أبى طالب عليه السلام قال: سبق رسول الله ﷺ، وصلّى أبو بكر رضى الله عنه، وثَلَّثَ عمر، فلا أُوتى برجل فضلنى على أبى بكر، وعمر رضى الله عنهما إلاّ جلدته جلد المفترى، وطُرح الشهادة.

﴿وَكُلًّا﴾ قرأ ابن عامر: وكلٌّ برفع اللام.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ .



﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝﴾

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ على الصراط. ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ قال بعضهم: أراد جميع جوانبهم، فعبر بالبعض عن الكل على مذهب العرب فى الإيجاز، ومجازه عن أيمانهم.

وقال الضحاك: أراد يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كُتُبهم.

وقال سهل بن سعد الساعدى: بإيمانهم بكسر الهمزة. والقراءة الصحيحة ما عليه العامة.

وقيل: أراد بالنور القرآن.

قال عبد الله بن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نُوره على إبهامه، فيطفأ مرة ويوقد مرة.

وقال قتادة: ذكر لنا أن نبى الله ﷺ قال: «من المؤمنين من يضىء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء، ودون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضىء نوره إلاّ موضع قدميه وتقول لهم الملائكة: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ .

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾ قرأه العامة موصولة أى انتظرونا.

وقرأ يحيى، والأعمش، وحمزة: أَنْظِرونا بفتح الألف وكسر الظاء، أى أمهلونا.

وقال الفراء: تقول العرب: أنظرنى أىَ انتظرنى وأنشد فى ذلك بيت عمرو بن كلثوم:

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا

يعنى انتظرنا.

﴿نَقْتَبِسْ﴾ نستضىء ﴿مِنْ نُورِكُمْ﴾ قال المفسرون: إذا كان يوم القيامة أعطى الله سبحانه المؤمنين نورًا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، وأعطى المنافقين الضالين أيضًا نورًا كذلك خديعة لهم وهو قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢).

وقال الكلبى: بل يستضىء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور.

قالوا: فبينما هم يمشون إذ يبعث الله عز وجل ريحًا وظلمة فأطفأ نور المنافقين، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ (التحريم: ٨) مخافة أن يسلبهم نورهم كما سلب المنافقون. فإذا بقى المنافقون فى الظلمة قالوا للمؤمنين: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾؛ ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ من حيث جئتم. ﴿فَالْتَمِسُوا﴾ فاطلبوا هناك لأنفسكم ﴿نُورًا﴾ فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ أى سور. «والباء» صلة. عن الكسائى: وهو حاجز بين الجنة والنار ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ يعنى الجنة. ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ﴾ أى من قبل ذلك الظاهر. ﴿الْعَذَابُ﴾ وهو النار.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن ماجه القزوينى أخبرنا محمد بن أيوب الرازى أخبرنا موسى بن إسماعيل.

(ح)[1] وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا ابن ماهان أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حماد بن أبى سنان قال: كنت مع على بن عبد الله بن عباس عند وادى جهنم، فحدّث عن أبيه وقرأ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الآية، ثم قال: قال أبى: إن هذا موضع السور يعنى وادى جهنم.

واخبرنى ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى أخبرنا أحمد بن عمير بن يوسف عبد السلام بن عتيق حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أخبرنا عطية بن قيس أخبرنا أبو العوام مؤذن لأهل بيت المقدس عن عبد الله بن عمرو قال: إن السور الذى ذكره الله

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

عز وجل فى القرآن: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ سور بيت المقدس الشرقى، ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ﴾ باطنه من المسجد وظاهره من قبله، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ الوادى وادى جهنم.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى أخبرنا أبو يعلى - يعنى الموصلى - أخبرنا أبو نصر التمار أخبرنا سعيد بن عبد العزيز عن زياد بن أبى سودة: أن عبادة ابن الصامت قام على سور بيت المقدس الشرقى فبكى. فقال بعضهم: ما يبكيك يا أبا الوليد؟ فقال: من ههنا أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى جهنم.

وأخبرنا عقيل بن محمد أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم عن محمد بن جرير حدثنى محمد ابن عوف أخبرنا أبو المغيرة أخبرنا صفوان أخبرنا شريح أن كعبًا كان يقول فى الباب الذى يُسَمَّى باب الرحمة فى بيت المقدس أنه الباب الذى قال الله تعالى ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ﴾ الآية.

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ يعنى ينادى المنافقون المؤمنين حين حُجزَ بينهم بالسور فبقوا فى الظلمة والعذاب وصار المؤمنون فى النور والرحمة ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فى الدنيا نصلى ونصوم ونناكحكم ونوارثكم؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ﴾ أهلكتم. ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالإيمان، والتوبة.

وقال مقاتل: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بمحمد ﷺ الموت وقلتم يوشك أن يموت محمد ﷺ ونستريح. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم فى التوحيد والنبوة. ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ الأباطيل.

قال أبو بكر الوراق طول الأمل.

أخبرنا يحيى بن محمد بن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله أخبرنا مسلم بن أدهم أخبرنا همام بن يحيى أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ خط خطوطًا، وخط خطًا منها ناحية، فقال: «تدرون ما هذا؟ هذا مثل ابن آدم ومثل التمنى، وذلك الخط الأمل بينما هو يتمنى إذ جاءه الموت».

أخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا أبو عيسى حمزة بن الحسين بن عمر أخبرنا عمر بن عبد الباقى أخبرنا عمرو بن عثمان أخبرنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن بلال بن سعيد قال: ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يعنى الموت. ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ يعنى الشيطان. وقرأ سماك بن حرب بضم العين يعنى الأباطيل.

قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان وما زالوا عليها حتى قذفهم الله عز وجل فى النار.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ بدل وعوض.

وقرأ العامة يؤخذ بالياء.

وقرأ ابن عامر، والحسن، وأبو جعفر، ويعقوب بالتاء، واختاره أبو حاتم.

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى المشركين. ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أى صاحبتكم وأولى بكم وأحق بأن تكون مسكنًا لكم.

قال لبيد:

فعذب كلا الفريقين بحسب أنه ... مولى المخافة خلفها وأمامها

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية. قال الكلبى، ومقاتل: نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا: حدثنا عمّا فى التوراة، فإن فيها العجائب، فنزلت ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ (يوسف: ١ ـ ٣) الآية فخبرهم بأن هذا القرآن أحسن من غيره، وأنفع لهم. فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك السؤال، فنزلت: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ (الزمر: ٢٣) الآية، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم أعادوا أيضًا فسألوا فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية.

فعلى هذا القول يكون تأويل الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فى العلانية وباللسان. وقال غيرهما نزلت فى المؤمنين.

قال عبد الله بن مسعود: ملّ أصحاب رسول الله ﷺ ملّة، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ (الزمر: ٢٣) الآية.

فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ (يوسف: ١ ـ ٣) الآية.

فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا ووعظتنا فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضًا.

وقال ابن عباس: إن الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ يحن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ﴾ ترق وتلين وتخضع ﴿قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ﴾

قرأ شيبة، ونافع، وعاصم برواية المفضل وحفص خفيفة الزاى، وغيرهم مشددة ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وهو القرآن. قال مجاهد: نزلت هذه الآية فى المعذبين[1] بعد الهجرة.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن خالد أخبرنا سليمان بن داود أخبرنا عبد بن حميد أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا الحسام بن المصك عن الحسن عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يرفع من الناس الخشوع». ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ يعنى وأن لا يكونوا محله نصب بالعطف على ﴿تَخْشَعَ﴾. قال الأخفش: وإن شئت جعلته نهيًا، فيكون مجازه: ولا يكونن. ودليل هذا التأويل رواية يونس عن يعقوب أنه قرأ: (ولا تكونوا) بالتاء. ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ﴾ وهم اليهود والنصارى. ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ الزمان، والدهر والغاية بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾.

روى الأعمش عن عمارة بن عمير عن الربيع عن ابن عُميلة أخبرنا عبد الله حديثًا ما سمعت حديثًا هو أحسن منه إلاّ كتاب الله عز وجل أو رواية عن النبى ﷺ: أن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، فاخترعوا كتابًا من عند أنفسهم استهوته قلوبهم، واستحلته نفوسهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وقالوا: اعرضوا هذا الكتاب على بنى إسرائيل، فإن تابعوكم فاتركوهم، وإن خالفوكم فاقتلوهم، ثم قالوا: لا بل أرسلوا إلى فلان، رجل من علمائهم، فاعرضوا عليه هذا الكتاب فإن تابعكم فلن يخالفكم أحد بعده، وإن خالفكم فاقتلوه فلن يختلف عليكم بعده أحد.

فأرسلوا إليه، فأخذ ورقة، وكتب فيها: كتاب الله تعالى، ثم جعلها فى قرن، علقها فى عنقه، ثم لبس عليه الثياب، ثم أتاهم، فعرضوا عليه الكتاب فقالوا: أتؤمن بهذا، فأومأ إلى صدره، فقال: آمنت بهذا، وما لى لا أؤمن بهذا يعنى الكتاب الذى فى القرن.

فخلوا سبيله.

وكان له أصحاب يغشونه، فلما مات نبشوه فوجدوا القرن، ووجدوا فيه الكتاب فقالوا: ألا ترون قوله: آمنت بهذا، وما لى لا أؤمن بهذا إنما عنى هذا الكتاب، واختلف بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة، وخير مللهم أصحاب ذى القرن.

قال عبد الله: وإن من أتى منكم سيرى منكرًا وبحسب امرئ يرى منكرًا لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله تعالى من قلبه أنه له كاره.

---

(١) فى الهامش: «المتعزبين» وما أثبته من المتن هو تصويب من الناسخ وربما كان من نسخة أخرى، والله أعلم.

وقال مقاتل بن حيان: إنما يعنى بذلك مؤمنى أهل الكتاب قبل أن يُبعث النبى ﷺ ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ يعنى خروج النبى ﷺ ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ يعنى الذين ابتدعوا الرهبانية أصحاب الصوامع ثبتت طائفة منهم على دين عيسى حتى بعث الله تعالى النبى ﷺ، فآمنوا به، ومنهم طائفة رجعت عن دينهم وهم الذين فسقهم الله تعالى، فكفروا بدين عيسى ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

وقال محمد بن كعب: كانت الصحابة بمكة مُجدبين، فلما هاجروا أصابوا الترف[1] والنعمة ففتروا عما كانوا فيه فقست قلوبهم فينبغى للمؤمنين أن يزدادوا إيمانًا ويقينًا وإخلاصًا فى طول صحبة الكتاب.

أنبأنى أبو محمد عبد الله بن حامد أخبرنا أبو عبد الله محمد بن العباس الضبى أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الله الزبيرى أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أبو خالد الأحمر عن ابن عجلان عن أبى وائل بن بكر قال: قال عيسى عليه السلام: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم إن القلب القاسى بعيد من الله تعالى، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا فى ذنوب العباد كأنكم أرباب، وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان: مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية.

وأخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أخبرنا عبد الله المقرئ قال سمعت أبا الحسين محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى يقول سمعت أبا عمار الحسن بن توبة ابن حريث يقول سمعت الفضل بن موسى الشيبانى يقول: كان سبب توبة الفضيل بن عياض أنه عشق جارية فواعدته ليلاً فبينا هو يرقى الجدران إليها إذ سمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فرجع القهقرى وهو يقول: بلى والله قد آن، بلى والله قد آن، بلى والله قد آن، فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعة من السائلة، وإذا بعضهم يقول لبعض بالفارسية فضيل بدر أهست درما راه برز.

فقال الفضيل فى نفسه: لا أرانى الله تعالى أسعى بالليل فى المعاصى، وقوم من المسلمين يخافوننى، اللهم إننى قد تبت إليك، وجعلت توبتى بجوار بيتك الحرام، ثم أقبل عليهم فقال لهم بالفارسية: منَم فضيل كُنَاهُ كَارْ ازْ منْتر سيد يد أكنُونْ منتر سيد. قال الفضل بن موسى: ثم خرج فجاور.

أخبرنا أبو سعد بن أبى عثمان الزاهد أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبى عمران بمكة أخبرنا أبو

(١) فى المتن: «الزيف». والتصويب من الهامش وهو تصحيح من الناسخ.

يعقوب البزاز أخبرنا محمد بن حاتم السمرقندى أخبرنا أحمد بن زيد أخبرنا حسين بن الحسن قال: سُئل ابن المبارك وأنا حاضر عن أول زهده، فقال: إنى كنت فى بستان وأنا شاب مع جماعة من أترابى، وذلك فى وقت الفواكه فأكلنا وشربنا، وكنت مولعًا بضرب العود، فقمت فى بعض الليل فإذا بغصن يتحرك عند رأسى، فأخذت العود لأضرب به، فإذا العود ينطق وهو يقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: فضربت بالعود الأرض فكسرته وصرفت ما عندى من جميع الأمور التى كنت عليها مما شغلت به عن الله تعالى، وجاء التوفيق من الله تعالى، فكان ما سهل لنا من الخير بفضل الله تعالى.



﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾. قرأ ابن كثير وعاصم برواية أبى بكر والمفضل بتخفيف الصادين فيهما من التصديق. مجازه: إن المؤمنين والمؤمنات.

وقرأ الباقون بتشديدهما بمعنى أن المصدقين والمصدقات فأدغم التاء فى الصاد، كالمُزَّمل، والمُدَّثر، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اعتباراً بقراءة أُبى بن كعب: إن المتصدقين والمتصدقات.

﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالصدقة والنفقة فى سبيله.

قال الحسن: كل ما فى القرآن من القرض الحسن فهو التطوع، وإنما عطف بالفعل على الاسم لأنه فى تقدير الفعل، مجازه: إن الذين صدقوا وأقرضوا. ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ أمثالها قراءة العامة بالألف، وفتح العين.

وقرأ الأعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة هاء، وقرأ ابن عامر، وابن كثير، وأبو جعفر يضعّف بالتشديد. ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ واحدهم صدّيق، وهو الكثير الصدق.

قال الضحاك: هم ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض فى زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلى، وزيد، وعثمان بن عفان، وطلحة والزبير، سعد، وحمزة بن عبد المطلب، وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نيته.

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ اختلف العلماء فى نظم هذه الآية وحكمها: فقال قوم: تمام الكلام عند قوله: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ ثم ابتدأ، فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ وأراد بهم شهداء المؤمنين خاصة، والواو فيه واو الاستئناف، وهذا قول ابن عباس، ومسروق وجماعة من العلماء. وقال الآخرون: هى متصلة بما قبلها، والواو فيها واو النسق.

ثم اختلفوا فى معناها: فقال الضحاك: نزلت فى قوم مخصوصين من المؤمنين وكانوا كلهم شهداء، وقد مرّ ذكرهم.

وقال غيره: نزلت فى المؤمنين المخلصين كلهم.

أخبرنا عبد الله بن حامد إجازة أخبرنا أحمد بن عبد الله المزنى أخبرنا عبد الله بن غنام النخعى أخبرنا أبو كريب أخبرنا عبيد بن سعيد عن شعبة عن ابن قيس عن الهذيل عن عبد الله قال: إن الرجل ليقاتل الناس ليُرى مكانه، وإن الرجل ليقاتل على الدنيا، وإن الرجل ليقاتل ابتغاء وجه الله، وإن الرجل ليموت على فراشه فيكون شهيداً، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

وأخبرنا عبد الله بن حماد أخبرنا محمد بن خالد أخبرنا داود بن سليمان أخبرنا عبد بن حميد أخبرنا أبو نعيم أخبرنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال: كل مؤمن صديق شهيد، ثم قرأ هذه الآية، يعنى موصولة.

وقال ابن عباس فى بعض الروايات: أراد بالشهداء الأنبياء خاصة.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فى ظلمة القيامة. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ «ما» صلة؟ مجازه: اعلموا أن الحياة الدنيا.

﴿لَعِبٌ﴾ باطل لا حاصل له. ﴿وَلَهْوٌ﴾ فرح ثم ينقضى. ﴿وَزِينَةٌ﴾ منظر يتزينون به. ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ يفتخر به بعضكم على بعض. ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أى تباه وتفاخر بكثرة الأموال والأولاد.

وقال بعض المتأولين من المتأخرين: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعب الصبيان، ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النسوان. ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ كتفاخر الأقران ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر الدهقان.

وقال على لعمار بن ياسر رضى الله عنهما: لا تحزن على الدنيا، فإن الدنيا ستة أشياء: مطعوم، ومشروب، وملبوس، ومشموم، ومركوب، ومنكوح.

فأكبر طعامها العسل، وهو بزقة ذبابة. وأكبر شرابها الماء، ويستوى فيه جميع الحيوان. وأكبر ملبوسها الديباج، وهو نسج دودة. وأكبر المشموم المسك، وهو دم فأرة ظبية. وأكبر المركوب الفرس: وعليها يقتل الرجل. وأكبر المنكوح النساء، وهو مبال فى مبال. والله إن المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها.

ثم ضرب جل ذكره لها مثلاً فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ أى الزُّرّاع. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ فيبلى ويفنى ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ يعنى أو مغفرة. ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ سَابِقُوا﴾ سارعوا. ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا﴾ سعتها. ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لوصل بعضها ببعض.

وقال ابن كيسان: عنى به جنة واحدة من الجنات.

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بالجدب والقحط وذهاب الزرع والثمر. ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ بالأوصاب، والأسقام.

وقال الشعبى: المصيبة ما تكون من خير وشر، وما يسوء ويسر.

ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾. فذكر

الحالين جميعًا. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ. ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ من قبل أن نخلق الأرض والأنفس.

وقال ابن عباس: يعني المصيبة. قال أبو العالية: يعني النسمة.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إن خلق ذلك وحفظه على الله هين.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن خالد أخبرنا داود بن سليمان أخبرنا عبد بن حميد أخبرنا أبو حميد أخبرنا أبو نعيم أخبرنا الربيع بن أبي صالح قال: دخلت على سعيد بن جبير في نفر فبكى رجل من القوم، فقال: ما يبكيك؟ قال: أبكى لما أرى بك ولما يذهب بك إليه. قال: فلا تبك، فإنه كان في علم الله تعالى أن يكون، ألم تر إلى قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ تحزنوا. ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا. ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟﴾ تبطروا. ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ قرأه العامة بمد الألف أي أعطاكم، واختاره أبو حاتم. وقرأ أبو عمرو بقصر الألف أي جاءكم، واختاره أبو عبيد قال لقوله تعالى: ﴿فَاتَكُمْ﴾ ولم يقل: أفاتكم، فجعل الفعل له، فكذلك أتاكم جعل الفعل له ليوافق الكلام بعضه بعضًا.

قال عكرمة: ليس أحد إلاّ وهو يفرح ويحزن، فاجعلوا للفرح شكرًا، وللحزن صبرًا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي من الدنيا. ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس. قال ابن مسعود: لأن أجلس[1] على جمرة أحرقت ما أحرقت، وأبقت ما أبقت، أحب إليّ من أن أقول لشيء كان: ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن: ليته كان.

قال جعفر الصادق: يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت. وقيل لبزرجمهر: ما لك أيها الحكيم لا تأسف على ما فات، ولا تفرح بما هو آت؟ فقال: إن الفائت لا يتلافى بالعبرة، والآتي لا يستدام بالحبرة.

قال الفضل في هذا المعنى الدنيا مُفيد ومُبيد، فما أباد فلا رجعة له وما أفاد فقد أذن بالرحيل.

وقال الحسين بن الفضل: حمل الله تعالى المؤمنين بهذه الآية على مضض الصبر على الفائت، وترك الفرح بالآتي، والرضا بقضائه في الحالتين جميعًا.

وقال قتيبة بن سعيد: دخلت بعض أحياء العرب فإذا أنا بفضاء من الأرض مملوء من الإبل الموتى والجيف بحيث لا أُحصي عَدَدَها فسألت عجوزًا لمن كانت هذه الإبل، فأشارت إلى

(١) في هامش المخطوط: الحسن جمرة، وأحسبه خطأ كان بالمخطوط صوبه الناسخ. والله أعلم.

شيخ على تل يغزل صوفًا. فقلت له: يا شيخ، ألك كانت هذه الإبل. قال كانت باسمى. قلت: فما أصابها؟ قال: ارتجعها الذى أعطاها. قلت: وهل قلت فى ذلك شيئًا؟

قال: نعم، فقال:

لا والذى أنا عبد من خلائقه والمرء فى الدهر نصب الرزء والمحن

ما سرنى أن إبلى فى مباركها وما جرى من قضاء الله لم يكن

قال سلام الخواص: من أراد أن يأكل الدارين فليدخل فى مذهبنا عامين ليضع الله تعالى الدنيا والآخرة بين يديه. قيل: وما مذهبكم؟ قال الرضا بالقضا، ومخالفة الهوى، وأنشد:

لا تطل الحزن على فائت فقلما يجدى عليك الحزن

سيان محزون على ما مضى ومظهر حزنًا لما لم يكن

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ قيل: هو فى محل الخفض على نعت المختال. وقيل: رفع بالابتداء، وخبره فيما بعده. ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ قيل: هم رؤساء اليهود بخلوا أن يثبتوا صفة النبى عليه السلام فى كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب مكانتهم، فأمروا قومهم بكتمانه، يدل عليه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ قرأ أهل المدينة والشام بإسقاط ﴿هُوَ﴾ وكذلك هو فى مصاحفهم. والباقون بإثباته.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ يعنى العدل. وقال ابن زيد: ما يوزن به. ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ ليعمل الناس بينهم بالعدل ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ﴾ قال ابن عباس: نزل آدم عليه السلام من الجنة، ومعه خمسة أشياء من الحديد: السندان، والكلبتان، والمنقعة، والمطرقة، والإبرة.

وقال أهل المعانى: يعنى أنه أخرج لهم الحديد من المعادن، وعلمهم صناعته بوحيه.

وقال قطرب: هذا من النُّزُل كما تقول: أنزل الأمر على فلان نزلاً حسنًا، فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلاً لهم.

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ (الزمر: ٦). ودليل تأويل السلف من المفسرين ما أخبرنا أبو سفيان الحسين بن عبد الله الدهقان أخبرنا الحسين بن إسماعيل بن خلف الخياط أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن الفرج العدل أخبرنا محمد ابن عبيد بن عبد الملك أخبرنا سفيان بن محمد أبو محمد ابن أُخت سفيان الثورى عن عبد الملك ابن مالك التميمى عن عبد الله بن خليفة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: فأنزل الحديد، والنار، والماء، والملح». ﴿بَأۡسٞ

شَدِيدٌ﴾ قوة شديدة يعنى السلاح والكراع ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فيما يستعملونها فى مصالحهم ومعايشهم إذ هو آلة لكل صنعة. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ يعنى أرسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله تعالى. ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ أى دينه. ﴿وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ على دينه. ﴿رَأْفَةً﴾ وهى أشد الرقة. ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ من قبل أنفسهم. ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا﴾ فرضناها وأوجدناها. ﴿عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ يعنى ولكنهم ابتغوا ﴿رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ بتلك الرهبانية. ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ﴾ وهم أهل الرأفة، والرحمة، والرهبانية التى ابتدعوها طلبًا لرضى الله تعالى. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ يعنى الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها، وكفروا بدين عيسى وتهودوا، وتنصروا بنحو ما فسرنا، وورد فيه الآثار.

قال ابن مسعود: كنت رديف النبى ﷺ على حمار لى فقال: «يا ابن أم عبد هل تدرى من أين اتخذ بنو إسرائيل الرهبانية»؟ قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصى الله تعالى، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهُزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلاّ القليل، فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرق فى الأرض إلى أن يبعث الله تعالى

النبى الذى وعدنا عيسى عليه السلام - يعنون محمداً ﷺ - فتفرقوا فى غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه، ومنهم من كفر». ثم تلا هذه الآية: «﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾» الآية. «﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يعنى من ثبتوا عليها ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾» ثم قال النبى ﷺ: «يا ابن أم عبد أتدرى ما رهبانية أمتى»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «الهجرة، والجهاد، والصلاة، والصوم، والحج، والعمرة، والتكبير على التلاع».

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا ابن عبد الله المزنى أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا شيبان ابن فروخ أخبرنا الصعق بن حزم عن عقيل الجعدى عن أبى إسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود قال: دخلت على رسول الله ﷺ، فقال: «يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة أتت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه السلام، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله عز وجل ودين عيسى فساحوا فى البلاد، وترهبوا، وهم الذين قال الله تعالى ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾.

قال النبى ﷺ: «من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فأولئك هم الهالكون».

وروى الضحاك، وعطية عن ابن عباس قال: كتب الله تعالى عليهم القتال قبل أن يبعث محمد ﷺ فلما استخرج أهل الإيمان ولم يبق منهم إلاّ قليل وكثر أهل الشرك وذهبت الرسل، وقهروا واعتزلوا فى الغيران، فلم يزل منهم ذلك حتى كفرت طائفة منهم وتركوا أمر الله عز وجل ودينه وأخذوا بالبدعة، والنصرانية، وباليهودية، فلم يرعوها حق رعايتها، وثبتت طائفة على دين عيسى عليه السلام حتى جاءهم البينات، وبعث الله عز وجل محمداً رسولاً وهم كذلك، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قراءة عليه أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا على بن حرب أخبرنا ابن فضيل أخبرنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

(ح)[1] وحُدِّثت عن محمد بن جرير قال: حدثنا أبو عمار أخبرنا الحسين بن حريث أخبرنا الفضل بن موسى عن شيبان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

---

(١) زيادة يتطلبها سياق الإسناد.

كانت ملوك الأرض بعد عيسى عليه السلام بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله عز وجل، ويأمرونهم بتقوى الله عز وجل، فقيل لملوكهم: لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم وآذوكم فقتلتموهم وإلا أقروا بما أقروا به ودخلوا فيما نحن فيه.

فدعاهم ملكهم وجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلاّ ما بدلوا منها. فقالوا: ما تريد منا، نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا، ولا نرد عليكم. وقالت طائفة: دعونا نسيح فى الأرض ونهيم ونسرب كما تسرب الوحش، فإن قدرتم علينا بأرض فاقتلونا. وقالت طائفة: ابنوا لنا دورًا فى الفيافى ونحتفر لنا الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم. وليس أحد من أولئك إلاّ وله حميم فيهم، ففعلوا بهم ذلك. فمضى أولئك على منهاج عيسى، وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب، فجعل الرجل يقول تكون فى مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دورًا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم ولا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ قال ابتدعها هؤلاء الصالحون ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ يعنى الآخرين الذين جاءوا من بعدهم ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يعنى الذين ابتدعوها ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ الذين جاءوا من بعدهم.

فلما بُعث النبى ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره، وآمنوا به وصدّقوه، فقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال أجرين لإيمانهم بعيسى عليه السلام والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يعنى القرآن ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الذين يتشبهون بهم. ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وقال قوم: انقطع الكلام عند قوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾ ثم قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ وذلك أنهم تركوا الحق، وأكلوا لحم الخنزير، وشربوا الخمر، ولم يتوضئوا، ولم يغتسلوا من الجنابة وتركوا الختان ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ يعنى الطاعة والملة ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ كنايه عن غير مذكور ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم أهل الرأفة والرحمة ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ وهم أهل الرهبانية والبدعة. وإليه ذهب مجاهد.

ومعنى قوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ على هذا التأويل ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء مرضاة الله وما أمرناهم إلاّ بذلك، وما أمرناهم بالترهب. أو يكون وجهه: إلا ابتغاء رضوان الله بزعمهم وعندهم، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد عليه السلام: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين. ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بالأول، وإيمانكم بالآخر.

قال أبو موسى الأشعرى: ﴿كِفْلَيْنِ﴾ ضعفين بلسان الحبشة.

وقال ابن جبير: وأصله ما يكتفل به الراكب من الثياب والمتاع فيحبسه ويحفظه من السقوط، يقول: ويحصنكم هذا الكفل من العذاب كما يحصن الراكب الكفل من السقوط. ومنه الكفالة، لأنها تحصين للحق.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وعلى صراط آمنين فى الناس، وعلى الصراط أحسن.

وقال ابن عباس: النور: القرآن. وقال مجاهد: الهدى والبيان.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال سعيد بن جبير: بعث النبى ﷺ جعفراً فى سبعين راكبًا إلى النجاشى يدعوه فقدم عليه، فدعاه فاستجاب له وآمن به، فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن أسلم من أهل مملكته وهم أربعون رجلاً: ائذن لنا فنأتى هذا النبى فنسلم عليه، ونجدف بهؤلاء فى البحر فإنّا أعلم بالبحر منهم. فقدموا مع جعفر على النبى ﷺ وقد تهيأ النبى ﷺ لوقعة أُحد، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة، وشدة الحال، استأذنوا النبى ﷺ، فقالوا: يا نبى الله إن لنا أموالاً ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة، فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (القصص: ٥٢-٥٤) فكانت النفقة ما واسوا به المسلمين فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن قوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ (القصص: ٥٤) فخروا على المسلمين، فقالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن منّا بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ فجعل لهم أجرين وزادهم النور والمغفرة، ثم قال: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وهكذا قرأها سعيد بن جبير: (ألا يقدرون)، الآية.

وروى حيان عن الكلبى قال: كان هؤلاء أربعة وعشرين رجلاً قدموا من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكة لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وكانوا على دين الأنبياء، فأسلموا فقال

لهم أبو جهل: بئس القوم أنتم، والوفد لقومكم. فردوا عليه: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (المائدة: ٨٤). فجعل الله عز وجل لهم ولمؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه أجرين اثنين، فجعلوا يفخرون على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: نحن أفضل منكم لنا أجران، ولكم أجر واحد. فأنزل الله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآية.

أخبرنا الحسن بن محمد بن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبى أخبرنا عبد الرحمن عن سفيان عن صالح عن الشعبى عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ: «من كانت له أَمَةٌ فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، وأعتقها وتزوجها فله أجران، وعبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه، ورجل من أهل الكتاب آمن بما جاء به عيسى، وما جاء به محمد ﷺ فله أجران».

وقال قتادة: حسد أهل الكتاب المسلمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد: قالت اليهود يوشك أن يخرج منّا نبى يقطع الأيدى والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أى ليعلم (لا) صلة ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ يعنى أنهم لا يقدرون. كقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ (طه: ٨٩) وأنشد الفراء:

إنى كفيل يا نويقة	إن نجوت إلى الصباح[1]
وسلمت من عرض الحتوف	من الغدو وإلى الرواح
إن تهبطن بلاد قوم	ترتعين من الطلاح

أى إنك تهبطين.

﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن خرجة أخبرنا عبد الله بن محمد بن سليمان الحضرمى أخبرنا الحسن بن السكن البغدادى أخبرنا أبو زيد النحوى عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عطية عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قسم الأجر وقسم العمل، فقيل لليهود: اعملوا فعملوا إلى نصف النهار فقيل: لكم نصف قيراط، وقيل للنصارى اعملوا، فعملوا من نصف النهار إلى العصر، فقيل: لكم قيراط، وقيل للمسلمين اعملوا، فعملوا من صلاة العصر إلى غروب الشمس بقيراطين».

فتكلم اليهود والنصارى فى ذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

---

(١) كذا، وفى الهامش: «الرواح» وهو تصويب من الناسخ رحمنا الله وإياه.

سورة المجادلة

مدنية، وهى ألف وسبعمائة واثنان وتسعون[1] حرفًا،
وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة واثنتان وعشرون آية

أخبرنا أبو الحسين محمد بن على بن الحسن المقرئ غير مرة أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجانى، وأبو الشيخ عبد الله بن محمد الأصفهانى، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك الكوفى أخبرنا أحمد بن يونس اليربوعى أخبرنا سلام بن سليمان المدائنى أخبرنا هارون ابن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة عن أُبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن

(١) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: «وسبعون».

نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ تخاصمك، وتحاورك، وتراجعك ﴿فِى زَوْجِهَا﴾ وهى امرأة من الأنصار، ثم من الخزرج، واختلفوا فى اسمها ونسبها: فقال ابن عباس: هى خولة بنت خويلد. وقال أبو العالية: خويلة بنت الدليم وقال قتادة: خويلة بنت ثعلبة. وقال المقاتلان: خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية من بنى عمرو بن عوف.

وقال عطية عن ابن عباس: خولة بنت الصامت. وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها: أن اسمها جميلة، وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت.

وذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة فى صلاتها فنظر إلى عجيزتها، فلما انصرفت راودها فامتنعت عليه، فغضب عليها، وكان امرأً فيه سُرْعَةٌ ولمم. فقال لها: أنت عَلَىَّ كظهر أمى. ثم ندم على ما قال، وكان الظهار والإيلاءُ من طلاق أهل الجاهلية.

فقال لها: ما أظنك إلاّ قد حَرمت عَلَىّ. قالت: لا تقل ذلك، ائت رسول الله ﷺ فاسأله. فقال: إنى أجدنى أستحى منه أن أسأله عن هذا الحديث. قالت: فدعنى أسأله. قال: سليه.

فأتت النبى ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله، إن زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالى، وأفنى شبابى، وتفرق أهلى، وكبرت سنى ظاهر منى، وقد ندم، فهل من شىء يجمعنى وإياه تنعشنى به؟ فقال رسول الله ﷺ: «حَرُمْت عليه».

فقالت: يا رسول الله، والذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقًا، وإنه أبو ولدى، وأحب الناس إلىّ. فقال رسول الله ﷺ: «حَرُمْت عليه». فقالت: أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى، قد طالت صحبتى ونقصت له بطنى. فقال رسول الله ﷺ «ما أراك إلاّ وقد حَرُمْتِ عليه ولم أُؤمَر فى شأنك بشىء».

فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، فإذا قال لها رسول الله ﷺ: «حَرُمْتِ عليه». هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتى وشدة حالى، اللهم فأنزل على لسان نبيك.

وكان هذا أول ظهار فى الإسلام، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر. فقالت: انظر فى أمرى جعلنى الله فداك يا نبى الله. فقالت عائشة رضى الله عنها: اقصرى حديثك ومجادلتك، أما ترين وجه رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ إذا أُنزل عليه أخذه مثل السُّبات، فلما قضى

الوحى، قال: «ادعى زوجك». فجاء، فتلا عليه رسول الله ﷺ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾. ثم بين حكم الظهار وجعل فيه الكفارة، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾ إلى آخرها. قالت عائشة رضى الله عنها تبارك الذى وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ، وأنا فى ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى على بعضه إذ أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ الآيات.

فلما نزلت هذه الآيات وتلاها عليه رسول الله ﷺ فقال له: «هل تستطيع أن تعتق رقبة؟».

قال: إذًا يذهب مالى كله الرقبة غالية، وأنا قليل المال. فقال رسول الله ﷺ: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: والله يا رسول الله إنى إن لم آكل فى اليوم ثلاث مرات كَلَّ بصرى وخشيت أن تعشو عينى، قال: «فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينًا؟» قال: لا والله إلا أن تعيننى على ذلك يا رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنى معينك بخمسة عشر صاعًا، وأنا داع لك بالبركة».

فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعًا، واجتمع لهما أمرهما، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ وقد ذكرنا اختلاف القراء فى هذا الحرف فى سورة الأحزاب. ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ قراءة العامة بخفض التاء على خبر ما، ومحله نصب كقوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ (يوسف: ٣١). وقيل: بأُمَّهَاتهم. وقرأ المفضل: بضم التاء، أى ما هن أُمهاتُهُم وقرأ عاصم بضم التاء فى موضعين وألف بعد الظاء، وتخفيف الظاء وكسر الهاء وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى بفتح الياء والهاء، وتشديد الظاء وألف بعدها. ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كذبًا. والمنكر لا تُعرف صحته ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ اعلم أن الألفاظ التى يصير بها المرء مظاهراً على ضربين: صريح وكناية. فالصريح: هو أن يقول: أنت على كظهر أمى أو أنت منى ظهر أمى، أو أنت معى كظهر أمى، أو أنت عندى كظهر أمى. وكذلك إذا قال: أنت علىّ كبطن أمى، أو كرأس أمى، أو كفرج أمى ونحوها. وكذلك إذا قال: فرجك أو رأسك أو ظهرك أو صدرك أو بطنك أو يدك أو رجلك علىّ كظهر أمى، فإنه يصير مظاهراً وكل ذلك يصير محل قوله يدك أو رجلك أو رأسك أو بطنك طالق فإنها تطلق. والخلاف فى هذه المسألة بين الفريقين كالخلاف فى الطلاق.

ومتى ما شبهها بأمه أو بإحدى جداته من قبل أمه وأبيه كان ذلك ظهاراً بلا خلاف. وإن شبهها بغير الأم والجدة من ذوات المحارم التى لا يحل له بحال كالابنة والأخت والعمة والخالة

ونحوها كان مظاهراً على الصحيح من المذاهب؛ فصريح الظهار هو أن يُشبه زوجته أو عضواً منها بعضو من أعضاء أمه أو أعضاء واحدة من ذوات محارمه.

والكناية: أن يقول أنت على كأمى أو مثل أمى أو نحوهما فإنه يعتبر فيه نيته، فإن أراد ظهاراً كان مظاهراً وإن لم ينو الظهار لا يصير مظاهراً، وكل زوج صح طلاقه صح ظهاره سواء كان عبداً أو حُرًا أو ذميًا أو دخل بالمرأة أو لم يدخل بها أو كان قادراً على جماعها أو عاجزاً عنه، وكذلك يصح الظهار من كل زوجة صغيرة كانت أو كبيرة أو عاقلة أو مجنونة أو رتقاء أو سليمة أو صائمة أو مُحْرِمة، أو ذمية أو مسلمة أو فى عدّة يملك رجعتها.

وقال أبو حنيفة: لا يصح ظهار الذمى. وقال مالك: ظهار العبد (يصح)[1]. وقال بعض العلماء: لا يصح ظهار غير المدخول بها. وقال المزنى: إذا طلق الرجل امرأته طلقة رجعية ثم ظاهر منها فإنه لا يصح.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ اعْلَم أن الكفارة تلزم بالظهار، وبالعود جميعًا، ولا تلزم بأحدهما دون الآخر. كما أن الكفّارة فى باب اليمين تجب باليمين والحنث جميعًا معًا؛ فإذا عاد فى ظهاره لزمته الكفارة.

واختلف العلماء والفقهاء فى معنى العود: فقال الشافعى رحمه الله: العود الموجب للكفارة أن يمسك عن طلاقها بعد الظهار، وتمضى مدة يمكنه أن يطلقها فلم يطلقها.

وقال قتادة فى قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ يريد أن يغشاها ويطأها بعدما حرمها. وإليه ذهب أبو حنيفة قال: إن عزم على وطئها فنوى أن يغشاها كان عوداً.

وتلزمه الكفارة وإن لم يعزم على الوطء، فإنه لا يكون عوداً.

وقال مالك: إن وطئها كان عوداً، وإن لم يطأها لم يكن عوداً.

وقال أصحاب الظاهر: إن كرر اللفظ كان عوداً وإن لم يكرر اللفظ لم يكن عوداً. وهو قول أبى العالية، وظاهر الآية يشهد له، وهو قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أى إلى ما قالوا ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾. أى مؤمنة لأن الله تعالى قيد الرقبة بالإيمان فى كفارة القتل، وأطلق فى هذا الموضع ومن حكم المطلق أن يحمل على المقيد وقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾.

أن يجامعها فالجماع نفسه محرم على المظاهر حتى يكفر فإن وطئ قبل التكفير فقد فعل محرمًا، ولا تسقط عنه الكفارة بل يأتى بها على وجه القضاء كما لو أخر الصلاة عن وقتها، فإنه لا يسقط عنه إتيانها بل يلزمه قضاؤها، وسواء كفر بالإعتاق أو الصيام أو الإطعام فإنه

(١) زيادة يتطلبها السياق أحسبها سقطت سهواً.

يجب عليه تقديم الكفارة، ولا يجوز له أن يطأها قبل الكفارة.

وقال أبو حنيفة: إن كفر بالإطعام جاز له أن يطأ، ثم يطعم، ولم يخالف العتق والصيام.

فهذا حكم وطء المظاهر قبل التكفير.

فأما غير الوطء من التقبيل والتلذذ فإنه لا يحرم فى قول أكثر العلماء، وهو قول الحسن وسفيان، والصحيح من مذهب الشافعى. وقال بعضهم عنى به جميع معانى المسيس لأنه عام وهو أحد قولى الشافعى.

﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ تؤمرون به ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾. يعنى الرقبة ولا ثمنها أو يكون مالكًا للرقبة إلاّ أنه محتاج إليها لخدمته أو يكون مالكًا للثمن ولكن يحتاج إليه لنفقته أو كان له مسكن يسكنه، فله الانتقال إلى الصوم.

وقال أبو حنيفة: ليس له أن يصوم وعليه أن يعتق الرقبة وإن كان محتاجًا إليها أو إلى ثمنها، فإنْ عجز عن الرقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ فإن أفطر فى أثنائهما بغير عذر قطع التتابع وعليه أن يستأنف شهرين متتابعين وإن أفطر بعذر المرض أو السفر، فاختلف الفقهاء فيه.

فقال قوم: لا ينقطع التتابع ولكن يبنى ويقضى الباقى، وإليه ذهب سعيد بن المسيب، والحسن، وعطاء بن أبى رباح، وعمرو بن دينار، والشعبى وهو أحد قولى الشافعى رحمه الله.

وقال آخرون: ليس له أن يبنى بل يلزمه أن يستأنف ويبتدئ، وهو قول النخعى وأصحابه. والأصح من قولى الشافعى.

فإن تخلل صوم الشهرين زمان لا يصح فيه الصوم عن الكفارة كالعيدين وأيام التشريق، وأيام شهر رمضان فإن التتابع ينقطع بذلك، ويجب الاستئناف.

ولو وطئ المظاهر فى الشهرين نظرت فإن وطئها نهاراً بطل التتابع وعليه الابتداء، وإن وطئها ليلاً لم يبطل التتابع. وقال أبو حنيفة سواء وطئ ليلاً أو نهاراً فإنه يبطل التتابع وعليه أن يستأنف صوم شهرين متتابعين.

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصيام، وعدم الاستطاعة مثل أن يخاف من الصوم التلف، أو لخوف مشقة شديدة أو مضرة ظاهرة. ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لكل مسكين مُدٌّ من غالب قوت بلده. والخلاف فيه بين الفريقين كالخلاف فى زكاة الفطر ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ يخالفون ويعادون ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ﴾ أهلكوا وأحزنوا وأخزوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ﴾ قراءة العامة بالياء لأجل الحائل. وقرأ أبو جعفر: تكون بالتاء بتأنيث النجوى. والأول أفصح وأصح. ﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾ متناجين ﴿ثَلَـٰثَةٍ﴾ قال الفراء: إن شئت خفضت الثلاثة على نعت النجوى، وإن شئت أضفت النجوى إليها، ولو نصبت على أنها حال لكان صوابًا. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بالعلم يسمع نجواهم، ويعلم فحواهم. ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ قراءة العامة بالنصب في محل الخفض على العطف. وقرأ يعقوب، وأبو حاتم: (أكثرُ) بالرفع على محل الكلام قبل دخول «من». وقرأ الزهري ﴿أَكْبَرَ﴾ بالباء. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ الآية.

قال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال

ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا، وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله هذه الآية.

وقال المقاتلان: نزلت فى اليهود، وكانت بينهم وبين نبى الله ﷺ موادعة، فإذا مَرّ بهم رجل من أصحاب النبى ﷺ جلسوا يتناجون فيما بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون فى قتله أو بما يكره فيترك الطريق عليهم من المخافة.

فبلغ ذلك النبى ﷺ فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا، وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال ابن زيد: كان الرجل يأتى النبى ﷺ ويسأله الحاجة ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله ﷺ.

وكان النبى ﷺ لا يمنع ذلك من أحد، والأرض يومئذ حرب على أهل البلد، وكان إبليس يأتى اليوم فيقول لهم: إنما يتناجون فى حرب حَضَرَت أو جمع قد جُمع لكم أو أمر مهم قد وقع. فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أى المناجاة. ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ أى يرجعون إلى المناجاة التى نهى عنها. ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ﴾ قرأ يحيى بن وثاب، والأعمش وحمزة (ينتجون) على وزن يفتعلون. وقرأ الباقون: ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ﴾ على وزن يتفاعلون، اختاره أبو عبيد، وأبو حاتم لقوله: ﴿إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ﴾ وتناجوا، ولم يقل: انتجيتم، وانتجوا. ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ وقرأ الضحاك: معصيات الرسول فيهما بالجمع ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ فيقولون: السام عليك. فيرد عليهم رسول الله ﷺ: (وعليكم). ولا يدرى ما يقولون، والسام، الموت، فإذا خرجوا قالوا: لو كان نبيًا لعذبنا واستجيب فينا، وعرف قولنا.

فدخلوا عليه ذات يوم، فقالوا: السام عليك، ففطنت عائشة رضى الله عنها إلى قولهم، فقالت: وعليكم السام والذام والداء واللعنة؛ فقال رسول الله ﷺ: «مه يا عائشة فإن الله يحب الرفق فى الأمر كله، ولا يحب الفحش والتفحش». قالت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوا؟! قال رسول الله ﷺ: «ألم تسمعى ما رددت عليهم». فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم». ثم نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم، كفعل المنافقين واليهود، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟﴾ قرأه العامة بالألف.

وروى رويس عن يعقوب: فلا تنجوا، من الانتجاء ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾

كفعل المنافقين واليهود. قوله تعالى: ﴿وَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ﴾ التناجى. ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا حماد بن الحسن أخبرنا عبيد الله أخبرنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه».

وأخبرنا محمد بن حمدون أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشير أخبرنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «لا يتناجى اثنان دون الثالث».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ﴾ قال قتادة: كانوا يتنافسون فى مجلس النبى ﷺ، وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ. فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض. وقال المقاتلان: كان النبى ﷺ فى الصفة وفى المكان ضيقة وكان يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء أُناس من أهل بدر، وفيهم: ثابت بن قيس بن شماس، وقد سبقوا فى المجلس، فقاموا حيال النبى ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته؛ فرد عليهم النبى ﷺ، ثم سلموا على القوم بعد ذلك، فردوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبى ﷺ ما يحملهم على القيام، فلم يفسحوا فشق ذلك على النبى ﷺ، فقال لمن حوله من المهاجرين، والأنصار، والتابعين من غير أهل بدر: «قم يا فلان، وأنت يا فلان».

فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أُقيم من مجلسه. فعرف النبى ﷺ الكراهية فى وجوههم؛ فقال المنافقون للمسلمين: ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس، فوالله ما عدل على هؤلاء، إن قومًا أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم، فأقامهم، وأجلس من أبطأ عنه مقامهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الكلبى: نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس، وقد ذكرت هذه القصة فى سورة الحجرات. فأنزل الله تعالى فى الرجل الذى لم يتفسح له ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ﴾ توسعوا. ومنه قولهم: مكان فسيح إذا كان واسعًا.

﴿فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ﴾ (١) وقرأ السلمى والحسن، وعاصم: ﴿فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ﴾ بالألف على الجمع.

---

(١) فى المخطوط: (المجلس) وأثبت ما فى مصحف عثمان بقراءة حفص عن عاصم المطبوعة، وتركت المؤلف يوضح الفرق بين القراءات فى الشرح.

وقرأ قتادة: تفاسحوا فى المجالس بالألف فيهما. وقرأ الآخرون: تفسحوا فى المجلس، يعنون مجلس النبى ﷺ.

واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، قال: لأنه قراءة العامة مع أن المجلس يؤدى معناه عن المجالس كلها فى مجلس النبى ﷺ وغيره.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى أخبرنا عبد الملك بن عمرو أخبرنا فليح عن أيوب بن عبد الرحمن بن صعصعة عن يعقوب ابن أبى يعقوب عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «لا يقم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم».

وقال أبو العالية، والقرظى: هذا فى مجالس الحرب، ومقاعد القتال، كان الرجل يأتى القوم فى الصف فيقول لهم توسعوا فيأبون عليه بحرصهم على القتال.

فأمرهم الله تعالى بأن يفسح بعضهم لبعض. وهذه رواية العوفى عن ابن عباس. قال الحسن: بلغنى أن رسول الله ﷺ كان إذا قاتل المشركين وصف أصحابه للقتال تشاحوا على الصف الأول ليكونوا فى أول عادية القوم.

وكان الرجل منهم يجىء إلى الصف الأول فيقول لإخوانه توسعوا ليلقى العدو، فيصيب الشهادة، فلا يوسعون له رغبة منهم فى الجهاد والشهادة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ قرأ عاصم، وأهل المدينة، والشام بضم الشين فيهما.

وقرأ الآخرون بكسرهما، وهما لغتان، يعنى وإذا قيل لكم قوموا وتحركوا وارتفعوا، وتوسعوا لإخوانكم فافعلوا.

وقال أكثر المفسرين معناه: إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة والجهاد، والذكر، وعمل الخيرات، أى حق كان فانشزوا، ولا تقصروا.

وقال عكرمة، والضحاك: يعنى إذا نودى للصلاة فقوموا لها.

وذلك أن، رجالاً تثاقلوا عن الصلاة إذا نودى لها، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال ابن زيد: هذا فى بيت رسول الله ﷺ، وذلك أن كل رجل منهم كان يحب أن يكون آخر عهده برسول الله ﷺ، فقال الله ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ عن النبى ﷺ فإن له حوائج ﴿فَٱنشُزُواْ﴾ ولا تطيلوا المكث عنده ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ بطاعتهم رسول الله ﷺ وقيامهم فى مجلسهم وتفسحهم لإخوانهم ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ منهم بفضل علمهم وسابقتهم ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ حسنات، فأخبر الله سبحانه أن رسول الله ﷺ مصيب فيما أمر، وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا،

وأن النفر من أهل بدر مستحقون بما عملوا من الإكرام. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهانى أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عامر البلخى أخبرنا القاسم بن عباد أخبرنا صالح بن محمد ابن الترمذى أخبرنا المسيب بن شريك عن أبى بكر الهذلى عن الحسن قال: قرأ ابن مسعود هذه الآية: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾.

فقال: يا أيها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم فى العلم فإن الله تعالى يقول: يرفع الله المؤمن العالم فوق الذى لا يعلم درجات.

أنبأنى عبد الله بن حامد الأصفهانى أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا صالح ابن مقاتل قال أخبرنا أبى أخبرنا محمد ابن الزبرقان عن حماد عن مقاتل عن أبى الزبير عن جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّل العالم على الشهيد درجة، وفُضِّل الشهيد على العابد درجة، وفُضِّل النبى ﷺ على العالم درجة، وفُضِّل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، وفضل العالم على سائر الناس كفضلى على أدناهم».

وقال رسول الله ﷺ: «من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة».



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى

ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ أمام مناجاتكم ﴿صَدَقَةً﴾ قال ابن عباس: وذلك أن الناس سألوا رسول الله ﷺ فأكثروا حتى شقوا عليه وألحفوا بالمسألة، فأدبهم الله عز وجل وفطنهم عن ذلك بهذه الآية وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة.

وقال مقاتل بن حيان: نزلت فى الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبى ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره النبى ﷺ طول جلوسهم، ومناجاتهم، فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته. فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئًا، وأما أهل الميسرة فبخلوا ومنعوا، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت الرخصة.

قال مجاهد: نهوا عن مناجاة النبى ﷺ حتى يتصدقوا فلم يناجه إلاّ عَلِى بن أبى طالب عليه السلام قدم ديناراً فتصدق به، ثم نزلت الرخصة.

فقال عَلى عليه السلام: إن فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلِي ولا يعمل بها أحد بعدى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ فإنها فرضت ثم نسخت.

أخبرنا عبد الله بن حامد إجازة أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا على بن زفر ابن نصير أخبرنا يحيى بن عبد الحميد أخبرنا أبو عبد الرحمن الأشجعى عن سفيان عن عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبى الجعد عن على بن علقمة الأنصارى عن على بن أبى طالب عليه السلام قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ دعانى رسول الله ﷺ فقال لى: «ما ترى بذى دينار؟» قلت: لا يطيقونه، قال: «كم»؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: «إنك لزهيد» فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ الآية.

قال على عليه السلام: فبى خفف الله عز وجل عن هذه الأمة، ولم تنزل فى أحد قبلى، ولن تنزل فى أحد بعدى.

قال ابن عمر: كان لعلى بن أبى طالب عليه السلام ثلاث لو كانت لى واحدة منهن كانت أحب إلىّ من حُمْر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعنى للفقراء. ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أبخلتم، وخفتم بالصدقة الفاقة ﴿أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فتجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل: الواو فيه صلة، مجازه: وإذ لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفف ونسخ الصدقة.

قال مقاتل بن حيان: إنما كان ذلك عشر ليال، ثم نسخ.

وقال الكلبى: ما كانت إلاّ ساعة من نهار.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزلت فى المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم، ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين. ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يا معشر المسلمين. ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ يعنى اليهود والكافرين نظيره: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ﴾ (النساء: ١٤٣).

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال السدى ومقاتل: نزلت فى عبد الله بن نَبْتَل المنافق، كان يجالس النبى ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينا رسول الله ﷺ فى حُجْرَة من حُجَره إذ قال: «يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ينظر بعينى شيطان» فدخل عبد الله بن نَبْتَل، وكان أزرق، فقال له النبى ﷺ: «علام تشتمنى أنت وأصحابك؟!».

فحلف بالله ما فعل، وقال له النبى ﷺ «فعلت».

فانطلق، فجاءه بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ الكاذبة. وقرأ الحسن بكسر الألف، إقرارهم ﴿جُنَّةً﴾ يستجنون بها من القتل، ويدفعون بها عن أنفسهم وأمواله.

﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ يوم القيامة. ﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ﴾ كاذبين، ما كانوا مشركين.

قال قتادة: إن المنافق يحلف له يوم القيامة كما يحلف لأوليائه فى الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن علي الفيروزباذي أخبرنا أحمد بن يعقوب بن محمد الأنباري أخبرنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة بن ماهان الواسطي أخبرنا إبراهيم بن سالم الهجمي أخبرنا إبراهيم بن سليمان الدباس أخبرنا ابن أخي رواد عن الحكم بن عيينة عن مقسم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادى مناد يوم القيامة: أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة أعينهم مائل شدقهم يسيل لعابهم، فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسًا ولا قمرًا ولا صنمًا ولا وثنًا، ولا اتخذنا من دونك إلهًا».

فقال ابن عباس: صدقوا والله أتاهم الشرك من حيث لا يشعرون، ثم تلا ابن عباس هذه الآية: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ هم والله القدريون، هم والله القدريون. ﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ غلب واستولى. ﴿عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ في الأسفلين.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ قضى الله سبحانه ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ وذلك أن المؤمنين قالوا: لئن يفتح الله لنا مكة وخيبر وما حولها فإنا نرجو أن يظفرنا الله تعالى على الروم وفارس؛ قال عبد الله بن أُبيّ: أتظنون أن الروم، وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها؟ والله لهم أكثر عددًا، وأشد بطشًا من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾. نظيره قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (الصافات: ١٧١ - ١٧٣).

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية. نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة. سنذكر القصة في سورة الامتحان[1] إن شاء الله تعالى.

وقال السدي: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالسًا إلى جنب رسول الله ﷺ، فشرب رسول الله ﷺ الماء، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك، فقال: «وما تصنع بها؟» قال: أسقيها أبي لعل الله يُطهر قلبه، ففعل، فأتى بها أباه. فقال: ما هذا؟ فقال: فضلة من شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك. فقال أبوه: هلا جئتني ببول أُمّك. فرجع إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أتأذن لي في قتل أبي؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل ترفق به وتُحسن إليه».

وقال ابن جريج: حُدِّثت أن أبا قحافة سَبّ النبي ﷺ، فصكه أبو بكر صكة سقط منها، ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «أوفعلته؟» فقال: نعم، قال: «فلا تعُد إليه».

---

(١) يريد سورة الممتحنة.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: والله لو كان السيف منى قريبًا لقتلته، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

وروى مقاتل بن حيان عن مُرَّة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قال: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ يعنى أبا عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أُحد ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ يعنى أبا بكر دعاه ابنه يوم بدر للبراز، وقال يا رسول الله دعنى أكر فى الرعَلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ «متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى».

﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ يعنى مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أُحد. ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر. وعليًا، وحمزة، وعبيدة، قتلوا: شيبة وعتبة ابنى ربيعة، والوليد بن عتبة يوم بدر ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ قراءة العامة بفتح الكاف والنون.

وروى المفضل عن عاصم بضمهما على المجهول، والأول أجود لقوله: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾، و﴿وَيُدْخِلُهُمْ﴾.

قال الربيع بن أنس: يعنى أثبت فى قلوبهم الإيمان وهى موقنة مخلصة.

وقيل: معناه كتب فى قلوبهم الإيمان كقوله: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ (طه: ٧١).

وقيل: حكم لهم بالإيمان، فذكر القلوب لأنها موضعه.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ وقواهم بنصر منه، قاله الحسن. وقال السدى: يعنى بالإيمان وقال ربيع بالقرآن والحجة نظيره: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٢٥).

وقال ابن جرير: بنور، وبرهان، وهدى. وقيل: برحمة. وقيل: أمدهم بجبريل عليه السلام.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا محمد بن حمدان ابن سفيان أخبرنا محمد بن يزيد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا مرداس بن بلال أخبرنا إسماعيل عن سعد بن سعيد الجرجانى عن بعض مشيخته قال: قال داود عليه السلام: «اللهم[1] مَنْ حزْبُكَ وحول عرشك»؟ فأوحى الله عز وجل إليه: يا داود الغاضة أبصارهم، النقية قلوبهم، السليمة أكفهم أُولئك حزْبى وحول عرشى.

---

(١) فى متن المخطوط: «اللهم»، والتصويب من هامش المخطوط.

سورة الحشر

مدنية، وهى ألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفًا
وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وأربع وعشرون آية

أخبرنا أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد المروزى أخبرنا جدى أبو الحسن المحمودى أخبرنا أحمد بن تميم أخبرنا محمود عن العباس بن جلال أخبرنا محمد بن شجاع عن زيد العجمى عن أبى نضرة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحشر لم تبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسى ولا حجاب ولا السموات السبع والأرضون السبع والهوام والريح والطير والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة إلاّ صلوا عليه، واستغفروا له، فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيدًا».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ﴾ الآيات.

قال المفسرون: نزلت هذه الآيات بأسرها فى بنى النضير، وذلك أن النبى ﷺ لما دخل

المدينة صالحه بنو النضير على أن لا[١] يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبل النبى ﷺ ذلك منهم. فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً، وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله إنه للنبى الذى وجدنا نعته فى التوراة: لا ترد له راية. فلما غزا رسول الله ﷺ أُحداً وهُزِمَ المسلمون ارتابوا ونافقوا، وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله ﷺ فركب كعب بن الأشرف فى أربعين راكباً من اليهود إلى مكة، فأتوا قريشاً، فحالفوهم، وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد؛ ثم دخل أبو سفيان فى أربعين، وكعب فى أربعين من اليهود المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار[٢] الكعبة ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه إلى المدينة. فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره بما تعاقد عليه كعب، وأبو سفيان، وأمر النبى ﷺ بقتل كعب بن الأشرف. فقتله محمد بن مسلمة الأنصارى، وكان أخاه من الرضاعة.

وقد كان رسول الله ﷺ اطلع منهم على خيانته، ونقض عهده حتى أتاهم رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر، وعمر، وعلى يستعينهم فى دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى فى منصرفه من بئر معونة حين اغتزيا إلى بنى عامر فأجابوا إلى ذلك وأجلسوه وهموا بالفتك به، وطرح الحجر عليه من فوق الحصن فأخبره الله تعالى بذلك، وعصمه.

وقد مضت هذه القصة، وقصة مقتل كعب بن الأشرف.

فلما أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالسير إلى بنى النضير، وكانوا بقرية لهم يقال لها: زهرة، فلما سار إليهم النبى ﷺ وجدهم ينوحون على كعب وكان سيدهم؛ فقالوا: يا محمد، داعية على أثر داعية، وباكية على أثر باكية؟ قال: «نعم». قالوا: ذرنا نبك بشجوننا ثم ائتمر أمرك، فقال النبى ﷺ: «اخرجوا من المدينة». قالوا: الموت أقرب ألينا من ذلك.

فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال، ودَسّ المنافقون عبد الله بن أُبى وأصحابه إليهم أن لا تخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدرّبوا على الأزقة وحصنوها، ثم إنهم أجمعوا الغدر برسول الله ﷺ، فأرسلوا إليه: اخرج فى ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينكم فيسمعوا منك، فإن صدّقوك وآمنوا بك آمنا كلنا.

فخرج النبى ﷺ فى ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من اليهود، حتى إذا كانوا

(١) تكرر هذا اللفظ بآخر الصفحة (٨٥/أ) وأول الصفحة (٨٥/ب) من الجزء قبل الأخير.

(٢) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: الأستار والكعبة، وربما كان تصويباً من الناسخ.

فى براز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه: كيف نفهم ونحن ستون رجلاً اخرج فى ثلاثة من أصحابك، ونخرج إليك ثلاثة من علمائنا فيسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك.

فخرج النبى ﷺ فى ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ فأرسلت امرأة ناصحة من بنى النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ. فأقبل أخوها سريعًا حتى أدرك النبى ﷺ فَسَارَّه بخبرهم قبل أن يصل النبى ﷺ إليهم فرجع النبى ﷺ.

فلما كان الغد عدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فلما قذف الله عز وجل فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين، سألوا نبى الله الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبى ﷺ فقبلوا ذلك، فصالحهم على الإجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلاّ الحلقة وهى السلاح، وعلى أن يخلوا له ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم.

وقال ابن عباس: صالحهم على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من متاعهم، ولنبى الله ﷺ ما بقى.

وقال الضحاك: أعطى كل ثلاثة نفر حمل بعير أوْسُقًا ففعلوا ذلك، وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات، وأريحا، إلاّ أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق، وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر. ولحقت طائفة منهم بالحيرة. فذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى بنى النضير ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ التى كانت بيثرب.

قال ابن إسحاق: كان إجلاء بنى النضير مرجع النبى ﷺ من أُحد. وكان فتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب، وبينهما سنتان.

﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ قال الزهرى: كانوا من سبط لم يصبهم الجلاء فيما مضى، وكان الله تعالى قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا، وكانوا أول حشر فى الدنيا حشروا إلى الشام.

قال ابن عباس: من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية. وذلك أن النبى ﷺ قال لهم يومئذ: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ فقال: «إلى أرض المحشر». فأنزل الله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾.

وقال الكلبى: إنما قال: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ لأنهم أول من حُشروا من أهل الكتاب، ونفوا من الحجاز.

وقال مرة الهمداني: كان هذا أول الحشر من المدينة، والحشر الثانى من خيبر، وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى يديه.

وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والحشر الثانى نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل منهم من تخلف.

وقال يمان بن رئاب: إنما قال ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ لأن الله تعالى فتح على نبيه ﷺ فى أول ما قاتلهم.

﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون. ﴿أَن يَخْرُجُوا۟﴾ من المدينة. ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ حيث دربوها وحصنوها ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أى أمر الله وعدله. ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بقتل سيدهم كعب بن الأشرف.

﴿يُخْرِبُونَ﴾. قرأه العامة بالتخفيف من الإخراب أى يهدمون.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى، والحسن البصرى، وأبو عمرو بن العلاء بالتشديد من التخريب.

وقال أبو عمرو: إنما اخترت التشديد لأن الإخراب ترك الشىء خرابًا بغير ساكن، وإن بنى النضير لم يتركوا منازلهم فيرتحلوا عنها ولكنهم خَرَّبوها بالنقض والهَدِّ.

وقال آخرون: التخريب والإخراب بمعنى واحد. قال الزهرى: وذلك أنهم لما صالحهم النبى ﷺ على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشبة فى منازلهم مما يستحسنونه أو العمود أو الباب فيهدمون بيوتهم فينتزعونها منها ويحملونها على إبلهم ويُخرب المؤمنون باقيها.

وقال ابن زيد: كانوا يقتلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى الأوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسدًا وبغضًا.

وقال الضحاك: جعل المسلمون كلما هدموا شيئًا من حصونهم جعلوهم ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين يخربونها ثم يبغون ما خرب المسلمون.

وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارهم فيخرجون إلى التى بعدها فيتحصنون فيها، ويكسرون ما

يليهم منها، ويرمون بالتى خرجوا منها أصحاب النبى ﷺ.

قال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها، ويخربها اليهود من داخلها، فذلك قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ فاتعظوا. ﴿يَا أُولِى الْأَبْصَارِ﴾ يا ذوى العقول.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الخروج عن الوطن.

﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا﴾ بالقتل، والسَّبى كما فعل ببنى قريظة. ﴿وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ﴾ وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: ومن يشاقق الله كالتى فى الأنفال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ الآية وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل ببنى النضير وتحصنوا فى حصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك، وقالوا: يا محمد، زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الأرض؟ فشق ذلك على النبى ﷺ، ووجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فسادًا، واختلف المسلمون فى ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله تعالى علينا، وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها. فأنزل الله تعالى هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله عز وجل.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن، أخبرنا محمد بن يحيى، وعبد الرحمن بن بشر، وأبو الأزهر، وحمدان السلمى قالوا: أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرنا موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر: أن النبى ﷺ قطع نخل بنى النضير وحَرَّق، ولها يقول حسان بن ثابت:

وَهان على سراة بنى لؤى   حريق بالبويرة مستطير

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله، وأبو محمد إسحاق بن إبراهيم، وأبو على الحسن ابن محمد، وأبو القاسم الحسن بن محمد قالوا أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر: أن النبى ﷺ أمر بإحراق نخل بنى النضير، فقال فيه حسان بن ثابت:

وهان على سراة بنى لؤى   حريق بالبويرة مستطير

وفى ذلك نزلت: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾. واختلفوا فيها؛ فقال قوم هى ما دون العجوة من النخل، فالنخل كله لينة ما خلا العجوة، وهو قول عكرمة، ويزيد بن رومان، وقتادة.

ورواية باذان عن ابن عباس قال: وكان النبى ﷺ أمر بقطع نخلهم إلاّ العجوة، وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الألوان واحدُها لون ولينة، وأصلها لونة فقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها.

وقال الزهرى: اللينة ألوان النخل كلها إلاّ العجوة، والبرنية.

وقال مجاهد، وعطية، وابن زيد: هى النخل كله من غير استثناء.

وقال العوفى عن ابن عباس: هى لون من النخل.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبد الله المزنى أخبرنا الحضرمى أخبرنا جعفر بن حميد أخبرنا عبد الله بن المبارك عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ قال: النخلة والشجرة. وقال سفيان: هى كرائم النخل.

وقال مقاتل: هى ضرب من النخل يقال لثمرها اللون، وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس، وكان من أجود ثمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة منها ثمن وصيف، وأحب إليهم من وصيف فلما رأوا ذلك الضرب يُقطع شق عليهم مشقة شديدة، وقالوا للمؤمنين تزعمون أنكم تكرهون الفساد، وأنتم تفسدون وتخربون وتقطعون الشجر، دعوا هذا النخل فإنما هو لمن غلب عليها.

وقيل: هى النخلة القريبة إلى الأرض.

وأنشد الأخفش:

قد شجانى الحمام حين تغنى ... بفراق الأحباب من فوق لينه

والعرب تسمى ألوان النخل كلها لينة.

قال ذو الرُّمَّة:

كأن قتودى فوقها عش طائر ... على لينة فرواء تهفو جفونها

وقال أيضًا:

طراق الخوافى واقع فوق لينة ... بذى ليلة فى ريشها ترقرق

وجمع اللينة: لينٌ، وقيل: ليانٌ.

وقال امرؤ القيس يصف عنق فرس:

وسالفة كسحوق الليان ... أحرم فيه الغوى السُّعُرْ

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ سوقها فلم تقطعوها ولم تحرقوها. وقرأ عبد الله ما قطعتم من لينة لا تركتم قُوّمًا على أصولها سوقها فلم تقطعوها إلا بإذن الله، عز وجل، وقرأ

الأعمش: ما قطعتم من لينة أو تركتموها قَوْمًا على أصولها.

﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أى وليذل اليهود ويخزيهم ويغيظهم.



﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ ردّ الله ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ ورجع إليه ومنه فىء الظل. ﴿مِنْهُمْ﴾ من بنى النضير من الأموال. ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ فما أوضعتم. ﴿عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ وهى الإبل يقول: لم يقطعوا إليها شقة، ولم ينالوا فيها مشقة، ولم يكلفوا مؤونة، ولم يلقوا حربًا وإنما كانت بالمدينة فمشوا إليها مشيًا ولم يركبوا إليها خيلاً ولا إبلاً، إلاّ النبى ﷺ فإنه ركب جملاً، فافتتحها رسول الله ﷺ صلحًا، وأجلاهم عنها، وأحرز أموالهم، فسأل المؤمنون النبى ﷺ القسمة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فجعل أموال بنى النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئًا إلا ثلاثة نفر كانت بهم خصاصة، وهم: أبو دجانة سماك بن خرشة. وسهل بن حنيف. والحارث بن الصمة. ولم يسلم من بنى النضير إلاّ رجلان: أحدهما: سفيان بن عمير بن وهب. والثانى: سعيد بن وهب. أسلما على أموالهما فأحرزاها.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا بشر بن موسى قال: أخبرنا الحميدى أخبرنا سفيان أخبرنا عمرو بن دينار، ومعمر بن راشد عن ابن شهاب الزهرى أنه سمع مالك بن أوس بن الحدثان النضير يقول سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: إن أموال بنى النضير كانت مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله ﷺ خالصًا، وكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله منه نفقة سنة وما بقى جعله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله.

وأخبرنا محمد عبد الله بن حمدون أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا ابن عيينة عن معمر عن الزهرى.

(ح)[1] وأخبرت عن محمد بن جرير أخبرنا ابن عبد الأعلى أخبرنا أبو ثور عن معمر عن الزهرى عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: أرسل إلىّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدخلت عليه فقال: إنه قد حضر أهل ثبات من قومك وإنّا قد أمرنا لهم برضخ فاقسمه بينهم؛ فقلت: يا أمير المؤمنين مُرْ بذلك غيرى. قال: اقبضه أيها المرء.

فبينا أنا كذلك إذا جاء يرفأ مولاه فقال: عبد الرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان وسعد يستأذنون؛ فقال: ائذن لهم. ثم مكث ساعة، ثم جاء فقال: هذا على، والعباس يستأذنان.

فقال: ائذن لهما. فلما دخل العباس قال: يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا الغادر الفاجر الخائن، وهما حينئذ يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أموال بنى النضير؛ فقال القوم: اقض بينهما يا أمير المؤمنين، وأرح كل واحد منهما من صاحبه، فقد طالت خصومتهما. فقال: أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السموات والأرض، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة؟».

قالوا: قد كان ذلك. ثم قال لهما: أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالا: نعم. قال: فسأخبركم بهذا الفىء: إن الله تعالى خصَّ نبيه بشىء لم يعطه غيره، فقال عز من قائل: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ فكانت هذه لرسول الله ﷺ خاصة، فوالله ما اختارها دونكم، ولا استأثرها دونكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقى منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله منها سنتهم، ثم يجعل ما بقى فى مال الله.

قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ يعنى من أموال كفار أهل القرى.

قال ابن عباس: بنى قريظة والنضير، وهما بالمدينة وفدك وهى من المدينة على ثلاثة أميال، وخيبر، وقُرى عُرَيْنة، ويَنبُع جعلها الله تعالى لرسوله ﷺ يحكم فيها ما أراد فاحتواها كلها؛ فقال ناس: هلا قسمها، فأنزل الله هذه الآية ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾.

﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قرابة النبى ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

واختلف الفقهاء فى وجه استحقاقهم سهمهم من مال الفىء والغنيمة.

فقال قوم: إنهم يستحقون ذلك بالقرابة ولا تعتبر فيهم الحاجة، وعدم الحاجة، وإليه ذهب الشافعى وأصحابه.

---

(١) زيادة يتطلبها سياق الإسناد.

وقال آخرون: إنهم يستحقون ذلك بالحاجة، لا بالقرابة، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه. فإذا قسم ذلك بينهم فضل الذكور على الإناث كالحكم في الميراث فيكون للذكر سهمان وللأنثى سهم وقال محمد بن الحسن: يستوى بينهم ولا يفضل الذكور على الإناث.

❖ ذكر حكم هاتين الآيتين:

اختلف العلماء فيه فقال بعضهم: أراد بقوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الغنائم التى أخذها المسلمون من أموال الكافرين عنوة وغلبة، وكانت الغنائم التى يأخذها المسلمون من أموال الكافرين عنوة وغلبة، وكانت الغنائم فى بدء الإسلام لهؤلاء الذين سماهم الله فى سورة الحشر دون القائمين والموجفين عليها، ثم نسخ ذلك بقوله فى سورة الأنفال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ (الأنفال: ٤١) الآية.

وهذا قول يزيد بن رومان، وقتادة.

وقال بعضهم: الآية الأولى: بيان حُكم أموال بنى النضير خاصة لقوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾. والآية الثانية: بيان حكم سائر الأموال التى أصيبت بغير قتال، ولم يُوجف عليها بالخيل والجمال.

وقال الآخرون: هما واحد والآية الثانية بيان قسم المال الذى ذكره الله تعالى فى الآية الأولى.

واعلم أن جملة الأموال التى للأئمة والولاة فيها مدخل على ثلاثة أضرب:

أحدها: ما أخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات.

والثانى: الغنائم، وهى ما يحصل فى أيدى المسلمين من أموال الكافرين بالعهد والحرب.

والثالث: الفىء، وهو ما رجع إلى المسلمين من أموال الكافرين عفواً صفواً من غير قتال، ولا إيجاف خيل وركاب مثل مال الصلح، والجزية، والخراج، والعشور التى تؤخذ من تجار الكفار إذا دخلوا دار الإسلام ومثل أن يهرب المشركون ويتركوا أموالهم أو يموت منهم فى دار الإسلام أحد، ولا يكون له وارث.

فأما الصدقات: فمصرفها ما ذكر الله عز وجل فى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ (التوبة: ٦٠) الآية وقد مضى البيان عن أهل السهمين.

وأما الغنائم: فإنها كانت فى بدء الإسلام لرسول الله ﷺ يصنع بها ما يشاء كما قال عز من قائل: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (الأنفال: ١) ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ (الأنفال: ٤١) الآية، فجعل أربعة أخماسها للغانمين تقسم بينهم.

فأما ما كان من النقود، والعروض والأمتعة، والثياب، والدواب، والكراع فإنها تقسم بينهم ولا تُحبس عنهم.

وأما العقار فاختلف الفقهاء فيه. فقال مالك: للإمام أن يحبس الأراضى عنهم ويجعلها وقفًا على مصالح المسلمين.

وقال أبو حنيفة: الإمام مخير بين أن يقسمها بينهم وبين أن يحبسها عنهم ويجعلها وقفًا على مصالح المسلمين.

قال الشافعى رحمه الله: ليس للإمام حبسها عنهم بغير رضاهم وحكمها حكم سائر الأموال، وهو الاختيار لأن الله تعالى أخرج الخمس منها بعدما أضاف الجميع إليهم بقوله: ﴿غَنِمْتُم﴾ فدل أن الباقى لهم وحقهم، وأما الخمس الباقى فيقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله ﷺ، وسهم لذوى القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

وأما الفىء: فإنه كان يقسم على عهد رسول الله ﷺ على خمسة وعشرين سهمًا، أربعة أخماسها، وهى عشرون سهمًا لرسول الله ﷺ يفعل بها ما يشاء ويحكم فيها ما أراد، والخمس الباقى يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة.

وأما بعد وفاته ﷺ، فقد اختلف الفقهاء فى الأربعة الأخماس التى كانت له ﷺ من الفىء.

فقال قوم: إنها تصرف إلى المجاهدين المترصدين للقتال فى الثغور وهو أحد قولى الشافعى.

وقال آخرون: يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار، وبناء القناطر ونحوها يبدأ بالأهم فالأهم، وهو القول الآخر للشافعى.

وأما السهم الذى كان لرسول الله ﷺ من خمس الفىء، وخمس الغنيمة فإنه يُصرف بعضه إلى مصالح المسلمين بلا خلاف كما قال النبى ﷺ: «الخمس مردود فيكم».

وهكذا ما خلّفه من مال غير موروث عنه بل هو صدقة تصرف عنه إلى مصالح المسلمين كما قال ﷺ: «إنّا لا نورث ما تركنا صدقة» فكانت صفايا رسول الله ﷺ من مال الفىء الذى خصه الله تعالى بها له ينفق منها على أهله نفقة سنة فما فضل جعله فى الكراع والسلاح فى سبيل الله عز وجل كما ذكرنا فلما توفى رسول الله ﷺ وليها أبو بكر رضى الله عنه فجعل يفعل بها ما كان يفعل رسول الله ﷺ، ثم وليها عمر رضى الله عنه على ما ولى رسول الله ﷺ، وأبو بكر؛ فلما استخلف عثمان رضى الله عنه ولاّها عليا عليه السلام على سبيل التولى، وجعله القسيم فيها فجعل يليها على ما وليها رسول الله ﷺ وصاحباه، وبالله التوفيق.

أخبرنا عقيل بن محمد الجرجانى أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم عن أبى جعفر الطبرى أخبرنا ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس الحدثانى قال: قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ الآية حتى بلغ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠) ثم قال: هذه لهؤلاء ثم قرأ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ (الأنفال: ٤١) الآية ثم قال: هذه لهؤلاء. ثم قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ الآية حتى بلغ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ . . .وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ... وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ ثم قال: استوعبت هذه المسلمين عامة فليس أحد إلاّ له فيها حق ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعى وهو يسير بحمير يصيبه منها ما لم يعرق جبينه فيها.

قوله تعالى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ﴾ قرأه العامة ﴿يَكُونَ﴾ - بالياء - ﴿دُولَةً﴾ بالنصب على معنى كى أى كى لا يكون الفيء دولة، وقرأ أبو جعفر وهشام بالتاء والرفع، أى كى لا تكون الغنيمة أو الأموال، ورفع ﴿دُولَةٌ﴾ على اسم كان وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحينئذ لا خبر لها، والقراء كلهم ضم الدال من ﴿دُولَةً﴾ إلاّ أبا عبد الرحمن السلمى فإنه فتح دالها.

قال عيسى بن عمر: هما لغتان بمعنى واحد، وفرق الآخرون بينهما فقالوا: الدَّولة بالفتح الظفر والغلبة فى الحرب وغيرها، وهى مصدر، والدُّولة بالضم اسم للشيء الذى يتداوله الناس بينهم مثل العارية، ومعنى الآية كى لا يكون الفيء دولة بين الرؤساء والأقوياء والأغنياء فيغلبوا عليها الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى منها أيضًا يعنى المرباع ما شاء، وفيه يقول شاعرهم:

لك المرباع منها والصفايا   وحلمك والنشيطة والفضول

فجعل الله سبحانه هذا لرسول الله ﷺ يقسمه فى المواضع التى أمر بها ليس فيها خمس فإذا خمس وقع بين المسلمين جميعًا.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾ أعطاكم. ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ من الفيء والغنيمة. ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ من الغلول وغيره. ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾.

قال الحسن فى هذه الآية: يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الدينورى أخبرنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن على أخبرنا أبو محمد عبيد بن أحمد بن عبيد الصفار الحمصى أخبرنا عطية بن بقية بن الوليد أخبرنا عيسى بن أبى عيسى قال سمعت موسى بن أبى حبيب قال سمعت الحكم بن عمير الثمالى وكانت له صحبة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن صعب مستصعب عَسِرٌ على من

تركه ميسر على من تبعه وطلبه، وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم، فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وبحديثي خسر الدنيا والآخرة وأمرْتم أن تأخذوا بقولي وتكتنفوا أمري وتتبعوا سُنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن، ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾.

وأخبرنا الحسن بن محمد النحوي أخبرنا عبد الله بن محمد ابن شنبة أخبرنا جعفر بن محمد الفريابي، وعبد الله بن أحمد بن الكسائي قالا: أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة أخبرنا معاوية بن هشام، أخبرنا سفيان الثوري، عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن زيد قال: لقي عبد الله بن مسعود رجلاً مُحْرمًا وعليه ثيابه فقال: انزع عنك ثيابك هذا. فقال الرجل: أتقرأ عليّ بهذا آية من كتاب الله؟ قال: نعم.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝﴾

﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾. يعني كيلا يكون ما أفاء الله تعالى على رسوله دولة بين الأغنياء منكم ولكن يكون للفقراء ﴿ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم. قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حبًّا لله ورسوله واختاروا الإسلام على ما كان فيهم من الشك حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقوم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحُفرة في الشتاء ما له دثار غيرها.

وروى جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبي أبزى قالا:

كان أناس من المهاجرين لأحدهم الدار، والزوجة، والعبد، والناقة يحج عليها ويغزو

فنسبهم الله تعالى أنهم فقراء وجعل لهم سهمًا فى الزكاة.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾ توطنوا قوله تعالى: ﴿ٱلدَّارَ﴾ أى اتخذوا المدينة دارًا للإيمان والهجرة، وهم الأنصار أسلموا فى ديارهم وابتنوا المساجد قيل قدوم النبى ﷺ بسنتين فأحسن الله عليهم الثناء ونظم الآية: والذين تبوأوا الدار من قبلهم.

ومن قبل قدوم المهاجرين عليهم وقد آمنوا ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حزازة وغيظا وحسدًا ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أى: مما أعطى المهاجرون من الفىء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال فىء بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئًا إلاّ ثلاثة نفر كما ذكرناهم فطابت أنفس الأنصار بذلك. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إخوانهم المهاجرين بأموالهم ومنازلهم. ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد الشيبانى أخبرنا أبو العباس محمد بن إبراهيم الثقفى أخبرنا محمود بن خداش وسمعته يقول ما أخذت ميزانًا بيدى قط ـ قال حدثنا محمد بن الحسن الشيبانى أخبرنا الفضل بن غزوان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ وقد أصابه الجهد، فقال: يا رسول الله، إنى جائع فأطعمنى فبعث النبى ﷺ إلى أزواجه: «هل عندكن شىء؟» فكلهن قلن: والذى بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء؛ فقال رسول الله ﷺ: «ما عند رسول الله ﷺ ما يطعمك هذه الليلة» ثم قال: «من يضف هذا هذه الليلة يرحمه الله»

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. (فذهب به إلى زوجته فقال لها: هذا ضيف رسول الله ﷺ) فأكرميه ولا تدخرى عنه شيئًا. فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، قال: قومى فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئًا، ثم أسرجى فأبرزى فإذا أخذ الضيف ليأكل قومى كأنك تصلحين السراج فأطفئيه، وتعالى نمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله ﷺ حتى يشبع ضيف رسول الله؛ فقامت إلى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيئًا؛ ثم قامت فأبرزت وأسرجت، فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كأنها تصلح السراج فأطفأته، فجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ﷺ، فظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع ضيف رسول الله ﷺ وباتا طاويين فلما أصبحا غدوا لرسول الله ﷺ فلما نظر إليهما تبسم، ثم قال: «لقد عجب الله من فلان وفلانة، هذه الليلة» فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ إلى آخر الآية.

وقال أنس بن مالك: أهدى لبعض الصحابة رأس شاة مشوى، وكان مجهودًا فوجهه إلى

جار له فتناولته تسعة أنفس ثم عاد إلى الأول، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ إلى آخر الآية.

ويحكى عن أبى الحسين الأنطاكى: أنه اجتمع عندهُ نيف وثلاثون رجلاً بقرية بقرب الرى ولهم أرغفة معدودة لم تسع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام فلما رُفِع فإذا الطعام بحاله لم يأكل واحد منهم إيثاراً منه لصاحبه على نفسه.

ويحكى عن حذيفة العدوى قال: انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لى ومعى شىء من ماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت وجهه، فإذا أنا به، قلت أسقيك؟ فأشار إلىّ: نعم، فإذا رجل يقول آه فأشار ابن عمى أن انطلق به إليه فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك، فسمع آخر يقول: آه، فأشار هشام يقول انطلق إليه، فجئته، فإذا هو قد مات، ثم رجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، ثم رجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات رحمهم الله.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد النيسابورى يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الجرجانى يقول سمعت الحسن بن علويه الدامغانى يقول: يحكى عن أبى يزيد البسطامى قال: ما غلبنى أحد مثل ما غلبنى شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجًا فقال لى: يا أبا يزيد ما حَدُّ الزهد عندكم؟ قلت: إذا وجدنا أكلنا، وإذا فقدنا صبرنا. فقال: هكذا عندنا كلاب بلخ. قلت: وما حد الزهد عندكم؟ فقال: إذا فقدنا صبرنا، وإذا وجدنا آثرنا.

وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أبا محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم البلاذرى يقول: سمعت بكر بن عبد الرحمن يقول: سئل ذو النون المصرى عن علامة الزاهد المشروح صدره؟ فقال: ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت.

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ يوم بنى النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم فلم يقسم لكم شىء من الغنيمة».

فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالقيمة ولا نشاركهم فيها، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الشح فى كلام العرب البخل ومنع الفضل، يقال: فلان شحيح بَيّن الشُّحِّ، والشحة والشحاحة، قال عمرو بن كلثوم:

ترى اللحز الشحيح إذا أُمِرَّت ... عليه لِمَالِهِ فيها مُهِينَا

وفرق العلماء من السلف بينهما.

وأخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين، أخبرنا موسى بن محمد بن على، أخبرنا إدريس بن عبد الكريم الحداد أخبرنا عاصم بن على بن عاصم. .

(ح)[1] وحدثنا عبد الخالق على بن عبد الخالق أخبرنا ابن حبيب أخبرنا ابن شاكر أخبرنا عاصم بن على أخبرنا مسعود عن جامع بن شداد عن أبى الشعثاء قال: قال رجل لعبد الله بن مسعود: يا أبا عبد الرحمن، إنى أخاف أن أكون قد هلكت. قال: وما ذاك؟ قال سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾، وأنا رجل شحيح لا أكاد أخرج من يدى شيئًا؛ فقال: ليس ذاك الشح الذى ذكر الله تعالى فى القرآن، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلمًا، ذلك البخل وبئس الشىء البخل.

وروى على بن طلحة عن ابن عباس: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾. قال: يقول هوى نفسه يتبع هواه فلم يقبل الإيمان.

وقال ابن زيد: من لم يأخذ شيئًا لشىء نهاه الله عنه، ولم يدع الشح إلى أن يمنع شيئًا من شىء أمره الله تعالى به، فقد وقاه شح نفسه.

وقال طاوس: البخل أن يبخل الإنسان بما فى يديه، والشح أن يشح بما فى أيدى الناس.

وأخبرنا أحمد بن أبى الفراتى أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الله النحوى أخبرنا محمد بن حمدون ابن خالد أخبرنا محمد بن عبد الوهاب بن أبى تمام العسقلانى أخبرنا سليمان ابن بنت شراحيل أخبرنا إسماعيل بن عياش أخبرنا عمارة بن غزية الأنصارى عن عمه عمر بن حارثة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «برئ من الشح من أدى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى فى النائبة».

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن على، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد الطائى أخبرنا عبد الله بن زيد أخبرنا إبراهيم بن العلاء أخبرنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن الغاز عن أبان عن أنس ابن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «اللهم إنى أعوذ بك من شح نفسى وإسرافها ووسواسها».

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا هارون بن محمد بن هارون أخبرنا عبد الله بن محمد بن سنان أخبرنا عبد الله بن مسلمة القعنبى أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

---

(١) زيادة حديثية يتطلبها السياق.

وروى سعيد بن جبير عن أبى الهياج الأسدى قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهم قنى شح نفسى؛ لا يزيد على ذلك، فقلت له فيه، فقال: إنى إذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم أزن، ولم أفعل ولم أفعل. فإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف.

ويحكى أن كسرى قال لأصحابه: أى شىء أضر بابن آدم؟ قالوا: الفقر. فقال كسرى: الشح أضر من الفقر لأن الفقير إذا وجد اتسع، والشحيح لا يتسع أبدًا.

قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِى قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

قال ابن أبى ليلى الناس على ثلاثة منازل: الفقراء المهاجرون، والذين تبوأوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم. فاجهد أن لا تكون خارجًا من هذه المنازل.

أخبرنا الحسين بن محمد الدينورى أخبرنا على بن إبراهيم الموصلى أخبرنا محمد بن مخلد الدورى أخبرنا محمد بن إسماعيل الحسانى أخبرنا أبو يحيى الحمانى عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن مقسم عن ابن عباس قال: أمر الله تعالى بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، وهو يعلم أنهم سيفتنون.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا ابن نمير أخبرنا أبى أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت: أُمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها».

وأخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الحسن بن على الطوسى أخبرنا محمد بن المؤمل بن الصباح البصرى أخبرنا النضر بن حماد العتكى أخبرنا سيف بن عُمر الأسدى أخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لعن الله شرّكم».

وأخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا ابن النعمان أخبرنا هارون بن سليمان أخبرنا عبد الله بن داود أخبرنا كثير بن مروان الشامى عن عبد الله بن يزيد الدمشقى قال: أتيت الحسن فذكر كلامًا إلاّ أنه قال: أدركت ثلاثمائة من أصحاب محمد ﷺ منهم سبعون بدريًا كلهم يحدثوننى، أن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

فالجماعة أن لا يسبوا الصحابة ولا يماروا فى دين الله تعالى، ولا يكفروا أحدًا من أهل

التوحيد بذنب.

قال عبد الله بن زيد: فلقيت أبا أمامة، وأبا الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك وكلهم يحدثوننى بحديث عن رسول الله ﷺ بمثل حديث الحسن.

وأخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا ابن حبيب المقرئ أخبرنا ابن صالح نصر بن الأصبغ التنوخى أخبرنا أبو الفضل ـ هو الربيع بن محمد بن عيسى الكندى أخبرنا سعيد بن منصور أخبرنا شهاب بن خداش عن عمه العوام بن حوشب قال: أدركت من أدركته من صدر هذه الأمة، وهم يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ حتى تأتلف عليهم القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم.

وسمعت عبد الله بن حامد يقول: سمعت محمد بن محمد بن الحسن يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن القاسم الجمحى العتكى قال سمعت محمد بن سعدان المروزى أخبرنا أحمد ابن إسماعيل المروزى عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال: قال عامر بن شراحيل الشعبى قال أخبرنا مالك قال: تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة؛ سُئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى، وسُئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حواريُّو عيسى. وسُئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد ﷺ. أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ (المائدة: ٦٤) بسفك دمائهم، وتفريق شملهم، وإدحاض حججهم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة.

وأخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد العدل أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقرئ أخبرنا أحمد بن محمد بن سالم أخبرنا سوار بن عبد الله القاضى أخبرنا أبى قال: قال مالك بن أنس: من ينتقص أحداً من أصحاب محمد ﷺ، أو كان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فىء المسلمين[1]، ثم تلا: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ حتى أتى على هذه الآية، ثم قرأ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ حتى أتى على هذه الآية ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ حتى أتى على هذه الآية ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ فمن ينتقصهم أو كان فى قلبه عليهم غل فليس له من الفىء حق.

❖ ❖ ❖

(١) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه على النحو التالى: فمن تنقصهم أو كان فى قلبه غل فليس له فى الفىء حق.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ أى أظهروا خلاف ما أضمروا، وهو مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو أحد جحريه إذا أخذ عليه جحر أخذ من جحر آخر، فيقال عند ذلك نفق ونافق فشبه فعل المنافقين بفعل اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب. فكذلك المنافق يدخل فى الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد، والنفاق لفظ إسلامى لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام.

﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وهم بنو قريظة والنضير. ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾

من دياركم. ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾ سألنا خذلانكم وخلافكم. ﴿أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ لَئِنْ﴾ أى ولئن. ﴿أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أى المنافقين. ﴿لَأَنتُمْ﴾. يا معشر المؤمنين. ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ يقول: يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يعنى اليهود. ﴿جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ ولا يبرزون لكم بالقتال. ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ (١).

قرأ ابن عباس، ومجاهد، وابن كثير، وأبو عمرو: جدار بألف على الواحد.

وروى عن بعض أهل مكة: جَدْرٍ بفتح الجيم وتسكين الدال، وهى لغة فى الجدار.

وقرأ يحيى بن وثاب: (جُدْرٍ) بضم الجيم، وسكون الدال.

وقرأ الباقون بضمهما.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعنى بعضهم فظ على بعض، وبعضهم عدو لبعض، وعداوتهم بعضهم لبعض شديدة.

وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله تعالى.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة مختلفة.

قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهاداتهم مختلفة أعمالهم، وهم يجتمعون فى عداوة أهل الحق، وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم وهم مشركو مكة. ﴿قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يوم بدر، قاله مجاهد. وقال ابن عباس: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى بنى قينقاع. وقيل: مثل قريظة كمثل بنى النضير، وكان بينهما سنتان فربما ذاقوا وبال أمرهم الجلاء والنفى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ثم ضرب مثلاً للمنافقين واليهود فى تخاذلهم فقال عز من قائل: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ الآية.

أخبرنا الحسين بن محمد الفنجوى أخبرنا محمد بن جعفر بن مخلد الباقرجى أخبرنا الحسن ابن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر أخبرنا مقاتل عن عطاء عن ابن

---

(١) فى المخطوط: «جدار» وأثبت ما فى مصحف عثمان برواية حفص المطبوع المتداول وتركت الخلاف للمؤلف يشرحه.

عباس، (ح)[1] وعن عبد الرحمن بن قبيصة عن أبيه عن ابن عباس فى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ﴾ الآية. قال: كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا، وكان قد تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه فى أمره الحيل، فلم يستطع له شىء فجمع ذات يوم مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا؟ فقال الأبيض وهو صاحب الأنبياء، وهو الذى تصدى للنبى ﷺ وجاءه فى صورة جبريل يوسوس إليه على وجه الوحى، فجاءه جبريل حتى دخل بينهما، فدفعه بيده دفعة هينة فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى أرض الهند فذلك قوله عز وجل: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (التكوير: ٢٠).

فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك. فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصا فناداه، فلم يجبه برصيصا، وكان لا ينفتل عن صلاته إلاّ فى كل عشرة أيام، وكان يواصل صوم الأيام العشرة، ولا يفطر إلا فى عشرة أيام مرة، ولا عشرين والأكثر. فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة فى أصل صومعته.

فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائمًا منتصبًا يصلى فى هيئة حسنة من هيئة الرهبان.

فلما رأى ذلك من حاله ندم فى نفسه حين لها عنه، فلم يجبه. فقال له: إنك ناديتنى وكنت مشتغلاً عنك، فحاجتك؟

فقال: حاجتى أنى أحببت أن أكون معك فأناديك وأقتبس من علمك ونجتمع على العبادة، فتدعو لى وأدعو لك. قال برصيصا: إنى لفى شغل عنك، فإن كنت مؤمنًا، فإن الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين والمؤمنات نصيبًا إن استجاب لى، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، وأقبل الأبيض يصلى، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يومًا بعدها. فلما انفتل رآه قائمًا يصلى، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده وكثرة تضرعه وابتهاله إلى الله عز وجل كلمه، فقال له: حاجتك؟

فقال: حاجتى أن تأذن لى فأرتفع إليك. فأذن له فارتفع إليه فى صومعته. فأقام الأبيض معه حولاً يتعبد لا يفطر إلاّ فى كل أربعين يومًا مرة ولا ينفتل عن صلاته إلاّ فى كل أربعين يومًا مرة، وربما مَدّ إلى الثمانين؛ فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه، وأعجبه شأن الأبيض. فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا، إنى منطلق، فإن لى صاحبًا غيرك ظننت

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

أنك أشد اجتهاداً مما أرى وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت؛ قال: فدخل على برصيصا من ذلك أمر شديد وكره مفارقته للذى رأى من شدة اجتهاده، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندى دعوات أعلمكها إياك تدعو بهن، فهى خير مما أنت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى الله بها المبتلى والمجنون.

قال برصيصا إنى أكره هذه المنزلة لأن لى فى نفسى شغلاً، وإنى أخاف إن علم الناس بهذا شغلونى عن العبادة. فلم يزل به الأبيض حتى علمه، ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال له: قد والله أهلكت الرجل؛ قال: فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه فى صورة رجل متطبب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنونًا، فأعالجه؟

قالوا: نعم. فقال لهم: إنى لا أقوى على جنيته، ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله عز وجل فيعافى؛ فقالوا له: دلنا. فقال انطلقوا إلى برصيصا، فإن عنده اسم الله الذى إذا دعى به أجاب. قال: فانطلقوا إليه فسألوه ذلك. فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنه الشيطان. وكان الأبيض يفعل بالناس مثل ما فعل بذلك الرجل، ثم يرسله إلى برصيصا يدعو لهم فيعافون.

قال: فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى إسرائيل بين ثلاثة إخوة وكان أبوهم ملكهم، فمات واستخلف أخاه وكان عمها ملك بنى إسرائيل فعذبها وخنقها، ثم جاء لهم فى صورة متطبب وقال لهم أعالجها؟

قالوا: نعم عالجها، فعالجها، فقال: إن الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به فدعوها عنده فإذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت وترددها صحيحة قد ذهب عنها شيطانها. قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا. قال: وكيف لنا أن يقبلها منا ويجيبنا إلى هذا؟ هو أعظم شأنًا من ذلك. قال: فانطلقوا فابتنوا له صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليهم، ولتكن هذه الصومعه التى تبنون لزيقة بصومعته فإن قبلها وإلا تدعونها فى صومعته، وقولوا له: هى أمانة عندك فاحتسب فيها. قالوا: فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فأبى عليهم. فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض، ثم اطلعوا عليه فوضعوا الجارية فى صومعته فقالوا: يا برصيصا، هذه أختنا عرض لها عدو من أعداء الله، فهى أمانة عندك فاحتسبها.

ثم انصرفوا، فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين تلك الجارية وما بها من الجمال، فأسقط فى يده فدخل أمر عظيم. قال فجاءها الشيطان فخنقها، فلما رأى ذلك برصيصا انفتل عن صلاته، فدعا بتلك الدعوات، فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته.

ثم جاء الشيطان فخنقها، فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا وجاءه الشيطان،

فقال ويحك واقعها فلن تجد مثلها فتتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الأمر الذى تريد، فلم يزل به حتى واقعها، فافترشها، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها.

فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا، قد افتضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب، فإن سألوك فقل جاء شيطانها فذهب بها ولم أقو عليه. قال ففعل، فقتلها، ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل، فجاءه الشيطان وهو يدفنها ليلاً فأخذ طرف إزارها فبقى طرف إزارها خارجًا من التراب. قال: ثم رجع برصيصا إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاءه إخوتها يتعاهدون أُختهم، وكانوا يجيئون فى بعض[1] الأيام يسألون عنها ويطلبون إلى برصيصا ويوصونه بها.

فقالوا: يا برصيصا، ما فعلت أُختنا؟ فقال: جاءها شيطانها، فذهب بها ولم أُطقه. فصدقوه، فانصرفوا، فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى كبيرهم فى منامه فقال ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وإنه دفنها فى موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا.

فقال الأخ هذا حلم، وهو من عمل الشيطان إن برصيصا خير من ذلك.

قال: فتتابع عليه ثلاث ليال، فلم يكترث فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك. فقال الأوسط مثل ما قال الأكبر، فلم يخبر به أحدًا.

فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك. فقال أصغرهم لأخويه، والله لقد رأيت كذا وكذا. وقال الأوسط؛ وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا، وقال الأكبر: وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا، مثله.

فانطلقوا بنا إلى برصيصا فأتوه فقالوا: يا برصيصا ما فعلت أختنا. قال: أليس قد أعلمتكم بحالها وحال شيطانها؟ فكأنكم اتهمتمونى. فقالوا: والله لا نتهمك، فاستحيوا منه، وانصرفوا عنه، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة فى موضع كذا وكذا، وإن طرف إزارها خارج من التراب.

قال: فانطلقوا، ورأوا أختهم على ما رأوا فى منامهم. قال فمشوا فى مواليهم وعلمائهم مع الفؤوس والمساحى فهدموا صومعته، وأنزلوه، ثم كتفوه فانطلقوا به إلى الملك، فأقر على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال: تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران: قتل ومكابرة، اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله، وصلبه على خشبة. فلما وصلت أتاه الأبيض عيانًا وذلك أن إبليس لعنه الله قال للأبيض: وما يغنى عنك ما فعلت؟ إن قتل فهو كفارة لما كان منه. قال الأبيض: أنا أكفيكه. فأتاه، فقال: يا برصيصا تعرفنى؟

---

(١) فى متن المخطوط: «فرط»، وما أثبته من الهامش.

قال: لا والله. قال: أنا صاحبك الذى علمك الدّعوات فاستجيب لك، ويحك أما اتقيت الله فى أمانة خُنت أهلها، وأنت زعمت أنك أعبد بنى إسرائيل، أما استحييت؟ أما راقبت الله تعالى فى دينك، فلم يزل يعيره ويوبخه ثم قال له فى آخر ذلك: ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك، وفضحت أشباهك من الناس، فإن مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك بعدك. قال: فكيف أصنع؟ قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه وآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك. قال: وما هى؟ قال: تسجد لى. قال: أفعل، فسجد له. فقال: يا برصيصا هذا الذى أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك فلما كفر قال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يقول الله عز وجل: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ يعنى الشيطان وذلك الإنسان. ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قال ابن عباس: فضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير، والمنافقين من أهل المدينة[1]. وذلك أن الله عز وجل أمر نبيه أن يجلى بنى النضير عن المدينة، فَدَسَّ المنافقون إليهم، فقالوا: لا تجيبوا محمداً إلى ما دعاكم، ولا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم كنا معكم، وإن أخرجكم خرجنا معكم؛ قال: فأطاعوهم، فدربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصرة المنافقين حتى جاءهم النبى ﷺ فناصبوه الحرب يرجون نصرة المنافقين فخذلوهم، وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله.

قال ابن عباس: فكانت الرُّهبان بعد ذلك فى بنى إسرائيل لا يمشون إلا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسق والفجور فى الأحبار فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأ الله تعالى جريجًا الراهب مما رموه به انبسطت بعدها الرهبان فظهروا للناس.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بأداء فرائضه واجتناب معاصيه. ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يعنى يوم القيامة. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أى نسوا حق الله وتركوا أمره ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ يعنى حظ أنفسهم أن يقدموا لها خيراً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وركبنا فيه العقل. ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ﴾ فى صلابته ورزانته ﴿خَٰشِعًا﴾ ذليلاً خاضعًا ﴿مُّتَصَدِّعًا﴾ متشققًا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ

---

(١) هذا خبر لا يصح إسناده فلا يعتد بما جاء فيه على الإجمال فضلاً عن التفصيل وفى إسناده مقاتل بن سليمان وقد ضعفوه تضعيفًا شديداً مع إمامته وتقدمه فى التفسير.

﴿إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ وهو ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه. ﴿وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ وهو ما علموه وشاهدوه. وقال الحسن: يعنى السر والعلانية.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ وهو ذو الملك. وقيل: القادر على اختراع الأعيان ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به وقال قتادة: المبارك. وقال ابن كيسان: الممجد وهو بالسريانية قديشا.

﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ قال بعضهم: معناه المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم. ومصدق للمؤمنين ما وعدهم من الثواب، وقابل إيمانهم. ومصدق للكافرين ما أوعدهم من العقاب.

وقال ابن عباس، ومقاتل: هو الذى أمنَ الناس من ظلمه وأمنَ من آمن به من عقابه من الأمان الذى هو ضد التخويف كما قال: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٤).

قال النابغة:

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسَّنَد

وقال ابن زيد هو الذى يصدق المؤمنين إذا وَحّدُوه. وقال الحسين بن الفضل: هو الدّاعى إلى الإيمان والآمر به والموجب لأهله اسمه. وقال القرظى: هو المجير كما قال: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ (المؤمنون:٨٨). ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: الشهيد. وقال الضحاك: الأمين. وقال ابن زيد: المصدق. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى فى الكتب الله أعلم بتأويله. وقال عطاء: المأمون على خلقه، الخليل هو الرقيب. وقال يمان: هو المطلع. وقال سعيد بن المسيب: هو القاضى، قال المبرد: الحدب المُسْبل، قال عكرمة: الدال. قال أبو عبيدة: هى خمسة أحرف فى كلام العرب على هذا الوزن: المهيمن، والمسيطر، والمبيطر، والمنيقر، وهو الذاهب فى الأرض، والمخيمر اسم جبل.

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ قال ابن عباس: هو العظيم، وجبروت الله تعالى عظمته. وهو على هذا القول صفة ذات. وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح. يقال: جبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر وجبرت الأمر فانجبر وجبرته فجبر ويكون لازمًا ومتعديًا، قال العجاج:

❖ قد جَبَر الدِّين الإله فجبر ❖

نظيره فى كلام العرب: دلع لسانه فدلع، وفغر فاه ففغر، وعمر الدار فعمرت. وقال السدى: هو الذى يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى، أخبرنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى أخبرنا محمد بن بكار بن الريان أخبرنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال:

إنما يسمى الجبار لأنه جبر الخلق على ما أراد والخلق أرق شأنًا من أن يعصوا له أمرًا بل طرفة عين إلاّ بما أراد، وسئل بعض الحكماء عن معنى الجبار؟ فقال: هو القهار الذى إذا أراد أمرًا فعله وحكم فيه بما يريد لا يحجزه عنه حاجر ولا يفكر فيمن دونه إن آدم اجتبى من غير طاعة وإن إبليس لُعنَ على كثرة الطاعة، وقيل: هو الذى لا تناله الأيدى، من قول العرب: نخلة جبَّارة، إذا طالَت وفاتت الأيدى، قال الشاعر:

بواسق جبار أثيث فروعه وعالين قنوانًا من البُسر أحمرا

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به. وأصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد. قال حميد بن ثور:

عفت مثل ما يعفو الفصيل فأصبحت بها كبرياء الصعب وهى ركوب

قوله تعالى: ﴿ٱلْخَـٰلِقُ﴾ المقدر المقلب للشىء بالتدبير إلى غيره كما قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ (الزمر: ٦). وقال: ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح: ١٤).

﴿ٱلْبَارِئُ﴾. المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الممثل للمخلوقات بالعلامات المميزة، والهيئات المتفرقة حتى يتميز بها بعضها من بعض يقال: هذه صورة الأمر، أى مثاله فأولاً يكون خلقًا، ثم برءًا، ثم تصويرًا إذا انتهى وكمل. والله أعلم.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

أخبرنا أحمد بن محمد بن يعقوب الفقيه بالقصر قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ببغداد قال: أخبرنا الحسن بن عرفة قال: أخبرنا محمد بن صالح الواسطى عن سليمان بن محمد عن عمر بن نافع عن أبيه قال: قال عبد الله بن عمر: رأيت رسول الله ﷺ قائمًا على هذا المنبر - يعنى منبر رسول الله ﷺ وهو يحكى عن ربه عز وجل فقال: «إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة جمع السموات والأرضين السبع فى قبضته تبارك وتعالى» ثم قال: هكذا وشد قبضته ثم بسطها - ثم يقول: أنا الله الرحمن، أنا الله الرحيم، أنا الله الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئًا، أنا الذى أعدتها، أين الملوك؟ أين الجبابرة؟».

وأخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا ابن حمدان أخبرنا أبى أخبرنا محمد بن يونس الكديمى، أخبرنا عمرو بن عاصم أخبرنا أبو الأشهب عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا عبد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا ابن وهب أخبرنا

أحمد بن أبى شريح، وأحمد بن منصور الرمادى قالا: أخبرنا أبو أحمد الزبيرى أخبرنا خالد ابن طُهمان حدثنى نافع عن أبى رافع عن معقل بن يسار: أن النبى ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر، وكَّلَ الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، فإن مات فى ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قال حين يمسى كان بتلك المنزلة».

وأخبرنى محمد بن القاسم أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا السراج أخبرنا أحمد بن الفرج أخبرنا أبو عثمان - يعنى المؤذن أخبرنا محمد بن زياد، قال: سمعت أبا أمامة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض فى ذلك اليوم أو الليلة فقد أُوجب الجنة».

وأخبرنى ابن القاسم أخبرنا ابن بختيار أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا إبراهيم بن عبد الله أخبرنا عمرو بن عاصم أخبرنا أبو الأشهب أخبرنا يزيد الرقاشى عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ آخر سورة الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ إلى آخرها، فمات من ليلته مات شهيداً».

وأخبرنى أبو عثمان بن أبى بكر الحيرى أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد الحجاجى أخبرنا عبد الله بن أبان بن شداد: أن إسماعيل بن الحيرى حدثهم قال أخبرنا على بن زريق أخبرنا هشام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال: سألت حبيبى ﷺ عن اسم الله الأعظم، فقال: «عليك بآخر سورة الحشر فأكثر قراءتها» فأعدت عليه، فأعاد علىَّ، فأعدت عليه، فأعاد عَلَىّ.



سورة الممتحنة

مدنية وهى ألف وخمسمائة وعشرة أحرف،
وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وثلاث عشرة آية

أخبرنا أبو الحسين الخبازى المقرى أخبرنا ابن حيان أخبرنا الفرقدى أخبرنا إسماعيل بن عمرو أخبرنا يوسف بن عطية أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة عن أُبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن

يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝١١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة: وذلك أن سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمسلمة جئت»؟ قالت: لا. قال: «أمهاجرة جئت»؟ قالت: لا، قال: «فما جاء بك»؟ قالت: كنتم الأهلَ، والعشيرة، والموالى، وقد ذهبت موالى واحتجت حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى، قال لها: «فأين أنت من شباب أهل مكة؟» وكانت مغنية نائحة.

قالت: ما طلب منى شىء بعد وقعة بدر؛ فحث عليها رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب وبنى المطلب فكسوها، وحملوها، وأعطوها نفقة. فأتاها حاطب بن أبى بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى، فكتب معها كتابًا إلى أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير، هذه رواية باذان عن ابن عباس، وقال مقاتل بن حيان: أعطاها عشرة دراهم. قالوا: وكساها بردًا، على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، فكتب فى الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم. فخرجت سارة، ونزل جبريل فأخبر النبى ﷺ بما فعل، فبعث رسول الله ﷺ: عليًا، وعمارًا، وعمر، والزبير، وطلحة، والمقداد بن الأسود، وأبا مرثد،

وكانوا كلهم فرسانًا، فقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها وخلوا سبيلها وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها».

قال: فخرجوا، فأدركوها فى ذلك المكان الذى قال رسول الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، فحثوها وفتشوا[1] متاعها، فلم يجدوا معها كتابًا، فهموا بالرجوع. فقال على عليه السلام: والله ما كَذَبْنا ولا كُذبنا، وسل سيفه وقال: أخرجى الكتاب وإلاّ والله لأجردنك ولأضربن عنقك. فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها، وقد خبأته فى شعرها. فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولما معها ورجعوا بالكتاب إلى النبى ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فأتاه، فقال له: «هل تعرف هذا الكتاب»؟ قال: نعم: قال: «فما حملك على ما صنعت؟»

فقال: يا رسول الله، والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحت، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلاّ وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت عزيزاً فيهم وكان أهلى بين ظهرانيهم فخشيت على أهلى فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه، وأن كتابى لا يغنى عنهم شيئًا. فصَدَّقه رسول الله ﷺ وعذره. فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن إسحاق أخبرنا محمد بن غالب أخبرنا عبد الصمد أخبرنا ليث عن أبى الزبير عن جابر: أن عبداً لحاطب جاء يشتكى حاطبًا إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال النبى ﷺ: «كذبت لا يدخلها أبداً لأنه قد شهد بدراً والحديبية».

وأنزل الله تعالى فى شأن حاطب ومكاتبته المشركين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أى المودة والباء صلة كقول القائل: أريد أن أذهب وأريد بأن أذهب قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ (الحج: ٢٥) أى إلحاداً بظلم ومن صلة الأولياء كقولك لا تتخذه رجلاً تلقى إليه كل ما عندك. وقيل المعنى تلقون إليهم أخبار النبى ﷺ ومنه قول الشاعر:

(١) فى الهامش: فتنوا. وهو تحريف والتصويب من الناسخ.

فلما رجت بالشرب هزّ لها العصا شحيح له عند الأراك بهيم[1]

أى رجت الشراب.

﴿وَقَدْ﴾ : واو الحال.

﴿كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ : أى القرآن ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ : من مكة ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ : أى لأن آمنتم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ : فى الكلام تقديم وتأخير، ونظم الآية: لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق إن كنت خرجتم، ﴿جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ : يروكم ويظهروا عليكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ : بالقتل ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ : الشتم.

﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ : فلا تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم ولا يوادونكم.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ﴾ : يقول لا يدعونكم قرابتكم ولا أولادكم التى بمكة إلى خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين، وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم ومظاهرتهم فلن تنفعكم ﴿أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ﴾ : التى عصيتم الله لأجلهم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ : فيدخل أهل طاعته والإيمان به الجنة، ويدخل أهل معصيته والكفر به النار.

واختلف القراء فى قوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ فقرأ عاصم، ويعقوب، وأبو حاتم: بفتح الياء، وكسر الصاد مخففًا، وقرأ حمزة والكسائى وخلف: بضم الياء وكسر الصاد مشددًا. وقرأ ابن عامر والأعرج: بضم الياء وفتح الصاد وتشديده. وقرأ النخعى، وطلحة بالنون وكسر الصاد والتشديد. وقرأ أبو حيوة: يفصل من أفصل يفصل، وقرأ الباقون: بضم الياء، وفتح الصاد مخففًا من الفصل.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا مكى بن عبدان، أخبرنا عبد الله بن هاشم أخبرنا عبد الرحمن بن مهدى أخبرنا سفيان عن سهل بن أبى صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الدين النصيحة» ثلاثًا. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ : خليل الرحمن ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) فى الهامش: شحيح له عند الآباء نهيم.

﴿مَعَهُۥٓ﴾ : من أهل الإيمان ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾ : المشركين ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ : جمع برىء. وقراءة العامة على وزن فُعْلا غير مجز. وقرأ عيسى بن عمر: (بِراءٌ) بلا جر، وكسر الباء على وزن فعال، مثل قَصير وقصَار، وطويل وطوال.

﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ : أى جحدنا وأنكرنا دينكم.

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ : يعنى قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم وأموره إلا فى قول إبراهيم: ﴿لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ : أن عصيته، نهوا أن يتأسوا فى هذه خاصة بإبراهيم ويستغفروا للمشركين، ثم بين عذره فى سورة التوبة.

وفى هذه الآية دلالة بَيّنة على تفضيل نبينا ﷺ. وذلك أنه حين أمر بالاقتداء به أمر على الإطلاق ولم يستثن فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧) وحين أمرنا بالاقتداء بإبراهيم استثنى.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ : يقوله إبراهيم ومن معه من المؤمنين.

﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ : يعنى فى إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ : فلما نزلت هذه الآيات عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين فى الله، وأظهروا لهم العداوة، والبراءة، فعلم الله تعالى شدة وجد المؤمنين بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ : أيها المؤمنون ﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ : يعنى من مشركى مكة ﴿مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ : ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وإخوانًا وخالطوهم وناكحوهم، وتزوج النبى ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان ابن حرب، فَلان لهم أبو سفيان، وكانت أم حبيبة تحت عبد الله بن جحش بن رئاب، وكانت هى وزوجها من مهاجرى الحبشة فتنصّر زوجها وحاولها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها، ومات زوجها على النصرانية. فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشى فيها ليخطبها عليه. فقال النجاشى لأصحابه: من أولاكم بها؟

قالوا: خالد بن سعيد بن العاص. قال: فَزَوِّجْهَا من نبيكم. ففعل، ومهرها النجاشى أربعمائة دينار، وساق إليها مهرها، ويقال: بل خطبها رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فلما زوجه إياها بعث إلى النجاشى فيها، فساق عنه المهر، وبعث بها إليه. فبلغ ذلك أبا سفيان وهو يومئذ مشرك، فقال: ذاك الفحل لا يقرع أنفه.

ثم رخص الله تعالى فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من جميع الكافرين، فقال عز وجل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ تعدلوا فيهم بالإحسان والبر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: واختلف العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية، فقال ابن عباس: نزلت فى خزاعة منهم هلال بن عُويمر وخزيمة وسراقة بن مالك بن جعشم وبنو مدلج. وكانوا صالحوا النبى ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يعينوا عليه أحداً، وقال عبد الله بن الزبير: نزلت فى أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه، وذلك أن أمها قتيلة بنت العزى بن عبد أسعد من بنى مالك ابن حسل قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابًا، وقرطًا، وسمنًا، وهى مشركة. فقالت أسماء: لا أقبل منك هديتك، ولا تدخلى علىّ فى بيتى حتى أستأذن رسول الله ﷺ. فسألت لها عائشة رضى الله عنها رسول الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية. فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها، وتقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها، وقال مُرَّة الهمدانى، وعطية العوفى: نزلت فى قوم من بنى هاشم منهم العباس.

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾: وهم مشركو مكة ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: الواضعون الولاية فى غير موضعها.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ قال ابن عباس: أقبل رسول الله ﷺ معتمراً حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم، ومن أتى أهل مكة من أصحابه فهو لهم ولم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابًا، وختموا عليه.

فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبى ﷺ بالحديبية، فأقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم. وقال المقاتلان: هو صيفى بن الراهب فى طلبها، وكان كافراً. فقال: يا محمد اردد عَلَيّ امرأتى فإنك قد شرط لنا أن ترد علينا من أتاكم منا، وهذه طيتى الكتاب لم تجف بعد؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾: من دار الكفر إلى دار الإسلام.

﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ﴾: قال ابن عباس: معنى امتحانهن أن يستحلفهن ما خرجت من بغض زوج، وما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وما خرجت التماس دنيا، وما خرجت إلاّ حُبًا لله ورسوله؛ فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضًا لزوجها ولا عشقًا

لرجل منا، وما خرجت إلا رغبة فى الإسلام. فحلفت بالله الذى لا إله إلا هو على ذلك فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها، وما أنفق عليها ولم يردها عليه. فتزوجها عمر بن الخطاب، فكان رسول الله ﷺ يرد من جاء من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحنهن، ويعطى أزواجهن مهورهن فذلك قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم﴾ يعنى أزواجهن الكفار ﴿مَّآ أَنفَقُواْ﴾ عليهن من المهر.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن، وإن كن لهن أزواج كفار فى دار الكفر، لأنه فرق بينهما الإسلام إذا استبرئت أرحامهن.

﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: قرأها العامة بالتخفيف من الإمساك، وتكون الباء صلة. مجازه: ولا تمسكوا عصم الكوافر، وقرأ الحسين، وأبو عمر، ويعقوب، وأبو حاتم بالتشديد من التمسك يقال: مسكت بالشىء، وتمسكت به، والعِصَم جمع العِصْمَة، وهى ما اعتصم به من العقد والمسك، والكوافر جمع كافرة؛ نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، وأمرهم بفراقهن، قال ابن عباس: يقول لا تأخذوا بعقد الكوافر، فمن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها، فقد انقطعت عصمتها منه وليست له بامرأة، وإن جاءتكم امرأة من أهل مكة ولها بها زوج كافر، فلا تعتدن به، فقد انقطعت عصمته منها.

قال الزهرى: فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب عليه السلام امرأتين كانتا له بمكة مشركتين: قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان، وهما على شركهما بمكة. والأخرى: أم كلثوم بنت عمر بن جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما، وكانت عند طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عمرو التميمى، أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر. وكان طلحة قد هاجر وهى بمكة على دين قومها، ثم تزوجها فى الإسلام بعد طلحة بن عبيد الله خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس. وكانت ممن فرَّ إلى رسول الله ﷺ من نساء الكفار، فحبسها وزوجها خالداً، وأمية بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة، ففرت منه وهو يومئذ كافر إلى رسول الله ﷺ، فزوجها رسول الله ﷺ، سهل بن حنيف فولدت منه عبد الله بن سهل.

قال الشعبى: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبى العاص بن الربيع، فأسلمت، ولحقت بالنبى ﷺ فى المدينة، وأقام أبو العاص مشركًا بمكة، ثم أتى المدينة، فأمنته زينب، ثم

أسلم، فردها عليه رسول الله ﷺ.

﴿وَسْـَٔلُواْ﴾ : أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجكم فلحقن بالمشركين﴿مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ : عليهن من الصداق من تزوجهن منهم﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ﴾ : يعنى المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم مؤمنات إذا تزوجن فيكم من تزوجها منكم.

﴿مَآ أَنفَقُواْ﴾ : من المهر﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ : قال الزهرى: ولولا العهد والهدنة الذى كان بينه ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يردد إليهم صداقًا. وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، فلما نزلت هذه الآية أقرّ المؤمنون بحكم الله تعالى، وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم. وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله تعالى فيما أمروا[1] من أداء نفقات المسلمين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ أيها المؤمنون﴿شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ : فلحقن بهم مرتدات﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ : قرأه العامة بالألف، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. وقرأ إبراهيم، وحميد الأعرج فعقّبتم مشددًا. وقرأ مجاهد: فأعقبتم، على وزن أفعلتم. وقال: صنعتم بهم كما صنعوا بكم. وقرأ الزهرى: فَعَقَبتم خفيفة بغير ألف. وقرأ مسروق: فَعَقِبتم بكسر القاف خفيفة، وقال: غنمتم.

وكلها لغات بمعنى واحد، يقال: عاقب، وعقَّب، وعَقَبَ، وعَقِب، وأعْقَبَ، واعْتَقَبَ، وتَعَقَّبَ، وتَعَاقَب، إذا غنم.

ومعنى الآية: فغزوتم، وأصبتم من الكفار عُقبى، وهى الغنيمة وظفرتم، وكانت العاقبة لكم. وقال المؤرج: معناه: فخلفتم من بعدهم وصار الأمر إليكم. وقال الفراء: عَقَّب، وعَاقَبَ، مثل تصَغَّر وتصاغر. وقيل: التعقيب، غزوة بعد غزوة.

﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾ إلى الكفار منكم﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾ : عليهن، من الغنائم التى صارت فى أيديكم من أموال الكفار، وقيل: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ المرتدة، أى قتلتموها. قال ابن عباس: وكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الإسلام ست نسوة: أم الحكم بنت أبى سفيان، كانت تحت عياض بن شداد الفهرى، وفاطمة بنت أبى أمية ابن المغيرة أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت. وبروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عثمان، وعبدة بنت عبد العزى بن فضلة، (كان) زوجها عمرو بن عبدون، وهند بنت أبى جهل بن هشام، وكانت تحت هشام بن

(١) فى الهامش: «فيما أمر». وأحسبه الصواب.

العاص بن وائل، وكلثوم بنت جرول، كانت تحت عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فأعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.



﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ الآية. وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان منتقبة متنكرة مع النساء خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفها، فقال النبى ﷺ للنساء: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئًا» فرفعت هند رأسها، وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيناك أخذته على الرجال. وبايع الرجال يومئذ على الإسلام، والجهاد فقط. فقال النبى ﷺ: «ولا تسرقن». فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإنى أصيب من ماله الهنات فلا أدرى أتحل لى أم لا؟

فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: «وإنك لهند بنت عتبة؟» قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك. فقال: «ولا تزنين». فقالت هند: أوتزنى الحرة؟! فقال: «ولا تقتلن أولادكن» فقالت هند: ربيناهم صغاراً، وقتلتموهم كباراً، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة ابن أبى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ وهو أن تقذف ولدًا على زوجها وليس منه. فقالت هند: والله إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد، ومكارم الأخلاق ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾. فقالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شيء. فأقر النسوة بما أخذ عليهن.

واختلف العلماء فى كيفية بيعة رسول الله ﷺ عليه النساء؛ فأخبرنا محمد بن عبد الله بن

عبد الرحمن بن حمدون أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا سفيان. (ح)[١] وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا بشر بن مطر أخبرنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر، سمع أُمية بنت ربيعة تقول: بايعت رسول الله ﷺ فى نسوة، فقال: «فيما استطعتن وأطقتن» فقلت: رسول الله أرحم بنا من أنفسنا. قلت: يا رسول الله صافحنا، قال: «إنى لا أصافح النساء إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة».

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على أن لا يشركن بالله شيئًا. قالت: وما مسّ يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلاّ يد امرأة يملكها وقال الشعبى: كان رسول الله ﷺ يبايع النساء وعلى يده ثوب مطوى[٢].

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبى ﷺ كان إذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه، ثم غمس أيديهن فيه، وقال الكلبى: كان النبى ﷺ يشترط على النساء وعمر رضى الله عنه يصافحهن.

واختلف المفسرون فى معنى المعروف: فقال القرظى: المعروف الذى لا معصية فيه وقال ربيع: كل ما وافق طاعة الله تعالى فهو معروف، فلم يرض الله تعالى لنبيه أن يطاع فى معصية الله، وقال بكر بن عبد الله المزنى: لا يعصينك فى كل أمر فيه رشدهن. وقال مجاهد: لا تخلو المرأة بالرجال. وقال سعيد بن المسيب، ومحمد بن السائب وعبد الرحمن بن زيد: لا يحلقن ولا يسلقن، ولا يخرقن ثوبًا ولا ينتفن شعراً، ولا يخمشن وجهًا ولا ينشرن شعراً ولا يحدثن الرجال إلاّ ذا محرم، ولا تخلو امرأة برجل غير ذى محرم، ولا تسافر امرأة ثلاثة أيام مع غير ذى محرم، قال ابن عباس: لا ينحن.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله الدينورى أخبرنا أحمد ابن محمد بن على بن الحسين الهمدانى، أخبرنا محمد بن على بن مخلد الفرقدى أخبرنا سليمان الشاذاكونى أخبرنا النعمان بن عبد السلام أخبرنا عمرو بن فروخ أخبرنا مصعب بن نوح قال: أدركت عجوزاً ممن بايعت رسول الله ﷺ فحدثتنى عن النبى ﷺ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ قال: «النوح» وأخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق أخبرنا

(١) زيادة يتطلبها سياق الإسناد.

(٢) كذا فى المتن، وفى هامش المخطوط: «قطرى» وربما كان تصحيفًا أو من نسخة أخرى.

أبو بكر بن سلام أخبرنا الحسين بن محمد الزعفرانى أخبرنا سعدويه أخبرنا سليمان بن داود أخبرنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفًا عن اليمين وصفًا عن اليسار ينبحن كما ينبح الكلب».

وأخبرنا محمد بن الحسن الفنجوى أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى أخبرنى إسحاق بن مروان الخطرانى أخبرنا الحسن بن عرفة أخبرنا على بن ثابت الجزرى أخبرنا حسان ابن حميد عن مسلمة بن جعفر عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة الله ودرع من حرب واضعة يدها على رأسها تقول وا ويلاه وملك[1] يقول: آمين، ثم يكون من ذلك حظها من النار».

وأخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق أخبرنا أبو يعلى الموصلى أخبرنا هدية بن خالد أخبرنا أبان بن مرثد أخبرنا يحيى بن أبى كثير أن زيدًا حدثه أن أبا سلمة حدثه أن أبا مالك الأشعرى حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة».

وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من جرب».

وأخبرنا الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا عبد الله بن محمد بن سنان أخبرنا عبد الله بن رجاء العدانى أخبرنا عمران بن داود القطان أخبرنا قتادة عن أبى مراثة العجلى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «لا تصلى الملائكة على نائحة ولا مُرِنَّة».

وأخبرنا الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق أخبرنا عمرو بن حفص المنكدرى أخبرنا أبو عُتبة أخبرنا بقية أخبرنا أبو عامر أخبرنا عطاء بن أبى رباح أنه كان عند ابن عمر وهو يقول: إن رسول الله ﷺ لعن النائحة، والمسمعة، والحالقة، والسالقة، والواشمة، والمستوشمة، وقال: «ليس للنساء فى إتباع الجنائز أجر».

وأخبرنا الحسين بن فنجويه، أخبرنا أحمد بن جعفر، أخبرنا ابن حمدان، أخبرنا يوسف بن عبد الله أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حماد عن أبان بن أبى عياش عن الحسن عن زياد: أن عمر رضى الله عنه سمع نائحة فأتاها فضربها حتى وقع خمارها عن رأسها. فقيل: يا أمير المؤمنين المرأة المرأة قد وقع خمارها. قال: إنها لا حرمة لها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: وهم اليهود، وذلك أن أناسًا من فقراء

(١) فى الهامش: مالك.

المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين، ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك ﴿قَدْ يَئِسُوا﴾: يعنى هؤلاء اليهود يأسوا ﴿مِنَ الآخِرَةِ﴾ أن يكون لهم فيها ثواب ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾: أن يرجعوا إليهم فيبعثوا.

أخبرنا أبو على بن أبى عمرو الخيرى الحرشى أخبرنا أبى أخبرنا محمد بن خلف بن شعبة أخبرنا محمد بن سابق أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله عز وجل: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: هم الكفار أصحاب القبور قد يأسوا من الآخرة.

وأخبرنا أبو على بن أبى عمرو أخبرنا أبى أخبرنا على بن سعيد بن جرير النسائى أخبرنا أبو النضر أخبرنا شعبة عن الحكم عن مجاهد: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾: قال الكفار حين دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله.

وأخبرنا أبو على بن أبى عمرو أخبرنا أبى أخبرنا أحمد بن يوسف السلمى أخبرنا موسى أخبرنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ بكفرهم: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ من الموتى فى الآخرة حين تبين لهم أعمالهم.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا على بن حرب أخبرنا وكيع أخبرنا عبد الله بن حبيب عن أبى ثابت قال سمعت القاسم بن أبى بزة يقرأ قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: من مات منهم من الكفار يئس من الخير.



سُورَةُ الصَّفِّ

مكية وهى تسعمائة حرف،
ومائتان وإحدى وعشرون كلمة وأربع عشرة آية

أخبرنا أبو الحسين الخبازى أخبرنا ابن حبش المقرئ أخبرنا أبو العباس محمد بن موسى الرازى، أخبرنا عبد الله بن روح المدائنى، أخبرنا شبابة بن سوار الفزارى، أخبرنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد، (ح)[1] وعن عطاء بن أبى ميمونة عن زر بن حبيش عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة عيسى عليه السلام كان عيسى مصليًا عليه مستغفرًا له ما دام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

(١) زيادة حديثية يتطلبها السياق.

ٱلْمُشْرِكُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ۝﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال المقاتلان: قال المؤمنون قبل أن يؤمروا بالقتال: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه[1] ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فدلهم الله تعالى (على)[2] أحب الأعمال إليه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ فبيّن لهم، فابتلوا يوم أُحد بذلك، فولوا عن النبى ﷺ مدبرين، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الكلبى: قال المؤمنون: يا رسول الله لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناه فنزل: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ثم انقطع الكلام ولم يبين لهم شيئًا، فمكثوا بعد ذلك ما شاء الله أن يمكثوا وهم يقولون: ليتنا نعلم ما هى؟ أما والله إذًا لاشتريناها بالأموال، والأنفس والأهلين؛ فدلهم الله عليها، قال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، فابتلوا بذلك يوم أُحد ففروا عن رسول الله ﷺ حتى صُرِعَ وشُجَّ وجْهُهُ، وكسرت رباعيته؛ فنزلت هذه الآية تعيرهم بترك الوفاء.

وقال محمد بن كعب: لما أخبر الله تعالى رسوله بثواب شهداء بدر، فقال له أصحابه: لئن لقيت بعده قتالاً لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أُحد فعيرهم الله بهذه الآية، وقال ابن عباس: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبرهم الله تعالى أن أفضل الأعمال الإيمان الذى لا شك فيه والجهاد، وكره ذلك ناس منهم وشق عليهم الجهاد، وتباطئوا عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال

(١) فى متن المخطوط: لعلمناه. ويبدو أنه خطأ وقع فيه الناسخ فصوبه بالهامش.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

قتادة، والضحاك: نزلتا فى شأن القتال، كان الرجل يقول: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر.

أخبرنا الحسين بن فنجويه أخبرنا ابن أبى صقلاب أخبرنا أبو الحارث أحمد بن سعيد بدمشق أخبرنا أحمد بن منصور الرمادى أخبرنا محمد بن يعقوب بن محمد الزهرى أخبرنا حصين بن حذيفة الصهيبى أخبرنا يحيى عن سعيد بن المسيب عن صهيب قال: كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين ونهاهم، فقتله صهيب فى القتال، فقال رجل: يا رسول الله قتلت فلانًا ففرح بذلك رسول الله ﷺ فقال عمر، وعبد الرحمن لصهيب أخبر النبى ﷺ أنك قتلته، فإن فلانًا ينتحله؛ فقال صهيب: إنما قتلته لله ولرسوله. فقال عمر، وعبد الرحمن: يا رسول الله قتله صهيب، قال: «كذلك يا أبا يحيى؟» قال: نعم يا رسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، والآية الأخرى.

وقال الحسن: هؤلاء المنافقون كذبهم الله ونسبهم إلى الإقرار بالذى أعلنوه للمسلمين، فقال عز من قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كذبًا وزورًا وقال ابن زيد: نزلت فى المنافقين كانوا يَعدُون المؤمنين النصر وهم كاذبون، وقال مجاهد: نزلت فى نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة، قالوا فى مجلس لهم: لو علمنا أى الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت، فأنزل الله تعالى هذه السورة. فقال عبد الله بن رواحة: لا أبرح حبيسًا فى سبيل الله حتى أموت أو أقتل. فقتل بمؤتة شهيداً رحمه الله. وقال ميمون بن مهران: نزلت فى الرجال يقرض نفسه بما لم يفعله نظيره ويحبون أن يحمدوا عما لم يفعلوا.

حدثنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن الحبيبى لفظًا أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفى أخبرنا عثمان بن سعيد الدّارمى أخبرنا محبوب بن موسى الأنطاكى أخبرنا أبو إسحاق الفزارى عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن سلام قال خرجنا نتذاكر فقلنا: أيكم يأتى رسول الله ﷺ فيسأله: أى الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ ثم تفرقنا وهبنا أن يأتيه أحدنا، فأرسل إلينا رسول الله ﷺ، وجمعنا فجعل بعضنا يومئ إلى بعض، فقرأ علينا: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ إلى آخرها.

قال أبو سلمة: فقرأها علينا عبد الله بن سلام إلى آخرها، قال يحيى بن أبى كثير: فقرأها علينا أبو سلمة إلى آخرها، قال الأوزاعى: فقرأها علينا يحيى بن أبى كثير إلى آخرها، قال أبو إسحاق الفزارى: فقرأها علينا الأوزاعى إلى آخرها، قال محبوب بن موسى: فقرأها علينا الفزارى إلى آخرها، قال عثمان بن سعيد: فقرأها علينا محبوب بن موسى إلى آخرها، قال

الطرائفى: فقرأها علينا عثمان بن سعيد إلى آخرها، قال أبو القاسم: فقرأها علينا أبو الحسن الطرائفى إلى آخرها.

وسألنا أحمد الثعلبى أن يقرأ فقرأ علينا إلى آخرها وقرأها علينا الأستاذ أبو القاسم إلى آخرها.

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ نصب على الحال، وإن شئت على التمييز.

وقال الكسائى: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ فى موضع رفع لأن ﴿كَبُرَ﴾ فى منزلة قولك بئس رجلاً أخوك وأضمر القراء فيه اسمًا مرفوعًا. والمَقْتُ والمقاتةُ، مصدران، يقال: رجل ممقوت ومقيت إذا لم يكن يحبه الناس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾: ولا يزولون عن أماكنهم ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: وقد رُصّ بعضه إلى بعض أى أحكم وأتقن وألزق فليس فيه فرجة ولا خلل وأصله من الرصاص، ومنه قول النبى ﷺ: «تراصوا بينكم فى الصفوف لا يتخللنكم الشياطين كأنها بنات حذف».

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ من بنى إسرائيل ﴿يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾: وذلك حين رموه بالإِدْرَة ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: والرسول يحترم ويعظَّمُ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ﴾: عن الحق ﴿قُلُوبَهُمْ﴾: عن الدين ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾: وهو الذى لا يذم، وفى وجهه قولان:

أحدهما: أن الأنبياء كلهم حمادون لله سبحانه، ونبينا أحمد ﷺ أى أكثرهم حمداً لله منهم.

والثانى: أن الأنبياء كلهم محمودون ونبينا أحمد أى أكثرهم مناقب، وأجمع للفضائل.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ﴾: قرأ ابن كثير وحمزة، والكسائى، وحفص: (مُتمُّ) رفع بغير تنوين ﴿نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ مضاف، والباقون: رفع منون، نوره نصب ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾: قراءة العامة بالتخفيف من الإنجاء. وقرأ ابن عامر بالتشديد من التنجية ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: ثم بين ما هى؟ فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً﴾

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن خرجة أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا محمد بن الفرج البغدادي أخبرنا حجاج بن محمد عن حسن القصاص عن الحسن قال: سألنا عمران بن حصين، وأبا هريرة عن تفسير هذه الآية فقالا: على الخبير سقطت: سألنا رسول الله ﷺ عنها فقال: «قصر من لؤلؤ في الجنة وذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشًا من كل لون على كل فراش امرأة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونًا من كل الطعام، في كل بيت سبعون وصيفًا ووصيفة» قال: «فيعطى الله تعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله».

﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَىٰ﴾: قال نُحاة البصرة: هي في محل الخفض. ومجازه: وتجارة أخرى. وقال نُحاة الكوفة: محلها رفع، تقديرها: ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآجل.

﴿تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ثم حثهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين، فقال عز من قائل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾: أعوانًا بالسيف على أعدائه؛ قرأ أبو عمرو، وقرأ أهل الحجاز أنصاراً بالتنوين، وهو اختيار أيوب. وقرأ الباقون بالإضافة وهو اختيار أبي عبيد، وأبي حاتم، قال: لقوله: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾، ولم يقل أنصارٌ لله.

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾: غالبين.



سورة الجمعة

مدنية وهى سبعمائة وعشرون حرفًا،
ومائة وثمانون كلمة وإحدى عشرة آية

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبى الفراتى أخبرنا أبو موسى عمران بن موسى أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا سليمان أخبرنا أبو معاذ عن أبى عصمة عن زيد العمى عن أبى نضرة عن ابن عباس عن أُبىّ بن كعب عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الجمعة كتب الله له عشر حسنات بعدد من ذَهَبَ إلى الجمعة من مصر من أمصار المسلمين ومن لم يذهب».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٧﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾ قال أهل اللغة: كل اسم على فعول بتشديد العين، فالفاء منه منصوبة، نحو: سفود، وكلوب، وسمور، وشبوط وهو ضرب من السمك إلا ثلاثة أحرف: سُبُّوحٌ، وقُدُّوسٌ، وذُرُّوجٌ لواحد الذراريج، وحكى الفراء عن الكسائى قال: سمعت أبا الدنيا وكان أعرابيًا فصيحًا يقرأ: القَدُّوسُ بفتح القاف، ولعلها لغة.

﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ : وقرأ أبو وائل : الملكُ القدوسُ ، بالرفع على معنى هو الملك القدوس .

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا محمد بن إسحاق الرازى أخبرنا إسحاق بن سليمان ، قال سمعت عمرو بن أبى قيس عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال : هذه الآية : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ فى التوراة سبعمائة آية .

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ : يعنى العرب ﴿رَسُولًا مِّنۡهُمۡ﴾ : يعنى محمداً ﷺ ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾ : فى ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ وجهان من الإعراب : أحدهما : الخفض على الرد إلى الأمين ، مجازه : وفى آخرين ، والثانى : النصب على الرد إلى الهاء والميم فى قوله ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ أى ويعلم آخرين ﴿لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ﴾ أى من المؤمنين الذين يدينون بدينه .

﴿لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ﴾ : أى لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم .

واختلف العلماء فيهم . فقال ابن عمر ، وسعيد بن جبير : هم العجم ، وهى رواية ليث عن مجاهد . يدل عليه ما روى ثور بن يزيد عن أبى الغيث عن أبى هريرة قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ﴾ كلمه فيها الناس ، فأقبل النبى ﷺ على سلمان فقال : «لو كان الدين عند الثريا لناله رجال من هؤلاء» .

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا محمد بن خلف أخبرنا إسحاق بن محمد أخبرنا أبى أخبرنا إبراهيم بن عيسى ، أخبرنا على بن على ، حدثنى أبو حمزة الثمالى حدثنى حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قال النبى ﷺ : «رأيتنى يتبعنى غنم سود ، ثم أتبعتها غنم عُفر ، أوِّلها يا أبا بكر» . قال : أما السود فالعرب ، وأما العُفْرُ فالعجم تتبعك بعد العرب ، قال : «كذلك عبرها الملك سحر» . يعنى : جبريل .

وبه عن أبى حمزة قال : حدثنى السُّدى قال : كان عبد الرحمن بن أبى ليلى إذا قال : رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فإنه يعنى به علياً رضى الله عنه . فكان أصحابه لا يسألونه عن اسمه ، وقال عكرمة ومقاتل : هم التابعون ، وقال ابن زيد ، وابن حيان : هم جميع من دخل فى الإسلام بعد النبى ﷺ إلى يوم القيامة ، وهى رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد .

وروى سهل بن سعد الساعدى أن النبى ﷺ قال : «إن فى أصلاب رجال من أمتى رجالاً ونساءً يدخلون الجنة بغير حساب» . ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ

بِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ أي كلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: لم يعملوا بها فيها، ولم يؤدوا حقها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾: كتبًا من العلم والحكمة.

قال الفراء: هي الكتب العظام واحدها سفر ونظيرها في الكلام شبر وأشبار، وجلد وأجلاد. فكما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها.

أنشدنا أبو القاسم بن أبي بكر المكتب قال أنشدنا أبو بكر محمد بن المنذر قال أنشدنا أبو محمد الفتياني المؤدب قال: أنشدنا أبو سعيد الضرير:

زوامل للأسفار[1] لا علم عندهم ... بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري المطي[2] إذا غدا ... بأسفاره أو راح ما في الغرائر

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ﴾: يعني محمداً ﷺ وأصحابه ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾: فادعوا على أنفسكم بالموت ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنكم أبناء الله وأحباؤه، فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد بن إسحاق أخبرنا أبو عبد الرحمن النسائي أخبرنا عمرو بن عثمان أخبرنا بقية بن الوليد أخبرنا الزبيدي حدثني الزهري عن أبي عبيدة أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنّ أحدكم الموت إما مُحْسنًا فإن يعش يزدد خيراً فهو خير له وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب».

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾

---

(١) في هامش المخطوط: لا شعار. وأحسب أن الصواب ما في المتن.

(٢) كتب فوق هذه الكلمة: كلمة «البعير» وأحسب أنها الأولى أو الأصوب أو هو شرح من الناسخ فالله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ أى فى يوم الجمعة.

كقوله سبحانه: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٤٠) أى فى الأرض، وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة، يدل عليه ما أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا أحمد بن خالد الوهبى أخبرنا محمد بن إسحاق عن الزهرى عن السائب بن يزيد قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد: بلال، لم يكن له مؤذن آخر غيره، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر أذن على باب المسجد، فإذا نزل أقام الصلاة. ثم كان أبو بكر كذلك وعمر كذلك، حتى إذا كان عثمان فكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذانًا، فأمر بالتأذين الأول على دار له بالسوق يقال لها الزوراء، فكان يؤذن له عليها، فإذا جلس على المنبر أذن مؤذنه الأول، فإذا نزل أقام الصلاة فلم يعب ذلك عليه.

وقراءة العامة: ﴿ٱلْجُمُعَةِ﴾ بضم الجيم، وقرأها الأعمش مخففة بجزم الميم وهما لغتان وجمعها: جُمَعٌ، وجُمْعَاتٌ.

أخبرنا محمد بن نعيم أخبرنا أبو الحسن بن أيوب أخبرنا على بن عبد العزيز أخبرنا القاسم ابن سلام، قال سمعت الكسائى يخبر عن سليمان عن الزهرى قال: قال ابن عباس: نزل القرآن بالتثقيل، والتفخيم[1]، قال الفراء، وأبو عبيدة: التخفيف حسن وهو أقيس فى مذهب العربية، مثل غرفة، وغُرَف، وطُرُفَة وطُرَف وحُجُرة وحُجر، وقال الفراء: فيها لغة ثالثة جُمَعَةُ بفتح الميم كقولك رجلٌ ضُحَكَة وهُمَزَة، ولُمَزَة وهى لغة بنى عقيل، وقيل: هى لغة النبى ﷺ. وإنما سُمِّىَ بعد هذا اليوم جمعة لما أخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا محمد بن مخلد العطار أخبرنا محمد بن عيسى بن أبى موسى قال أخبرنا عبد الله بن عمرو بن أبى أمية قال أخبرنا قيس عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن قرشع الضبى عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سميت الجمعة لأن آدم عليه السلام جمع فيها خلقه». وقيل: لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات.

---

(١) فى الهامش «والتخفيف»، وربما كان سقط من العبارة هذا اللفظ وربما كان تصحيحًا للفظ التفخيم.

وقيل: لجمع الجماعات فيها. وقيل: لاجتماع الناس فيه للصلاة. وقيل: أول من سماها جمعة: كعب بن لؤى.

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد بن فنجويه أخبرنا أبو الطيب أحمد بن محمد بن على ابن حفصويه الحُلْوَانى حدثنا الحسن بن أحمد ابن حفص الحلوانى أخبرنا إبراهيم بن إسحاق أخبرنا إبراهيم بن المنذر أخبرنا عبد العزيز عن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن أبى سلمة قال: أول من قال: أما بعد كعب بن لؤى، وكان أول من سمى الجمعة جمعة، وكان يقال ليوم الجمعة العروبة.

وقيل: إن أول من سماها جمعة الأنصار.

أخبرنيه الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا إبراهيم بن سهلويه أخبرنا سلمة بن شبيب أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى ﷺ المدينة وقبل أن تتنزل الجمعة، وهم الذين سموها الجمعة.

قالت الأنصار: لليهود يوم يجمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى يوم أيضًا مثل ذلك، فهلموا فلنجعل يومًا نجمع فيه فنذكر الله عز وجل ونصلى ونشكره أو كما قالوا.

فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوا يوم العروبة لنا. وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة. فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين، وذكرهم، فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه؛ فذبح لهم أسعد بن زرارة شاة فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة وذلك لقلتهم، فأنزل الله تعالى فى ذلك بعد: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ الآية، فهذه أول جمعة جمعت فى الإسلام.

فأما أول جمعة جمعها رسول الله بأصحابه، فقال أهل السير والتواريخ: قدم رسول الله ﷺ مهاجرًا حتى نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد الضحى فأقام رسول الله ﷺ بقباء يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدًا إلى المدينة، فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم قد اتخذ اليوم فى ذلك الموضع مسجدًا، وكانت هذه الجمعة أول جمعة جمعها رسولُ الله ﷺ فى الإسلام، فخطب فى هذه الجمعة، وهى أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل، فقال ﷺ: «الحمد لله، أحمده، وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأُومن به ولا أكفره، وأعادى من يكفره، وأشهد أن لا

إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى، والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله، فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله[1] فقد غوى وفرّط، وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، وإن تقوى الله تعالى لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون وصدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره فى السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله تعالى يكن له ذكراً فى عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان سوى ذلك ﴿مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٣٠) والذى صدق قوله، ونجز وعده لا خلاف لذلك فإنه يقول: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (ق: ٢٩) فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية، فإنه من يتق الله كفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيمًا، وإن تقوى الله تُوقى مقته وتوقى عقوبته، وتوقى سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجوه، وترضى الرب وترفع الدرجة، خذوا بحظكم، ولا تفرطوا فى جنب الله، فقد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢) ولا حول ولا قوة إلاّ بالله فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد الموت، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله تعالى يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

فلهذا صارت الخطبة شرطًا فى انعقاد الجمعة، وهو قول جمهور العلماء، وقال الحسن: هى مستحبة، وليست بفرض، وقال سعيد بن جبير: هى بمنزلة الركعتين من الظهر، فإذا تركها وصلى الركعتين من الجمعة، فقد صلى الركعتين من الظهر، وأقل ما يجزئ من الخطبة الأولى: أن يحمد الله ويصلى على نبيه ﷺ، ويوصى بتقوى الله سبحانه ويقرأ آية من القرآن فى الخطبة الأولى.

ويجب فى الثانية أربع كالأولى، إلاّ أن الواجب بدل قراءة الآية الدعاء، هذا قول أكثر

---

(١) فى المخطوط: «ومن يعصهما»، فاستبدلت الكلمة بالعبارة التى سقتها خروجًا من الخلاف بين أهل اللغة، وأهل التوحيد.

العلماء والفقهاء، وقال أبو حنيفة: لو اقتصر على التسبيح أو التحميد أو التكبير أجزأه، وقال أبو يوسف، ومحمد: الواجب ما يتناوله اسم الخطبة.

ثم القيام شرط فى صحة الخطبة، مع القدرة عليه فى قول عامة الفقهاء إلاّ أبا حنيفة، فإنه لم يشترطه فيها. والدليل على أن القيام شرط فى الخطبة قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ وحديث ابن عمر: ما كان رسول الله ﷺ يخطب الخطبتين إلاّ وهو قائما.

وللشافعى رضى الله عنه قولان فى الطهارة فى حال الخطبة. فقال فى الجديد: هى شرط فى الخطبة. وقال فى القديم: ليست بشرط. وهو مذهب أبى حنيفة.

هذا فى بيان القول فى أول جمعة جمعت فى الإسلام، وأول جمعة جمعها رسول الله ﷺ، وأول خطبة خطبها فيها بالمدينة؛ فأما أول جمعة جمعت فى المدينة بعدها، فقال ابن عباس: أول جمعة جمعت فى الإسلام بعد الجمعة بالمدينة بقرية يقال لها: جُوَاثى من قرى البحرين.

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: فامضوا إليه، واعملوا به.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا عبد الله بن هاشم أخبرنا يحيى بن حنظلة قال سمعت سالمًا قال قال ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: (فامضوا إلى ذكر الله).

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ فى آخرين قالوا: أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعى أخبرنا سفيان عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال: ما سمعت عمر قط يقرأُها إلاّ: وامضوا إلى ذكر الله.

وأخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر الكلماواذانى أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر ابن حفص أخبرنا السرى بن خزيمة أخبرنا أبو نعيم أخبرنا سفيان عن حنظلة عن سالم عن ابن عمر: أنه كان يقرؤها: فامضوا إلى ذكر الله.

وروى الأعمش عن إبراهيم قال: كان عبد الله يقرؤها: فامضوا إلى ذكر الله، ويقول: لو قرأها ﴿فاسعوا﴾ لسعيت حتى يسقط ردائى، وهى قراءة أبى العالية أيضًا، وقال الحسن أما والله ما هو بالسعى على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا المسجد إلاّ وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا يحيى بن أبى طالب، أخبرنا عبد الوهاب قال: سُئل سعيد عن فضل الجمعة. فأخبرنا عن قتادة أنه كان يقول فى هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾. قال: فالسعى أن تسعى

بقلبك وعملك وهو المشى إليها. قال: وكان يتأول هذه الآية: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ (الصافات: ١٠٢) يقول فلما مشى معه، وقال الكلبى: فلما عمل مثله عمله.

وأخبرنا محمد بن حمدويه أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع قال: قال الشافعى: السعى فى هذا الموضع هو العمل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل: ٤) وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم: ٣٩) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ (البقرة: ٢٠٥)، وقال زهير:

سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم فلم يدركوا ولم يلاموا ولم يألُوا

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: يعنى الصلاة.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قراءة عليه أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا على بن حرب أخبرنا وكيع أخبرنا منصور بن دينار عن موسى بن أبى كثير عن سعيد بن المسيب: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: موعظة الإمام ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾: يعنى البيع والشراء لأن البيع والشراء يتناول المعنيين جميعًا، ومنه قول النبى ﷺ: «البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا». أراد البائع والمشترى، وقال الأخطل:

وباع بنيه بعضهم بخسارة وبعت لذبيان العلاء بمالكا

يريد بالأول البيع، وبالآخر الابتياع. وإنما يحرم البيع عند الأذان الثانى.

وقال الزهرى: عند خروج الإمام. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء، وروى السدى عن أبى مالك قال: كان قوم يجلسون فى بقيع الزبير فيشترون ويبيعون إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ولا يقومون فنزلت هذه الآية.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الذى ذكرت من حضور الجمعة والاستماع إلى الخطبة وأداء الفريضة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من المبايعة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾: مصالح أنفسكم ومضارها.

❖ ذكر تلك الآية:

اعلم أن صلاة الجمعة واجبة على كل مسلم إلاّ خمسة نفر: النساء، والصبيان، والعبيد، والمرضى، والمسافرين؛ يدل عليه ما أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن إسحاق الأزهرى بإسفرائين أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ أخبرنا المزنى قال: قال الشافعى: أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا سلمة بن عبيد الله الخطمى عن محمد بن كعب القرظى أنه سمع رجلاً

من بني وائل يقول: قال رسول الله ﷺ: «تجب الجمعة على كل مسلم إلا امرأة أو صبيًا أو مملوكًا».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن يوسف أخبرنا ابن وهب أخبرنا الربيع بن سليمان الجيزى أخبرنا عبد الملك بن سلمة القرشى أخبرنا أبو المثنى سليمان بن يزيد الكعبى عن محمد بن عجلان عن أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «تحرم التجارة عند الأذان يوم الجمعة ويحرم الكلام عند الخطبة، وتحل التجارة بعد صلاة الجمعة، ولا تجب الجمعة على أربعة: المريض، والعبد، والصبى، والمرأة فمن استغنى بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غنى حميد».

وتجب الجمعة على أهل القرى إذا سمعوا النداء من المصر، ووقت اعتبار سماع الأذان أن يكون المؤذن صَيِّتًا، والأصوات هادئة، والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سور البلد، ويعتبر كل قرية بالسور الذى يليها. هذا مذهب الشافعى، وقال ابن عمر، وأبو هريرة وأنس: تجب الجمعة على من كان على عشرة أميال من المصر. وقال سعيد بن المسيب: تجب على من آواه المبيت. وقال الزهرى: تجب على من كان على ستة أميال. وقال ربيعة: أربعة أميال. وقال مالك، والليث: ثلاثة أميال.

وقال أبو حنيفة: لا تجب الجمعة على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة من البلد أو بعيدة حتى حكى أن محمد بن الحسن سأله[1]: هل تجب الجمعة على أهل ديار وبينها وبين الكوفة مجرى نهر؟ فقال: لا.

واختلف الفقهاء فى عدد من تنعقد بهم الجمعة: فقال الحسن: تنعقد باثنين. وقال الليث ابن سعيد، وأبو يوسف: بثلاثة. وقال سفيان الثورى، وأبو حنيفة: بأربعة. وقال ربيعة الرأى: باثنى عشر.

وقال الشافعى: لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين نفسًا. فقال: كل قرية جمعت للجمعة أربعين بالغين عاقلين أحرارًا مقيمين لا يظعنون عنها شتاءً ولا صيفًا إلاّ ظعن حاجة وجبت عليهم الجمعة. وقال مالك: إذا كان قرية فيها سوق، ومسجد فعليهم الجمعة من غير اعتبار عدد. وقال أبو حنيفة: لا تجب الجمعة على أهل السواد والقرى، ولا تجوز لهم إقامتها فيها. واشترط فى وجوب الجمعة وانعقادها المصر الجامع، والسلطان القاهر، والسوق القائمة والنهر الجارى، واحتج بحديث على عليه السلام: لا جمعة، ولا تسويق إلاّ فى مصر جامع، وفى

(١) فى المخطوط فى متنه: «سأل». والتصويب من هامشه.

بعض الأخبار إلاّ على أهل مصر جامع، وضعفه بعضهم.

والدليل على أبى حنيفة حديث ابن عباس، قال: أوّل جمعة جُمعت بعد جمعة النبى ﷺ بالمدينة فى قرية من قرى البحرين يقال لها جواثاء، ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى أهل البحرين: صلوا الجمعة حيثما كنتم، وتصح إقامة الجمعة بغير إذن السلطان وحضوره، وقال أبو حنيفة: من شروطها الإمام أو خليفته.

والدليل على أن السلطان ليس بشرط فى انعقاد الجمعة ما روى: أن الوليد بن عقبة والى الكوفة أبطأ يومًا فى حضور الجمعة، فتقدم عبد الله بن مسعود وصلى بالناس الجمعة من غير إذنه، وروى أن على بن أبى طالب عليه السلام صلى الجمعة بالناس يوم حُصِر عثمان رضى الله عنه، ولم ينقل أنه استأذنه، وروى أن سعيد بن العاص والى المدينة لما خَرج من المدينة صلى أبو موسى الأشعرى الجمعة من غير استئذان.

ولا يجوز أن يصلى فى بلد واحد إلا جمعة واحدة، فإن صليت ثانية بطلت وقال أبو يوسف إذا كان للبلد جانبان جاز أن يصلى فى كل جانب منه جمعة، وقال محمد بن الحسن: يجوز أن يصلى فى بلد واحد جمعتان استحسانًا.

فأما الوعيد الوارد لمن ترك الجمعة من غير عذر؛ فأخبرنا أبو عمرو أحمد بن الفراتى أخبرنا أبو العباس الأدهم أخبرنا محمد بن عبد الله بن الحكم أخبرنى ابن أبى فديك أخبرنا ابن أبى ذئب عن أسيد بن أبى البَراد عن عبد الله بن أبى قتادة عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك الجمعة ثلاثًا من غير ضرورة طبع الله على قلبه».

وروى عبد الله بن كعب بن أبى مالك عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال: «لينتهين أقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ثم لا يشهدونها أو ليطبعن الله على قلوبهم أو ليكتبن من الغافلين أو ليكونن من أهل النار».

ويروى أنه ﷺ خطب فقال: «إن الله تعالى قد افترض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا، فى شهرى هذا من عامى هذا إلى يوم القيامة فمن تركها فى حياتى أو بعد مماتى وله إمامٌ عادل أو جائر من غير عذر فلا بارك الله له، ولا جمع الله شمله ألاَ فلا حج له ألاَ ولا صوم له ومن تاب تاب الله عليه».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبى أخبرنا حسين بن على عن الحسن بن أبجر عن ميمون بن أبى شبيب قال: أردت

الجمعة زمن[1] الحجاج، قال: فتهيأت للذهاب، ثم قلت: أين أذهب أصلى خلف هذا؟ فقلت مرة: أذهب، وقلت مرة: لا أذهب قال: فأجمع رأيى على الذهاب. فنادانى مناد من جانب البيت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: وجلست مرة أكتب كتابًا، فعرض لى شىء إن أنا كتبته فى كتابى زين كتابى، وكنت قد كذبت، وإن أنا لم أكتبه كان فى كتابى بعض القبح، وكنت قد صدقت. فقلت مرة: أكتب، وقلت مرة: لا أكتب، فأجمع رأيى على تركه، فتركته. فنادانى مناد من جانب البيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧).

❖ فأما ثواب من شهد الجمعة:

فأخبرنا أبو عمرو بن أحمد بن أبى الفراتى أخبرنا الهيثم بن كليب الشاشى أخبرنا عيسى بن أحمد أخبرنا بقية حدثنى الضحاك بن حمزة عن أبى نضير عن أبى رجاء العطاردى عن أبى بكر الصديق، وعمران بن حصين رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة كُفِّرَت عنه ذنوبه وخطاياه، فإذا أخذ فى المشى إلى الجمعة كتب له بكل خُطوة عمل عشرين سنة فإذا فرغ من الجمعة أجر بعمل مائتى سنة».

وأخبرنا أحمد بن أبى الفراتى فى آخرين قالوا: أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعى أخبرنا مالك عن سمى عن أبى صالح السمان عن أبى هريرة: أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

وأخبرنا أحمد بن أبى الفراتى أخبرنا أبو القاسم عمر بن أحمد بن الحسن البصرى أخبرنا عبد الله بن محمد بن شوذب أخبرنا محمد بن عبد الملك الدقيقى أخبرنا الحسن بن عرفة أخبرنا يزيد بن هارون عن ثابت بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله تعالى ويقدسونه ويقولون فى تسبيحهم: اللهم اغفر لمن شهد الجمعة، اللهم اغفر لمن اغتسل فى الجمعة».

---

(١) فى المتن: «خلف»، والتصويب من الهامش.

❖ فأما فضل يوم الجمعة:

فأخبرنا أبو عمرو أحمد بن الفراتي وأبو عبد الحافظ وأبو محمد الكناني، وأبو علي الثوري قالوا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلاّ وهي مسبحة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تغرب الشمس شفقًا من الساعة إلاّ الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه».

قال أبو هريرة: قال عبد الله بن سلام: هي آخر ساعة في يوم الجمعة. فقلت له: كيف تقول آخر ساعة وقد قال النبي ﷺ: «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي» وتلك الساعة لا يُصَلّى فيها؟ فقال ابن سلاّم: ألم يقل النبي ﷺ: «من جلس مجلسًا ينتظر فيه الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها؟». قلت: بلى. قال: فهو ذلك.

وأخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن خنب أخبرنا يحيى بن أبي طالب أخبرنا أبو بكر شجاع بن الوليد السكوني أخبرنا زياد بن خيثمة عن عثمان بن أبي مسلم عن أنس بن مالك قال: أبطأ علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فلما خرج قلنا: أحُبست. قال: «ذاك أن جبريل عليه السلام أتاني بهيئة المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء فقال: إن هذه الجمعة، فيها خير لك ولأمتك، وقد أرادها اليهود والنصارى فأخطئوها، قلت: يا جبريل ما هذه النكتة السوداء؟ قال هذه الساعة التي في يوم الجمعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرًا إلا أعطاه إياه أو دخر له مثله يوم القيامة، أو صرف عنه من السوء مثله، فإنه خير الأيام عند الله تعالى وإن أهل الجنة يسمونه يوم المزيد» قلت: يا رسول الله، وما يوم المزيد؟ قال: «إن في الجنة واديًا أفيح رائحة نبته مسك أبيض ينزل الله تعالى إليه كل يوم جمعة فيضع كرسيه فيه، ثم يُجَاء بمنابر من نور فتوضع خلفه فتحف به الملائكة ثم يجاء بكراسي من ذهب فتوضع، ثم يجيء النبيون، والصديقون و الشهداء، والمؤمنون وأهل الغُرف فيجلسون، ثم يبتسم الله تعالى فيقول: أيْ عبادي سلوا، فيقولون: نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم، فسلوا فيسألون مناهم فيعطيهم الله ما شاءوا وأضعافه فيعطيهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم يقول: ألم أنجزكم وعدي وأتمم عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، ثم ينصرفون إلى غرفهم، ويعودون كل يوم جمعة،

قلت: يا جبريل، وما غرفهم؟ قال: من لؤلؤة بيضاء أو ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، مقورة منها أبوابها فيها أزواجها، مطردة فيها أنهارها».

وأخبرنا عبد الخالق بن على أخبرنا أبو العباس بن عبد الوهاب بن عبد الحى المذكر أخبرنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إسحاق أخبرنا أحمد بن غالب البصرى الزاهد ببغداد أخبرنا دينار مولى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ليلة الجمعة، ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة، لله سبحانه فى كل ساعة ستمائة ألف عتيق من النار».



﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ﴾ أى فرغ منها.

﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: للتجارة، والتصرف فى حوائجكم.

﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾: أى الرزق، وهما أمر إباحة وتخيير كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ (المائدة: ٢).

وأخبرنى عقيل بن محمد بن أحمد الجرجانى أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن أبى جعفر الطبرى حدثنا العباس بن أبى طالب أخبرنا على بن المعافى بن يعقوب الموصلى أخبرنا أبو عامر الصائغ عن ابن خلف عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ فى قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ قال: «ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله عز وجل».

وقال الحسن، وسعيد بن جبير، ومكحول: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ قال: هو طلب العلم.

وقال جعفر بن محمد الصادق: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ هو يوم السبت.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾: أخبرنا عبد الله بن حامد قراءة عليه أخبرنا محمود بن جعفر أخبرنا على بن حرب أخبرنا ابن فضيل أخبرنا حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر بن عبد الله قال: أقبلت عير ونحن نصلى مع النبى ﷺ الجمعة، فانفض الناس إليها، فما بقى غير اثنى عشر رجلاً أنا[1] فيهم فنزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ الآية.

(١) فى المخطوط: غير أنا واثنا عشر رجلاً أنا فيهم. والتصويب من الهامش.

وقال أبو الحسن، وأبو مالك: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام، والنبى ﷺ يخطب يوم الجمعة. فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليه. فلم يبق مع النبى ﷺ إلاّ رهط منهم: أبو بكر، وعمر رضى الله عنهما. فنزلت هذه الآية؛ فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارًا».

قال المقاتلان: بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبى، ثم أحد بنى الخزرج ثم أحد بنى زيد بن مناة بن عامر، من الشام بتجارة، وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلاّ أتاه، وكان يقدم إذا قدم كل ما يحتاج إليه من دقيق أو بُر أو غيره، فنزل عند أحجار الزيت، وهو مكان فى سوق المدينة، ثم يضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه، فيخرج إليه الناس ليتبايعوا منه، فقدم ذات جمعة، وكان ذلك قبل أن يُسْلم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب؛ فخرج إليه الناس، فلم يبق فى المسجد إلاّ اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال النبى ﷺ: «كم بقى فى المسجد»؟ فقالوا: اثنا عشر رجلاً، وامرأة. فقال النبى ﷺ: «لقد سُوِّمت لهم الحجارة من السماء» وأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال ابن عباس فى رواية الكلبى: لم يبق فى المسجد إلا ثمانية رهط، وقال ابن كيسان: خرجوا إلا أحد عشر رجلاً وامرأة.

قال قتادة، ومقاتل: بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات، كل مرة العير تقدم من الشام، وكل ذلك يوافق يوم الجمعة.

وقال مجاهد كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر، يقدمون يتبعون التجارة واللهو، فأنزل الله تعالى عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ قال المفسرون يعنى الطبل، وذلك أن العير كانت إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل، والتصفيق.

وقال جابر بن عبد الله: كان الجوارى إذا نكحن يمرون بالمزامير والطبل، فانفضوا إليها، فنزلت هذه الآية، وقوله: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ رد الكناية إلى التجارة لأنها أهم وأفضل، وقد مضت هذه المسألة.

وقرأ طلحة بن مُصرف: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ على المنبر.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أبو عمرو بن الحسن أخبرنا أحمد بن الحسن بن سعيد حدثنى أبى حدثنى الحصين عن مسعر، وأبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم وحبيب بن حيان عن

عبيدة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله أنه سئل : أكان النبى ﷺ يخطب قائمًا أو قاعدًا؟ قال : أما تقرأ : ﴿وَتَرَكُوكَ قَآبِمًاۚ﴾.

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِۚ﴾ قرأ أبو رجاء العطاردى : خير من اللهو ومن التجارة للذين آمنوا :

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنه مُوجِد الأرزاق ، وإياه فاسألوا ، ومنه فاطلبوا .



سورة المنافقون

مدنية وهى سبعمائة وستة وسبعون حرفًا
ومائة وثمانون كلمة وإحدى عشرة آية

أخبرنا أبو الحسين المقرئ الخبازى أخبرنا ظفران أخبرنا ابن أبى داود أخبرنا محمد بن عامر أخبرنا شبابة أخبرنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد عن زر بن حبيش عن أُبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝﴾

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾: فيما أظهروا لأنهم أضمروا خلافه.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾: سترة ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾: أقرءوا إذا رأوا المؤمنين ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾: إذا خلوا إلى المشركين ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: لاستواء خلقها وحُسن صورتها وطول قامتها.

قال ابن عباس: وكان عبد الله بن أُبىّ جسيمًا، صحيحًا، فصيحًا، ذلق اللسان، فإذا قال، سمع النبى ﷺ قوله.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾: أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام قرأ الأعمش، والكسائى، وأبو عمرو، وقنبل عن ابن كثير: خُشْبٌ مخففًا بجزم الشين، وهى قراءة البراء بن عازب، واختيار أبى عبيد قال: المد مذهبهما فى العربية، وذلك أن واحدتها خشبة، ولم نجد فى كلامهم اسمًا على وزن فَعَلة جمع على فُعُل بضم الفاء والعين، ويلزم من ثقلها أن يثقل البدن أيضًا فيقرأ: ﴿وَٱلۡبُدُنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم﴾ (الحج: ٣٦) لأن واحدتها بَدَنة أيضًا.

وقرأ الآخرون بالتثقيل، وهى اختيار أبى حاتم، واختلف فيه عن ابن كثير، وعاصم.

وأخبرنا أبو بكر بن أبى محمد الجمشاذى أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا محمد ابن يونس بن موسى أخبرنا الأصمعى أخبرنا سليمان الباقلانى قال: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت حالى كأنى محتضن خشبة. قال: أحسبك من أهل هذه الآية، وتلا: ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾.

﴿يَحۡسَبُونَ﴾: من جبنهم وسوء ظنهم، وقلة يقينهم.

﴿كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: قال مقاتل: يقول: إن نادى مناد فى العسكر أو انقلبت دابة أو نشدت ضالة، ظنوا أنهم يرادون بذلك لما فى قلوبهم من الرعب.

وقال بعضهم: إنما قال ذلك لأنهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمرًا يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم.

وقال الشاعر فى هذا المعنى:

وأنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عُبيدًا وأزنما

ثم قال: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾ ابتداء وخبر.

﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾: ولا تأمنهم.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾: لعنهم الله.

﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: يصرفون عن الحق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾: أى أمالوها وأعرضوا بوجوههم إظهارًا للكراهية.

وقرأ نافع، والمفضل، ويعقوب برواية روح، وزيد بتخفيف الواو، وهى اختيار أبى حاتم.

وقرأ الباقون بالتشديد، واختاره أبو عبيدة قال: لأنهم قد فعلوها مرة بعد مرة.

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يعرضون عما دعوا إليه ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: لا يستغفرون.

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أُبىّ المنافق، وأصحابه، وذلك على ما ذكره أهل التفسير، وأصحاب السير: أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم: الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية زوج النبى ﷺ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس، واقتتلوا، فهزم الله بنى المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم، فأفاءها عليهم، وقد أصيب رجل من المسلمين من بنى كليب بن عوف ابن عامر يقال له: هشام بن ضبابة أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.

فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجير له من بنى غفار يقال له: جَهْجَاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه، وسنان الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار. وصرخ الغفارى: يا معشر المهاجرين. فأعان جَهْجَاهًا الغفارى رجل من المهاجرين يقال له: جُعَال، وكان فقيرًا. فقال عبد الله بن أُبىّ لجُعَال: وإنك هناك؟! فقال: وما يمنعنى أن أفعل ذلك، واشتد لسان جُعَال على عبد الله بن أُبى. فقال عبد الله بن أُبىّ: والذى يحلف به لأذرنك وبَهْمَك غير هذا، وغضب عبد الله بن أُبىّ وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غُلام حدث السن، وقال ابن أُبىّ: أفعلوها قد ونافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلاّ كما قال القائل: سَمِّن كلبك يأكلك، أما والله ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ يعنى بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ.

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: ما فعلتم بأنفسكم؟ أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عن جُعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحولوا عن بلادكم، ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم فلا تُنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد؛ قال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل، المبغض فى قومك، ومحمد ﷺ فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين، والله لا أحبك بعد كلامك هذا.

فقال عبد الله: اسكت فإنما كنت ألْعَبُ. فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ، وذلك بعد

فراغه من الغزو، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقال: دعنى أضرب عنقه يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «إذًا ترعد له أنف كثيرة بيثرب». فقال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتل رجل من المهاجرين، فمر سعد بن معاذ، أو محمد بن مسلمة، أو عباد بن أسيد بن وقص فليقتلوه. فقال رسول الله ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، لا ولكن أذن بالرحيل».

وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيه، فارتحل الناس، وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبَىّ. فأتاه فقال له: أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى؟

فقال عبد الله والذى نَزّل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك قط، وإن زيدًا لكاذب. وكان عبد الله فى قومه شريفًا وعظيمًا.

فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وَهَمَ فى حديثه ولم يحفظ ما قال. فعذره النبى ﷺ. وفشت الملامة فى الأنصار لزيد وكذبوه، وقال له عمه وكان زيد معه: ما أردت إلاّ أن كذبك رسول الله ﷺ والناس ومقتوك. وكان زيد يساير النبى ﷺ فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبى ﷺ، فلمّا استقبل رسول الله، وسار، لقيه أسيد بن حُضَيْر، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، وقال: يا رسول الله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن أُبَىّ»؟

قال: وما قال؟ قال: «زعم أنه إن رجع المدينة أخرج الأعز منها الأذل».

فقال أسيد: فأنت والله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل، وأنت العزيز.

ثم قال: يا رسول ارفق به فوالله لقد جاء سبحانه بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك استلبته[1] ملكًا، وبلغ عبد الله بن عبد الله ما كان من أمر أبيه.

فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أُبَىّ لما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً، فَمُرْ بى به فإنى أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه منى، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله، فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله أن يمشى فى الناس، فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ: «بل ترفق به وتُحسن إليه ما بقى معنا».

قالوا: وسار رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر

(١) فى متن المخطوط: «استنبظته» والتصويب من هامش المخطوط.

يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس.

فلم يكن إلا أن وجدوا مَسَّ الأرض ووقعوا نيامًا، وإنما فعل صلوات الله وسلامه عليه ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى جرى من عبد الله بن أُبَىّ.

ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجار فويق البقيع يقال له: نقعا، فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها، وضلت ناقة النبى ﷺ وذلك ليلاً، فقال رسول الله: «لا تخافوا فإنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفى بالمدينة».

قيل: من هو؟ قال: «رفاعة بن تابوت».

فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته؟ ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى؟

فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره بقول المنافقين وبمكان الناقة.

وأخبر رسول الله ﷺ أصحابه وقال: «ما أزعم أنى أعلم الغيب، وما أعلمه ولكن الله تعالى أخبرنى بقول المنافق وبمكان الناقة، هى فى شعب قد تعلق زمامها بشجرة».

فخرجوا يسعون قبل الشعب، فإذا هو كما قال رسول الله ﷺ فجاءوا بها وأمن ذلك المنافق، فلما قدموا المَدينة وجدوا رفاعة بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين قد مات ذلك اليوم.

فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة قال زيد بن أرقم: جلست فى البيت لما بى من الهم والحياء، فأنزل الله تعالى سورة المنافقين فى تصديق زيد، وتكذيب عبد الله بن أُبى، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بإذن زيد، فقال: «يا زيد إن الله تعالى صدقك وأوفى بإذنك».

وكان عبد الله بن أُبَىّ يقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أُبَىّ حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء أبوه عبد الله بن أُبَىّ قال: وراءك. قال: ما لك ويحك؟. والله ما تدخلها أبدًا إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمن اليوم من الأعز ومن الأذل. فشكا عبد الله إلى رسول الله ما فعل[1] ابنه. فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خل عنه يدخل. فقال أما إذا جاء أمر النبى ﷺ فنعم. فدخل ولم يلبث إلاّ أيامًا قلائل حتى اشتكى ومات.

قالوا: فلما نزلت هذه الآية[2] وبان كذب عبد الله بن أُبَىّ قيل له: يا أبا حباب إنه قد نزلت

(١) فى متن المخطوط هكذا، وقد كتب فوق تلك الكلمة: «صنع» بقلم دقيق بخط الناسخ.

(٢) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: الآيات.

فيك أى شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه، ثم قال: أمرتمونى أن أؤمن فقد آمنت وأمرتمونى أن أعطى زكاة مالى فقد أعطيت فما بقى إلاّ أن أسجد لمحمد؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾: يتفرقوا ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فلا يقدر أحد أن يعطى أحدًا شيئًا إلاّ بإذنه ولا أن يمنعه شيئًا إلا بمشيئته.

قال رجل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟ فقرأ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

وقال الجنيد: خزائن السماء الغيوب، وخزائن الأرض القلوب وهو علاَّم الغيوب ومقلب القلوب وكان الشبلى يقول: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فأين تذهبون؟.



﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعنى من غزاة بنى كيان، ثم بنى المصطلق وهم حى من هذيل ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: فعزة الله تعالى قهره من دونه وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها وعزة المؤمنين نصره إياهم على أعدائهم وهم ظاهرون.

وقيل عزة الله الولاية قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ (الكهف: ٤٤) وعزة الرسول الكفاية، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ (الحجر: ٩٥) وعزة المؤمنين الرفعة والرعاية قال الله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩) وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣).

وقيل: عزة الله الربوبية، وعزة الرسول النبوة، وعزة المؤمنين العبودية.

وكان جعفر الصادق يقول: من مثلى ورب العرش معبودى من مثلى وأنت لى.

وقيل: عزة الله خمسة: عزّ الملك والبقاء، وعز العظمة والكبرياء، وعزّ البذل والعطاء، وعز الرفعة والغناء، وعز الجلال والبهاء، وعز الرسول خمسة: عز السيف والابتداء، وعز الأذان والنداء، وعز قدم الصدق على الأنبياء، وعز الاجتباء والاصطفاء وعز الظهور على الأعداء، وعز المؤمنين خمسة: عز التأخير بيانه: نحن السابقون الآخرون، وعز التيسير بيانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧)، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وعز التبشير بيانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٧).

وعز التوقير بيانه: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ (آل عمران: ١٣٩) وعز التكثير بيانه: إنهم أكثر الأمم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: قال المفسرون: يعني الصلوات الخمس. نظيره قوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ (النور: ٣٧) الآية.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾: أمهلتني، يجوز أن يكون «لا» صلة فيكون الكلام بمعنى التمني، ويجوز أن تكون بمعنى هلاّ، فتكون استفهامًا.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: يعني مثل ما أجلت لي في الدنيا ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: فأتصدق، وأُزكي مالي.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: المؤمنين؛ نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ (الرعد: ٢٣) هذا قول مقاتل وجماعة من المفسرين، وقالوا: نزلت هذه الآية في المنافقين.

وقيل: الصالح هاهنا الحج، والآية نزلت في المؤمنين.

روى الضحاك، وعطية عن ابن عباس قال: ما من أحد يموت وكان له مال فلم يؤد زكاته، وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت، فقالوا: يا ابن عباس اتق الله، فإنما نرى هذا للكافر يسأل الرجعة؛ قال: أنا أقرأ عليكم به قُرآنًا، ثم قرأ هذه الآية إلى قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال: أحج؛ أخبرنا ابن فنجويه الدينوري أخبرنا ابن حمدان أخبرنا ابن سهلويه أخبرنا سلمة أخبرنا ابن عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن يحيى بن أبي حية عن الضحاك عن ابن عباس.

واختلف القراء في قوله: ﴿وَأَكُن﴾.

فقرأ أبو عمرو، وابن محيصن: (وأكون) بالواو ونصب النون على جواب التمني أو للاستفهام بالفاء؛ قال أبو عمرو: إنما حُذِفَت الواو من المصحف اختصاراً كما حذفوها من

كلمنى، وأصلها الواو.

وقال الفراء: ورأيت فى بعض مصاحف عبد الله: فقولا فَقُلاَ بغير واو، وتصديق هذه القراءة ما أخبرنا محمد بن نعيم أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا على بن عبد العزيز أخبرنا القاسم بن سلام أخبرنا حجاج بن هارون قال: فى حرف أُبى بن كعب، وعبد الله بن مسعود: وأكونْ من الصالحين، بالواو.

وقرأ الآخرون: بالجزم عطفًا بها على قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ لو لم يكن فيه الفاء وذلك أن قوله ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ لو لم يكن فيه الفاء كان جزمًا، واختار أبو عبيد: الجزم، قال: منْ ثلاث جهات: إحداها: أنى رأيتها فى مصحف الإمام عثمان (فأكن) بحذف الواو، ثم اتفقت بذلك المصاحف، فلم تختلف.

وأما الثانية: إجماع أكثر قراء الأمصار عليها.

والثالثة: إنَّا وجدنا لها مخرجًا واضحًا صحيحًا من العربية لا يجهله أهل العلم بها وهو أن يكون نسقًا على محل: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ قبل دخول الفاء وقد وجدنا مثله فى أشعارهم القديمة مثل قول القائل:

فأبلونى بليتكم لعلى ... أصالحكم وأستدرج قويًا

فجزم وأستدرج عطفًا على محل أصالحكم قبل دخول لعلى.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: بالياء، عاصم من طريق يحيى عن أبى بكر عنه، وحماد أيضًا. وغيره بالتاء.



سورة التغابن

مكية إلا قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ (١٤) الآية
وهى ألف وسبعون حرفًا، ومائتان، وإحدى وأربعون كلمة وثمانى عشرة آية

أخبرنا أبو الحسين الخبازى المقرئ أخبرنا أبو الشيخ الحافظ أخبرنا أبو داود سليمان بن أحمد ابن الوليد أخبرنا سلمة بن شيب أخبرنا الوليد بن الوليد الدمشقى عن عبد الرحمن ابن ثوبان عن عطاء بن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلاّ فى تشابيك رأسه مكتوب خمس آيات من فاتحة سورة التغابن».

وأخبرنا ناقل بن أرقم أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد أخبرنا عمرو بن محمد أخبرنا أسباط بن اليسع أخبرنا يحيى بن عبد الله السلمى أخبرنا أبو عصمة نوح بن أبى مريم عن على ابن زيد عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ : **اختلف العلماء فى حكم هذه الآية : فقال قوم : إن الله تعالى خلق الخلق مؤمنين وكافرين .**

قال ابن عباس : بدأ الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنًا وكافرًا ، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنًا وكافرًا .

واحتجوا بحديث الصادق المصدوق ، وقوله : «السعيد من سعد فى بطن أمه ، والشقى من شقى فى بطن أمه» .

وكما أخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهانى أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن يحيى العبيدى ببوشيخ أخبرنا أحمد بن نجدة بن العريان أخبرنا الحمانى أخبرنا ابن المبارك عن أبى لهيعة حدثنى بكر بن سوادة عن ابن[1] تميم الحيشانى عن أبى ذر عن رسول الله ﷺ قال : «إذا مكث المنى فى الرحم أربعين ليلة لقاه ملك النفوس يعرج به إلى الرب تبارك وتعالى فقال يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضى الله ما هو قاض أشقى أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاق»[2] وقرأ أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات .

وأخبرنا عبد الخالق بن على بن عبد الخالق الفامى أخبرنا أبو بكر بن خنب أخبرنا إبراهيم ابن إسماعيل السيوطى أخبرنا داود بن المفضل أخبرنا نصر بن طريف أخبرنا قتادة عن ابن أبى حسان الأعرج عن ناجية بن كعب عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «خلق الله سبحانه وتعالى فرعون فى بطن أمه كافرًا ، وخلق يحيى بن زكرياء فى بطن أمه مؤمنًا» .

وقال النبى ﷺ : «إن الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا» .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح : ٢٧) .

وقال آخرون : إن الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا . قالوا : وتمام الكلام عند قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ثم وصفهم فقال : ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ وهو مثل قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ (النور : ٤٥) الآية . قالوا : فالله خلقهم ، والمشى فعلهم ، وهذا اختيار الحسين بن الفضل .

قالوا : لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم فى قوله : ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ ، والكفر فعل الكافرين ، والإيمان فعل المؤمنين .

(١) كذا فى متن المخطوط ، وفى هامشه : «أبى» .

(٢) هذا حديث إسناده ضعيف ، والعلم أثبت خلافه باليقين .

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠)، وبقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» وقوله إخبارًا عن ربه: «إنى خلقت عبادى كلهم حنفاء». ونحوها من الأخبار؛ ثم اختلفوا فى تأويلها: فروى ابن الجوزاء عن ابن عباس قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ يكفر: ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ يؤمن.

وقال أبو سعيد الخدرى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ فى حياته مؤمن فى العاقبة، ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ فى حياته كافر فى العاقبة، وقال الضحاك: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ فى السر مؤمن فى العلانية كالمنافق، ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ فى السر كافر فى العلانية كعمار وذويه، وقال عطاء بن أبى رباح: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ بالله مؤمن بالكواكب، ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ بالله كافر بالكواكب يعنى فى شأن الأنوار.

وقال الزجاج: وأحسن ما قيل فيها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ بأن الله خلقه، وهو مذهب أهل الدهر والطبائع ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ بأن الله خلقه.

وجملة القول فى حكم هذه الآية ومعناها الذى عليه جمهور الأمة والأئمة والمحققون من أهل السنة: هو أن الله تعالى خلق الكفر وكفره فعلاً له وكسبًا، وخلق المؤمن وإيمانه فعلاً له وكسبًا. فالكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعَلِمَهُ منه، والمؤمن يؤمن ويعتاد الإيمان بعد خلق الله تعالى إياه، لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدَره عليه وعَلِمَهُ منه. ولا يجوز أن يوجد من كل واحد منهم غير الذى قدره الله عليه وعَلِمَهُ منه لأن وجود خلاف المقدور عجز وخلاف المعلوم جهل، وهما لا يليقان بالله عز وجل، ولا يجوزان عليه، ومن سلك هذا السبيل سلم من الجبر والقدر، وأصاب الحق كقول لبيد:

يا ناظرًا فى الدين ما الأمر؟ لا قَـدَرٌ صَـحَّ ولا جَبْرُ

وأخبرنا أبو على زاهر بن أحمد السرخسى الفقيه أخبرنا عبد الله بن مبشر الواسطى أخبرنا محمد بن منصور الرمادى قال سمعت سيلان يقول: قدم أعرابى البصرة فقيل له: ما تقول فى القدر؟ فقال: أمر تغالت فيه الظنون، واختلف فيه المختلفون، فالواجب علينا أن نرد ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعنى الأمم الماضية ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ﴾: العذاب ﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾: ولم يقل يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحدًا فإنه فى معنى الجمع وهو اسم جنس، واحده إنسان ولا واحد له من لفظه.

﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾: عن إيمانهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: في أفعاله ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ﴾: يا محمد. ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ وهو القرآن. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾: قراءة العامة بالياء لقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وقرأ سلام، ويعقوب: (يوم نجمعكم) بالنون اعتباراً بقوله: ﴿أَنزَلْنَا﴾.

﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾: وهو تفاعل من الغبن، وهو فوت الحظ والمراد. وقد ورد في تفسير التغابن عن رسول الله ﷺ: ما أخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا عبد الله بن محمد بن سنان أخبرنا كثير بن يحيى أخبرنا أبو أمية بن يعلى الثقفي أخبرنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: «ما من عبد مؤمن يدخل الجنة إلا أُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، وما من عبد يدخل النار إلا أُري مقعده من الجنة لو

أحسن ليزداد حسرة».

قال المفسرون: المغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة، ويظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الإحسان وتضييعه الأيام.

﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: قرأ أهل المدينة والشام ههنا وفى السورة التى تليها: نكفر، وندخل، بالنون، والباقون بالياء.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته وقضائه.

﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ﴾: ويقصد أنه لا تصيبه مصيبة إلاّ بإذن الله.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾: يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال ابن عباس.

وأنبأنى عبد الله بن حامد إجازة أخبرنا الحسين بن يعقوب أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبى ظبيان قال: كنا نعرض المصاحف على علقمة بن قيس فمرّ بهذه الآية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ فسألناه عنها. فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضاها[1] ويُسَلِّم.

وقال أبو بكر الوراق: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ﴾ عند النعمة والرخاء فيعلم أنها من فضل الله ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للشكر ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ﴾: عند الشدة والبلاء فيعلم أنها من عند الله ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للصبر والرضا.

وقال أبو عثمان الحيرى: ومن صح إيمانه يهد قلبه لاتباع السنة.

وقد اختلف القراء فى هذه الآية: فقرأ العامة بفتح الياء والباء: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، وقرأ السلمى بضم الياء والباء وفتح الدال على الفعل المجهول، وقرأ طلحة بن مصرف: نهد قلبه بالنون وفتح الباء على التعظيم.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله أخبرنا أحمد بن الفرج المقرئ أخبرنا أبو عمر المقرئ أخبرنا أبو عمار أخبرنا سهل بن موسى الأسوارى أخبرنى من سمع عكرمة يقرأ: (يهدأ قلبه) من الهُدُوّ أى يسكن ويطمئن.

وقرأ مالك بن دينار: يَهْدَا قَلْبُهُ بألف لينة بدلاً الهمزة.

---

(١) فى المخطوط: فيرضاه، وهو سهو من الناسخ.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ : التبليغ البين.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ : نزلت فى قوم أرادوا الهجرة فثبطهم عنها أزواجهم وأولادهم.

قال ابن عباس: كان الرجل يسلم فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وولده، وقالوا: ننشدك الله أن تذهب وتدع أهلك وعشيرتك، وتصير بالمدينة بلا أهل ولا مال وإنّا قد صبرنا على إسلامك فلا نصبر على فراقك ولا نخرج معك. فمنهم من يرق لهم ويقيم لذلك فلا يهاجر وإذا هاجر ورأى الناس قد فقهوا فى الدين هَمَّ أن يعاقبهم فى تباطئهم عن الهجرة، ومنهم من لا يطيعهم ويقول لهم فى خلافهم إياه فى الخروج لئن جمعنا الله وإياكم لا تصيبون منى خيراً ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال عطاء بن يسار، وعطاء الخراسانى نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه وقال: إلى متى تدعنا؟ فيرق، ويقيم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ يحملهم إياكم على المعصية، وترك الطاعة. ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ : أن تقبلوا منهم.

﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾ : فلا تعاقبوهم على خلافهم وتثبيطهم إياكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ : بلاء واختبار يحملكم على الكسب من الحرام، والمنع عن الحق، قال القتيبى: إغْرَامٌ، يقال: فتن فلان بفلانة: أى أُغْرِمَ بها.

قالت الحكماء[1]: أدخل «من» للتبعيض فى ذكر الأزواج والأولاد حيث أخبر عن عداوتهم لأن كلهم ليسوا بأعداء، ولم يذكر (من) فى قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنها لا تخلو من فتنة واشتغال القلب بها، يدل عليه قول ابن مسعود: لا يقولن أحدكم اللهم إنى أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد يرجع إلى مال وأهل وولد إلاّ وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقل: اللهم إنى أعوذ بك من مضلات الفتن.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عمر بن الخطاب أخبرنا عبد الله بن الفضل أخبرنا أبو خيثمة أخبرنا زيد بن خباب أخبرنا الحسين بن واقد قاضى مرو حدثنى عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب، فجاء الحسن، والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران، فنزل النبى ﷺ إليهما فأخذهما فوضعهما فى حجره على المنبر، فقال: صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ

(١) فى الهامش: الحكم.

﴿وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ رأيت هذين الصبيين، فلم أصبر عنهما» ثم أخذ في خطبته.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: ناسخة لقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[1] (آل عمران: ١٠٢)، وقد مرَّ ذكره.

﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ﴾: مجازه: يكن الإنفاق خيراً لأنفسكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: فقر نفسه وبخلها، ومنعها عن الحق، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ قال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، وإنما الشح أن تطمع عين الرجل إلى ما ليس له.

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.



(١) لا أرى وجهًا لنسخ هذه لتلك، وإنما هي متممة لها وشارحة إحداهما الأخرى، وقد سبق أن ذكرت اختلاف أهل العلم في مسألة الناسخ والمنسوخ، والله أعلم.

سورة الطلاق

مدنية وهى ألف وستون حرفًا،
ومائتان وتسع وأربعون كلمة واثنتا عشرة آية

أخبرنا ابن المقرئ أخبرنا ابن مطر أخبرنا ابن شريك أخبرنا ابن يونس أخبرنا سلام أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامه عن أُبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ مات على سُنّة رسول ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾

هذه السورة تسمى سورة النساء القصرى، وافتتحها الله تعالى بخطاب نبيه ﷺ فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ثم جمع الخطاب فقال عز من قائل: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾ ومجازها: يا أيها النبى قل لأمتك إذا طلقتم ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾، أى أردتم تطليقهن. كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ﴾ (النحل: ٩٨).

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: وهو أن يطلقها طاهرة من غير جماع، يقول: طلقوهن لطهرهن الذى يحصينه من عدتهن، ولا تطلقوهن لحيضهن الذى لا يعتددن به من قروئهن. وهذا للمدخول بها لأن من لم يدخل بها لا عدة عليها. فإذا طلقها فى طهر لم يجامعها فيه نفذ طلاقه وأصاب السنة. وإن طلقها حائضًا وقع الطلاق ولم يكن طلاق السُّنَّة.

وقال سعيد بن المسيب فى آخرين: لا يقع لأنه خلاف ما أُمرَ. وإليه ذهب الشيعة. فإن طلقها فى طهرها ثلاثًا فكرهه قوم وقالوا: ليس بطلاق سُنَّة لأنَه لم يدفع للإمساك موضعًا، وكان الشافعى رحمه الله، والجمهور يبيحونه ولا يكرهونه، لأن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته ثلاثًا، وأن العجلانى لما لاعَنَ قال: كذبت عليها إن أمسكتها فهى طالق ثلاثًا، فلم يُنكر عليه النبى ﷺ.

واختلف المفسرون فيمن نزلت فيه هذه الآية: أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن محمد ابن شنبة أخبرنا أبو القاسم عمر بن عقبة بن الزبير الأنصارى أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أيوب ابن سعيد بن هناد الكوفى أخبرنا أسباط بن محمد أخبرنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وقيل له أرجعها فإنها صوامة قوامة، وهى من إحدى نسائك وأزواجك فى الجنة.

وقال السدى: نزلت فى عبد الله بن عمر، وذلك أنه طلق امرأته حائضًا، فأمر النبى ﷺ أن يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى، فإذا طهرت طلقها إن شاء قبل أن يجامعها أو يمسكها فإنها العدة التى أمر الله تعالى بها.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا الحسن بن على بن عفان أخبرنا محمد بن عبيد الطنافسى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: طلقت امرأتى على عهد رسول الله ﷺ وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «مُرْهُ فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى فإذا طهرت فليطلقها إن شاء قبل أن يجامعها أو

يمسكها فإنها العدة التى أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء».

قال: فقلت لنافع: ما صنعت التطليقة؟ قال: واحدة أعتدت بها.

وقال المقاتلان: نزلت فى عبد الله بن عمرو بن العاص، وعمرو بن سعيد بن العاصى، وطفيل بن الحارث، وعقبة بن غزوان.

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزنى، أخبرنا الحضرمى، أخبرنا عثمان أخبرنا عبد السلام بن حرب، عن يزيد الدالانى، عن أبى العلاء الأودى، عن حميد بن عبد الرحمن قال: بلغ أبا موسى أن النبى ﷺ وجد عليهم فأتاه فذكر ذلك له، فقال له رسول الله: «يقول أحدكم: قد تزوجت، قد طلقت، وليس كذلك عدة المسلمين، طلقوا المرأة فى قُبُلِ عدتها».

وكان ابن عباس، وابن عمر يقرءان: فطلقوهن فى قُبُلِ عدتهن. وفى هذه الآية دليل واضح أن السُّنَّة والبدعة اعتبارهما فى وقت الطلاق لا فى عدد الطلاق لأن الله تعالى ذكر وقت الطلاق فقال: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ولم يذكر الطلاق، وكذلك فى حديث ابن عمر الذى رويناه دليل على أن الاعتبار بالوقت لا بالعدد، لأن النبى ﷺ علمه الوقت لا العدد.

❖ فصل فى ذكر بعض الأخبار الواردة فى الطلاق:

أخبرنا الحسين بن فنجويه قراءتى عليه أخبرنا عبيد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا أبو حامد أحمد بن جعفر المستملى أخبرنا أبو محمد يحيى ابن إسحاق بن سارى ببغداد أخبرنا أحمد بن حباب أخبرنا عيسى بن يونس أخبرنا عبد الله بن الوليد الوصافى عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق».

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حبش المقرئ أخبرنا على ابن عبد الحميد الغضائرى بحلب أخبرنا ابن إبراهيم الترجمانى أخبرنا عمر بن جُمَيْع عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على عليه السلام عن النبى ﷺ قال: «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له العرش».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن محمد ابن شنبة أخبرنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة أخبرنا أبى أخبرنا أبو أسامة عن حماد بن زيد عن أبى أيوب عن أبى قلابة عن ابن أسماء الرحبى عن ثوبان رفعه إلى النبى ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق فى غير ما بأس فحرام عليها ريح الجنة».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا

عبد الله بن محمد بن ناجية أخبرنا وهب بن بقيسة أخبرنا محمد بن عبد الملك يعنى الواسطى، أخبرنا عمر بن قيس الملائى عن عبد الله بن عيسى عن عمارة بن راشد عن عبادة بن نسى عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطلقوا النساء إلاّ من ريبة فإن الله لا يحب الذوّاقين ولا الذوّاقات».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن على أخبرنا عبد الصمد بن سعيد قاضى حمص أخبرنا عبد السلام بن العباسى بن الوليد الحضرمى أخبرنا على بن خالد أبى أخبرنا سويد عن حميد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق».

قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أى عدد أقرائها فاحفظوها.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾: حتى تنقضى عدتهن.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: وهى الزنا فيخرجن لإقامة الحد عليهن فهذا قول أكثر المفسرين.

وقال قتادة: معناه إلاّ أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها، والفاحشة النشوز.

وقال ابن عمر، والسدى: خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة.

وأنبأنى عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن الحسن أخبرنا الفضل بن المسيب أخبرنا سُعَيد أخبرنا سفيان عن محمد بن عمرو بن علقمة عن محمد بن إبراهيم التيمى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قال: إلا أن تبذوا على أهلها، فإذا بذت عليهم فقد حل لهم إخراجها.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾: أى مراجعة فى الواحدة والثنتين ما دامت فى العدة.

أخبرنا عبد الله بن حامد قراءة عليه أخبرنا محمد بن جعفر المطيرى أخبرنا الحسن بن عرفة، أخبرنا هشيم عن مغيرة وحصين بن عبد الرحمن وأشعث، وإسماعيل بن خالد، وداود بن هند، وشيبان، ومجالد كلهم عن الشعبى قال: دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسألتها عن قضاء رسول الله ﷺ فقالت: طلقنى زوجى البتة، فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فى السكنى والنفقة. فلم يجعل لى سكنى ولا نفقة وأمرنى أن أعتد فى بيت ابن أم مكتوم.

قال هشيم: قال مجالد فى حديثه: إنما النفقة والسكنى على من كانت لهُ الرجعة.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن الحسين، أخبرنا أحمد بن يوسف، أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، (ح)[1] وأخبرنا عقيل بن محمد الفقيه أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن عبد الله: أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى، وأنه خرج مع على بن أبى طالب كرم الله وجهه إلى اليمن حين أَمَّرَهُ رسول الله ﷺ على بعض اليمن، فأرسل إلى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت لها من طلاقها، وأمر عياش ابن أبى ربيعة، والحارث بن هشام أن ينفقا عليها، فقالا لها: والله ما لك من نفقة إلا أن تكونى حاملاً. فأتت رسول الله ﷺ فذكرت له قولهما، فلم يجعل لها نفقة إلاّ أن تكون حاملاً. واستأذنته فى الانتقال، فأذن لها. فقالت: أين أنتقل يا رسول الله؟. قال: «عند ابن أم مكتوم» وكان أعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها. فلم تزل هنالك حتى مضت عدتها فأنكحها النبى ﷺ أسامة بن زيد. فأرسل إليها مروان بن الحكم قبيصة ابن ذؤيب يسألها عن هذا الحديث. فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلاّ من امرأة سنأخذ بالعصمة التى وجدنا الناس عليها. فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان: بينى وبينكم القرآن، قال الله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾. قالت: هذا لمن كانت له مُرَاجَعَة، فأى أمر يحدث بعد الثلاث؟!

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أى أشرفن على انقضاء عدتهن وقربن منه.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: برجعة تراجعونهن ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيبين منكم ويكُنَّ أملك بأنفسهن.

﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: على الرجعة أو الفراق.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾: أيها الشهود.

﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: وقال عكرمة، والشعبى، الضحاك: ومن يُطلق للسنة يجعل له مخرجًا إلى الرجعة.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾: لا يرجو ولا يتوقع.

قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الأشجعى، وذلك أن المشركين أسروا ابنًا له يُسمى سالمًا، فأتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله إن العدو أسر ابنى، وشكى أيضًا الفاقة، فقال رسول الله: «ما أمسى عند آل محمد إلاّ مُدٌّ فاتق الله واصبر، وأكثر من قول

(١) زيادة يتطلبها سياق الإسناد.

لا حول ولا قوة إلاّ بالله» ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ جاءه ابنه، وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلاً وأتى بها إلى أبيه، وكان فقيراً. فقال الكلبي في رواية يوسف بن بلال: قدم ابنه ومعه خمسون بعيراً.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن عامر البلخي أخبرنا القاسم بن عباد أخبرنا صالح بن محمد الترمذي أخبرنا أبو غالب عن سلام بن سليم عن عبد الحميد عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو، وجزعت الأم، فما تأمرني؟ فقال: «اتق الله واصبر آمُرُكَ وإيَّاهَا أن تكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». فانصرف إليها، فقالت: ما قال لك النبي ﷺ؟. قال: أمرني وإياك أن نستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله. فقالت: نعْمَ ما أمرك به. فجعلا يقولان، فتغفَل عنه العدو فاستاق غنمهم، فجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ في ابنه ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ما ساق إليه من الغنيمة.

وقال مقاتل: أصاب غنمًا ومتاعًا، ثم رجع إلى أبيه، فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ فأخبره الخبر، وسأله أيحل له أن يأكل مما أتاه به ابنه؟ فقال له النبي ﷺ: «نعم». وأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخبرني ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا ابن وهب أخبرنا عبد الله ابن إسحاق أخبرنا عمرو بن الأشعث أخبرنا سعد بن راشد الحنفي أخبرنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زيد بن أسلم عن عطاء عن ابن عباس قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ قال: «مخرجًا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة».

وقال ابن مسعود، ومسروق: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ هو أنه يعلم أنه من قبل الله، وأن الله رازقه، وهو معطيه، ومانعه، وقال الربيع بن خثيم: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من كل شيء ضاق على الناس.

وقال أبو العالية: مخرجًا من كل شدة.

وقال الحسن: مخرجًا عما نهاه عنه.

وقال الحسين بن الفضل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أداء الفرائض، ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: من العقوبة، ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾: الثواب ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وقال الصادق: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يعنى يبارك له فيما أتاه.

وقال سهل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فى اتباع السنة ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من عقوبة أهل البدع، ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾: الجنة ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وقال عمرو بن عثمان الصدفى: ومن يقف عند حدوده، ويتجنب معاصيه يخرجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة ومن النار إلى الجنة.

وقال أبو سعيد الخرَّاز: ومن يتبرأ من حوله وقوته بالرجوع إليه يجعل له[1] مخرجًا مما كلفه بالمعونة له.

وقال على بن صالح ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: قال يُقَنِّعَهُ برزقه.

وقيل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فى الرزق وغيره بقطع العلائق ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ بالكفاية ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن مالك أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا محمد بن أبى بكر المقيرى[2] أخبرنا معتمرعن كهمس عن أبى السليل عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾» فما زال يقولها ويعيدها.

ويحكى: أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: وَلِّنى بما ولاَّك الله تعالى. قال: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. فقال: إنّا لا نولى من لا يقرأ القرآن. فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن رجاء أن يعود إلى عمر فيوليه عملاً. فلما تعلم القرآن تخلف عن عمر، فرآه ذات يوم، فقال: يا هذا هجرتنا. فقال يا أمير المؤمنين لست ممن يهجرك ولكنى تعلمت القرآن، فأغنانى الله عن عمر، وعن باب عمر. قال: أى آية أغنتك؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن محمد بن عبدوس أخبرنا عثمان بن سعيد الدارمى أخبرنا مهدى بن جعفر الرملى أخبرنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هَم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

---

(١) تكرر هذا اللفظ فى المخطوط فحذفت التكرار.

(٢) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: المقدمى.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ : فيثق به ويسكن قلبه إليه فى الموجود والمفقود.

﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ : قراة العامة : (بالغٌ) بالتنوين (أمرَهُ) نصب أى منفذ أمره ممض فى خلقه قضاءه، وقرأ طلحة بن مصرف بَالِغُ أمرِهِ على الإضافة، ومثله روى حفص، والمفضل عن عاصم.

وقرأ داود بن أبى هند: بَالغٌ بالتنوين أمرُهُ رفعًا.

قال القراء: أى أمره بالغ.

قال عبد الرحمن بن رافع: لما نزلت﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ: حسبنا الله، إذا توكلنا عليه، فنحن نرسل ما كان لنا ولا نحفظه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ يعنى فيكم وعليكم.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ حدًا وأجلاً ينتهى إليه.

قال مسروق فى هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ توكل عليه أو لم يتوكل عليه، غير أن المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا.

قال الربيع: إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هَدَاه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به أنجاه، ومن دعاه أجابه، وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التغابن: ١١) و﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ و﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ (التغابن: ١٧) و ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٠١) و﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ...﴾ (البقرة: ١٨٦) الآية.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ فلا يُرجَوْنَ أن يحضن ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ قال قوم: إن شككتم أن الدم الذى يظهر منها لكبرها من الحيض أو من الاستحاضة.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ : هذا قول مجاهد، والزهرى وابن زيد، وقال آخرون: إن ارتبتم فى حكمهن فلم تدروا ما الحكم فى عدتهن؟ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾.

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون أخبرنا أبو حاتم مكى بن عبدان أخبرنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر أخبرنا أسباط عن محمد عن مُطرف عن أبى عثمان عمرو بن سليمان قال: لما نزلت عدة النساء فى سورة البقرة فى المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال أُبىّ بن كعب: يا رسول الله إن أُناسًا من أهل المدينة يقولون قد بقى من النساء ما لم يُذكر فيهن شىء.

قال: «وما هو»؟ قال: الصغار، والكبار، وذوات الحمل. فنزلت هذه الآيات: ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ...﴾ إلى آخرها.

وقال مقاتل: لما نزلت: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨) الآية؛ قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصارى: يا رسول فما عدة من لا تحيض، وعدة الحبلى؟ فأنزل الله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ يعنى القواعد اللائى قعدن عن المحيض:

﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم فى حالها وفى حكمها.

وقال أبو على الزبيرى: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أى تيقنتم. وقال: هو من الأضداد يكون شكًا ويقينًا كالظن: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾

أو: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعنى بهن الصغار.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: من المطلقات، والمتوفى عنهن أزواجهن.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون أخبرنا أحمد بن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُقبة قال: أرسل مروان عبد الله بن عُتْبة إلى سُبَيْعة بنت الحارث يسألها عما أفتاها به رسول الله ﷺ، فأخبرته أنها كانت عند سعد بن خولة فتوفى عنها فى حجة الوداع، وكان بدريًا، فوضعت حملها قبل أن يمضى لها أربعة أشهر وعشر من وفاته. فلقيها أبو السنابل بن بعكك حين تعلت من نفاسها وقد اكتحلت. قال: لعلكِ تريدين النكاح؟! إنها أربعة أشهر وعشر من وفاة زوجك، وخطبها، فأتت النبى ﷺ فذكرتَ ما قال أبو السنابل، فقال النبى ﷺ: «قد حللت حين وضعت حملك» وأمرها أن تتزوج؛ فإن ارتفعت حيضة المرأة وهى شابة فإنها يتأنى بها أحامل هى أم لا فإن استبان حملها فأجلها أن تضع حملها، وإن لم يستبن حملها فاختلف الفقهاء فيه.

قال بعضهم: يستأنى بها وأقصى ذلك سنة، وهذا مذهب مالك، وأحمد، وإسحاق وأبى عبيد كانوا يرون عدة المرأة التى ارتفع حيضها وهى شابة سنة، ورووا ذلك عن عمر، وغيره.

وأما أهل العراق فإنهم يرون عدتها ثلاث حيض بعدما قد كانت حاضت مرة فى عمرها، وإن مكثت عشرين سنة إلى أن تبلغ من الكبر مبلغًا تيأس من الحيض، فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثة أشهر. وهذا أصح من مذهب الشافعى رحمه الله وعليه أكثر العلماء، وروى ذلك عن ابن مسعود وأصحابه:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۞ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ يعنى المطلقات من نسائكم.

﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾: أى من الموضع الذى سكنتم.

وقال الكسائي: ﴿مِّن﴾ صلة، مجازه: أسكنوهن حيث سكنتم.

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: سعيكم وطاقتكم، قراءة العامة: بضم الواو، وقرأ الأعرج بفتحه، وروى روح عن يعقوب بكسره، وكلها لغات، حتى تنقضي عدتهن.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾: ولا تؤذوهن ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾: مساكنهن فيخرجن.

﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ﴾: ذوات ﴿حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: فيخرجن من عدتهن.

واختلف الفقهاء في هذه المسألة: فذهب مالك والشافعي، والأوزاعي، وابن أبي ليلى، وأبو عبيد، ومحمد بن جرير: إلى أن المبتوتة المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها ولها السكنى، واحتجوا بأن الله سبحانه وتعالى عَمَّ بالسكنى المطلقات كلهن، وخصّ بالنفقة أولات الأحمال خاصة، فقال: ﴿فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

وقال أحمد وأبو ثور: لا سكنى لها ولا نفقة، واحتجوا بحديث فاطمة بنت قيس أخت الضحاك ابن قيس حيث أرسل زوجها المخزومي في طلاقها، فلم يجعل لها رسول الله ﷺ نفقة، وقال: "النفقة إذا كان له عليها حق الرجعة» فأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم، وقد ذكرناه، وهذا قول أُبَيّ بن كعب، وزيد ابن ثابت.

أما سفيان، وأهل العراق فقالوا: لها السكنى والنفقة حاملاً كانت أو حائلاً، وهو قول عائشة رضي الله عنها.

ويروى أن عائشة رضي الله عنها قالت لفاطمة بنت قيس: اتق الله يا فاطمة قد فتنت الناس إنما أخرجك رسول الله ﷺ لأنك كنت امرأة لَسِنَةً فخشي إساءتك على أحمائك.

فأما نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها: فقال علي، وابن عمر، وشريح، والنخعي، والشعبي، وحماد، وابن أبي ليلى، وسفيان وأصحابه: ينفق عليها من جميع المال حتى تضع.

وقال ابن عباس، وعبد الله بن الزبير، وجابر بن عبد الله، ومالك، والشافعي، وأبو حنيفة: لا ينفق عليها إلاّ من نصيبها.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أولادكم منهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: على إرضاعهن ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾: يقول: وليقبل بعضكم من بعض إذا أُمر بالمعروف وقال الفراء: ﴿وَأْتَمِرُوا۟﴾ أي هُمُّوا.

وقال الكسائي: شاوروا.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: في الرضاع فأبى الزوج أن يُعطى المرأة أجر رضاعها، وأبت الأم أن

ترضعه، فليس له إكراهها على إرضاعه، ولكن يستأجر للصبى مرضعًا غير أمه البائنة، فذلك قوله: ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ .



﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ﴾ على قدر غناه ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ : ضيق ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ : من المال.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ : فى النفقة ﴿إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ : أعطاها من مال ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ : عصت، وطغت، وتمردت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ : أى وأمر رسله، فخالفته ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ : بالمناقشة والاستقصاء ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ : منكرًا فظيعًا وهو عذاب النار، لفظهما ماض، ومعناها الاستقبال.

وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، مجازها: فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط، والسيف وسائر المصائب، والنوائب، والبلايا، والرزايا. وحاسبناها فى الآخرة حسابًا شديدًا.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ : يعنى القرآن.

﴿رَّسُولًا﴾ : بدلاً من الذكر، وقيل: مع الرسول. وقيل: فأرسل رسولاً. وقيل: الذكر هو

الرسول. وقيل: أراد شرفًا ثم بين ما هو فقال: رسولاً.

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: فى العدد ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: بالوحى من السماء السابعة إلى الأرض السفلى.

وقال أهل المعانى: هو ما يُدبر فيهن من عجائب تدبيره، فينزل المطر، ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار، والشتاء والصيف، ويخلف الحيوان على اختلاف هيئاتها وأنواعها وينقلهن من حال إلى حال.

وقال ابن كيسان: هذا على مجال اللغة واتساعها كما يقال: للموت أمر الله، وللرياح، والسحاب ونحوها، وقال قتادة: فى كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره، وقضاء من قضائه.

﴿لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾: فلا يخفى عليه شىء.



سُورَةُ التَّحْرِيمِ

مدنية وهى ألف وستون حرفًا
ومائتان وسبع وأربعون كلمة واثنتا عشرة آية

أخبرنا ابن المقرئ أخبرنا ابن مطر أخبرنا ابن شريك أخبرنا ابن يونس أخبرنا سلام بن سليمان أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبى أمامة الباهلى عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ أعطاه الله توبة نصوحًا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى الغداة دخل على نسائه امرأة امرأة وكان قد أهديت إلى حفصة بنت عمر عكة من عسل، فكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ حبسته وسقته منها. وأن عائشة رضى الله عنها أنكرت احتباسه عندها، فقالت لجويرية عندها حبشية يقال لها: حصيرة: إذا دخل رسول الله ﷺ على حفصة فادخلى عليها وانظرى ماذا يصنع؟ فأخبرتها الخبر وشأن العسل، فغارت، وأرسلت إلى صواحبها فأخبرتهن، وقالت: إذا دخل عليكن رسول الله ﷺ فقلن إنّا نجد منك ريح مغافير، وهو صمغ العُرْفط كريه الرائحة، وكان

رسول الله ﷺ يكرهه ويشق عليه أن يوجد منه ريح منتنة لأنه يأتيه الملك.

قال: فدخل رسول الله ﷺ على سودة قالت: فما أردت أن أقول ذلك لرسول الله ﷺ، ثم إني فرقت من عائشة. فقلت: يا رسول الله، ما هذه الريح التي أجدها منك؟ أكلت المغافير؟ قال: «لا، ولكن حفصة سقتني عسلاً». ثم دخل رسول الله ﷺ على امرأة وهن يقلن له ذلك، ثم دخل على عائشة، فأخذت بأنفها، فقال لها النبي ﷺ: «ما شأنك»؟

قالت: أجد ريح المغافير، أأكلتها يا رسول الله؟ قال: «لا بل سقتني حفصة عسلاً».

قالت: جرست إذًا نحلة العُرْفط. فقال لها ﷺ: «والله لا أُطعمه أبدًا». فحرمه على نفسه.

وقال عطاء بن أبي مسلم: إن التي كانت تسقي رسول الله ﷺ العسل أم سلمة[1].

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن أخبرنا علي بن الحسن أخبرنا علي بن عبد الله أخبرنا الحجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير قال سمعت عائشة زوج النبي ﷺ تخبر أن رسول الله كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، قالت: فتواطأت أنا وحفصة أيّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح المغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود إليه».

فنزلت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ...﴾ الآيات.

قالوا: وكان رسول الله قسم الأيام بين نسائه، فلما كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله إن لي إلى أبي حاجة، نفقة لي عنده، فأذن لي أن أزوره وآتي بها، فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام، وكان قد أهداها له المقوقس فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقًا فجلست عند الباب، فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقًا وحفصة تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي، أما رأيت لي حُرْمة وحقًا؟! ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، فقال رسول الله ﷺ: «أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي اسكتي فهي عليَّ حرام ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن هو عندك أمانة».

---

(١) كذا ذكره المؤلف بلا إسناد ومتنه لا يليق بأمهات المؤمنين فإنهن من خيرة النساء في الدنيا وزوجاته في الجنة فيجب التحري عند تناول سيرهن وأخبارهن رضوان الله تعالى أجمعين عنهن فقد اختارهن الله تعالى له في الدنيا والآخرة فكيف يوصفن بمثل هذه الأخلاق؟! وكذا ما يأتي بعده من أخبار وإن صح سندها ولا شك في أنهن طاهرات خَلْقًا وخُلُقًا ومن شك في ذلك فإن في إسلامه نظرًا. عافانا الله وإياكم من اعتقاد غير ذلك في آل بيت النبي ﷺ، وأما ما يقع فيه البشر من أخطاء وذنوب عادية هن لسن بمعصومات يجري عليهن ما يجري على البشر.

فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة رضى الله عنها فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حَرَّم عليه أمته مارية فقد أراحنا الله تعالى منها، وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبى ﷺ. فغضبت عائشة رضى الله عنها، فلم يزل نبى الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ يعنى العسل، ومارية.

وقال عكرمة: نزلت فى المرأة التى وَهَبَتْ نفسها للنبى ﷺ، ويقال لها: أم شريك، فأبى النبى ﷺ أن يقبلها لأجل أزواجه ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: أن تكفروها إذا حنثتم، وهى قوله فى سورة المائدة.

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾: فأمره أن يكفر عن يمينه، ويراجع أمته.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾: وهو تحريمه ﷺ فتاته على نفسه، وقوله لحفصة: «لا تخبرى بذلك أحدًا».

وقال الكلبى: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتى بعدى[1].

وأخبرنا عبد الله بن حامد قراءة أخبرنا عمرو بن الحسين أخبرنا أحمد بن الحسن بن سعيد أخبرنا أبى أخبرنا حصين عن بحر[2] السبلى عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قال: أسر النبى ﷺ أمر الخلافة بعده فحَدَّثت به حفصة.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا نضر بن محمد بن شيرزاد أخبرنا الحسين بن سعيد البزاز أخبرنا خالد بن العوام البزاز حدثنى فرات بن السائب عن ميمون بن مهران فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قال: أسر إليها أن أبا بكر خليفتى من بعدى.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾: أخبرت بالحديث الذى أسر إليها رسول الله ﷺ صاحبتها.

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أى وأطلع الله نبيه ﷺ على أنها قد نبأت به.

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: فلما أنبأت به بالألف.

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾: قرأ على، وأبو عبد الرحمن، والحسن البصرى، وقتادة، والكسائى: عَرَف. بالتخفيف.

أخبرنا محمد بن عبدوس أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن الجهم أخبرنا الفراء

(١) هذا أيضًا تأويل لا يصح لأنه لم تأت به سنة صحيحة ولا أخبار صادقة عن رسول الله ﷺ.

(٢) كذا فى متن المخطوط: «بحر» وجاء بهامش المخطوط: «يحيى» بقلم الناسخ.

حدثنى شيخ من بنى أسد - يعنى الكسائى - عن نعيم بن عمرو عن عطاء بن أبى عبد الرحمن قال: كان إذا قرأ عليه الرجل: (عَرَّف بعضه) بالتشديد حصبه بالحصباء، ومعناه على هذه القراءة عَرَفَ بعض ذلك الفعل الذى فعله[1] من إفشاء سرّه أى غضب من ذلك عليها وجازاها به، من قول القائل لمن أساء إليه: لأَعْرِفَنّ لك ما فعلت بمعنى لأجازينك عليه.

قالوا: وجازاها رسول الله ﷺ بأن طلقها. فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان فى آل الخطاب خيراً لما طلقك رسول الله ﷺ.

فجاء جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها. واعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً، وقعد فى مشربة أم إبراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير، وقال مقاتل بن حيان: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وإنما هَمَّ بطلاقها، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة، وإنها من نسائك فى الجنة، فلم يطلقها.

وقرأ الباقون: ﴿عَرَّفَ﴾ بالتشديد، يعنى أنه عَرَّف حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به، واختاره أبو حاتم، وأبو عبيد قالا: لأنه فى التفسير أنه أخبرها ببعض القول الذى كان منها، ومما يحقق ذلك قوله: ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ﴾.

يعنى أنه لم يعرفها إياه ولم يخبرها به.

ولو كان (عَرَفَ) مخففة لكان ضدّه وأنكر بعضًا، ولم يقل: أعرض عنه.

قال الحسن: ما استقصى كريم قط قال الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ﴾.

قال مقاتل: أخبرها ببعض ما قال لعائشة، ولم يخبرها بقولها أجمع، عَرَّف حفصة بعض الحديث وأعرض عن بعض الحديث بأن أبا بكر، وعمر يملكان بعدى.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾: أى أخبر حفصة بما أظهره الله عليه.

﴿قَالَتْ[2] مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ أى زاغت ومالت واستوجبتما التوبة.

وقال ابن زيد: مالت قلوبهما بأن سَرَّهما أن يجتنب رسول الله ﷺ جاريته وذلك لهما موافق فسرَّهما ما كره رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون قراءة عليه أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد

---

(١) فى الهامش: فعلت.

(٢) فى المخطوط: (قالت له) ولفظ «له» زائد على السياق فحذفته على ما هو فى مصحف عثمان بقراءة حفص المطبوع، وربما كان لفظًا زائدًا سهواً من الناسخ.

ابن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور عن ابن عباس قال: لم أزل حريصًا أن أسأل عمر رضى الله عنه عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حج عمر، وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر، وعدلت معه بالإداوة فتبرز، ثم أتانى فسكبت على يديه فتوضأ. فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. فقال عمر: واعجبًا لك يا ابن عباس.

قال الزهرى: كره والله ما سأله ولم يكتمه. ثم قال: هى حفصة وعائشة. قال: ثم أخذ يسوق الحديث فقال: كنا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة، وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم.

قال: وكان منزلى فى بنى أمية بن زيد بالعوالى. قال: فتغضَّبت يومًا على امرأتى، فإذا هى تراجعنى، فأنكرت أن تراجعنى. فقالت: وما تنكر أن أراجعك؟! فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. قال: فانطلقت، فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذا هى قد هلكت؟

لا تراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئًا وسلينى ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هى أوسم وأحب إلى رسول الله منك ﷺ - يريد عائشة رضى الله عنها -. قال: وكان لى جار من الأنصار، قال: وكُنّا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فينزل يومًا وأنزل يومًا، فيأتينى بخبر الوحى وغيره، وآتيه بمثل ذلك. قال: وكنا نتحدث أن غسان تُنْعلُ الخيل لتغزونا؛ فنزل صاحبى يومًا، ثم أتانى عِشَاء فضرب بابى ثم نادانى، فخرجت إلَيه، فقال: حدث أمرٌ عظيم.

قلت: ما ذا؟ أجاءت غسان؟ قال: بل أعظم من ذلك، طلق رسول الله ﷺ نساءه. قلت: قد خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا كائنًا. حتى إذا صليت الصبح شددت عَلَىّ ثيابى، ثم نزلت فدخلت على حفصة، وهى تبكى فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ قالت: لا أدرى، هو ذا معتزل فى هذه المشربة. فأتيت غلامًا له أسود، فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إلىّ فقال: قد ذكرت له فصمت، فانطلقت حتى أتيت المنبر، فإذا حوله رهط جلوس يبكى بعضهم، فجلست قليلاً، ثم غلبنى ما أجد، فأتيت الغلام، فقلت: استأذن

لعمر، فدخل ثم خرج إلىّ، فقال: ذكرت له فصمت، فخرجت وجلست إلى المنبر، ثم غلبنى ما أجد، فأتيت الغلام، فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم خرج إلىّ فقال: قد ذكرتك له فصمت.

قال: فوليت مدبراً، فإذا الغلام يدعونى، فقال: ادخل فقد أذن لك. فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ، فإذا هو متكئ على رَمَلِ حصير قد أثر فى جنبه، فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع رأسه إلى وقال: «لا».

فقلت: الله أكبر، ثم ذكر له ما قال لامرأته، وما قالت له امرأته، فتبسم رسول الله. فقلت: يا رسول الله قد دخلت على حفصة وذكرت له ما قلت لها، فتبسم أُخرى. فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: «نعم» فجلست، فرفعت رأسى فى البيت، فوالله ما وجدت شيئًا يرد البصر إلاّ أهن ثلاثة، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله تعالى؛ فاستوى جالسًا، ثم قال: «أفى شك أنت يا ابن الخطاب؟! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا». فقلت: استغفر لى يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى.

قال الزهرى: فأخبرنى عروة عن عائشة قالت: لما مضى تسع وعشرون ليلة بدأ بى، فقلت: يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك قد دخلت عن تسع وعشرين أعدهن، فقال: «إن الشهر تسع وعشرون». ثم قال: «يا عائشة إنى أذكر لك أمراً فلا عليك ألاّ تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك». قالت: ثم قرأ على: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حتى بلغ: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٨- ٢٩). قالت عائشة: قد علم أن أبوىّ لم يكونا ليأمرانى بفراقه، فقلت: أفى هذا أستأمر أبوىّ؟! إنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

قالت عائشة: فقلت له: يا رسول الله لا تخبر أزواجك أنى اخترتك، فقال النبى ﷺ: «إنما بعثنى الله مبلغًا ولم يبعثنى متعنتًا».

﴿وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ﴾: تتعاونا على أذى النبى ﷺ قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء على الحذف، واختاره أبو عبيد، وقرأ الباقون بالتشديد على الإدغام، واختاره أبو حاتم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾: وليه وناصره، وحافظه.

﴿وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: قال المسيب بن شريك: وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه. وقال سعيد بن جبير: عمر عليه السلام، وقال عكرمة: أبو بكر، وعمر عليهما السلام.

يدل عليه ما أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا على بن أحمد بن نصرويه أخبرنا أبو الحسن على بن

الحسن بن سليمان القافلانى أخبرنا أبو عمار الحسين بن الحارث أخبرنا عبد الرحمن بن زيد العمى عن أبيه عن شقيق عن عبد الله عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «إن صالح المؤمنين أبو بكر، وعمر رضى الله عنهما».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو على المقرئ أخبرنا أبو القاسم بن الفضل أخبرنا على بن الحسين أخبرنا محمد بن يحيى بن عمر أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب حدثنى رجل ثقة يرفعه إلى علي بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «هو على بن أبى طالب عليه السلام».

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا عمر بن الحسن أخبرنا أحمد بن الحسن أخبرنا أبى أخبرنا حصين عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت النبى ﷺ يقول: «﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على بن أبى طالب».

وقال الكلبى: هم المخلصون الذين ليسوا منافقين.

وقال قتادة، والعلاء بن زياد العدوى: هم الأنبياء.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾: أى أعوان، ولم يقل: صالحو ولا ظهراء لأن لفظهما وإن كان واحداً فهو فى معنى الجمع، كقول الرجل: لا يقربنى إلاّ قارئ القرآن، وهو واحدٌ ومعناه الجمع، لأنه قد أذن لكل قارئ أن يقربه.



﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

قَدِيرٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ﴾: داعيات، وقيل: مصليات.

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾: يسحن معه حيث ساح. وقيل: صائمات.

وقال زيد بن أسلم وابنه: مهاجرات.

﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ والآية واردة فى الإخبار عن[1] القدرة لا عن الكون فى الوقت لأنه عز وجل قال: ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ وقد علم أنه لا يطلقهن، وهذا كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ (محمد:٣٨) فهذا إخبار عن القدرة وتخويف لهم لا أن فى الوجود من هو خير من أمة محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك ناراً ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ﴾: فظاظ ﴿شِدَادٌ﴾: أقوياء لم يخلق الله تعالى فيهم الرحمة، وهم الزبانية التسعة عشر، وأعوانهم من خزنة النار.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾: قراءة العامة بفتح النون على نعت التوبة.

وروى حماد ويحيى بن آدم عن أبى بكر عن عاصم بضم على المصدر، وهى قراءة الحسن.

قال المبرد: توبة ذات نُصح، واختلف المفسرون فى معنى التوبة النصوح:

فقال عُمرُ وأُبىّ، ومعاذ: التوبة النصوح أن تتوب ثم لا تعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن

---

(١) فى متن المخطوط: على، وهو تحريف صوبه الناسخ بالهامش إلى ما ذكرته.

إلى الضرع . ورفعه معاذ .

وقال الحسن : هى أن يكون العبد نادمًا على ما مضى مجمعًا على أن لا يعود فيه .

وقال الكلبى : أن يستغفر باللسان ، ويندم بالقلب ، ويمسك بالبدن .

قال قتادة : هى الصادقة الناصحة .

وقال سعيد بن جبير : هى توبة مقبولة ، ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاث : خوف أن لا تقبل ، ورجاء أن تقبل ، وإدمان الطاعات .

وقال سعيد بن المسيب : توبة ينصحون بها أنفسهم .

وقال القرظى : يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإضمار لترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيئ الأخلاق[١] .

وقال سفيان الثورى : علامة التوبة النصوح أربع : القلة ، والعلة ، والذلة ، والغُرْبَة .

وقال فضيل بن عياض : هى أن يكون الذنب نصب عَينيك ولَا يزال كأنه ينظر إليه .

وقال أبو بكر محمد بن موسى الواسطى : هى توبة لا بعقد عوَض لأن من أذنب فى الدنيا لرفاهية نفسه ، ثم تاب طلبًا لرفاهيتها فى الآخرة فتوبته على حظ نَفسه لَا لله .

وقال أبو بكر الوراق : هى أن تضيق الأرض عليك بما رحبت ، وأن تضيق عليك نفسك ، كتوبة الثلاثة الذى خُلّفوا .

وقال أبو بكر الرقاق المصرى : رد المظالم ، واستحلال الخصوم ، وإدمان الطاعات ، وقال رويم الراعى : هى أن تكون لله وجهًا بلا قفًا كما كنت له عند المعصية قفًا بلا وجه .

وقالت رابعة : توبة لا يتاب منها[٢] ، وقال ذو النون[٣] : علاماتها ثلاث : قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام .

وقال شقيق : هى أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ، ولا ينفك من الندامة لينجو من آفاتها بالسلامة .

وقال السرى السقطى : لا تصح التوبة النصوح إلاَّ بنصحة النفس والمؤمنين لا فيمن صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله .

وقال جُنيد : هى أن ينسى الذنب فلا يذكره أبدًا لأن من صحت توبته صار محبًا لله تعالى ،

---

(١) كذا فى المتن ، وفى هامش المخطوط : الخلان .

(٢) هى العدوية المشهورة ، وذهب بعض العلماء إلى أنها أسطورة لا حقيقة لها ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٣) هو الصوفى المصرى المشهور ، له ترجمة فى طبقات الأولياء ، وطبقات الصوفية .

ومن أحب الله تعالى نسى ما دون الله تعالى.

وقال سهل: هى توبة أهل السنة والجماعة، لأن المبتدع لا توبة له، بدليل قوله ﷺ: «حجر الله تعالى على كل صاحب بدعة أن يتوب».

قال أبو الأديان: هى أن يكون لصاحبها دمع سفوح، وقلب عن المعاصى جموح، فإذا كان كذلك فإن توبته نصوح، وأمارات التوبة منه تفوح.

وقال فتح الموصلى: علاماتها ثلاث: مخالفة الهوى، وكثرة البكا، ومكابدة الجوع والظما.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ على الصراط.

﴿يَقُولُونَ﴾: إذا أطفئ نور المنافقين.

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: ثم ضرب مثلاً للطالحات من النساء، ومثلاً للصالحات من النساء فقال عز من قائل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾: واسمها واعلة. ﴿وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ﴾: واسمها واهلة.

وقال مقاتل: والعة، ووالهة.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ﴾: وهما: نوح، ولوط عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: فى الدين، وما بغت امرأة نبى قط.

قال ابن عباس: ليس بخيانة زنا، وهما امرأتا نوح ولوط عليهما السلام وإنما خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، كانت امرأة نوح، تخبر الناس أنه مجنون، وتُطْلِع على سره، فإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط: فكانت تدل قومه على أضيافه.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا﴾: مع نبوتهما.

﴿مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾: يخوف عائشة وحفصة رضى الله عنهما.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾: وهى آسية بنت مزاحم.

قال المفسرون: لما غلب موسى السحرة، آمنت امرأة فرعون، فلما تبين له إسلامها وثبتت عليه، أَوْتَدَ يديها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقاها فى الشمس، وأمر بصخرة عظيمة فتلقى عليها، فلما أتوها بالصخرة ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾: فأبصرت بيتها فى الجنة فى

دُرّة، وانتزع الله عز وجل روحَهَا، فألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح، فلم تجد ألمًا من عذاب فرعون.

وقال الحسن، وابن كيسان: رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهى فيها تأكل وتشرب.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا أبو الأزهر أخبرنا أسباط عن سليمان عن أبى عثمان عن سليمان قال: كانت امرأة فرعون تُعذب بالشمس، فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها فى الجنة.

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾: أى ودينه.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد بن أبى سعيد أخبرنا على بن حرب أخبرنا أبو المنذر هشام بن محمد عن أبى صالح عن ابن عباس فى قول الله تعالى: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

قال جماعة: ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

قطع الله بهذه الآيات طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره، وأخبر أن معصية الغير لا تضره إذا كان مطيعًا.

قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾: أى فى درعها لذلك ذكر الكناية.

﴿وَصَدَّقَتْ﴾: قراءة العامة بالتشديد. وقرأه لاحق بن حميد بالتخفيف.

﴿بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا﴾: قرأه العامة بالجمع.

وقرأه الحسن، وعيسى، والجحدرى: بكلمة على الواحد، يعنون عيسى عليه السلام.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾: قرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ [1] على الجمع وهى رواية حفص عن عاصم.

واختاره أبو حاتم، وقال: لأنها أعَمّ.

وقرأ الباقون: (وكتَابه) على الواحد، وهى اختيار أبى عبيد.

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾: المطيعين، مجازه: من القوم القانتين فإنه لم يقل [2] قانتات [3]،

---

(١) فى المخطوط: وكتَابه. وأثبت ما فى المصحف المطبوع برواية حفص، وتركت الشرح للمؤلف على ما هو يبين الفرق بين القراءات.

(٢) فى المخطوط: فإن لك لم يقل. فقد أصابها خلل وتحريف، فأصلحت الخلل، وأثبت العبارة على ما هو مثبت.

(٣) فى الهامش: من الفانتات.

نظيره : ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ (آل عمران : ٤٣).

أخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق السُّنى ، ومحمد بن المظفر قالا : أخبرنا على بن أحمد بن سليمان أخبرنا موسى بن سابق أخبرنا أبى أخبرنا ابن وهب أخبرنا الماضى بن محمد عن بُردة[1] عن مكحول عن معاذ بن جبل : أن النبى ﷺ دخل على خديجة وهى تجود بنفسها ، فقال : «الْكُرْهُ ما تزل بك يا خديجة ، وقد جعل الله فى الكُره خيراً كثيراً ، فإذا قدمت على ضرّاتك ، فأقرئيهن منى السلام».

قالت يا رسولَ الله ، ومن هُنَّ؟

قال : «مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وكليمة - أو حليمة - أخت موسى - شك ابن سابق - فقالت بالرفاه والبنين.

وأخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا عبيد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا عبد الله بن أحمد ابن منصور الكسائى أخبرنا محمد بن عبد الجبار المعروف بسندول الهمدانى أخبرنا أبو أسامة عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مُرَّة بن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاّ أربع : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».



(١) كذا فى المتن ، وفى الهامش : «مردة».

سورة الملك

مكية وهى ألف وثلاثمائة حرف،
وثلاثمائة وثلاثون كلمة وثلاثون آية

أخبرنا محمد بن مخلد المخلدى أخبرنا أبو العباس السرَّاج أخبرنا العباس بن عبد الله أخبرنا حفص بن محمد أخبرنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أن ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ فى قلب كل مؤمن».

وأخبرنى أبو الحسن الفارسى أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يزيد أخبرنا يحيى البزاز أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا أبو داود أخبرنا عمران عن قتادة عن عباس الجسمى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة من كتاب الله تعالى ما هى إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأنجته يوم القيامة من النار، وأدخلته الجنة وهى سورة تبارك».

وأخبرنا أبو الحسين بن إسحاق المزكى، وأبو الحسين بن أبى الفضل العدل قالا: أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار أخبرنا سعدان بن نصر أخبرنا معمر بن سليمان عن الخليل بن مرة عن عاصم بن أبى النجود رواه عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: إذا وضع الميت فى قبره يُؤتى من قبَل رجليه، فيقال: ليس لكم عليه[1] سبيل لأنه قد كان يقوم بسورة الملك. ثم يؤتى[2] من قبَل رأسه فيقول لسانه: ليس لك عليه[1] سبيل كان يقرأ بى سورة الملك؛ ثم قال: هى المانعة من عذاب الله، وهى فى التوراة سورة الملك، من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى

(١) فى متن المخطوط: «علىّ» وفوقها كتب بخط الناسخ عليه، فاستبدلت بما هو فوق للسياق.
(٢) فى متن المخطوط: «يقوم» وفى الهامش: يؤتى فأثبت ما فى الهامش لما مضى من السياق.

خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ۝﴾

﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾: قدم الموت على الحياة لأنه إلى القهر أقرب، كما قدم البنات على البنين فى قوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ (الشورى: ٤٩).

قال قتادة: أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء، وقيل: قدمه لأنه أقدم وذلك أن الأشياء فى الابتداء كانت فى حكم الموات كالنطفة والتراب ونحوهما ثم اعترضت عليها الحياة.

قال ابن مسعود[١]: خلق الموت على صورة كبش أملح لا يَمُرُّ بشىء ولا يجد ريحه شىء إلاّ مات، وخلق الحياة على صورة فرس أبلق أنثى وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها، خطوها مَدّ البصر، وهى[٢] فوق الحمار ودون البغل، لا تمر[٣] بشىء ولا تطأ شيئًا ولا يجد ريحها شىء إلاّ حىّ، وهى التى أخذ السامرى من أثرها فألقاه على العجل فحيى[٤].

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: فيما بين الحياة والموت ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد بن عبد الله بن برزة أخبرنا الحارث ابن أبى أسامة أخبرنا داود المجبر أخبرنا عبد الواحد بن زياد العبدى عن كليب بن وائل عن ابن عمر عن النبى ﷺ: أنه تلا: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ حتى بلغ إلى قوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ثم قال:

(١) كذا فى متن المخطوط، وكتب فوقه بخط الناسخ «عباس».
(٢) فى المخطوط: هو. وقد تحرف سهواً.
(٣) فى المخطوط: يمر. وقد تحرف سهواً.
(٤) هذا الخبر، والذى قبله من أخبار الغيب، والتى لا تكون موقوفة ولكن لا بد أن تكون صحيحة مرفوعة حتى تقبل، ومثل هذا لا يقبل.

«أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرعكم فى طاعة الله عز وجل».

وبإسناده عن داود بن المجبر أخبرنا مسيرة عن محمد بن زيد عن أبى سلمة عن أبى قتادة قال: قلت: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ما عنى به؟ قال: «يقول أيكم أحسن عقلاً». قال رسول الله ﷺ: «أتمكم عقلاً، أشدكم لله خوفًا وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به، ونهى عنه نظرًا وإن كانوا أقلكم تطوعًا».

وأخبرنا محمد بن موسى بن الفضل أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد أخبرنا أبو بكر بن أبى الدنيا القرشى أخبرنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق عن إبراهيم ابن الأشعث عن فضيل بن عياض: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. قال: أخلصه وأصوبه.

قلت: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السُّنَّة.

وقال الحسن: يعنى أيكم أزهد فى الدنيا زهدًا وأترك لها تركًا.

وقال سهل: أيكم أحسن توكلاً على الله تعالى.

وقال الفراء: لم توقع البلوى على أى لأن فيما بين أى والبلوى إضمار، وهو كما تقول فى الكلام: بلوتكم لأنظر أيكم أطوع، ومثله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ (القلم: ٤٠) أى سلهم وانظر إليهم. فأى رفع على الابتداء، وأحسن خبره.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: طبقًا على طبق بعضها فوق بعض يقال طبقت الشيء إذا وضعت بعضه فوق بعض.

قال أبان بن تغلبى: سمعت بعض الأعراب يزم رجلا فقال: شره طِباق، وخيره غير باق.

قال سيبويه: ونصب طباقًا لأنها مفعول ثان.

﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾: قرأ يحيى بن وثاب، والأعمش، وحمزة، والكسائى: من تفوت بغير ألف، وهى اختيار أبى عبيد، وقراءة عبد الله وأصحابه.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا مكى ابن عبدان أخبرنا عبد الله بن هاشم ابن حيان أخبرنا يحيى بن سعد القطان عن سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله: أنه كان يقرأ: من تَفَوُّت.

قال الأعمش: فذكرت ذلك لأبى رزين. فقال: قد سمعتها من عبد الله، فما قبلتها أو أخذتها، وقرأ: ﴿تَفَاوُتٍ﴾ وهى قراءة الباقين، واختيار أبى حاتم، وهما لغتان مثل: التعهد،

والتعاهد، والتحمل والتحامل، والتظهر والتظاهر. ومعناه: ما ترى فى خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف، وتناقض، وتباين، بل هى مستوية مستقية.

وأصله من التفوت، وهو أن يفوت بعضها بعضًا لقلة استوائها. يدل عليه قول ابن عباس: من تفرق.

﴿فَٱرۡجِعِ﴾: فرد. ﴿ٱلۡبَصَرَ﴾: قال الفراء: إنما قال: ﴿فَٱرۡجِعِ﴾ وليس قبله فعل مذكور، فيكون الرجوع على ذلك الفعل، لأن مجاز الكلام: انظر، ثم ارجع البصر.

﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾: أى فتوق، وشقوق، وخروق.

قال الضحاك: اختلاف وشطور، وقال عطية: عيب، وقال ابن كيسان: تباعد، وقال القرظى: فروج، وقال أبو عبيدة: صدوع.

قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

شققت القلب ثم ذررت فيه ... هواك فليم فالتأم الفطور

فغلغل حب عثمة فى فوادى ... فباد به مع الحشا فىّ يسيرُ

تغلغل حيث لم يبلغ شراب[1] ... ولا سُكْرٌ[2] ولم يبلَغ سرورُ

وقال آخر:

بَنَى لكم بلا عمد سماءً ... وزينها فما فيها فطورُ

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ﴾: رد ﴿ٱلۡبَصَرَ﴾: فكرِّر النظر ﴿كَرَّتَيۡنِ﴾: مرتين ﴿يَنقَلِبۡ﴾: ينصرف ويرجع ﴿إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا﴾: خاشعًا ذليلاً مبعدًا ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾: يعنى كليل، منقطع لم يدرك ما طلب.

قال الشاعر:

نظرت إليها بالمحصب من منًى ... فعاد إلىّ الطرف وهو حسير

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا المسيب أخبرنا إبراهيم البكرى عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه (ح)[3] قال المسيب: وحدثنى أبو جعفر عن الربيع عن كعب قالا: السماء الدنيا: موجٌ مكفوف، والثانية: مرمرة بيضاء، والثالثة: حديد، والرابعة: صفراء - أو قال: نحاس -

---

(١) كذا فى متن المخطوط، وفوقها بقلم الناسخ: «طعام».

(٢) كذا فى متن المخطوط، وفوقها بقلم الناسخ «حزت».

(٣) زيادة حديثية.

والخامسة: فضة، والسادسة: ذهب، والسابعة: ياقوتة حمراء. وبين السماء السابعة إلى الحجب السبعة صحارى من نور واسم صاحب الحجب فيطاطروس[١].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ أى الكواكب، واحدها مصباح، وهو السراج.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾: فى الدنيا ﴿رُجُومًا﴾: مرامى ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾: إذا استرقوا السمع ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: فى الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾: مع ما جعلنا لهم فى الدنيا من الشهب ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾: أيضًا ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾: صوتًا كصوت الحمار ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾: تصفر، وتغلى بهم كما تغلى القدر.

وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الحب القليل فى الماء الكثير.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾: يتفرق بعضها من بعض على أهلها غيظًا[٢] وانتقامًا لله عز وجل ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: قوم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: رسول فى الدنيا ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا﴾ لرسوله[٣] ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾.



﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝١٨ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ۝١٩ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢١ أَفَمَن

---

(١) هذا قول لا يعتد به، ولا يذم من قاله سابقًا لقوله تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت﴾، ولكن لا يجوز تكراره ونسبته إلى الإسلام جهلاً.

(٢) فى الهامش: غضبًا.

(٣) فى الهامش: للرسل.

يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾ : وهم فى النار ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ : من النذر ما جاءونا به ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ : عنهم. قال ابن عباس: لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به.

﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا﴾ : فبعداً. وقال سعيد بن جبير: هو واد فى جهنم ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ : وَثَقَّلَهُ أبو جعفر، والكسائى بروايته. الدورى وقتيبة بخلافٍ عنهما. وخَفَّفَهُ الآخرون، وهما لغتان مثل: الرُّعْب والرُّعُب، والسُّحْت والسُّحُت، وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن خالد أخبرنا داود بن سليمان أخبرنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن الرجل ليجر إلى النار فتنزوى وينقبض بعضها إلى بعض، فيقول لها الرحمن: ما لك؟ فتقول[1]: إنه كان يستجير منى، فيقول أرسلوا عبدى. وإن العبد ليجر إلى النار، فيقول: يا رب ما كان هذا الظن بك، قال: فما كان ظنك؟ قال: كان ظنى أن تسعنى رحمتك، فيقول: أرسلوا عبدى[2] وإن الرجل ليجر إلى النار فتشهق النار إليه شهيق البغلة إلى الشعير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحدٌ إلاّ خاف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ :

قال ابن عباس: نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل بما قالوا فيه، ونالوا منه. فيقول بعضهم لبعض أسروا قولكم حتى لا يسمع إله محمد ﷺ وقال أهل

(١) فى المخطوط: «قال». وهو تحريف.

(٢) بعده عبارة: «لعله زايد». وأحسب أنها زائدة على السياق فحذفتها.

المعانى: إن شئت جعلت ﴿مَنْ﴾ فى قوله: ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ اسمًا للخالق فتقول[١]: ألا يعلم الله الخالق ما فى الصدور وهو اللطيف الخبير؟ وإن شئت جعلته اسمًا للمخلوق، فقلت: ألا يعلم الله مخلوقه.

أخبرنا ابن الفنجوى أخبرنا موسى أخبرنا الحسن ابن علويه أخبرنا إسماعيل بن عيسى عن المسيب قال: بينا رجل واقف بالليل فى شجر كثير، وقد عصفت الريح، فوقع فى نفس الرجل فقال: أترى الله تعالى يعلم ما يسقط من هذا الورق؟ فنودى من خلفه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾؟

وروى محمد بن فضيل عن زيد بن أسماء[٢] أن رجلاً دخل غيضة فقال: لو دخلت[٣] هاهنا بمعصية من كان يرانى؟ فسمع صوتًا ملأ ما بين لابتى الغيضة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: سهلاً، مسخرة لا تمتنع ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾: قال ابن عباس، وقتادة فى جبالها. وقال الضحاك: فى آكامها. وقال مجاهد: فى طرقها وفجاجها. وقال الكلبى: فى أطرافها. وقال الفراء: فى جوانبها. وقال مقاتل: نواحيها. وقال الحسن: سُبُلها حيث أردتم، فقد جعلها لكم ذلولاً لا تمتنع.

وأصل المنكب الجانب، ومنه منكب الرجل، والريح النكباء، وتنكب فلان.

﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾: الحلال ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وقال ابن عباس: أأمنتم عذاب من فى السماء إن عصيتموه.

وقيل معنى الآية: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قدرته، وسلطانه، وعرشه، ومملكته. وقيل: إنما قال: ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنهم كانوا يعترفون بأنه إله السماء، ويزعمون أن الأصنام آلهة الأرض، وكانوا يدعون الله من جهة السماء، وينتظرون نزول أمره بالرحمة والسطوة منها.

وقال المحققون: معنى قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أى فوق السماء، كقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (التوبة: ٢) أى فوقها، لا بالمباينة والتحيز، ولكن بالقهر والتدبير.

وقيل: معناه على السماء كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ (طه: ٧١). ومعناه أنه مالكها ومدبرها والقائم عليها كما يقال: فلان على العراق والحجاز، وفلان على خراسان

---

(١) كذا فى المتن وفى الهامش فقلت.

(٢) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: زر بن أبى أسماء.

(٣) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: «خلوت».

وسجستان يعنون أنه واليها وأميرها.

واعلم أن الآيات والأخبار الصحاح فى هذا الباب كثيرة، وكلها فى العُلو مشيرة، ولا يدفعها إلاّ مُلْحد جاحد أو جاهل معاند، والمراد بها والله أعلم توقيره وتعظيمه وتنزيهه عن السفل والتحتَ ووصفه بالعلو والعظمة دون أن يكون موصوفًا بالأماكن، والجهات والحدود، والحالات، لأنها صفات الأجسام، وأمارات الحَدَث والله سبحانه وتعالى كان ولا مكان، فخلق الأمكنة، غير محتاج إليها، وهو على ما لم يزلَ عليه، ألا ترى أن الناس يرفعون أيديهم فى حال الدعاء إلى السماء مع إحاطة علمه وقدرته ومملكته بالأرض وغيرها إحاطته بالسماء إلاّ أن السماء مهبط الوحى ومنزل القطر، ومحل القدس، ومعدن المطهرين المقربين من ملائكته وإليها ترفع أعمال عباده وفوقها عرشه، وجنته. وبالله التوفيق.

﴿أَن يَخْسِفَ﴾: يُغورِّ ﴿بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾: قال الحسن: تتحرك بأهلها. وقال الضحاك: تدور بهم وهم فى قعرها. وقال ابن كيسان: تهوى بهم.

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط، وأصحاب الفيل ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾: كيف إنزالى بالعذاب.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكارى، وأثبت بعض القراء الياء فى هذه الحروف وجوابها على الأصل، وحذفها بعضهم على الخط.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾: أجنحتها وهى تطير وتقبض أجنحتها بعد انبساطها.

﴿وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: ما يحبسهن فى حال القبض والبسط أن يسقطن ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾: قال ابن العباس: منعة لكم ﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: يدفع عنكم ما أراد بكم. ﴿إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ﴾ تمادٍ فى الضلال ﴿وَنُفُورٍ﴾: تباعد عن الحق.

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾: راكبًا رأسه فى الضلالة والجهالة أعمى القلب والعين لا يبصر يمينًا ولا شمالاً، وهو الكافر.

وقال قتادة: هو الكافر أكب على معاصى الله تعالى فى الدنيا فحشره الله يوم القيامة على وجهه ﴿أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وهو المؤمن، وقوله: ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ فعل

غريب أن أكثر اللغة فى التعدى واللزوم أن يكون أفعلته ففعل، وهذا على ضده، يقال: كببت فلانًا على وجهه فأكبّ، قال الله تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ (النمل: ٩٠)، وقال النبى ﷺ: «وهل يَكُبُّ الناس فى النار على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم».

فنظيره فى الكلام قولهم: قشعت الريح السحاب فأقشعت، ونشرته فانتشر؛ قوله: ﴿مُكِبًّا﴾ فعل واقع، وقال الأعشى:

مكبًا على روقيه يحقر عرقه ... على ظهره عُريان الطريقة أهيما

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾: يعنى العذاب فى الآخرة عن أكثر المفسرين. وقال مجاهد: يعنى العذاب ببدر ﴿زُلْفَةً﴾: قريبًا، وهو اسم وصف مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع ﴿سِيٓـَٔتْ﴾: أخزيت ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: فاسودت وعليهم[1] الكآبة والغبرة، تقول العرب: سُؤْتُهُ فسىء، ونظيره: سَرَرْتُهُ فسُرَّ، وشَغَلْتُهُ فَشُغِلَ ﴿وَقِيلَ﴾: أى وقال لهم الخزنة ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾: أى نجعله لكم.

وقرأ العامة: ﴿تَدَّعُونَ﴾ بتشديد الدَّال، تفتعلون من الدعاء، عن أكثر العلماء. أى تتمنون وتسألون، وقال الحسن: معناه: تَدَّعون أن لا جنة ولا نار، وقرأ الضحاك، وقتادة، ويعقوب: خفيفة الدال. أى يدعون الله أن يأتيهم به، وهو قولهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ (الأنفال: ٣٢) الآية.

﴿قُلْ﴾: يا محمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك ويتربصون بك ريب المنون ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾: فأماتنى ﴿وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا﴾: أبقانا وأخر فى آجالنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فإنه واقع بهم لا محالة. وهذا اختيار الحسين بن الفضل، ومحمد بن جرير.

وقال بعضهم: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ فعذبنى ﴿وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ فغفر لنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ونحن مع إيماننا خائفون من عذابه، لأن له أن يأخذنا بذنوبنا ويعاقبنا ويهلكنا لأن حكمه جار، وأمره نافذ، وفعله واقع فى ملكه، فنحن مع إيماننا خائفون من عذابه فمن يمنعكم من عذابِ الله وأنتم كافرون؟ وهذا معنى قول ابن عباس، واختيار عبد العزيز بن يحيى، وابن كيسان.

---

(١) كذا فى متن المخطوط: وفى هامشه: «علتها».

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ : بالياء الكسائى. رواه عن على رضى الله عنه. والباقون بالتاء ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ : نحن أم أنتم؟ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ : غائراً ذاهبًا ناضبًا فى الأرض لا تناله الأيدى والدلاء.

قال الكلبى، ومقاتل: يعنى ماء زمزم، وبئر ميمون الحضرمى، وهى بئر عادية قديمة.

﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ : ظاهر تناله الأيدى الدلاء. وقال عطاء عن ابن عباس: جار. وقال المؤرج: عذب بلغة قريش.



سورة القلم

مكية، وهى ألف ومائتان وستة وخمسون حرفًا،
وثلاثمائة كلمة، واثنتان وخمسون آية

أخبرنا محمد بن القيم أخبرنا محمد بن مطر[١] حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا سلام بن سليم حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن ابنه عن أبى أمامة بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (ن والقلم) أعطاه الله تعالى ثواب الذين حَسَّنَ أخلاقهم».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝﴾.

﴿نٓ﴾ اختلف القراء فيه؛ فأظهر بعضهم نونه، وأخفاها الآخرون. وقرأ ابن عباس: نُونِ بكسر النون على إضمار حروف القسم، وقرأ عيسى بن عمر بالفتح على إضمار فعل.

واختلف المفسرون فى معناه: فقال مجاهد، ومقاتل، ومُرَّة الهمدانى، وعطاء الخراسانى، والسُّدِّى، والكلبى هو الحوتُ الذى يحمل الأرض[٢]

وهى رواية أبى طيسان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن

(١) كذا فى المتن، وفى هامش المخطوط: «مطرف».

(٢) طبعًا هذا قول لا يقبله عاقل خصوصًا بعد انتشار علوم الأرض ومعرفة أسباب الزلازل ومكونات الأرض وطبقاتها وما إلى ذلك مما يعلمه العامة فضلاً عن الخاصة، فلا يلتفت لمثل هذا القول، وكذا كل ما فى تفسير هذا الحرف أو هذه الآية لا يدخل فى إطار العقل فضلا عن الحق والعلم التجريبى والمشاهد، والمحسوس الملموس.
والإسلام دعانا إلى إعمال العقل، والفكر والنظر فى الكون وحضنا على التعمق فى العلم لنزداد إيماننا بالله ولنتيقن من صدق القرآن الكريم وأنه تنزيل من عليم حكيم خبير لطيف سبحانه.
وليس معنى هذا طعنًا فى المؤلف أو المفسرين وإنما اختلاف العصور، والعلوم، والمدارك، فضلا عن الإسرائيليات التى دست فى كلامهم، وما وضع على ابن عباس باعتباره ترجمان القرآن إلى آخر ذلك، مما هو معروف فرحم الله المؤلف والمفسرين ورحمنا معهم برحمته آمين.

ثم رفع بخار الماء فخلق منه السموات، ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهر النون، فتحركت النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض، ثم قرأ ابن عباس ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ .

واختلفوا فى اسمه: فقال الكلبى، ومقاتل: بهموت. وقال أبو اليقظان، والواقدى: ليوثا. وقال كعب: لوثونا. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: يلهوت، وقال الراجز:

ما لى أراكم كلكم سكوتا والله ربى خلق اليلهوتا

قالت الرواة: لما خلق الله تعالى الأرض وفتقها بعث الله سبحانه من تحت العرش ملكًا، فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع، فوضعها على عاتقه إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الأرضين السبع حتى ضبطها، ولم يكن لقدمه موضع قرار، فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورًا له أربعون ألف قرن، وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدم الملك على سنامه، فلم تستقر قدماه، فأحدث الله تعالى ياقوتة حمراء[1] من أعلى درجة فى الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أُذنه فاستقرت عليها قدماه، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض، ومنخراه فى البحر، فهو يتنفس كل يوم نفسًا، فإذا تنفس مَدَّ البحر وإذا مَدَّ نفسه جَزَرَ، فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها، وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه: ﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾ (لقمان: ١٦) الآية.

فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونًا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وبسائر جانبه، والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القُدْرَة ثقل الدنيا كلها بما عليها حرفان من كتاب الله تعالى، قال لها الجبار: كونى فكانت[2].

وقال كعب الأحبار: إن إبليس تغلغل فى الحوت الذى على ظهره الأرض كلها فوسوس إليه وقال: أتدرى ما على ظهرك يا لويتا من الأمم، والدواب، والشجر والجبال وغيرها، لو نفضتهم ألقيتهم من ظهرك أجمع؛ قال: فهم لويتا أن يفعل ذلك، فبعث الله تعالى دابة فدخلت منخره، ووصلت إلى دماغه فضج[3] الحوت إلى الله تعالى منها، فأذن لها فخرجت؛

---

(١) فى الهامش: «خضراء».

(٢) انظر هل يقبل مثل هذا عقل، وكأن الله تعالى يجرى التجارب والمحاولات، ثم يغلف كلامه فى آخر القصة بغلاف الإيمان بالقدرة ليكسب حكايته هالة الحق والصدق عافانا الله وإياكم من الزيغ والهوى والضلال ورزقنا الإيمان النقى الصادق. آمين.

(٣) فى هامش المخطوط: «فعج».

قال كعب : والذى نفسى بيده لينظر إليها وتنظر إليه إنْ هَمَّ بشىء من ذلك عادت كما كانت .

وقال بعضهم : هى آخر حروف الرحمن . وهى رواية عكرمة عن ابن عباس قال : الر ، وحم ، ونون ، حروف الرحمن تبارك وتعالى مقطعة .

وقال الحسن ، وقتادة ، والضحاك : النون : الدواة ، وهى رواية ثابت اليمانى عن ابن عباس . وقال فيه الشاعر :

إذا ما الشوق برح بى إليهم ألقت النون بالدمع السّجوم

وقال معاوية بن قرة : هو لوح من نور ، ورفعه إلى النبى ﷺ .

وقال ابن زيد : هو قسم أقسم الله تعالى به . وقال ابن كيسان : فاتحة السورة . عطاء : افتتاح اسمه نور ، وناصر ، نصير . وقال القرظى : أقسم الله تعالى بنصرته المؤمنين ، وبيانه قوله تعالى : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم : ٤٧) . جعفر الصادق : هو نهر فى الجنة .

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ وهو الذى كتب به الذكر ، وهو قلم من نور ، ما بين السماء والأرض . ويقال : لما خلق الله تعالى القلم وهو أول ما خلقه نظر إليه فانشق بنصفين . ثم قال : اجْرِ . فقال : يا رب بما أجرى ؟ فقال : بما هو كائن إلى يوم القيامة . فجرى على اللوح المحفوظ بذلك .

قال عطاء : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ قال : دعانى ، فقال : أى بُنىّ اتق الله ، واعلم أنَّك لَن تتقى الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ، والقدر خيره وشره ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : يا رب ، وما أكتب ؟ قال : اكتب العلم ، وقال : فجرى القلم فى تلك الساعة وما هو كائن إلى الأبد» .

ويحكى أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغمومًا ، فقال له : روّح عنى يا ابن الزيات . فأنشأ يقول :

للخصم فضل والقضاء غالب وكائن الخُطّ فى اللوح
فانتظر الروح وأسبابه آيس ما كنت فى الروح

وهل أراد بالقلم الخط والكتابة الذى امتن الله تعالى على عباده بتعليمه إياهم ذلك كما قال : ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ (العلق : ٤) .

وقد أكثر الحكماء والبلغاء فى وصف القلم ونفعه ، فلم أُرِدْ إخلاء هذا الكتاب من نبذ فصوصه .

فقال ابن هيثم : من جلالة القلم : أنه لم يكتب لله تعالى كتابًا إلا به لذلك أقسم الله تعالى

به . وقيل : الأقلام مطايا الفطن ورسل الكرام .

وقيل : القلم الظلم الأكبر . وقيل : البيان اثنان : بيان لسان ، وبيان بنان وفضل بيان البنان أن ما تثبته الأقلام باق على الأيام ، وبيان اللسان تدرسه الأعوام .

وقال بعض الحكماء : قوام أمور الدين والدنيا شيئان : القلم ، والسيف ، والسيف تحت القلم ، وفيه يقول شاعرهم .

إن يخدم القلم السيف الذى خضعت ... له الرقاب ودانت دونه[1] الأممُ
فالموت والموت لا شيء يغالبه ... ما زال يتبع ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذ بُرِئتْ ... إن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وللصنوبرى :

قلم من القصب الضعيف الأجوف ... أمضى من الرمح الطويل الأهيف
ومن النصال إذا بدت لقسيهاَ ... ومن المهند ذى الصقال المرهف
وَأشدُّ إقداماً من الليث الذى ... يكوى القلوب إذا بدا فى الموقف

وأنشدنا القيم السدونى قال أنشدنى عبد السميع الهاشمى قال أنشدنى ابن صفون لأبى تمام فى معناه :

ولضربة من كاتب ببيانه ... أمضى وأبلغ من رقيق حسام
قوم إذا عزموا عداوة حاسد ... سفكوا الدماء بأسنة الأقلام

وللبحترى :

قوم إذا أجدوا الأقلام عن غضب ... ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن كثروا ... ما لا يُنال على المشرفيات

وقال آخر :

وما السيف غضبا يضيء رونقه ... أمضى على النائبات من قلمه

ولابن الرومى :

فى كفه قلم ناهيك من قلم نُبلاً ... وناهيك من كف به اتشحا
يمحو ويثبت أرزاق العباد به ... فما المقادير إلاّ ما وحى ومحا

وأنشد بعضهم فى وصفه :

وأخرس ينطق بالمحكمات ... وجثمانه صامت أجوف

(١) فى الهامش : «خوفه» .

كله ينطق فى جفنه   وبالشام منطقه يعرف

والآخر فى وصفه:

نحيف الشوى يعدو على أم رأسه   يقوى عدوه حين يقطع
لج ظلامًا فى نهار لسانه   ويفهم عمن قال ما ليس يسمع
أخذه وما شجرات نابتات بفقره   إذا قطعت حارت مطايا الأصابع
لهن بكاء العاشقين ولونهم   سوى أنها تبكين سود المدامع

وقال آخر:

له قلم نتائجه المعانى   وأحكام الأئمة والقضات
تناط بحده الأفراد طرًا   بمَحْى بعض خلق أو ممَاتَ
بمشية حية وبلون جان   وجرم متيم وشبا الظبات

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يكتبون، ويجوز أن يكون معناه، ويسطرهم يعنى السفرة، وقيل جمع الكَتَبة.

قوله عز وجل: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ بنبوة ربك ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ يعنى أنك لا تكون مجنونًا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة، وقيل: بعصمة ربك.

وقيل: هو كما يقال: ما أنت بمجنون والحمد لله. وقيل: معناه: ما أنت بمجنون والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك، أى والحمد لك، وقال لبيد:

وأفردت فى الدنيا بفقد عشيرتى   وفارقنى جَارٌ بَأَرْبَدَ نَافِع

أى وهو أربد.

وقال النابغة:

لم يحرموا حُسن العذاء وأمهم   طحفت[1] عليك بناتق مذكار

أى وهو ناتق.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع، ولا منقوص من قولهم: حبل منين إذا كان غير متين.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: دين عظيم. وقال الحسن: كان خُلقه آداب القرآن وسُئلت عائشة رضى الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ ورضى الله عنها فقالت: كان خلقه القرآن، وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهى عنه من نهى الله سبحانه

(١) كذا فى المتن، وكتب فوقها بقلم الناسخ بخط دقيق: «نتقت».

وقال جنيد: سمى خُلقه عظيمًا لأنه لم يكن له همة لشيء سوى الله تعالى.

وقال الواسطي: لأنه جاد بالكونين عوضًا عن الحق. وقيل: لأنه عاشرهم بخلقه وزايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخَلْق وباطنه مع الحق. وأوصى بعض الحكماء رجلاً فقال: عليك بالحق مع الخَلق، وبالصدق مع الحق. وقيل: لأنه (امتثل بالدنيا لله تعالى إياه، قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ (الأعراف: ١٩٩) الآية. وقيل: عظم له خلقه حيث صَغّر الأكوان فى عينه ليعرف لهذه مكونها.

وقيل: سمى خُلقه عظيمًا لاجتماع مكارم الأخلاق فيه؛ يدل عليه ما أخبرنا أبو القيم الحسن بن محمد المفسر أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار حدثنا ابن أبى الدنيا حدثنا الدراوردى عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وقال: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى».

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبى الفراتى جد أبى العباس الأصم حدثنا ابن عبد الحكم أخبرنا أبى وشعيب وأخبرنا الليث عن عمر بن أبى عمرو عن المطلب بن عبد الله عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار».

قال: وأخبرنا أحمد بن أبى الفراتى أخبرنا منصور بن محمد السَّرخسى حدثنا محمد بن أيوب الرازى حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن القاسم وأبى قرة قال سمعت عطاء الكيخارانى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال: قال النبى ﷺ: «ما شيء أثقل فى الميزان من خلق حسن».

أخبرنا أحمد بن السرى العروضى فى درب الحاجب أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد ابن جعفر العمانى أخبرنا عبد الله بن أحمد ابن عامر الطائى حدثنى أبى حدثنا على بن موسى الرضا حدثنا أبو موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على ابن الحسين عن أبيه الحسين ابن على، عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بحُسن الخلق، فإن حُسن الخلق فى الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق فى النار لا محالة».

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا سمعان حدثنا عن ابن الجارود حدثنا صالح عن سعيد بن جبير عن أبى عثمان النهدى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، وأبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان الملتمسون للبرآء العنت».

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ فسترى يا محمد ﴿يُبْصِرُونَ﴾ ويرون، يعنى الذين رموه بالجنون.

❖ ❖ ❖

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝﴾

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ اختلف المفسرون فى معنى الآية ووجهها فقال قوم معناه: بأيكم المجنون وهو مصدر على وزن المفعول، كما يقال: ما لفلان مجلود، ومعقول، ومعقول أى جلادة وعقدٌ وعقلٌ، قال الشاعر:

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحمًا ولا لفـؤاده معقـولاً

أى عقلاً هذا معنى قول الضحاك، ورواية العوفى عن ابن عباس.

وقيل: الباء بمعنى فى مجازه: (فستبصر ويبصرون) فى أى الفريقين المجنون فى فريقك يا محمد أو فى فريقهم.

والمفتون المجنون الذى فتنه الشيطان. وقيل: تأويله: (بأيكم المفتون) وهو الشيطان وهذا معنى قول مجاهد.

وقال آخرون معناه: أيكم المفتون والباء زائدة لقوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ (المؤمنون: ٢٠) و﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ (الإنسان: ٦)، وهذا قول قتادة، والأخفش، وأبى عبيد، وقال الراجز:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ فيما دعوك إليه من دينهم الخبيث نزلت فى مشركى قريش حين دعوه إلى دين آبائه. ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ قال عطية والضحاك: لو تكفر فيكفرون.

وقال ابن عباس، برواية الوالبى: لو تُرخص فيُرخصون. قال الكلبى: لو تلين لهم فيلينون. الحسن: لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك فى دينهم. زيد بن مسلم: لو تنافق وترائى فينافقون. أبان بن ثعلب: لو تحابيهم فيحابونك وقال العوفى: لو تكذب فيكذبون.

عوف عن الحسن: لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض أمرهم. ابن كيسان: لو تقاربهم فيقاربونك.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل. يعنى الوليد بن المغيرة، وقيل: الأسود بن عبد يغوث. وقيل: الأخنس بن شريق ﴿مَّهِينٍ﴾ ضعيف حقير.

وقال ابن عباس: كذاب، وهو قريب منه لأن الرجل إنما يكذب لمهانة نفسه عليه وقال قتادة: المكثار فى الشر ﴿هَمَّازٍ﴾ مغتاب يأكل لحوم الناس. وقال الحسن: هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس لقوله: هُمَزَةٌ ﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ قتادة: يسعى بالنميمة يفسد بين الناس.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قال ابن عباس يعنى للإسلام يمنع ولده، وعشيرته من الإسلام، ويقول لئن دخل واحد منكم فى دين محمد ﷺ لا أنفعه بشىء أبدًا، وقال الآخرون: يعنى بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق.

﴿مُعْتَدٍ﴾غشوم ظلوم ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر ﴿عُتُلٍّ﴾ قال ابن عباس العُتُلّ الفاتك الشديد، المنافق. وقال عبيد بن عمير: العُتُلّ: الأكول الشروب القوى الشديد، يوضع فى الميزان فلا يزن شعرة يدفع المَلَك من أولئك سبعين ألف دفعة. وقال على والحسن: العتل: الفاحش الخَلْق السَّيئ الخُلُق. وقال يمان: هو الجافى، القاسى، اللئيم العشرة. وقال مقاتل: الضخم، وقال الكلبى: هو الشديد فى كفره، وكل شديد عند العرب عُتُلٌّ، وأصله من العتل، وهو الدفع بالعنف.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أى مع ذلك ﴿زَنِيمٍ﴾ وهو الدَّعِىُّ الملحق النسب المُلْصَقُ بالقوم وليس منهم، قال الشاعر:

زنيم تداعــاه الرجــال زيادة ... كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

وقال حسان بن ثابت:

وأنت دعى نيط فى آل هــاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفَرْد

وقال آخر:

زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغى الأم ذو حسب لئيم

فقال مرة الهمدانى: إنما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة؛ هذا قول أكثر المفسرين. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: الزنيم الذى لا أصل له. وقيل: هو الذى له زنمة كزنمة الشاة.

روى عكرمة عن ابن عباس قال: فى هذه الآية الكريمة نُعِتَ فلم يُعرف حتى قيل زنيم

فعرف، وكانت له زنمة فى عنقه يُعرف بها. وقال عكرمة الزنيم المعروف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها. وقال الشعبى: هو الذى له علامة فى الشر تعرف كما تعرف الشاة بزنمتها. وقال القرطبى، وسعيد بن جبير، وعكرمة: هو الكافر الهجين المعروف بالشر المريب.

وقال الوالبى عن ابن عباس: الزنيم الظلوم.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا أبو بكر ابن مالك الطيفى حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل حدثنى أبى حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن عمر قال: سُئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم، فقال: «هو الشديد الخلق المصحح، الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس رحيب الجوف».

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا محمد بن الحسن بن على - القطيفى - حدثنا أحمد بن عبد الله بن رزين العقيلى حدثنا صفوان بن صالح أخبرنا الوليد بن مسلم حدثنى أبو شيبة إبراهيم بن عثمان عن عثمان بن عمير عن شهر بن حوشب عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة جواظ، ولا جعظرى، ولا عُتُل، ولا زنيم». قال قلت: فما الجواظ؟ قال: «كل جَمّاع مناعٍ». قلت: فما الجعظرى؟ قال: «الفظ الغليظ». قلت: فما العتل الزنيم؟ قال: «كل رحبِ الجوف وفير الحلق أكول شروب غشوم ظلوم».

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا ابن حبش المقرى حدثنا ابن زنجويه حدثنا سلمة حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم فى قوله عز وجل: ﴿زَنِيمٍ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «تبكى السماء من رجل أصح الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا مقضمًا - فى المصدر بعضًا - فكان للناس ظلومًا فذلك العُتل الزنيم» قال: «وتبكى السماء من الشيخ الزانى ما كاد الأرض تقله».

وروى الثمالى عن مجاهد فى الزنيم، قال: كانت له ست أصابع فى يده كل إبهام له إصبع زائدة، وأكثر العلماء على أن: الزنيم الدَّعى الشرير. وقد ورد فى هذا الباب أخبار غرائب نذكر بعضها، وبالله التوفيق:

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين بن عبد الله المقرئ حدثنا محمد بن الحسن بن بشير حدثنا ابن خَوْصَا أخبرنا ابن خُنيق حدثنا يوسف بن أسباط عن أبى إسرائيل الملائى عن فضيل ابن عمرو الفقيمى عن مجاهد عن ابن عمر عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «لا يدخل الجنة ولد زنا، ولا ولده، ولا ولد ولده».

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا محمد بن الحسن بن بشر حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد

الطوائفى حدثنا أبو بدر عباد بن الوليد حدثنا حيان بن هلال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد بن زيد بن عياض عن عيسى بن حطان عن عبد الله بن عمر[١]، أن النبى ﷺ قال: «إن أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة فى صورة القردة والخنازير».

أخبرنا الحسن بن محمد حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنا إسحاق بن إبراهيم الرازى حدثنا سلمة بن الفضل حدثنى محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبى رافع عن ميمونة زوج النبى ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشى فيهم ولد الزنا فيوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب».

وأخبرنا الحسين بن محمد حدثنا الفضل بن الفضل الكندى حدثنا إبراهيم بن الحسن الآدمى حدثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسى حدثنا سعيد بن أوس حدثنا أبو الأشهب هو العطاردى قال سمعت عكرمة يقول: إذا كثر أولاد الزنا قل المطر. ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: آن بالمد واختاره أبو حاتم. وقرأ حمزة، وعاصم برواية أبى بكر: أَأَن بهمزتين. وقرأ غيرهم بالجر.

فمن قرأ بالاستفهام فله وجهان أحدهما: ألأَن كان ذا مال وبنين ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾والآخر: ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه. ومن قرأ على الخبر فمعناه: ولا تطع لأنْ كان.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾قال ابن عباس: سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على أنفه ما عاش، فقاتل يوم بدر، فخطم بالسيف فى القتال. وقال قتادة: سنلحق به شيئًا لا يفارقه. قال القتيبى: تقول العرب للرجل يسب الرجل سَبَّة قبيحة باقية: قد وسمه ميسم سوء، يريدون ألصق به عاراً لا يفارقه كما أن السمة لا تنمحى، ولا يعفو أثرها، قال جرير:

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

أراد به الهجاء.

وقال أبو العالية، ومجاهد: سنسمه على أنفه، ونسود وجهه، فنجعل له علامة فى الآخرة يُعرف بسواد وجهه. وقال الضحاك والكسائى: سنكويه على وجهه. وقال محمد بن جرير: سنبين أمره بيانًا واضحًا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم. وقال الفراء: وإن كان الخرطوم قد خُصَّ بالسمة فإنه فى مذهب الوجه لأن بعض الشىء يعبر به

---

(١) كذا فى المتن، وفى هامش المخطوط بقلم الناسخ: «عمرو».

عن كله . وقد مرّ هذا الباب .

وقال النضر بن شميل : معناه : سنحده على شربه الخمر ، والخرطوم الخمر جمعه خراطيم ، وقال الشاعر :

تظل يومك فى لهو وفى طرب — وأنت بالليل شرابُ الخراطيم

❖ ❖ ❖

﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى : ﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ﴾ يعنى اختبرناهم ، وامتحنا أهل مكة بالقحط ، والجوع .

﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ : ابتلينا . «أصحاب الجنة»

أخبرنا أبو عمرو الفراتى أخبرنا أبو موسى أخبرنا أبو عثمان الجزرى أخبرنا فارس بن عمرو أخبرنا صالح بن محمد أخبرنا محمد بن مروان عن الكسائى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قول الله عز وجل : ﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ قال : بستان اليمن يقال له القيروان دون صنعاء بفرسخين يطأوه أهل الطريق ، كان غرسه قوم من أهل الصلاة ، وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له . وكان يكون للمساكين إذا حَرَمُوا نخلهم كل شىء تعداه المنجل فلم يجزّهُ ،

فإذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء (لا)[1] يسقط على البساط فهو أيضًا للمساكين، وإذا حصدوا زروعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو أيضًا للمساكين، وإذا داسوا كان لهم كل شيء ينتثر أيضًا؛ فلما مات الأب وورثها هؤلاء الإخوة عن أبيهم قالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، إنما كان يفعل هذا الأمر إذ كان المال كثيرًا والعيال قليلاً، فأما إذا قلّ المال وكثر العيال فإنا لا نستطيع أن نفعل هذا. فتحالفوا بينهم يومًا ليغدُوا غدوةً قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم ولم يستثنوا لم يقولوا: إن شاء الله. فغدا القوم بسدف من الليل إلى جنتهم ليصرموها، فرأوها مسودة، وقد طاف عليها من الليل طائف من عذاب أصابها فأحرقها، فأصبحت كالصريم، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ﴾. حلفوا. ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾. ليجذنها وليقطعن ثمرها. ﴿مُصْبِحِينَ﴾ إذا أصبحوا قبل أن تعلم المساكين. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾. ولا يقولون: إن شاء الله. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾ عذاب. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ ليلاً، ولا يكون الطائف إلا بالليل، وكان ذلك الطائف نارًا نزلت من السماء فأحرقتها. ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ كالليل المظلم الأسود، قال الشاعر:

تطاول ليلك الجون البهيم   فما ينجاب عن صبح صريم

وقال الحسن: أي صُرِم عنها الخير فليس فيها شيء. وقال ابن كيسان: كالجرة السوداء. وقال ابن زيد: كالأرض المصرومة. وقال الأخفش: كالصبح انصرم عن الليل. وقال المؤرج: كالرملة انصرمت من معظم الرمل، وأصل الصريم المصروم، وكل شيء قطع من شيء فهو صريم، فالليل صريم، والصبح صريم لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه.

وقال ابن عباس. كالرماد الأسود بلُغَة خزيمة.

﴿فَتَنَادَوْاْ﴾ نادى بعضهم بعضًا. ﴿مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝ فَٱنطَلَقُواْ﴾. فمضوا إليها. ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتساورون يقول بعضهم لبعض. ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾.

قال ابن عباس: على قدرة، قادرين في أنفسهم. وقال أبو العالية، والحسن: على جدٍّ وجهد. وقال النخعي، والقرظي، ومجاهد، وعكرمة: على أمر مجمع قد أسسوه بينهم. وروى معمر عن الحسن قال: على فاقة. وقيل: على قوة. وقال السدي: الحَرْدُ: اسم الجنة. وقال سفيان: على حَنَق وغضب، ومنه قول الأشهب بن رُمَيْلَة:

أسود شرى لاقت أسود خفيّة   تساقوا على حردٍ دماء الأساود

(١) زيادة يتطلبها سياق الحديث أو الخبر.

وفيه لغتان: حَرْدٌ وحَرَد، مثل: الدرْكُ والدَّرَك. وقال أبو عبيدة، والقتيبى: على مَنْع، والحَرْدُ والمحاردة: المنع، تقول العرب: حاردت السَّنة إذا لم يكن فيها مطر، وحاردت الناقة: إذا لم يكن لها لبن، قال الشاعر:

وإذا ما حاردت أو بكأت فُكَّ عن جَونَة أخرى بطينها

وقيل: على قصد، قال الراجز:

أقبل سيْلٌ جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة

وقال آخر:

أمَّا إذا حردت حردى فمجرية ضبطاء تمنع غيلاً غير مقروب

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ لمخطئون الطريق، وليس هذه بجنتنا. فقال بعضهم: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حُرمنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم، وأعقلهم، وأفضلهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ هلاّ تستثنون. قال أبو صالح: كان استثناؤهم: سبحان الله، وقيل: هلاّ تسبحون الله وتقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقيل: هَلاّ تستغفرونه من فعلكم.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ نزهوه عن أن يكون ظالمًا، وأقروا على أنفسهم بالظلم، فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ فى منعنا حق الفقراء، وتركنا الاستثناء. وقال ابن كيسان: يعنى طغينا نِعَم ربنا فلم نشكرها، ولم نصنع ما صنع آباؤنا.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ قرأ الحسن، وعاصم، والأعمش، وابن محيصن بالتخفيف وغيرهم بالتشديد وهما لغتان ولم يقرأ بالتشديد إلا نافع، وأبو عمرو. وفرق قوم بينهما فقال: التبديل التغيير بشىء أو تغيير حاله وعين الشىء قائم، والإبدال رفع الشىء، ووضع شىء آخر مكانه. قال عبد الله بن مسعود: بلغنى أن القوم أخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منها عنقودًا واحدًا. وقال بكر بن سهل الدمياطى حدثنى أبو خالد اليمانى: أنه رأى تلك الجنة وقال: رأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم. ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾. أى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾. نزل من عند الله. ﴿فِيهِ﴾. هذا

﴿تَدْرُسُونَ﴾. تقرءون ما فيه. ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾. فى ذلك الكتاب. ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾. يعنى تختارون وتشتهون. ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾. عهود ومواثيق. ﴿عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾ عما عاهدناكم عليه ووعدناكم فاستوثقتم بها منا فلا ينقطع عهدكم. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ﴾ كسر «إنَّ» لدخول اللام فى الخبر. ﴿لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ تقضون وتريدون فيكون لكم حكمكم ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ كفيل. قال الحسن: والزعيم الرسول ههنا. قال ابن كيسان: قائم بالحجة والدعوة ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أرباب تفعل هذا. وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾ قرأه العامة: بياء مضمومة. وقرأ ابن عباس بتاء مفتوحة أى تكشف القيامة عن ساقها وقرأ الحسن بتاء مضمومة. ﴿عَن سَاقٍ﴾ أى أمر شديد فظيع، وهو إقبال الآخرة وذهاب الدنيا، وهذا من باب الاستعارة تقول العرب لرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج فيه إلى جد وجهد، ومعاناة ومقاساة للشدة شَمَّرَ عن ساقه فاستعير الساق فى موضع الشدة، قال دريد بن الصمة يرثى رجلاً:

كميس الإزار خارج نصف ساقه ... صبور على الجلاء طلاع أنْجد

ويقال للأمر إذا اشتد وتفاقم وظهر، وزال عماه[1]، كشف عن ساقه، وهذا جائز فى اللغة

(١) جاءت العبارة فى المخطوط: وزالت عماه وكتب فوق: «زالت» بخط دقيق جداً: مؤخر، وفوق: «عماه» بنفس الخط: مقدم.

وإن لم يكن للأمر ساق وهو كما[١] يقال أَسْفَرَ وَجْهَ الأمر[٢]، واستقام صدر الرأى، قال الشاعر يصف حربًا:

كشف لهم عن ساقها ... وبدا فى السر الصُّراح

وأنشد ابن عباس:

اصبر عناق إنه شرّ باق ... قد سن لها قومك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

وقال آخر:

قد شمرت عن ساقها فشدوا ... فجدت الحرب لكم فجدوا

والعرب تقول لسنة الجدب: كشفت عن ساقها.

قال الشاعر:

عجبت من نفسى ومن إشفاقها ... ومن طرادى الطير عن أرزاقها

فى سنة قد كشفت عن ساقها ... حمراء تبرى اللحم عن عَرَاقها

وبنحو ذلك قال أهل التأويل.

أخبرنا أبو بكر بن عبدوس أخبرنا أبو الحسن بن محفوظ أخبرنا عبد الله بن هاشم أخبرنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن عاصم عن سعيد بن جبير: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن شدة الأمر، وقال ابن عباس: هى أشد ساعة فى يوم القيامة.

وقال الربيع: عن العطاء، وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر بن مسلم الختلى أخبرنا محمد بن عمرو بن مسعدة البيروتى أخبرنا محمد بن الوزير السلمى أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: «عن نور عظيم يخرون له سجدًا».

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد الرومى - يقرأ أبى عليه فى مسجده يوم السبت لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السَّرّاج أخبرنا زهير بن محمد أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا قريش بن حيان العجلى، أخبرنا بكر بن وائل عن الزهرى عن أبى عبد الرحمن الأغرّ عن أبى هريرة قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟» قلنا: لا،

(١) فى المخطوط: هكذا يقال: والتصويب من الهامش.

(٢) كتب فوق تلك الكلمة بخط الناسخ: «الصبح».

قال: «فهل تضارون فى القمر ليلة البدر»؟ قلنا: لا.

قال: «فإنكم ترونه كذلك، إذا كان يوم القيامة جمع الأولون والآخرون ونادى مناد من كان يَعْبُدُ شيئًا فليلزمه وتُرفع لهم آلهتهم التى كانوا يعبدون، فتمضى، ويتبعونها حتى تقذفهم فى النار، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيقال لهم: ذهب الناس وبقيتم؟ فيقولون: لنا رب لم نره بعد، قال: يقول: هل تعرفونه؟ فيقولون بيننا وبينه آية، إذا رأيناه عرفناه، فيكشف لهم عن ساق، فيخرون له سجدًا وتبقى أقوام ظهورهم كصياصى البقر يريدون السجود فلا يستطيعون.

وأخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم قراءة عليه فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة - أخبرنا أبو بكر الشافعى أخبرنا أبو قلابة الرقاشى أخبرنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يأخذ الله عز وجل للمظلوم من الظالم حتى لا تبقى مظلمة عند أحد حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء، ثم يبيعه أن يُخَلِّص اللبن من الماء، فإذا فرغ من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم: ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد شيئًا من دون الله إلاّ مثلت له آلهته بين يديه ويجعل الله تعالى ملكًا من الملائكة على صورة عزير، ويجعل الله ملكًا من الملائكة على صورة عيسى بن مريم عليه السلام، فيتبع هذا اليهود، ويتبع هذا النصارى، ثم تُلْقى بهم آلهتهم إلى النار، وهم الذين يقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٩) فإذا لم يبق إلاّ المؤمنون، وفيهم المنافقون، قال الله لهم: ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون؟

فيقولون: ما لنا إله إلاّ الله، وما كنا نعبد غيره، فينصرف الله تعالى عنهم فيمكث ما شاء أن يمكث، ثم يأتيهم فيقول: أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره، فيكشف لهم عن ساق ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم فيخرون سجدًا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله تعالى أصلابهم كصياصى البقر، ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم».

وأخبرنا عقيل بن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم عن أبى جعفر يعنى الطبرى، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا أبى. (ح)[1] وشعيب بن الليث،

---

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

عن الليث، أخبرنا خالد بن يزيد، عن أبى هلال، قال أبو جعفر: (ح)[1] وحدثنى موسى بن عبد الرحمن السروقى أخبرنا جعفر بن عون أخبرنا هشام بن سعد أخبرنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألاَ ليلحق كل أمة بما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، ولا يبقى أحد كان يعبد صنمًا ولا وثنًا ولا صورة إلاّ ذهبوا حتى يتساقطوا فى النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، ثم يدعى اليهود فيقال: ماذا كنتم تعبدون؟ فيقولون: عزير ابن الله، فيقول: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تريدون؟ فيقولون: أى ربنا ظمئنا اسقنا، فيقول: أفلا تردون؟ فيذهبون حتى يتساقطوا فى النار، ثم يدعى النصارى، فيقول: ماذا كنتم تعبدون؟

فيقولون: المسيح ابن الله، فيقول: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تريدون؟ فيقولون أى رب ظمئنا اسقنا، فيقول: أفلا تردون؟ فيذهبون فيتساقطون فى النار، فيبقى من كان يعبد الله تعالى من بَرٍّ، وفاجر، ثم يبدو الله جل جلاله فى صورة غير صورته التى رأيناه فيها أول مرة، فيقول: أيها الناس، لحقت كل أمة بما كانت تعبد، وبقِّيتم أنتم فلا يكلمه يومئذ إلاّ الأنبياء، فيقولون: لحقت كل أمة بما كانت تعبد، ونحن ننتظر ربنا الذى كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيقول: هل بينكم وبين الله من آية تعرفونها؟ فيقولون نعم، فيكشف عن ساق، فيخرون سجدًا لله أجمعين، فلا يبقى أحد كان سجد فى الدنيا سمعة، ولا رياءً، ولا نفاقًا إلاّ صار ظهره طبقًا واحدًا كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يدفع بَرُّنا ومسُيئنا وقد عاد لنا فى صورته التى رأيناه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعم أنت ربنا ثلاث مرات».

وبه عن أبى جعفر الطبرى أخبرنا أبو كريب أخبرنا أبو بكر أخبرنا الأعمش عن المنهال عن قيس بن مسكين قال حدّث عبد الله، وهو عند عمر، قال: إذا كان يوم القيامة يقوم الناس بين يدى رب العالمين أربعين عامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء حفاة عراة يلجمهم العرق فلا يكلمهم بشىء أربعين عامًا، ثم ينادى مناد: أيها الناس أليس عدلاً من ربكم الذى خلقكم وصوركم ورزقكم ثم عبدتم غيره أن يولى كل قوم ما تولوا؟ قالوا: نعم. قال: فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونها حتى تقذفهم فى النار، فيبقى المسلمون،

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

والمنافقون، فيقول: ألا تذهبون فقد ذهب الناس؟ فيقولون: حتى يأتينا ربنا؛ قال: وتعرفونه؟ قالوا: إن اعترف لنا، عند ذلك يكشف عن ساق، ويتجلى لهم، فيخر من كان يعبده ساجداً ويبقى المنافقون لا يستطيعون، كأن فى ظهورهم السفافيد، فيذهب بهم إلى النار، فيدخل هؤلاء الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾. وذلك أن المؤمنين يرفعون رءوسهم ووجوههم أشد بياضًا من الثلج، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين. ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ فى الدنيا. ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أصحاء فلا يأتونه ويأبونه.

قال إبراهيم التيمى: إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة. وقال سعيد بن جبير: كانوا يسمعون حى على الفلاح فلا يجيبون. قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلاّ فى الذين يتخلفون عن الجماعات. ويروى: أن الربيع بن خثيم عرض له الفالج فكان يتهادى بين الرجلين إلى المسجد، فقيل له: يا أبا يزيد، أوجلست فإن لك رخصة؟ قال: من سمع حىّ على الفلاح فلْيُجب ولو حبواً. وقيل لسعيد بن المسيب: إن طارقًا يريد قتلك، فتغيب. فقال: أحيث لا يقدره الله علىّ؟! فقيل له: فاجلس. فقال: أسمع حىّ على الفلاح فلا أجيب؟!

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أى فدعنى والمكذبين بهذا القرآن، ثم توعدهم فقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سنأخذهم بالعذاب. ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فعذبوا يوم بدر. وقيل: معناه سنزيدهم حرمانًا وخذلانًا فيزدادون عصيانًا وطغيانًا.

وقال سفيان الثورى: نسبغ النعم عليهم وننسيهم الشكر. وقال العياد: لم نعاقبهم فى وقت مخالفتهم فيستيقظوا، بل أمهلناهم، وأمددناهم بالنعم حتى زال عنهم خاطر التذكير، فكانوا منعمين فى الظاهر مستدرجين فى الحقيقة.

وقال الحسن: كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه.

قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ فى الضجر والغضب والعجلة، وهو يونس عليه السلام.

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ربه، ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مغموم، ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ أدركه، وفى مصحف عبد الله تداركته بالتاء ﴿نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ حين رحمه وتاب عليه. ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ لطرح بالفضاء.

﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مُليم، مجرم. ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية وذلك أن الكفار أرادوا أن يعينوا رسول الله ﷺ ويصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش، وقالوا: ما رأينا مثله، ولا مثل حججه.

وقيل: كانت العين فى بنى أسد حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها، ثم يقول يا جارية خذى المكيل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه البقرة، فما يبرح حتى تقع بالموت، فتنحر.

وقال الكلبى: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل، فيقول: لم أر كاليوم إبلاً، ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلاّ قريباً حتى تسقط منها طائفة وعدةٌ، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، ويفعل به مثل ذلك، فأجابهم، وأنشد:

قد كان قومك يحسبونك سيداً ... وأخال أنك سيد مَعْيُونُ

فعصم الله تعالى نبيه ﷺ، وأنزل: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى ويكاد الذين كفروا﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ دخلت اللام لمكان إن وقرأ الأعمش وعيسى: (ليرهقونك) وهى قراءة ابن مسعود، وابن عباس: أى يهلكونك. وقرأ أهل المدينة: (لَيَزلقونك) بفتح الياء وقرأ غيرهم بضمه، وهما لغتان، يقال: زَلَقَه يَزْلقهُ زَلْقًا وأَزْلَقَهُ يَزْلقهُ إزْلاَقًا بمعنى واحد، واختلفت عبارات المفسرين فى تأويله:

فقال ابن عباس: يقذفونك ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾.

قال: ويقال: زهق السهم وزلق إذا نفذ. وقال قتادة: يرهقونك. وقال معمر عن الكلبى: يصرعونك. وقال حبان عنه: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة. وقال عطية: يرمونك. قال المؤرج: يزيلونك[1]. قال النضر بن شميل، والأخفش: يُعَيِّنونَكَ، وقال عبد العزيز بن يحيى: ينظرون إليك نظراً شذراً بتحديق شديد يروعونك به، ويظهرون العداوة لك، وقال السدى: يصيبونك بعيونهم. وقال ابن زيد: ليمسونك وقال جعفر: ليأكلونك. وقال الحسن، وابن كيسان: ليقتلونك وهذا كما يقال: صرعنى بطرفه، وقتلنى بعينه.

قال الشاعر:

ترميك منزلقة العيون بطرفها ... وتَكِلّ عنك نصال نبل الرامى

(١) فى المتن يزلونك. والتصويب من الهامش.

وقال آخر:

يتقارضون إذا التقوا فى موطن نظرًا يزيل مواطئ الأقـدام

وقال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية.

قال ﷺ: «العين حق، وإن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر».

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ﴾ يعنى محمداً ﷺ، وقيل القرآن. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.

❖ ❖ ❖

سورة الحاقة

مكية، وهى ألف وأربعمائة وثمانون[1] حرفًا
ومائتان وست وخمسون كلمة واثنتان وخمسون آية

أخبرنا كامل بن أحمد أخبرنا محمد بن مسلم أخبرنا إبراهيم بن شريك أخبرنا أحمد بن يونس، أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أُبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابًا يسيرًا».

وأخبرنا أبو الحسين الخبازى المقرئ أخبرنا أبو الشيخ الحافظ أخبرنا الحسن بن محمد أخبرنا أبو زرعة أخبرنا عمرو بن عثمان أخبرنا محمد بن عمير عن فضالة بن شريك عن أبى الزاهرية قال سمعته يقول: من قرأ إحدى عشرة آية من سورة الحاقة أجير من فتنة الدجال، ومن قرأها كان له نور من فوق رأسه إلى قدمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ

(١) كذا فى متن المخطوط، وكتب فوقها بخط الناسخ: «ستون».

عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ أي القيامة ما القيامة، وسميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها، ولأنَّ فيها حواق الأمور وحقائقها، ولأن فيها بحق الجزاء على الأعمال التي تجب يقال: حق عليه الشيء إذا وجب بحق حقوقًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (الزمر: ٧١) وقال الكسائي، والمؤرج: الحاقة يوم الحق، تقول العرب لما عرفت مني الحَقَّ، والحاقَّة والحقَّة، ثلاث لغات بمعنى واحد. والحاقَّةُ الأولى رفع بالابتداء، وخبره فيما بعده.

وقيل الحاقة الأولى مرفوعة بالثانية، لأن الثانية بمنزلة الكناية عنها كأنه عجب منها، فقال: الحاقة ما هي؟ كما تقول: زيد ما زيد؟ والحاقة الثانية مرفوعة «بما»، و«ما» بمعنى أيّ شيء وهو رفع بالحاقة الثانية، ومثله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ (القارعة: ١، ٢) و﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٢٧) ونحوهما.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ أي بالعذاب الذي نزل بهم حين وعدهم نبيهم حتى هجم عليهم فقرع قلوبهم وقال ابن عباس، وقتادة: بالقيامة.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ أي بطغيانهم وعصيانهم، وهي مصدر كالخيانة وقيل هي نعت مجازه: بفعلتهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد، وزيد، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ (الشمس: ١١). وقال قتادة: يعني بالصيحة الطاغية التي جاوزت مقادير الصياح فأهمدتهم.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ عتت[1] على خزانها فلم تطعهم، وجاوزت المقدار.

أخبرنا الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا محمد بن حمدانٌ بن سفيان أخبرنا أبو زرعة الرازي أخبرنا المعافى بن سليمان الحُراني أخبرنا موسى بن أعين عن سفيان عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «ما أرسل الله تعالى نسمة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة مطر من ماء إلاّ بمكيال إلاّ يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طغا على الخُزان فلم يكن لهم عليه سبيل»، ثم قرأ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾. «وإن الريح يوم عاد عتت على الخزنة فلم يكن لهم عليها سبيل» ثم قرأ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها وسلطها. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار ﴿سَبْعَ

(١) كذا في متن المخطوط، وفي هامشه: عصت وربما كانت تصحيح من الناسخ لخطأ وقع فيه، وربما كان من نسخة أخرى كانت معه.

﴿لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ قال وهب: هى الأيام التى تسميها العرب: أيام العجوز، ذات برد، ورياح شديدة. وإنما نسبت هذه الأيام إلى العجوز، لأن عجوزاً دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب. وانقطع العذاب فى اليوم الثامن.

وقيل: سميت العجوز لأنها فى عجز الشتاء. ولها أسماء مشهورة. أنشدنا أحمد بن محمد بن يوسف قال: أنشد محمد بن طاهر بن الوزير قال أنشدنا أبو الحسن محمد بن محمد بن يحيى الصفار قال أنشدنا محمد بن القاسم بن شيبان قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب الشاعر فى وصف أيام العجوز:

كسع الشتاء بسبعة غبر ... أيام شهلتنا من الشهر
فإذا مضت أيام شهلتنا[1] ... بالصن والصبر والوبر
فبأمر وأخيه مؤتمر ... ومعلل وبمطفئ الجمر
ذهب الشتاء موليًا هربًا ... وأتتك واقدة من النجر

واسم اليوم الثامن: المكفى الظعن.

﴿حُسُومًا﴾ قال ابن عباس: تباعًا. وقال مجاهد، وقتادة: متتابعة ليس فيها فترة. وعلى هذا القول هو من حسم الكى، وهو أن تتابع عليه بالمكواة. وقال قتادة، والكلبى: يعنى دائمة والضحَّاك: كاملة لا يفتر عنهم حتى أفنتهم. وقال عطية: شؤمًا كأنها حسمت الخير عن أهلها. وقال الخليل: قطعًا لدابرهم، والحسم القطع، والمنع، ومنه حسم الداء وحسم الرضاع، وقال يمان، والنضر بن شميل: حسمهم فقطعهم، وأهلكهم، وهو نصب على الحال والقطع.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ أى فى تلك الليالى والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ هلكى جمع صريع ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أصول. ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ساقطة، وقيل: خالية الأجواف. ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ بقاء.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قرأ أبو عمرو، والحسين، والسلمى والجحدرى، والكسائى، ويعقوب بكسر القاف، وفتح الباء أى ومن معه من جنوده وأتباعه، وهى اختيار أبى عبيد، وأبى حاتم اعتباراً بقراءة عبد الله، وأُبىّ بن كعب ومن معه. وقرأ أبو موسى الأشعرى: ومن تَلَقّاهُ وقرأ الآخرون: ﴿قَبْلَهُۥ﴾ بفتح القاف، وجزم الباء، أى ومن تقدمه من القرون الخالية.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ﴾ قرأه العامة بالألف. وقرأ الحسن: والمؤتفكة بغير ألف ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ بالخطيئة والمعصية، وهى الكفر. ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ نامية عالية غالبة. وقال ابن عباس: شديدة. وقيل: زائدة على عذاب الأمم. قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أى عتا

---

(١) فى الهامش: شهلة اسم العجوز.

فخرج بلا وزن ولا كيل. قال قتادة: ﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أى فوق كل شىء خمسة عشر ذراعًا. ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ السفينة. ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عبرة وموعظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ قرأها طلحة ابن مصرف بإسكان العين تشبيهًا بقوله: وأرنا. واختلف فيه عن عاصم، وابن كثير، وهى قراءة رديئة غير قوية والباقون مشبع.

﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ حافظة عقلت عن الله سبحانه ما سمعت.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا حيان أخبرنا إسحاق بن محمد أخبرنا أبى أخبرنا إبراهيم بن عيسى أخبرنا على بن على أخبرنا أبو حمزة الشمالى حدثنى عبد الله بن حسن قال: حين نزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «سألت الله تعالى أن يجعلها أُذنك يا على» قال على عليه السلام: فما نسيت شيئًا بعد ذلك، وما كان لى أن أنساه. وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حبش المقرئ أخبرنا أبو القاسم بن الفضل أخبرنا محمد بن غالب بن حرب حدثنى بشر بن آدم حدثنى عبد الله بن الزبير الأسدى حدثنا صالح بن هيثم قال سمعت بريدة الأسلمى يقول: قال رسول الله ﷺ لعلى: «إن الله تعالى أمرنى أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك، وأن تعى وحق على الله تعالى أن تعى». قال: ونزلت: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وهى النفخة الأولى. ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ وما عليها ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾ وما فيها[1]. ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ فكسرتا ودقتا دقة واحدة فصارت هباءً منبثًا. وإنما قال: ﴿فَدُكَّتَا﴾ ولم يقل دككن لأنه جعل الأرض كالشىء الواحد والجبال كالشىء الواحد.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة. ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يعنى الملائكة اسم جنس. ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ نواحيها وأقطارها بلغة هذيل، واحدها رجًا مقصور وتثنيته رجوان. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾.

قال ابن عباس: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلاّ الله تعالى. وقال رسول الله ﷺ: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة آخرين فكانوا ثمانية».

وأخبرنا أبو منصور الجمشاذى أخبرنا الإمام أبو الوليد أخبرنا جعفر أخبرنا على بن حجر أخبرنا شريك عن سماك عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب فى قوله عز وجل: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قال: ثمانية أملاك على صورة الأوغال. وفى الحديث: «إن لكل ملك منهم: وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر».

(١) كذا فى المتن، وفى هامش المخطوط: وما عليها.

وقيل: أنشد بين يدى رسول الله ﷺ قول أمية بن الصلت:

رجل وثور تحت رجل يمينـــه	والنسر للسيرى وليث مرصد
والشمس تصبح كل آخر ليلة	حمـراء يصبح لونها يتـورد
تأبى فما تطلع لنا فى رسلها	إلا معــــــذبة وإلا تُجـلد

فقال رسول الله ﷺ: «صدق»[١].

وروى عن على بن الحسين: إن الله تعالى خلق العرش رابعًا لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء، والقلم، والنور، ثم خلق العرش من ألوان الأنوار المختلفة من ذلك: نور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرت الصفرة، ونور أحمر منه احمرت الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار، ثم جعل منه سبعين ألف ألف ألف طبق ليس من ذلك طبق إلاّ ليسبح الله ويحمده، ويقدسه بأصوات مختلفة لو أذن للإنسان[٢] منها أن تسمع أن لهدم الجبال والقصور، وخسف البحار.



﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ

---

(١) كل ما ورد فى هذه الأخبار لا يصح وكذا كل ما جاء فى مجمل القرآن ولم يفصل ولم يفسره رسول الله ﷺ فهو على إيهامه تعبداً لله والبحث فيه لا يعود على الباحث إلا بالشر.

(٢) فى المخطوط «للسان». والخبر لا يحتاج إلى تعليق عليه، ولو شئنا لقلنا: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ﴾ بالياء كوفى غير عاصم، الباقون بالتاء. ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ وفى الحديث قال: «يعرض الناس ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال، وخصومات، ومعاذير، وأما الثالثة: فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ باليمين، وآخذ بالشمال».

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ﴾ تعالوا. ﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ﴾ هاء الوقف، وأخواته مثله. ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾ علمت، وأيقنت ﴿أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزى أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الختلى أخبرنا عمر بن إبراهيم ابن أحمد بن خالد بن عبد الرحمن أخبرنا مرحوم بن أبى ظبيان بن عمر أخبرنا عبد الله بن عون أخبرنا عاصم الأحول عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس». فقيل له: فأين أبو بكر؟

فقال: «هيهات هيهات زفته الملائكة إلى الجنة».

وأخبرنا الحسن بن محمد أخبرنا منصور بن جعفر بن محمد النهاوندى أخبرنا أبو صالح أحمد بن محمد بن أسد البروجردى أخبرنا أسيد بن عاصم أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا أبو عمر - يعنى الضرير - عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة كل الناس يحاسبون يوم القيامة إلاّ أبا بكر رضى الله عنه».

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ مرضية كقوله: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق:٦) وقيل: ذات رضى مثل لابن وتامر ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ رفيعة. ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ثمارها قريبة ينالها القاعد والقائم والمضطجع يقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ قدّمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة. ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ الماضية وهى أيام الدنيا.

أخبرنا الحسن بن محمد الدينورى أخبرنا أبو بكر مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: أخبرت عن عبد الله ابن أبى بكر بن على المقدمى أخبرنا عبد الله ابن جعفر قال سمعت يوسف بن يعقوب الحنفى يقول: بلغنا أن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا أوليائى طالما نظرت إليكم فى الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وقد غارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم فى نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم فى الأيام الخالية.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ قال ابن السائب: تلوى يده اليسرى خلف ظهره ﴿فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ يقول: ياليت الموتة التى مُتها فى الدنيا كانت القاضية الفارغة من كل ما بعدها فلم أبعث بعده. والقاضية: موتة لا حياة بعدها. وقيل معناه: يا ليتنى مت فاسترحت. قال قتادة: تمنى الموت ولم يكن عنده فى الدنيا شىء أكره من الموت.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ﴾ قرأ حمزة: مالى، سلطان: ذهبت عنى حجتى، عن أكثر المفسرين. وقال ابن زيد: معناه زال عنى ملكى وقوتى فيقول الله تعالى لخزنة جهنم. ﴿خُذُوهُ﴾ يروى أنه يجتمع على شخص واحد من أهل النار مائة ألف من الزبانية فيقتطع فى أيديهم، فلا يرى على أيديهم منه إلاّ الودك، فذلك قوله عز وجل: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ثم يعاد خلقًا جديداً. ثم يعاد خلقًا جديداً.

﴿فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أى أدخلوه. ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ فأدخلوه. قال ابن عباس بذراع الملك فتدخل فى دبره وتخرج من منخريه. وقيل: تدخل فى فيه، وتخرج من دبره.

وروى سفيان عن بشير بن ذعلوق عن نوف البكالى قال: فكل ذراع سبعون باعًا الباع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان فى رحبة الكوفة.

وقال سفيان: كل ذراع من سبعين ذراعًا سبعون ذراعًا. وقال الحسن: الله أعلم بأى ذراع هو[1] وقال عبد الله بن عمرو: قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه» وأشار إلى جمجمة «أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت إلى الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها».

---

(١) أحسب أن هذا هو الصواب حيث وقف عندما أمره الله تعالى أن يقف.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حبش المقرى أخبرنا زنجويه أخبرنا سلمة أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا بكار بن عبد الله عن ابن أبى مليكة عن حنظلة عن كعب فى قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ قال: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا المسيب أخبرنا سويد ابن نجيح قال: بلغنى أن جميع أهل النار فى تلك السلسلة، لو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرها.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ صديق ينفعه. وقيل: قريب يعينه. وقيل: هو مأخوذ من الحميم، وهو الماء الحار، كأنه الصديق الذى يرق ويحترق قلبه له. ﴿وَلَا طَعَامٌ﴾ وليس له اليوم طعام ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ وهو صديد أهل النار. مأخوذ من الغسل كأنه غُسالة جروحهم وقروحهم. وقال الضحاك، والربيع: هو شجر يأكله أهل النار. ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ﴾. إلا المذنبون وهم الكافرون.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أقسم ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ أى ما ترون وما لا ترون، وأراد جميع المكونات، والموجودات. وقيل: بالدنيا والآخرة. وقيل: ما فى ظهر الأرض والسماء وما فى باطنهما. وقيل: الأجسام والأرواح. وقيل: النعم الظاهرة والباطنة.

وقال جعفر الصادق: بما تبصرون من صُنعى فى مُلكى وما لا تبصرون من برّى بأوليائى.

وقال الجنيد: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ من آثار الرسَالة والوحى على حبيبى محمد ﷺ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ من السِّر معه ليلة الإسراء. وقيل: ما أظهر الله تعالى عليه الملائكة، واللوح، والقلم، وما استأثر بعلمه، فلن يطلع عليه أحدًا.

وقيل: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ الإنس، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ الجن والملائكة. قال ابن عطاء: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ من آثار القدرة، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ من أسرار القدرة.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أى تلاوة محمد ﷺ وتبليغه وقيل: لقول مرسل رسول كريم، فحذف كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢).

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قرأ ابن عامر، وابن كثير، ويعقوب، وأبو حاتم (يؤمنون)، ويذكرون بالياء فيهما. (وقرأ)[1] غيرهم بالتاء فيهما.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ تخرص وافتعل واختلق. ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ قيل: «من» صلة. مجازه: لعاقبناه، وانتقمنا منه بالحق كقوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ

(١) زيادة تركها المؤلف اختصاراً.

﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ (الصافات: ٢٨) من قبل الحق.

وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة كقول الشاعر:

إذا ما راية رفعت بمجد　　　تلقاها غرابة باليمين

أى بالقوة.

وقيل معناه: لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه وهو فى مثل معنى لأذللناهُ وأهنّاه، وهذا قول ذى السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض مَنْ بين يديه وإهانته ببعض أعوانه: خذ بيده وأقمه واعتمد ابن جرير هذا التأويل.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ أى نياط القلب. عن ابن عباس: وأكثر الناس[١]. وقال قتادة: حبل القلب. وقال مجاهد: الحبل الذى فى الظهر. وقيل: هو عرق بين العلبا، والحلقوم.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ ما معين له يحجزنا عن عقوبته[٢] وما نفعله به، وإنما جمع وهو فعل واحد ردًا على معناه كقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٥) وقال ﷺ: «لم تحل الغنائم لأحد أسود الرأس[٣] قبلكم». لفظه واحد ومعناه للجمع. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾. يعنى القرآن. ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ يوم القيامة إذا رأوا ثواب متابعيه، وقد خالفوهم[٤]. ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ إضافة إلى نفسه لاختلاف اللفظين. ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذى كل شىء فى جنب عظمته صغير.



(١) أراد أن هذا التأويل هو تأويل ابن عباس رضى الله عنه وجماعة كثيرة من المفسرين.

(٢) فى المخطوط: ما لعين يحجزوننا عن عقوبته، فقد أصاب العبارة تحريف، فأقمت العبارة على المراد وزدت وغيرت فى بعض ألفاظها.

(٣) فى الهامش: «سود الرؤوس».

(٤) فى الهامش: خالفوه.

سورة المعارج

مكية، وهى ألف ومائة وستون حرفًا،
ومائتان وست عشرة كلمة وأربع وأربعون آية

أخبرنا محمد بن القاسم أخبرنا إسماعيل بن نجيد أخبرنا محمد بن إبراهيم بن سعيد أخبرنا سعيد بن حفص قال: قرأت على معقل بن عبيد الله عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ قرأ أهل المدينة والشام: سَالَ بغير همز مثل: قال. وقرأ الباقون: بالهمزة، واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، فمن قرأ بالهمز فهو من السؤال لا غير، وله وجهان.

أحدهما: أن تكون الباء فى قوله ﴿بِعَذَابٖ﴾ بمعنى عن كقوله: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ (الفرقان: ٥٩) أى عنه، وقال علقمة بن عبدة:

فإن تسألونى بالنساء فإننى بصير بأدواء النساء طبيب

أى عن النساء.

ومعنى الآية: سأل سائل عن عذاب واقع، أى نازل كائن على من ينزل ولمن هو. فقال الله تعالى مبينًا مجيبًا له.

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ وهذا قول الحسن وقتادة، وقالا: كان هذا بمكة لما بعث الله سبحانه محمداً

ﷺ إليهم وخوفهم بالعذاب، والنكال؛ قال المشركون بعضهم لبعض: مَنْ أهل هذا العذاب؟ سلوا محمداً ﷺ: لمن هو؟ وعلى من يقع؟ فبين الله تعالى وأنزل: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ والوجه الآخر: أن تكون الباء صلة، ومعنى الآية: دعا داع، وسأل سائل، عذاباً واقعاً ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ أى على الكافرين اللام بمعنى على، وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب، فقال: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾ (الأنفال: ٣٢) الآية؛ فنزل به ما سأل يوم بدر، فَقُتِلَ صبراً، ولم يُقْبَل منه الإسلام، ولم يقتل من الأسرى يومئذ غيره، وغير عتبة بن أبى مُعيط، وهذا قول ابن عباس ومجاهد. وسُئل سفيان بن عيينة عن قول الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ فيمن نزلت؟ فقال: لقد سألتنى عن مسألة ما سألنى عنها أحد من قبلك.

حدثنى أبى عن جعفر بن محمد عن آبائه قال: لما كان رسول الله ﷺ بغدير خُم. نادى الناس، فاجتمعوا، فأخذ بيد على عليه السلام، فقال: «من كنت مولاه فعلى مولاه».

فشاع ذلك وطاف فى البلاد فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهرى فأتى رسول الله ﷺ على ناقته حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها، ثم أتى النبى ﷺ وهو فى ملأ من أصحابه، فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله ﷺ فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلى خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهراً، فقبلناه، وأمرتنا بالحج فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت ضبعى بن عمك ففضلته علينا، وقلت: «من كنت مولاه فعلى مولاه» فهذا شىء منك أم من الله تعالى؟

فقال: «والله الذى لا إله إلاّ هو إن هذا من الله».

فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقًا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته، وخرج من دُبُرِه، فقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾.

ومن قرأ بغير همز فله وجهان: أحدهما: أنه لغة فى السؤال، تقول العرب: سال يسأل، وسال يسال، مثل: نال ينال، وخاف يخاف، والثانى: أن يكون من السيل، قال زيد بن ثابت، وعبد الله[1] بن زيد بن أسلم: سال وادٍ من أودية جهنم يقال له: سايل.

---

(١) فى الهامش: عبد الرحمن.

﴿مِنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ قال ابن عباس: يعنى ذى السموات، وقال ابن كيسان: المعارج الفُتُوُ الذى بين كل سماءين وأرضين. وقال قتادة: ذى الفواضل والنعم. وقال سعيد بن جبير ذى الدرجات. وقال القرظى: ذى الفضائل العالية. وقال مجاهد: معارج الملائكة.

﴿تَعْرُجُ﴾ [(١)] بالياء الكسائى، وهى قراءة ابن مسعود واختيار أبى عبيد، وغيرهم بالتاء. ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ وهو جبريل عليه السلام. ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله تعالى ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من سنى الدنيا لو صعد غير الملائكة وذلك أنها تصعد من منتهى أمر الله من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السماء السابعة.

وروى ليث عن مجاهد: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات بمقدار خمسين ألف سنة ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يعنى بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد، فذلك مقدار ألف سنة، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة قبل أن يقطعوه.

وقال الحكم وعكرمة: هو مدة عمر الدنيا أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة لا يدرى أحدكم كم مضى وكم بقى إلاّ الله[(٢)]، وقال قتادة: هو يوم القيامة.

وقال الحسن: هو يوم القيامة وليس يعنى أن مقدار طوله هذا دون غيره ولو كان كذلك لكانت له غاية تفنى فيها الجنة والنار ولكنه يقول، موقفهم للحساب حتى يُفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سنى الدنيا، وذلك أن ليوم القيامة أولا وليس له آخرًا لأنه يوم ممدود، ولو كان له آخر لكان منقطعا.

وقيل: معناه: لو وَلِيَ محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين ألف سنة، وهى رواية محمد بن الفضل عن الكلبى قال: لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والإنس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منهم فى خمسين ألف سنة، وأنا أفرغ منها فى ساعة من نهار.

---

(١) فى المخطوط: «يعرج» ورسمت على التاء كما فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع، وقد وضع الناسخ نقطتين فوق وتحت الحرف.

(٢) صار معلوم للخاص والعام مدى قدم الأرض والذى تجاوز ملايين السنين، فلا يعتد بمثل هذا القول، وهو اجتهاد منهما لم يوفقا فيه، وهما مأجوران إن شاء الله تعالى.

وقال يمان : هو يوم القيامة فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة ، وفيه تقديم وتأخير كأنه قال : ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه .

وروى أبو الجوزاء ، وابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : هو يوم القيامة جعله الله على المسافرين مقدار خمسين ألف سنة فأراد أن أهل الموقف يستطيلون ذلك اليوم .

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعي أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي أخبرنا حسن أخبرنا ابن لهيعة أخبرنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قيل لرسول الله ﷺ : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» .

وقال إبراهيم التيمي : ما قدر ذلك اليوم على المؤمنين إلا كما بين الظهر والعصر . ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ﴾ يعني العذاب . ﴿بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ لأن ما هو آت قريب . قوله تعالى : ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ كَعَكَر الزيت . وقيل : كالفلز المذاب ، وقد مَرَّ تفسيره . ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾ الصوف المصبوغ ، ولا يقال عهن إلاّ للمصبوغ وقال مقاتل : كالصوف المنقوش . وقال الحسن : كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف . وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً ، ثم عهنًا منفوشًا ، ثم تصير هباءً منثورًا .

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قريبٌ قريبًا لشغله بشأن نفسه . وقرأ : ولا يُسْأل بضم الياء . أي لا يسأل حميم عن حميم .



﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ۝ ۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ

ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝﴾

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡ﴾ يرونهم، وليس فى القيامة مخلوق إلاّ وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته وعشيرته ولا يسأله ويبصر الرجل حميمه فلا يكلمه لاشتغالهم بأنفسهم.

قال ابن عباس: يتعارفون مدة ساعة من نهار، ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقال السدى: يبصرونهم يعرفونهم؛ أما المؤمن فبياض وجهه، وأما الكافر فبسواد وجهه.

﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ يتمنى المشرك. ﴿لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ﴾ قرأ نافع والكسائى بفتح الميم. ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته. ﴿وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته التى فصل منهم قال أبو عبيدة: فخذه. وقال ثعلب: آبائه الأدنين. وقال غيره: أقربائه الأقربين. ﴿ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ﴾ مجاهد: قبيلته. ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الفداء من عذاب الله. ﴿كَلَّآ﴾ ليس كذلك لا ينجيه من عذاب الله شىء.

ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ قيل معناه: حقًا إنها لظى، فيكون متصلاً، ولظى اسم من أسماء جهنم، ولذلك لم تجر. وقيل: هى الدركة الثانية سميت بذلك لأنها تتلظى، قال الله تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ (الليل: ١٤).

﴿نَزَّاعَةٗ﴾ قرأ العامة بالرفع على نعت لظى وروى حفص عن عاصم بالنصب على الحال والقطع. ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ قال الكلبى: لأمر الرأس تأكل الدماغ كله، ثم يعود الدماغ كما كان، ثم يعود لأكله فذلك دأبها، وهى رواية أبى ظبيان عن ابن عباس، وروى عطية عنه: يعنى الجلود والهام. وقال سعيد بن جبير عنه: العصب، والعقب. مجاهد: لجلود الرأس، ودليل هذا التأويل قول كثير عزة:

لأصبحت هَدَّتك الحوادث هذه   لها فشواة الرأس باد قتيرها

وقال إبراهيم بن مهاجر عنه: اللحم دون العظم. وقال الحسن: الهام تُحرق كل شىء منه وتبقى فؤاده نضيجًا. قال أبو صالح: للحم الساق. وقال ثابت البنانى: لمكارم وجهه. وقال قتادة: لمكارم خلقه، وأطرافه. وقال أبو العالية لمحاسن وجهه. وقال يمان: خلاعة للأطراف، وقال مرة: الأعضاء. وقال ابن زيد: لأذاب العظام. وقال الضحاك: تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئًا. وقال الكسائى: المفاصل، وقال ابن جرير: الشوى جمع شواة

وهو من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً، يقال: رمى فأشوى، إذا لم يصب مقتلاً. وقال بعض الأئمة: يعنى هى القوائم والجلود، قال امرؤ القيس:

سليم الشظا عبل الشوى شج النسا

وقال الأعشى:

قالت قتيلة ما له قد جُللت شيبًا شواته

﴿تَدْعُواْ﴾ إلى نفسها ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الحق، وتقول: إلىّ إلىّ.

قال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح، ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب. وقال ثعلب: تدعو أى تهلك، تقول العرب: دعاك الله أى أهلكك الله. وقال الخليل: أنه ليس كالدعاء تعالوا ولكن دعوتها إياهم تمكنها من تعذيبهم وفعلها بهم ما تفعل.

قوله تعالى ﴿وَجَمَعَ﴾ المال. ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ أمسك ولم يؤد حق الله تعالى منه.

وأخبرنا عقيل بن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمد بن جرير الطبرى أخبرنا منصور أخبرنا أبو قطن أخبرنا المسعودى عن الحكم قال: كان عبد الله بن عكيم[1] لا يربط كيسه، ويقول: سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

أخبرنا عبد الخالق بن على بن عبد الخالق أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن يزداد الرازى أخبرنا أبو الحسن طاهر الحنفى[2] أخبرنا إسماعيل بن موسى ابن بنت السدى أخبرنا الحكم بن ظهير عن السدى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله ﴿هَلُوعًا﴾ قال: الحريص على ماله البخيل به.

وروى عطية عنه قال: هو الذى قال الله عز وجل: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾. وقال سعيد بن جبير: شحيحًا. وقال عكرمة: ضجوراً. وقال الضحاك. وقال الحسن: بخيلاً. وقال الحصين: حريصًا. وقال قتادة، وابن زيد: جزوعًا. وقال مجاهد: شرهًا. وعن الضحاك أيضًا: الهلوع الذى لا يشبع. وقال مقاتل ضيق القلب. وقال ابن كيسان: خلق الله تعالى الإنسان يُحبّ ما يسره، ويرضيه، ويهرب مما يكره ويسخط، ثم تعبده بإنفاق ما يحب ويلذ والصبر علىَ ما يكره. وقال عطاء: عجولاً. وقيل: جهولاً. وقال سهل: متقلبًا فى شهواته وهواه سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت منصور بن

(١) فى هامش المخطوط: حكيم.

(٢) فى الهامش: الخثعمى.

عبد الله يقول سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال عطاء: الهلوع الذى يرضى عند الموجود، ويسخط عند المفقود أبو الحسن الوراق: نسى عند النعمة، ودعاه عند المحنة. وعن سهل أيضًا: إذا افتقر جزع وإذا أيسر منع؛ قال أبو عبيدة، وثعلب: هو الذى إذا مسه الخير لم يشكر، وإذا مسه الشر لم يصبر. وقيل: طموعًا يرضيه القليل من الدنيا، ويسخطه مثله، والهلع فى اللغة: أشد الحرص وأسوأ الجزع. قال النبى ﷺ: «شر ما أُعطى العبد شح هالع وجبن خالع».

وتقول العرب: ناقة هلوع إذا كانت سريعة السير خفيفة، قال الشاعر:

تكاد عليــه إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع

ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ قيل: إنهم الصحابة خاصة. وقيل: إنهم المؤمنون عامة، فإنهم يغلبون فرط الهلع بحكم الشرع لثقتهم بربهم ويقينهم بتقديره واستثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان اسم الجنس وهو فى معنى الجمع.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا أبو عبد الرحمن المقرى أخبرنا حيوة حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير مرثد بن عبد الرحمن اليزنى أن عقبة ابن عامر قال لهم: (من الذين هم على صلاتهم دائمون)؟.

قلنا: الذين لا يزالون يصلون. قال: لا ولكن الذين إذا صلوا لم يلتفتوا يمينًا ولا شمالاً.

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ[1] قَآئِمُونَ﴾ يعنى يقيمونها ولا يكتمونها ولا يغيرونها.

وقال سهل: قائمون بحفظ ما شهدوا به من شهادة: لا إله إلا الله، فلا يشركون به فى شىء من الأقوال والأفعال والأحوال. وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وحفص بشهاداتهم بالألف على الجمع الباقون بشهادتهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

❖ ❖ ❖

---

(١) فى المخطوط: «بشهادتهم» ورسمت فى مصحف حفص عن عاصم. وتركت المؤلف يوضح الاختلاف فى القراءات.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أى فما لهم كقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ (النساء: ٨٨) وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (المدثر: ٤٩).

﴿قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مقبلين عليك مادين أعناقهم مديمى النظر متطلعين نحوك. وقد مَرَّ تفسير الإهطاع، وهو نصب على الحال. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ حلقًا وفرقًا، عُصْبَةً عُصْبَةً متفرقين. والعزين جماعات فى تفرقة واحدتها عزة ونظيرها فى الكلام. ثُبة وثبين، وكُرَّة وكرين، وقلة وقلين. قال عنترة:

وقرن قد تركت لذى ولى عليه الطير كالعُضب العزين

وقال الراعى:

أخليفة الرحمن إن عشيرتى أمسى سوائمهم عزين فُلولا

وقال آخر:

كأن الجماجم من وقعها خناطيل يهوين شتى عزينا

وأخبرنا ابن محمد أن المعافى بن زكريا أخبرهم عن محمد بن جرير أخبَرنا ابن بشارة أخبرنا مؤمل أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة عن أبى هريرة: أن النبى ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق حلق متفرقون، فقال: «ما لى أراكم عزين».

قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبى ﷺ ويستمعون كلامه ولا ينتفعون به، بل يكذبونه ويكذبون عليه ويستهزءون به وبأصحابه ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾. قرأ الحسن، وطلحة بفتح الياء، وضم الخاء. ومثله روى عن المفضل عن عاصم. وقرأ الباقون ضده. ﴿كَلَّآ﴾ لا يدخلونها، ثم ابتدأ فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أى من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، فلا يستوجب الجنة أحد منهم لكونه

شريفًا لأن مادة الخلق واحدة بل يستوجبونها بالطاعة . قال قتادة في هذه الآية : إنما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله .

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن عبد الله ابن برزة أخبرنا محمد بن سليمان بن الحارث الباغندي أخبرنا عارم أبو النعمان السدوسي أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا خطبنا يذكر مناتن ابن آدم فذكر بدء خلقه أنه يخرج من مجرى البول مرتين ، ثم يقع في الرحم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم يخرج من بطن أمه فيتلوث في بوله وخرئه حتى يُقَذِّر أحدنا نفسه .

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا جعفر بن محمد بن علي أخبرنا ابن محمد الفريابي أخبرنا صفوان بن صالح أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا جرير بن عثمان البرجمي عن عبد الرحمن بن ميسرة عن خبير بن نفير عن نفير بن جحاش قال : قال رسول الله ﷺ ، وبصق يومًا في كفه ووضع عليها إصبعه ، فقال : «يقول الله تعالى : بني آدم أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي ، قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة» .

وقيل : معناه : إنّا خلقناهم من أجل ما يعملون ، وهو الأمر والنهي والثواب ، والعقاب ، فحذف أجْل كقول الشاعر :

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا

أي من أجل آل ليلى .

وقيل (ما) بمعنى من وقيل مجازه : إنا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون لا كالبهائم ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ﴾ قرأ أبو حيوة : برب المشرق والمغرب ﴿إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ نظيره من سورة الواقعة .

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم . ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ ويلهوا في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ نسختها آية القتال[1] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾ قرأه العامة بفتح الياء وضم الراء . وروى الأعشى والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم بضم الياء وفتح الراء . ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور . ﴿سِرَاعًا﴾ إلى إجابة الداعي . ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾[2] قرأهُ العامة بفتح النون وجزم الصاد ، يعنون إلى شيء

(١) هذا قول المؤلف ومن قال بالنسخ ، وقد خالفهم في ذلك من لم يقل بالنسخ فأشاروا إلى أن الآية حكمها عام وقائم دائم .

(٢) في المخطوط : «نَصْب» وقد أثبت ما هو مثبت في مصحف عثمان بقراءة حفص عن عاصم ، وتركت المؤلف يبين وجوه القراءات في ذلك .

منصوب، يقال: فلان نَصْبَ عينى.

قال ابن عباس: يعنى إلى غاية، وذلك حين سمعوا الصيحة الأخيرة. وقال الكلبى: إلى عَلَم وراية. وقال أبو العلاء: سمعت بعض العرب يقول: النصب الشبكة التى يقع فيها الصيد فيتسارع إليها صاحبها مخافة أن ينفلت الصيد منها، وقرأ زيد بن ثابت، وأبو رجاء وأبو العالية ومسلم، والبطين، والحسن، وأشهب العقيلى، وابن عامر ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ بضم النون والصاد، وهى رواية حفص عن عاصم، واختاره أبو حاتم.

قال مقاتل والكسائى: يعنى إلى أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله تعالى. وقرأ الفراء، والأخفش: النُصْب: جمع النصب مثل: رُهَن، ورَهْن، والأنْصَاب: جمع النُّصْب وهى جمع الجمع. وقيل النصْبُ والأنْصَابُ واحد.

﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون قال الشاعر:

فوارس ذبيان تحت الحديد كالجن يوفضن من عبقرى

وقال ابن عباس، وقتادة: يسعون. وقال أبو العالية، ومجاهد: يستبقون. وقال الضحاك يتطلعون. وقال الحسن: يبتدرون. وقال القرظى يشتدون. ﴿خَـٰشِعَةً﴾ ذليلة خاضعة. ﴿أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ بالعذاب. قال قتادة: بسواد الوجوه. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يغشاهم هوان، ومنه غلام مراهق إذا غشى الاحتلام. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ يوم القيامة.



سورة نوح

مكية، وهي تسعمائة وتسعة وعشرون حرفًا،
ومائتان وأربع وعشرون كلمة وثمان وعشرون آية

أخبرنا محمد بن القاسم أخبرنا محمد بن محمد بن شاذة أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا سالم بن قتيبة عن شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ

يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ بأن ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مِّن﴾ صلة. ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو الموت. فلا يهلككم بالعذاب. ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ نفاراً وإدباراً عنه. ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا دعوتى. ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ غطوا بها وجوههم لئلا يرونى ولا يسمعوا صوتى. ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ على الكفر. ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ الدعوة. ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

أخبرنا الحسن بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن إبراهيم بن على أخبرنا محمد بن عمران بن هارون أخبرنا أبو عبيد الله المخزومى أخبرنا سفيان ابن عيينة عن مُطرف عن الشعبى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (أنه) خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع. فقالوا له: ما رأيناك استسقيت؟ فقال عمر: لقد طلبت المطر بمجاديح التى يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ﴾ بساتين. ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ جارية، وذلك أن قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زمانًا طويلاً حبس الله تعالى عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أموالهم ومواشيهم، فوعدهم الله تعالى إن آمنوا أن يرد عليهم.

وروى الربيع بن صبيح أن رجلاً أتى الحسن، فشكى إليه الجدوبة، فقال له الحسن: استغفر الله. وأتاه آخر فشكى إليه الفقر، فقال له: استغفر الله. وأتاه آخر فشكى إليه جفاف بساتينه،

فقال له: استغفر الله. وأتاه آخر فقال: ادع الله أن يرزقنى ابنًا، فقال له: استغفر الله[١]. فقلنا له: أتاك رجال يشكون إليك أبوابًا ويسألون أنواعًا، فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟ فقال: ما قلت من ذات نفسى فى ذلك شيئًا إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى، إخبارًا عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: ما لكم لا ترجون لله عظمة. وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله تعالى حق عظمته. وقال منصور عن مجاهد: لا تبالون لله عظمة. وقال العوفى، عن ابن عباس: لا تعلمون لله عظمة. قال قتادة: لا ترجون لله عاقبة. وقال ابن زيد: لا ترون لله طاعة. وقال الكلبى: لا تخافون لله عظمة. وقال ابن كيسان: ما لكم لا ترجون فى العبادة أن يثيبكم على توقيركم إياه خيرًا. وقال الحسن: لا تعرفون لله حقًا ولا تشكرون له نعمة. وقال سعيد بن جبير أيضًا: لا ترجون لله ثوابًا، ولا تخافون عقابًا. والرجاء: من الأضداد يكون أملاً وخوفًا.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ تارات ومرآت، حالاً بعد حال، نطفة، ثم علقة، ثم مضغة إلى تمام الخلق ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾.

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ قال الحسن يعنى: فى السماء الدنيا. وهو جائز فى كلام العرب، كما يقال: أتيت بنى تميم، وإنما أتى بعضهم. ويقال: فلان متوار فى دور بنى فلان وإنما هو فى دار واحدة. وقال مقاتل: معناه: وجعل القمر معهن نورًا لأهل الأرض «فى» بمعنى مع قال عبد الله بن عمرو: إن الشمس والقمر، وجوههما قبل السموات، وضوء الشمس ونور القمر فيها، وأقفيتهما قبل الأرض، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[٢] مصباحًا مضيئًا.

---

(١) جاءت هذ العبارة مؤخرة عن التى قبلها ومحلها التقدم حسب ما ورد، وفى الكتب الأخرى وحسب ما أشار إليه الناسخ بوضع كلمة مقدم، ومؤخر فوق بعض كلام العبارتين إلا أنى تركت الوضع على ما هو عليه لعدم اختلاف المعنى ولكونه ليس حديثًا نبويًا.

(٢) هذا قول عار من العلوم الفلكية الدقيقة إنما هو اجتهاد مجتهد، وقد أصبح من العلوم لدى صغار الباحثين وطلاب العلم فضلاً عن علماء الفلك وعلوم السماء ماهية الشمس الحقيقية، وماهية القمر الحقيقية، فلا يلام صاحب هذا القول فى زمانه ولكن لا يصح قبول مثله الآن، ولا ترديد مثل هذا القول بعد أن تفشى العلم ومثل هذا القول لورود الآن لوصف قائله بالجهل والتخلف، ولو أصر عليه لوصف الإسلام بنحو مما يصفه به أعداؤه فعلى الدعاة والمتصدين للدعوة تنقية الكتب من مثل هذه الأقوال وبيان خطأ قائليها وأن هذا الخطأ ناشئ عن قلة المعارف العلمية التى أتيحت لنا الآن.

وقيل لعبد الله بن عمرو: ما بال الشمس تصلينا أحيانًا، وتَبْرُدُ عَلينا أحيانًا؟ فقال: إنها فى الصيف فى السماء الرابعة، وفى الشتاء فى السماء السابعة عند عرش الرحمن، ولو كانت فى السماء الدنيا لما قام لها شىء.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ وكان حقه إنباتا، ولكنه مصدر مخالفٌ للصدر. وقال الخليل: مجازه فنبتم نباتًا. ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾ أمواتًا. ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ﴾ منها أحياءً. ﴿إِخۡرَاجٗا ۝ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾ مهاداً تحملكم أحياءً، وتسترکم أمواتًا. ﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ طرقًا مختلفة. ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: بفتح الواو واللام، وهم القادة والأشراف ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ كبيرًا عظيمًا، يقال: كبيرٌ، وكُبارٌ بالتخفيف، وكُبَّارة بالتشديد كُلها بمعنى واحد. ونظيره فى كلام العرب: أمر عجيب، وعجاب وعُجاب، ورجل حُسَان وحُسّان، وجُمَّال وجُمَال، وقُراء للقارئ، ووضَّاءٌ للوضىء، وأنشد ابن السكيت:

بيضاء تصطاد القلوب وتستبى   بالحسن قلب المسلم القُرَّاء

وقال آخر:

والمرء يلحقه بفتيان الندى   خلق الكريم وليس بالوضاء

وقرأ ابن محيصن، وعيسى: كُبارٌ بالتخفيف فى معنى مكرهم.

فقال ابن عباس: قالوا قولاً عظيمًا. وقال الحسن: مكروا فى دين الله، وأهله مكرًا عظيمًا.

وقال الضحاك: افتروا على الله وكَذَبُوا، وكذبوا رسله. وقيل: حرشوا سفلتهم على قتل نوح.

﴿وَقَالُواْ﴾ لهم. ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا﴾ وقرأ أهل المدينة بضم الواو، وغيرهم بفتحها وهما لغتان. ﴿وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ قراءة العامة غير مجرى فيهما. قال أبو حاتم: لأنهما على بناء فعل مضارع وهما مع ذلك عَجَميَّان. وقرأ الأعمش وأشهب العقيلى: (ولا يغوثًا ويعوقًا) مصروفين. ﴿وَنَسۡرٗا﴾

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن العدل بقراءتى عليه أخبرنا عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن مالك أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى أخبرنا محمد بن بكار بن الريان أخبرنا أبو معشر عن يزيد عن زياد عن محمد ابن كعب قال: كان لآدم عليه السلام خمس بنين: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وكانوا عُبَّادًا، فمات رجل منهم، فحزنوا عليه

حزنًا شديدًا، فجاءهم الشيطان، فقال: هل لكم أن أصور لكم فى قبلتكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه؟ قالوا: نكره أن نجعل فى قبلتنا شيئًا نصلى إليه. قال: أجعله فى مؤخر المسجد؟ قالوا: نعم. فصوَّره لهم من صفر ورصاص. ثم مات آخر، فصوره لهم، ثم مات آخر فصوّره لهم. قال فتنقصت الأشياء كما تتنقصون اليوم، وأقاموا على ذلك ما شاء الله أن يقيموا، ثم تركوا عبادة الله، فأتاهم الشيطان، فقال لهم: لا تعبدون شيئًا؟ قالوا: مَنْ نعبد؟ قال هذه آلهتكم وآلهة آبائكم، ألا ترون أنها منصوبة فى مصلاكم. قال: فعبدوها من دون الله تعالى، حتى بعث الله نوحًا عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله تعالى فقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

وروى سفيان عن محمد بن قيس: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: كانوا قومًا صالحين لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا، قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم. فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم.

وقال ابن عباس: كان نوح عليه السلام يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل بالهند يحول بين الكافرين وبين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفتخرون ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم وإنما هو جسد، وأنا أصور لكم مثله تطوفون به فنحت خمسة أصنام وحملهم على عبادتها، وهى: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرًا، فلما كان أيام الغرق دَفَنَ الطوفان تلك الأوثان وطمها بالتراب، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركى العرب، فاتخذت قضاعة ودًا فعبدوها بدومة الجندل، ثم توارثه بنوه الأكابر فالأكابر حتى صارت إلى كلب، فجاء الإسلام وهو عندهم وأخذ أعْلَى، وأنْعم وهما من طى يغوث، فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زمانًا، ثم إن بنى ناجية أرادوا أن ينتزعوه من أعْلَى وأنْعم، ففروا به إلى الحصين أخى بنى الحارث بن كعب. وأما يعوق: فكان لكهلان، ثم توارثته بنوه الأكبر فالأكبر حتى صار إلى همدان. وأما نَسْرٌ: فكان لخثعم يعبدونه. وأما سُوَاع: فكان لآل ذى الكلاع يعبدونه.

وقال عطاء، وقتادة والثمالى، والمسيب: صارت أوثان قوم نوح إلى العرب. فكان وُدّ: لكلب بدومة الجندل. وكان سُوَاع: براهط لهذيل. وكان يغوث: لبنى غطيف من مراد بالجرف. وكان يَعُوق: لهمدان. وكان نَسْرٌ: لآل ذى الكلاع من حمير. وأما اللاّت:

فلثقيف، وأما العُزّى: فلسُليم وغطفان، وجُشَم، ونصر، وسعد بن بكر، وأما مناة: فكانت بقدير. وأما إساف، ونائلة، وهُبل فلأهل مكة. وكان إساف حيال الحجر الأسود وكانت نائلة حيال الركن اليمانى. وكان هبل فى جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعًا.

وقال الواقدى: كان وُدّ على صورة رجل، وكان سواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير[1].

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ أى ضل بعبادتها وبسببها كثير من الناس. نظيره: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ (إبراهيم: ٣٦).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾. أى من خطاياهم، «وما» صلةٌ. وقرأ أبو عمرو: خطاياهم. ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا[2] لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ وقرأ أبو حيوة، والأعمش: مما خطيتهم على الواحد. وروى أبو روق عن الضحاك فى قوله عز وجل ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾. قال: يعنى فى الدنيا فى حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون فى الماء من جانب.

أنشدنا أبو القاسم الحبيبى قال أنشدنى أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح قال أنشدنا أبو بكر بن الأنبارى:

الخلق مجتمع طورًا ومفترق والحادثات فنون ذات أطوار
لا تعجبن لأضداد إن اجتمعت فالله يجمع بين الماء والنار

﴿وَقَالَ نُوحٌ﴾ قال مقاتل: معنى نوح بالسريانية: السَّاكن[3] وإنما سُمِّىَ نوحًا لأن الأرض سكنت إليه. ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أحدًا يدور فى الأرض، فيذهب ويجىء. وهو فيعال من الدوران، مثل القيام أصله قيوام، وديوار.

وقال القتيبى: أصله من الدار، أى نازل دار. ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ قال ابن عباس: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول له: احذر هذا فإنه كذاب، وأنّ أبى حذرنيه فيموت

---

(١) هذه قصص وأخبار عن تاريخ الأصنام أو عن تفسير تلك الأسماء التى وردت فى هذه الآية أو فى تلك الصورة وعبدت من دون الله سبحانه وتعالى لا يدرى متى صدقها من كذبها، وهناك كتب قد دونت فى تاريخ الأصنام لا يستطيع أحد أن يجزم بصدق كل ما ورد بها، ولا نفيه على وجه اليقين وكل ما هو ملزم به المؤمن هو أن يؤمن بأن الله تعالى واحد ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا.

(٢) فى المخطوط: «تجدوا». وأثبت ما هو مثبت فى مصحف عثمان المطبوع برواية حفص ولم يشر المؤلف إلى شىء فى ذلك.

(٣) فى هامش المخطوط: «الشاكى».

الكبير وينشأ الصغير عليه.

﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾. أى من سيكفر ويفجر. وقال محمد بن كعب، ومقاتل، والربيع، وعطية وابن دُريد: إنما قال نوح عليه السلام هذا حين أخرج الله تعالى كل مؤمن من أصلابهم وأرحامهم وأعقم أرحام نسائهم، وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة، وقيل: سبعين سنة. وأخبر الله تعالى نوحًا أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنًا، فحينئذ دعا عليهم نوح، فأجاب الله تعالى دعاءه وأهلكهم كلهم، ولم يكن فيهم صبى وقت العذاب.

وقال أبو العالية والحسن لو أهلك أطفالهم معهم لكان عذابًا من الله لهم، ولكن الله تعالى أهلك ذريتهم وأطفالهم بغير عذاب، ثم أهلكهم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ (الفرقان: ٣٧). وقد علمنا أن الأطفال لم يكذبوا الرسل، وإنما وقع العذاب على المكذبين. ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ واسم أبيه: لَمْك بن متوشلخ، واسم أُمِّه: شمخا بنت أنوس. وكانوا مؤمنين. وقرأ سعيد بن جبير ولوالدى على الواحد.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ أى دارى. وقال الضحاك: مسجدى. وقيل: سفينتى. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ عامة. وقال الكلبى: من أمة محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكًا ودمارًا.



سُورَةُ الجِنّ

مكية، وهى ثمانمائة وسبعون حرفًا،
ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمان وعشرون آية

أخبرنا ناقل بن راقم بن أحمد بن عبد الجبار البابى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد البلخى أخبرنا عمر بن محمد الكرابيسى، أخبرنا أسباط بن اليسع البخارى، أخبرنا يحيى بن عبد الله السلمى أخبرنا نوح بن أبى مريم عن على بن زيد عن زر عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجن أُعطى بعدد كل جنى وشيطان صدَّق بمحمد ﷺ وكذب به عتق رقبة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وكانوا تسعة من جن نصيبين، استمعوا لقراءة النبى ﷺ، وقد مرَّ ذكرهم، قال أبو حمزة الثمالى: بلغنا أنهم من بنى الشيطان وهم أكبر الجن عدداً، وهم عامة جنود إبليس ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لما رجعوا إلى أهلهم. ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ (وإنه) وآخر ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بالفتح، أهل الشام والكوفة، إلاّ أبا بكر.

وفتح أبو جعفر ما كان مردوداً على الوحى وكسر ما كان إخباراً عن الجن. وجرها كلها الباقون، إلاّ ما أتى عن ابن كثير، وأبى عمرو ويعقوب أنهم فتحوا، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ (الجن: ١٩) فقط.

﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ حدثنا عبيد بن محمد بن محمد بن مهدى العدل أخبرنا أبو العباس الأصم - وهو محمد بن يعقوب أخبرنا أحمد بن حازم أخبرنا عبد الله عن سفيان عن السدى فى قوله تعالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: أمر ربنا.

وبإسناده عن سفيان عن سليم[١] التيمى عن الحسن قال: غنى ربنا. ومنه قيل للحظ: جد. ورجل مجدود. وقال ابن عباس: قدرة ربنا. وقال مجاهد، وعكرمة: جلاله. وقال قتادة: عظمته. وقال ابن أبى الشيخ عن مجاهد: ذكره. وقال الضحاك: فعله. وقال القرظى: آلاؤه ونعمه على خلقه. وقال الأخفش: على ملك ربنا. وقال ابن كيسان: على ظفره على كل كافر بالحجة، والعدل.

والجدُّ فى اللغة: العظمة، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فى عيوننا أى عظم.

قال ابن عباس: لو علمت الجن أن فى الأنس جداً ما قالت: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾. وقال أبو جعفر الباقر، وابنه جعفر والربيع بن أنس: ليس لله تعالى، وإنما قالت الجن: ما لجهالة فلم يؤخذوا به.

﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ وقرأ عكرمة: (تعالى جِد ربنا) بكسر الجيم على ضد الهزل. وقال ابن السميقع: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ وهو الجدوى والمنفعة.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا. وقال مجاهد، وقتادة: هو إبليس. ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ عدوانًا وقولاً عظيماً. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ حسبنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أى كنا نظنهم صادقين فى قولهم: إن لله صاحبة وولداً حتى سمعنا القرآن ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ

---

(١) فى الهامش: «سليمان».

﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وذلك قول الرجل من العرب إذا أمسى فى الأرض القفر أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه. فيبيت فى أمن وجوار حتى يصبح.

قال مقاتل: كان أول من تعوذ من الجن، قوم من أهل اليمن، ثم بنو حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب.

وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن إسحاق المروزى أخبرنا موسى ابن سعيد بن النعمان بطرسوس أخبرنا فروة بن أبى المعزى الكندى أخبرنا القاسم ابن مالك بن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن عكرمة بن أبى السائب الأنصارى قال: خرجت مع أبى إلى المدينة فى حاجة، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعى غنم، فلما انتصف النهار، جاءه ذئب فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعى وقال: يا عامر الوادى جارك؛ فنادى مناد لا أراه يقول: يا سرحان أرسله. فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم يصبه كُلْمَة[1]؛ فقال: فأنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ بمكة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ يعنى زاد الإنس الجن باستعاذتهم إياهم رهقًا.

قال ابن عباس: إثمًا. (وروى)[2] عن قتادة: خطيئة. (وروى)[3] سعيد عنه: جرأة. وقال مجاهد: طغيانًا. وقال ربيع: فَرَقًا. وقال ابن زيد: خوفًا، وقال إبراهيم: عظمة، وذلك أنهم قالوا: قد سُدنا الإنس والجن. وقال مقاتل: غيًا. وقال الحسن: شرًا. وقال ثعلب: خسارًا، والرهق فى كلام العرب الإثم، وغشيان المحارم، ورجل مُرْهِق، وقيل: مُرْهَق إذا كان كذلك. قال الأعشى:

لا شىء ينفعنى من دون رؤيتها هل يشتفى وامق ما لم يصب رهقا

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا معشر الكفار من الإنس ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته. ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ من الملائكة. ﴿وَشُهُبًا﴾ من النجوم. ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ أى من السماء. ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ برمى الشهب. ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أهواء مختلفة وفرقًا شتى، منا المؤمن ومنا الكافر.

قال سعيد بن جبير: ألوانًا شتى. وقال الحسن: قددًا مختلفين. وقال الأخفش: ضروبًا.

---

(١) فى الهامش كدمة.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

وقال أبو عبيدة: أصنافًا. وقال المؤرج: أجناسًا. وقال النضر بن شميل: مللاً. وقال ابن كيسان: شيعًا وفرقًا لكل فرقة هوًى كأهواء الناس. وقال الفراء: تقول العرب: هؤلاء طريقة قومهم أى ساداتهم، ورؤساؤهم. وقال المسيب: كنا مسلمين ويهودًا ونصارى.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن عمر بن الخطاب أخبرنا الحسن بن محمد بن نحيويه أخبرنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم الصورى بأنطاكية أخبرنا محمد بن المتوكل بن أبى السرى أخبرنا المطلب بن زياد قال سمعت السدى يقول فى قوله عز وجل: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال الحسن: مثلكم فيهم قدرية، ومرجئة، ورافضة، وشيعة.

وواحد القدد؛ قدة، وهى الفرقة، وأصلها من القد، وهو القطع. قال لبيد يرثى أخاه مرثدًا:

لم تبلغ العين كل نهمتها ... ليلة تمشى الجياد كالقدد

وقال آخر:

ولقد قلت وزيد جاسرٌ ... يوم ولت خيل عمرو قددًا

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ علمنا. ﴿أَن لَّن نُّعجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إن أراد بنا أمرًا. ﴿وَلَن نُّعجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ إن طلبنا. ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ قراءة العامة بالألف وقرأ الأعمش: فلا يخف بالجزم ﴿بَخْسًا﴾ نقصًا. ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا: يقول: لا يخاف النقص من حسناته ولا أن يزاد فى سيئاته، ولا أن يؤخذ بذنب غيره، ولا أن يعاقب بغير جرم. وقيل: رهقًا: مكروهًا يخشاه. نظيره: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢). ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾. الجائرون، والعادلون عن الحق. يقال: أقسط الرجل، فهو مقسط: إذا عدل. قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩) وقسط يقسط قسوطًا: إذا جار، قال الشاعر:

قوم هم قتلوا ابن هند ... عمرًا وهم قسطوا على النعمان

وأنشد ابن زيد:

قسطنا على الأملاك فى عهد تبع ... ومن قبل ما أدرى النفوس عقابها

ونظيره فى الكلام: التَربُ: الفقير. والمترب: الغنى.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أى قصدوا وعمدوا وتوخوا. ومنه تحرير[1] القِبْلَة لمن عميت عليه، وقال امرؤ القيس:

(١) فى هامش المخطوط: تحرّى القبلة، وربما كان ذلك فى نسخة أخرى مع الناسخ والله أعلم.

ديمة هطلاء فيها وَطَف طبق الأرض تحرى وتدُر

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

❖ ❖ ❖

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ قرأه العامة بكسر الواو. وقرأ يحيى والأعمش: ﴿وَأَلَّوُ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ بضم الواو.

﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ اختلف المفسرون فى تأويلها: فقال قوم: معناه ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ على طريقة الحق، والإيمان، والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين. ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ كثيراً. قال عمر رضى الله عنه فى هذه الآية: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة. لأعطيناهم ماء[1] كثيراً وعيشاً رغيداً، ووسعنا عليهم فى الرزق، وبسطنا لهم فى الدنيا. ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوه، وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبى رباح، والضحاك، وقتادة، وعبيد بن عمير، وعطية ومقاتل. وقال الحسن: كان أصحاب رسول الله ﷺ سامعين لله مطيعين، وفتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر، ففتنوا بها، فوثبوا بإمامهم فقتلوه - يعنى عثمان بن عفان رضى الله عنه.

ودليل هذا التأويل قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ

(١) فى الهامش: «مالاً».

لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ (المائدة: ٦٦) وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (الأعراف: ٩٦). وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧) وقوله: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ (نوح: ١٠، ١١) الآيات.

وقال الآخرون: معناه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على طريقة الكفر والضلالة وكانوا كفاراً، لأعطيناهم مالاً كثيراً ولوسعنا عليهم ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ عقوبة لهم، واستدراجًا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم. وهذا قول الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، والكلبى، والثمالى، ويمان بن رئاب، وابن كيسان، وأبى مخلد. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ (الأنعام: ٤٤).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ (الزخرف: ٣٣) الآية. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الشورى: ٢٧). وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ (العلق: ٦، ٧).

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ﴾ قرأ هل الكوفة، ويعقوب، وأيوب بالياء، وهو اختيار أبى حاتم، وأبى عبيد. وقرأ مسلم، وابن جندب (نُسلكه) بضم النون وكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتح النون، وضم اللام، وهما لغتان: سلك وأسلك بمعنى واحد، أى ندخله.

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال ابن عباس: شاقًا. وقال السدى: مشقة. وقال قتادة: لا راحة فيه. وقال مقاتل: لا فرج فيه. وقال الحسن: لا يزداد إلا شدة.

وقال ابن زيد: مُتْعبًا. والأصل فيه أن الصعود يشق على الإنسان. ومنه قول عمر رضى الله عنه: ما تصعدنى شىء كما تصعدنى خطبة النكاح. أى ما شق علىّ. وقال عكرمة: هو جبل فى النار. وقال الكلبى: يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد فى النار جبلاً من صخرة ملساء حتى يبلغ أعلاها يجذب من أمامه السلاسل، ويضرب بمقامع من حديد حتى يبلغ أعلاها، ولا يبلغها إلا فى أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاها انحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أيضًا صعودها، فذلك دأبه أبدًا، وهو قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾(1) (المدثر: ١٧).

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ قال سعيد بن جبير: قالت الجن للنبى ﷺ: كيف لنا أن نأتى المسجد، ونشهد معك الصلاة، ونحن ناءون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾.

---

(١) هذا القول كما قلنا مراراً قبل ذلك عار عن الدليل، وكل ما فى النار ومن فى النار لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى من عذاب ومن يعذبون فيها وكيف يعذبون على التفصيل فكل ذلك علمه عنده سبحانه.

﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ والمؤمنين أن يخلصوا له تعالى الدعوة إذا دخلوا المساجد. وأراد به المساجد كلها.

قال الحسن: أراد بها البقاع كلها، وذلك أن الأرض كلها جعلت للنبى ﷺ مسجداً. وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية إذا دخل أحدهم المسجد قال: أشهد أن لا إله إلا الله السلام على رسول الله.

وقال سعيد بن جبير، وطلق بن حبيب: أراد بالمساجد الأعضاء التى يسجد عليها العبد، وهى سبعة: القدمان، والركبتان، واليدان، والوجه. وسمعت محمد بن الحسن السلمى يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال ابن عطاء: مساجدك أعضاؤك التى أمرت أن تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا غير مرة أخبرنا أبو حامد بن الشرقى أخبرنا حمدان السلمى أخبرنا موسى بن إسماعيل، ومعلى ابن أسيد، ومسلم بن إبراهيم قالوا: أخبرنا وهب أخبرنا ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة، وأشار بيده إلى أرنبته ـ واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين، وأن لا أكف شعراً ولا ثوبًا». وأخبرنا أبو بكر الجوزقى أخبرنا عمرو بن عبد الله البصرى، أخبرنا أحمد بن سلمة، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا بكر بن مضر، عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب» فإن جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجد بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مَسْجَد بفتح الجيم. وقال الحسن: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعنى الصلوات لله، ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ أى أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة. وقيل: معناه أفردوها لذكر الله وعبادته، فلا تتخذوها متجراً، ولا مجلسًا، ولا طريقًا ولا تجعلوا فيها لغير الله نصيبًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ يعنى محمداً ﷺ. ﴿يَدۡعُوهُ﴾ يقول: لا إله إلا الله ويدعو إليه ويقرأ القرآن فى الصلاة ببطن مكة. ﴿كَادُواْ﴾ يعنى الجن. ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ يركب بعضهم بعضًا ويزدحمون ويسقطون حرصًا منهم على سماع القرآن. قاله الضحاك. ورواه عطية عن ابن عباس.

وسعيد بن جبير عنه قال: هذا من قول النفر من الجن، لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما

رأوا من طاعة أصحاب رسول الله ﷺ له، وائتمامهم به فى الركوع والسجود، واقتدائهم به فى الصلاة.

وقال الحسن، وقتادة، وابن زيد: يعنى لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الإنس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذى جاءهم به ويطفئوا نور الله، فأبى الله إلا أن يتم هذا الأمر وينصره ويظهره على من ناوأه.

وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه قيل للجراد الكثير لَبْدٌ، وتَلَبَّدَ الشعر إذا تراكم، ومنه سمى اللبد لبدًا لتراكمه. ويقال للشعر على الأسد لِبْدٌ، وجمعها لُبدٌ قال زهير:

لَدَى أسد شاكى السلاح ضُبارم   له لبدٌ أظفاره لم تُقَلَّم

وفيه أربع لغات: لِبَدٌ بكسر اللام وفتح الباء وهى قراءة العامة. واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، وواحدتها لبدةٌ بكسر اللام. ولُبَدًا، بضم اللام وفتح الباء وهى قراءة مجاهد وابن محيصن وهشام وواحدتها لُبْدٌ، بضم اللام. ولُبُدٌ، بضم اللام والباء، وهى قراءة أبى حيوة وواحدتها لَبد. ولُبَّدًا بضم اللام وتشديد الباء وهى قراءة الحسن والجحدرى، وأبى جعفر وواحدتها لابَدٌ مثل رَاكع ورُكَّع، وسَاجد وسُجَّد.

﴿قُلْ﴾ [(1)] يعنى (يا)[(2)] رسول الله ﷺ وبه[(3)] قرأ أكثر القراء، وقرأ أبو جعفر والأعمش وعاصم، وحمزة: ﴿قُلْ﴾ على الأمر. ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أى ملجأ أميل إليه.

وقال قتادة: نصيرًا. وقال الكلبى: مدخلاً فى الأرض مثل السَّرَب. وقال السُّدى: حرزًا.

وقال مقاتل: قال كفار مكة للنبى ﷺ: إنك أتيت بأمر عظيم لم نسمع بمثله، وقد عاديت الناس كلهم، فارجع عن هذا الأمر، فنحن نجيرك. فأنزل الله تعالى هذه الآيات. وفى قراءة أُبى: غيًا ولا رشدًا.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فإن فيه الجوار، والأمن، والنجاة، قاله الحسن.

وقال قتادة: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فذلك الذى أملكه بعون الله وتوفيقه، وأما الكفر والإيمان فلا أملكهما.

---

(١) جاءت فى أصل المخطوط: «قال» وهى قراءة فأثبت ما فى مصحف عثمان بقراءة حفص عن عاصم وتركت المؤلف يشرح الخلاف بين الأقوال فى التفسير.

(٢) زيادة يتطلبها السياق على ما غيرت من الكلام فى القراءة حسب المصحف المتداول.

(٣) أى بقوله: (قال) قرأ من ذكرهم المؤلف ضمنًا دون تحديد أسمائهم حيث ذكر من خالفوهم بعد.

وقيل: لا أملك ضراً ولا رشداً لكن بلاغًا من الله إنما أنا مرسل ومبلغ لا أملك إلاّ ما مُلِّكْتُ.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ يعنى العذاب. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ يعنى العذاب. وقيل: القيامة. ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ أجلاً وغاية تطول مُدَّتُهَا. ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ رفع على نعت قوله ﴿رَبِّىٓ﴾. وقيل: هو عالم الغيب. ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ﴾ يطلع، ﴿غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ اصطفى ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ فالله يصطفيه ويطلعه على ما شاء من الغيب. ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها. ﴿رَصَدًا﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين واستماع الجن لئلا يَسْتَرِقُوه فيلقوه إلى كهنتهم.

قال سعيد بن المسيب: ﴿رَصَدًا﴾ أربعة من الملائكة حفظة، قال مقاتل وغيره: كان الله عز وجل إذا بعث رسولاً أتاه إبليس فى صورة جبريل عليه السلام يخبره، فبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه، ويطردون الشيطان، فإذا جاءه شيطان فى صورة ملك قالوا: هذا شيطان فاحذره، وإذا جاءه ملك قالوا: هذا رسول ربك.

﴿لِّيَعْلَمَ﴾ قرأ ابن عباس، ويعقوب بضم الياء أى ليُعْلَم الناس أن الرسل قد بلغوا. وقرأ الآخرون بفتح الياء أى ليعلم الرسول ﴿أَن﴾ الملائكة. ﴿قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم. ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ فلم يخف عليه شىء. ونصب ﴿عَدَدًا﴾ على الحال، وأن يثبت على المصدر أى عدَّ عدداً.



سورة المزمل

مكية ، إلاّ قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ إلى آخر السورة ، وهى ثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفًا ، ومائتان وخمس وثلاثون كلمة ، وعشرون آية فى الكوفى

أخبرنا أبو الحسن الماوردى حدثنا أبو محمد بن أبى حامد أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسين الأصفهانى أخبرنا المؤمل بن إسماعيل أخبرنا سفيان الثورى أخبرنا أسلم المقرى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أُبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ سورة المزمل رفع عنه العسر فى الدنيا والآخرة» .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ أى المتلفف بثوبه وأصله المتزمل فأدغم التاء فى الزاى . ومثله المدثر يقال : تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى به وزمل غيره إذا غطاه قال امرؤ القيس :

كأن ثبيرًا فى غرانين وبله ... كبير أُناس فى بجاد مزمل

قال أبو عبد الله الجدلى سألت عائشة رضى الله عنها عن قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ ما كان تزمله ذلك؟ قالت : كان مرطًا طوله أربعة عشر ذراعًا نصفه عَلَىَّ وأنا نائمة ونصفه على رسول الله ﷺ وهو يصلى .

قال أبو عبد الله فسألتها ما كان؟

فقالت : والله ما كان جزًا ولا قزًا ولا مرعزى ولا إبريسم ولا صوفًا ، كان سَدَاه شعرًا ولُحْمَتُهُ وَبَرًا .

وقال السدى : أراد يا أيها النائم ، قم فصل وقال عكرمة : يعنى يا أيها الذى زمل هذا الأمر الذى حُمِّلَهُ . وكان يقرأ المُزَمَّل بتخفيف الزاى وفتح الميم وتشديدها . وقالت الحكماء : خاطبه

بالمزمل والمدثر فى أول الأمر لأنه لم يكن أدّى بعد شيئًا من تبليغ الرسالة.

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ قراءة العامة بكسر الميم وقرأ أبو السماك العدوى بضمه لضمه القاف ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ثم بين، فقال: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ إلى الثلث. ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ على النصف إلى الثلثين، خيره بين هذه المنازل، فلما نزلت هذه الآية على النبى صلى وأصحابه واشتد ذلك عليهم فكان الرجل لا يدرى متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان، فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ حتى شق عليهم وانتفخت أقدامهم وامتقعت ألوانهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم ونسخها بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ (1) (المزمل: ٢٠) الآية. وكان بين أول السورة وآخرها سنة.

وقال سعيد بن جبير: لما نزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ مكث النبى ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله تعالى وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله تعالى بعد عشر سنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ﴾ (المزمل: ٢٠) الآية، فخفف عنهم بعد عشر سنين.

وقال مقاتل، وابن كيسان كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس. وقال ابن عباس: لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم فى شهر رمضان فكان بين أولها وآخرها سنة. وروى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلى عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا، فلما رأى جماعتهم كره ذلك وخشى أن يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتسعّلون حتى خرج إليهم فقال: «يا أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل من الثوات حتى تملوا من العمل وإن خير العمل أدومه وإن قل» فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ الآية فكتبت عليهم وأنزلت بمنزلة الفريضة حتى كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية أشهر، فلما رأى الله تعالى ما يكلفون ويبتغون به وجهه ورضاه رحمهم فوضع ذلك عنهم، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ﴾ الآية فردهم إلى الفريضة ورفع عنهم قيام الليل إلاّ ما تطوعوا به.

وقال الحسن فى هذه الآية: الحمد لله تطوع بعد الفريضة.

﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ قال الحسن: اقرأه قراءة بينة قال ابن نجيح عن مجاهد: ترسل فيه ترسلاً. وروى منصور عن مجاهد: بعضه على أثر بعض على تؤدة. وقال ابن عباس: بينه

---

(١) من المعلوم أن هناك خلافًا بين العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ فمنهم من يعتد بهذا القول، ومنهم من يرفضه وقد سبق أن أشرت إلى ذلك فى عدة مواضع.

بيانًا. وعنهُ أيضًا؛ اقرأه على هينتك: ثلاث آيات وأربعًا وخمسًا. قال قتادة: تثبت فيه تثبيتا. وقال ابن كيسان: تفهمه تاليًا له. وقيل: فصِّلْهُ تفصيلاً ولا تعجل فى قراءته وهو من قول العرب: ثغر رَتْلٌ ورَتِل إذا كان مفلجًا. وقال أبو بكر بن طاهر: تدبر فى لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه وقلبك بفهم معانيه، وسرّك بالإقبال عليه.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنى عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرأها».

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال الحسن: إن الرجل ليهد السورة ولكن العمل به ثقيل. وقال قتادة: ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال ابن عباس شديدًا. وقال أبو العالية: ثقيلاً بالوعد والوعيد والحرام والحلال. وقال محمد بن كعب: ثقيلاً على المنافقين قال الفراء: ثقيلاً ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا. وقال عبد العزيز بن يحيى: مهيبًا، ومنه يقال للرجل العاقل رزين راجح.

سمعت الأستاذ أبا القاسم بن حبيب يقول سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول سمعت أبى يقول سمعت الحسن بن الفضل وسُئل عن هذه الآية فقال معناها إنا سنلقى عليك قولاً خفيفًا على اللسان ثقيلاً فى الميزان، وقال أبو بكر بن طاهر: يعنى قولاً لا يحمله إلاّ قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد. وقال القاسم فى هذه الآية: سماع العلم من العالم مُرٌّ واستعماله ثقيل لكنه يأتى بالفرج إذا استعمله العبد على حد السُّنَّة وتمام الأدب. وقيل: عنى بذلك أن القرآن عليه ثقيل محمله قال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك كما ثقل فى الدنيا ثقيل فى الميزان يوم القيامة.

أخبرنا أبو الحسن بن أبى الفضل القهندرى أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا محمد بن يحيى قال فيما قرأت على عبد الله بن نافع وحدثنى مطرف عن مالك وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق أخبرنا محمد بن غالب أخبرنا عبد الله عن مالك وهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشد علىّ فينفصم عنى وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثل الملك رجلاً فأعى ما يقول».

قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقًا.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد ابن يحيى العبيدى أخبرنا أحمد بن نجدة أخبرنا يحيى الحمانى أخبرنا ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ أى ساعاته كلها وكل ساعة منه فهى ناشئة. سميت بذلك لأنها تنشأ، ومنه نشأت السحابة إذا بدت وأنشأها الله، وجمعها ناشئات.

أخبرنا عقيل بن محمد أخبرنا المعافى بن زكريا أخبرنا محمد بن جرير حدثنى يعقوب أخبرنا ابن علية أخبرنا حاتم بن أبى صغيرة قال: قلت لعبد الله بن أبى مليكة: ألا تحدثنى أى الليل ناشئة؟ فقال: على الثبت سقطت، سألت عنها ابن عباس، فزعم أن الليل كله ناشئة. وسألت ابن الزبير عنها فأخبرنى مثل ذلك. وقال سعيد بن جبير، وابن زيد: أى ساعة قام من الليل فقد نشأ، وهو بلسان الحبش نشأ إذا قام. وقال عكرمة: ما قمت من أول الليل فهو ناشئة.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن ماجه أخبرنا ابن أيوب أخبرنا ابن أبى زياد أخبرنا سيار أخبرنا جعفر عن الجريرى عن بعض أشياخه عن على بن الحسين: أنه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾؟ هذا ناشئة الليل.

وقال أبو مجلز، وقتادة: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة. وقال عبيد بن عمير: قلت لعائشة رضى الله عنها: رجل قام بفضل من أوّل الليل، أنقول له: قام ناشئة الليل؟ قالت: لا إنما الناشئة القيام بعد النوم. وقال يمان، وابن كيسان: هى القيام من آخر الليل ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾.

قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وابن محيصن: (وطآء) بكسر الواو ممدودًا. واختار أبو عبيد على معنى المواطأة، وهو أن يواطئ قلبه وسمعه وبصره ولسانه. وقرأ الباقون: بفتح الواو مقصوراً، أى فراغًا للقلب. قال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل هى أشد وطأ يقول هو أجدر أن يحصوا ما فرض الله تعالى عليهم من القيام وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ.

وقال قتادة: أثبت للخير، وأحفظ للقراءة. وقال الفراء: أثبت قيامًا. وقال القرظى: أشد على المصلى من صلاة النهار. دليله قول النبى ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مُضر».

قال ابن زيد: أفرغ له قلبًا من النهار لأنه لا تعرض له حوائج ولا شيء. وقال الحسن: أشد

وطأ فى الخير، وأمنع من الشيطان.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ وأصوب قراءة، وعبادة الليل أشد نشاطًا وأتم إخلاصًا، وأكثر بركة.

❖ ❖ ❖

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ۝﴾

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ فى حوائجك. وأصل السبح سرعة الذهاب، ومنه السباحة فى الماء، وفرس سابح شديد الجرى قال الشاعر:

أباحوا لكم شرق البلاد وغربها ففيها لكم يا صاح سبح من السبح

وقرأ يحيى بن يعمر سبخًا بالخاء المعجمة أراد خفة وسعة واستراحة، ومنه قول النبى ﷺ لعائشة رضى الله عنها، وقد دعت على سارق قد سرقها: «لا تسبخى بدعائك عليه». أى لا تخففى. والتسبيخ توسيع القطن والصوف، وتنفيشهما يقال للمرأة سبخى قطنك. ويقال لقطع القطن إذا نُدِفَ سبائخ.

وقال الأخطل يصف القناص والكلاب:

فأرسلوهن يذرين التراب كما يذرى سبائخ قطن ندف أوتار

قال ثعلب: السَّبْحُ التردد والاضطراب، والسَّبْخُ السكون، ومنه قول النبى ﷺ: «الحمى من قيح جهنم فسبخوها بالماء». أى سكنوها.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد، والتعظيم. وقال سهل بن عبد الله: اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فى ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها إلى ربك، وتقطعك من كل ما سواه.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ قال ابن عباس: وأكثر الناس أخلص إليه إخلاصًا. وقال الحسن: اجتهد. وقال ابن زيد: تفرغ لعبادته. وقال شقيق: توكل عليه توكلاً.

سمعت محمد بن الحسن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال ابن عطاء: انقطع إليه انقطاعًا. وهو الأصل فى هذا الباب يقال: بتلت الشيء قطعته، وصدقة بتة بتلة أى بائنة مقطوعة من صاحبها لا سبيل له عليها ودارٌ تبتل أى منقطعة عن الدور، وقال امرؤ القيس:

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل

ونهى رسول الله ﷺ عن التبتل. ومنه قيل لمريم العذراء عليها السلام البتول.

وقال القاسم اتصل به اتصالاً ما رجع مع رجع إلاّ من الطريق، وما وصل إليه أحد فرجع عنه، وقال محمد بن على: ارفع اليدين فى الصلاة وقال زيد بن أسلم: التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ قرأ أهل الحجاز، وأبو عمرو، وأيوب، وحفص برفع الباء على الابتداء، وقيل: على إضمار هو. وقرأ الباقون: بالخفض على نعت الرب فى قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ الآية. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ قيمًا بأمورك ففوضها إليه. ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ نسختها آية القتال[1].

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد إسحاق السُّنى أخبرنا حامد بن شعيب أخبرنا شريح بن يونس أخبرنا سعيد بن محمد الوراق عن الأحوص بن حكيم عن أبيه، وعن أبى الزاهرية: أن أبا الدرداء قال: إنّا لنكشر فى وجوه أقوام، ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم أو لتلعنهم.

﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ نزلت فى صناديد قريش المكذبين المستهزئين. وقال مقاتل بن حيان: نزلت فى المطعمين وهم عشرة، ذكرناهم فى الأنفال. ﴿ٱلنَّعْمَةِ﴾

(١) سبق أن تكلمنا عن الناسخ والمنسوخ واختلاف أقوال العلماء فى القول به ورفضه.

التنعم، والنعمة المروءة والمنة أيضًا، والنُّعمة بضم النون الميسرة، يقال: نُعْمٌ، ونُعْمَة عين ونُعمى عين.

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ﴾ عندنا في الآخرة. ﴿أَنكَالٗا﴾ قيودًا ثقالاً عظامًا لا تنفك أبدًا، واحدها نكل. قال الشعبي: ترون أن الله تعالى لم يجعل الأنكال في أرجل أهل النار لأنه خشي أن يفروا منه، ولكن أراد إذْ أرادوا أن يرفعوا استثقلت بهم(١).

﴿وَجَحِيمٗا ۝ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين، والزّقوم، والضريع. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمٗا﴾.

أخبرني عقيل بن محمد الفقيه أن أبا الفرج البغدادي أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا أبو كريب أخبرنا وكيع عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين: أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ۝ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ فصعق(٢).

وأخبرنا ابن فنجويه الدينوري أخبرنا أحمد بن الحسن حدثنا ابن ماجه أخبرنا الحسن بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبي زياد أخبرنا سيار أخبرنا صالح المُرّي أخبرنا خالد بن حسّان قال أمسى عندنا الحسن وأمسى صائمًا فأتيته بطعام فعرضت له هذه الآية: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ۝ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا﴾. فقال: ارفع الطعام، فلما كانت الليلة الثانية أتيناه بطعام، فعرضت له هذه الآية، فقال: ارفعوه، فلما كانت الليلة الثالثة أتيته بطعام فعرضت له هذه الآية، فقال ارفعوا؛ فانطلق ابنه إلى ثابت البناني، ويزيد الضبي ويحيى البكاء، فحدثهم بحديثه فجاءوا معه، فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق. قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ أي تتحرك وتضطرب بمن عليها. ﴿وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا﴾ وهو الرمل المجتمع. ﴿مَّهِيلًا﴾ سائلاً متناثرًا إذا مسسته تتابع، وأصله مهيول، وهو مقول من قول القائل هلت الرمل فأنا أهيله، وذلك إذا حركت أسفله فانهال عليه من أعلاه. يقال: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول، ومعين ومعيون. قال النبي ﷺ لأصحابه وهم يشكون الجُدوبة: «أتكيلون أم تهيلون»؟

قالوا: نهيل. قال: «كيلوا ولا تهيلوا» قال الشاعر:

❖ وأخال أنك سيد معيون ❖

---

(١) هذا تفسير إما أنه أصابه سقط أو خلل في تراكيب عباراته أو سهو من قائله حيث لا يليق مثل هذا في جانب الله تعالى حاشاه.

(٢) هذا خبر لا يصح وفي إسناده حمران ابن أعين وقد ضعفوه ووصفوه بالرفض والتشيع.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ صعبًا شديدًا ثقيلاً، ومنه يقال: كلأ مُستَوبَل، وطعام مُستَوبَل إذا لم يستثمر، ومنه الوبال. وقالت الخنساء:

لقد أكَلَت بجيلة يوم لاقت فوارس مالك أكْلاً وبيلا

وتقول العرب: لقد أوبل عليه الشراء أى توبع.

قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ﴾ أى فكيف لكم بالتقوى فى يوم القيامة إذا كفرتم فى الدنيا يعنى لا سبيل لكم إلى التقوى ولا تنفعكم التقوى إذا وافيتم يوم القيامة.

وقيل: معناه فكيف تتقون عذاب يوم القيامة وكيف تنجون منه إذا كفرتم. وقرأ ابن مسعود، وعطية: فكيف تتقون يومًا يجعل الولدان شيبًا إن كفرتم.

وقرأ أبو السماك العدوى: فكيف تتقون، بكسر النون على الإضافة.

﴿يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ﴾ الصبيان. ﴿شِيبًا﴾ شُمطًا من هوله وشدته، وذلك حين يقال لآدم عليه السلام: قم فابعث بعث النار من ذريتك.

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن أخبرنا محمد بن الحسن بن بشر أخبرنا أبو بكر بن أبى الخصيب حدثنى محمد بن غالب قال سمعت عثمان بن الهيثم يقول: مررت بابن السرى وهو قائم فى الطريق فسأله إنسان ﴿يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ قال: هم أولاد الزنا. وقيل: أولاد المشركين.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ﴾ متفلق متشقق. ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة أو هذه الآيات. ﴿تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ بالإيمان والطاعة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ﴾ أقرب. ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ وروى هشام عن أهل الشام: ﴿ثُلۡثَيِ﴾ ساكنة اللام غير مشبع ﴿وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ نصبها أهل مكة، والكوفة على معنى وتقوم نصفه، وثلثه، وخفضها الباقون عطفًا على ثلثى. ﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ أيضًا يقومونه.

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ تطيقوا قيام الليل ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ فتجاوز عنكم ورجع لكم إلى التخفيف عليكم ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ قال السُّدى: مائة آية. وقال الحسن: من قرأ فى ليلة مائة آية، كتب فى القائمين[١]. وقال سعيد: خمسون آية، وروى الربيع بن زيد عن الحسن ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ قال: يعنى فى صلاة المغرب والعشاء.

(١) فى الهامش: «القانتين».

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فسوى بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعلى العيال والإحسان والإفضال.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن سلمة الختلى أخبرنا أبو بكر بن عبد الخالق أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج حدثنى أبو الفتح قال: قال أبو نصر بشر بن الحارث حدثنا المعافى ابن عمران، وعيسى بن يونس عن فرقد السبخى عن إبراهيم بن مسعود قال: أيما رجل جلب شيئًا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسبًا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهيد، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة أخبرنا عبد الحميد بن صالح أخبرنا أبو عقيل عن القاسم ابن عبيد الله عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يقول: ما خلق الله تعالى موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب إلىّ من أن أموت بين شعبتى رحل أضرب به فى الأرض أبتغى من فضل الله.

﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ سمعت محمد بن الحسن - يعنى السلمى - يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندرانى يقول: سمعت أبا جعفر الملطى يقول: سمعت على بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عليه السلام فى هذه الآية قال: ما تيسر لكم فيه خشوع القلب وصفاء السر.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ من الشح والتقصير. ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من ذلكم الذى قدمتموه لو لم تكونوا قدمتموه. ونصب ﴿خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ على المفعول الثانى متصل فى قول البصريين. وعماد فى قول الكوفيين لا محل له من الإعراب. ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.



سُورَةُ المُدَّثِّر

مكية، وهى ألف وعشرة أحرف،
ومائتان وخمس وخمسون كلمة وست وخمسون آية

أخبرنا محمد بن القاسم بن أحمد أخبرنا عبد الله بن أحمد بن جعفر أخبرنا أبو عمرو الجيزى وعمرو بن عبد الله البصرى قالا: حدثنا محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يوسف أخبرنا سلام بن سليم ابن سليمان أخبرنا هارون بن كثير عن ابن أسلم عن أبيه عن أبى أُمامة عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: سورة المدثر أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صَدَّق بمحمد ﷺ وكذب به بمكة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أى المدثر فى قطيفة. أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق الإسفرائينى بها أخبرنا أبو عمران موسى بن العباس الأرادوَارى بها أخبرنا العباس بن الوليد بن مروان بن مزيد البيروتى ببيروت أخبرنا أبى أخبرنا أبو عمرو الأوزاعى أخبرنا أبو نصر يحيى بن أبى كثير العطار اليمانى قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن: أى القرآن أنزل قبل؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. قلت: أو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق: ١)؟ قال: سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل قبل؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى نَزَلْتُ فاستبطنت الوادى فنوديت فنظرت بين يدى وخلفى، وعن يمينى، وعن شمالى فلم أر شيئًا، ثم نظرت إلى السماء، فإذا هو على العرش فى الهواء فأخذتنى وحشة، فأمرتهم فدثرونى، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ حتى بلغ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾».

أخبرنا عبد الملك بن الحسن بإسفرائين أخبرنا أبو عمران موسى بن العباس أخبرنا جعفر بن عامر البغدادى أخبرنا سعد أبو محمد أخبرنا شيبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن

عبد الرحمن أخبرنى جابر بن عبد الله: أن أول شىء نزل من القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. وقال جابر: آخر ما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول[١]: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى أقبلت فى بطن الوادى فنادانى مناد، فنظرت عن يمينى، وشمالى، وأمامى وخلفى، فلم أر شيئًا، ثم نادانى، فنظرت فوقى فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض فجثيت[٢] منه فرقًا، فأقبلت إلى خديجة فقلت: دثرونى، وصبوا علىَّ ماءً باردًا فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾».

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا محمد بن جعفر ابن يزيد الصيرفى أخبرنا على بن حرب الموصلى أخبرنا عبد الله[٣] بن يحيى العوفى عن يونس عن الزهرى قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول: أخبرنى جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «فتر عَلَىَّ الوحى مرّة، فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى أتانى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض، فجثيت منه فَرَقًا حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلى، فقلت: زملونى، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ الآيات ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال عكرمة: سُئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: معناها: لا تلبسنها على معصية ولا على غدرة، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى:

وإنى بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول للرجل إذا وَفّى وصدق: إنه طاهر الثياب، وإذا غدرً ونكث: إنه لدنس الثياب.

وقال أُبى بن كعب: لا تلبسها على عجب، ولا على ظلم، (ولا)[٤] على غدر، ولا على إثم البسها وأنت برّ طاهر. وقال إبراهيم، وقتادة، والضحاك، والشعبى والزهرى، ويمان: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ من الذنب، والإثم، والمعصية. وقال أهل المعانى: أراد طهر نفسك عن الذنوب فَكَنَّى عن الجسم بالثياب لأنها تشتمل عليه كقول عنترة:

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

أى نفسه، وقال آخر:

---

(١) جاء بهامش المخطوط تصحيح لهذه العبارة أو ما هو فى نسخة أخرى مع الناسخ ما نصه: أخبرك بما سمعت من النبى ﷺ.

(٢) فى هامش المخطوط ما أحسبه كان به خطأ فصوبه الناسخ وهو: «فجيثت».

(٣) كذا فى متن المخطوط، وفوقه لفظ: «الرحمن».

(٤) زيادة يتطلبها السياق.

ثياب بنى عوف طهارى نقية   وأوجههم بيض المسافر غُرَّان

أى أنفس بنى عوف .

قال السدى : يقال للرجل إذا كان صالحًا إنه طاهر الثياب ، وإذا كان فاجرًا إنه لخبيث الثياب ، قال الشاعر :

لا هم إن عــامر بن جهم   أُوْذَمَ(١) حَجًا فى ثياب دُسم

يعنى أنه مدنس بالخطايا .

قال أبو رويق عن الضحاك : وعملك فأصلح . وهى رواية فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد .

وقال سعيد بن جبير : وقلبك ونيتك فطهّر ، ودليل هذا التأويل قول امرئ القيس :

وإن كنت قد شانك منى خليقة   فسُلى ثيابك من ثيــابى تنسلى

أى قلبى من قلبك .

وقال الحسن ، والقرظى : وخُلقك فحَسِّن ، ودليلهما قول الشاعر :

ويحيا لا يلام بسوء خلق   ويحيا طـاهر الأثواب حُرُّ

أى حسن الأخلاق .

وقال عطية عن ابن عباس : لا يكن ثيابك التى تلبس من مكسب غير طاهر . وقال ابن سيرين ، وابن زيد : نق ثيابك واغسلها بالماء ، وطهرها من النجاسة ، وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون ، فأمره بتطهير ثيابه(٢) .

قال الفراء : وسمعت بعضهم يقول : طهرها بالأشنان وقال طاوس : وثيابك فقصر ، وشمره لأن تقصير الثياب طهرةٌ لنا .

وقيل : وأهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ ، والتأديب ، والعرب تسمى الأهل ثوبًا ولباسًا وإزارًا ، وقد مضى ذكره . وقال يحيى بن معاذ : طهر قلبك من مرض الخطايا وأشغال الدنيا ، تجد حلاوة العبادة فإن من لم يصُن الجسم لا يجد شهوة الطعام . وقيل : طهر قلبك عما سوى الله .

قوله تعالى : ﴿وَٱلرُّجْزَ(٣) فَٱهْجُرْ﴾ قرأ الحسن ، وعكرمة ، ومجاهد ، وحميد ، وأبو جعفر ،

---

(١) جاء بهامش المخطوط تعليق على الكلمة نصه : يقال : أوْذَمَ بالذال المعجمة إذا أوجب على نفسه .

(٢) جاء بهامش المخطوط تعديل لتلك العبارة وهو : أن يتطهر ويطهر ثيابه ، وربما أن هذا فى نسخة أخرى كنت بيد الناسخ رحمنا الله وإياه آمين .

(٣) الرسم فى المخطوط بالكسر ، ورسمت ما فى مصحف حفص المطبوع .

وشيبة، ويعقوب: ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ بضم الراء، ومثله روى المفضل وحفص عن عاصم. واختاره أبو حاتم. وقرأ الباقون: بكسر الراء. واختاره أبو عبيد قال لأنها أفشى اللغتين وأكثرهما، وهما لغتان بمعنى واحد.

قال ابن عباس: اترك المأثم وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهرى، وابن زيد: والأوثان فاهجر، ولا تقربها. وهى رواية الوالبى عن ابن عباس. وقيل: الزاى فيه منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين الزاى والسين لقرب مخرجيهما. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ (الحج: ٣٠).

وقال أبو العالية، والربيع: ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ بضم الراء: الصنم، وبالكسر: النجاسة، والمعصية. وقال الضحاك: يعنى الشرك، وقال ابن كيسان يعنى الشيطان وقال الكلبى: يعنى العذاب. ومجاز الآية: اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال. وقيل أسقط حب الدنيا عن قلبك فإنه رأس كل خطيئة. وقيل: ونفسك فخالفها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن﴾ قراءة العامة بإظهار التضعيف. وقرأ أبو السماك العدوى: (ولا تَمُنَّ) مدغمة مفتوحة مؤكدة. ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ قراءة الحسن بالجزم على جواب النهى، وهو ردىء لأنه ليس بجواب.

وقرأ الأعمش بالنصب على توهم لام كى. كأنه قال: لتستكثر. وقرأ الآخرون بالرفع. واختلفوا فى معنى الآية: فقال أكثر المفسرين: فلا تعط شيئًا لتُعْطَى أكثر منه، وقال قتادة: لا تعط شيئًا طمعًا لمجازاة الدنيا ومقارضتها[1]. وقال القرظى: لا تعط مالك مصانعة. وقال الضحاك ومجاهد: كان هذا للنبى ﷺ خاصة. وقال الضحاك: هما رِباءان[2] حلال وحرام، فأما الحلال: فالهدايا، وأما الحرام فالربا.

وقال الحسن: ولا تمنن على الله بعملك فتستكثره. وقال الربيع: لا يكثرن عملك فى عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل. وقال ابن كيسان: لا تستكثر عملك فتراه من نفسك، إنما عملك منَّةٌ مَنَّ الله تعالى عليك إذ جعل الله لك سبيلاً إلى عبادته فعليك بذاك الشكر إذ هداك له وقال خصيف عن مجاهد: ولا تضعف أن تستكثر من الخير، من قولهم: حبل مَنِين إذا كان ضعيفًا.

ودليله قراءة ابن مسعود: ولا تمنن أن تستكثر. وقال ابن زيد معناه: لا تمنن بالنبوة على

(١) كذا فى المتن، وذكر الناسخ فى هامش المخطوط بدل منها: ومعاوضتها.

(٢) كذا فى متن المخطوط: وكتب الناسخ فى الهامش: صوابه: ربوات.

الناس فتأخذ عليها منهم أجرًا أو عرضًا من الدنيا. ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ قال زيد بن أسلم: إذا أعطيت عطية فأعطها لربك واصبر حتى يكون هو الذى يثيبك عليها. وقال مجاهد: واصبر لله على ما أوذيت. وقال ابن زيد: حملت أمرًا عظيمًا، محاربة العرب ثم العجم، فاصبر عليه لله. وقيل: على أوامر الله ونواهيه. وقيل: فاصبر على موارد القضاء لأجل الله عز وجل. وقيل: فارق الملامة والسآمة. وقيل: فاصبر على البلوى فإنه يمتحن أحباءه وأصفياءه.

❖ ❖ ❖

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴿١٠﴾ ذَرۡنِى وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ أى نفخ فى الصور.

حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدى أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد المحفوظى أخبرنا عبد الله بن هشام أخبرنا أسباط بن محمد القرشى عن مطرف عن عطية عن ابن عباس فى قول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ» فقال أصحاب رسول الله ﷺ كيف نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا» ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾.

أخبرنا أبو جعفر الهوناباذى الخلفانى أخبرنا أبو العباس أحمد بن هارون الفقيه أخبرنا عمران بن موسى أخبرنا هدية بن خالد القيسى أخبرنا أبو حبان القصاب قال:

أمَّنا زُرارة بن أوفى، فلما بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ الآية، خرَّ ميتا.

قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ أى خلقته فى بطن أمه وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد. نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى. قال ابن عباس: وكان يسمى الوحيد فى قومه.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ أى كثيراً. وقيل: هو يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة. واختلفوا فى مبلغه: فقال مجاهد، وسعيد بن جبير: ألف دينار. وقال قتادة: أربعة آلاف دينار. وقال سفيان الثورى: ألف ألف دينار. وقال النعمان بن سالم: كان ماله أرضًا. وقال ابن عباس: تسعة آلاف مثقال فضة. وقال مقاتل: كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاءً ولا صيفًا. دليله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ (الواقعة: ٣٠).

وروى ابن جريج عن عطاء عن عمر فى قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ قال: غلة شهر بشهر.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ حضروا معه مكة لا يغيبون عنه؛ قال سعيد بن جبير: كانوا ثلاثة عشر ولداً. وقال مجاهد وقتادة: كانوا عشرة. وقال مقاتل: كانوا سبعة كلهم رجال، وهم: الوليد ابن الوليد، وخالد بن الوليد، وعمارة بن الوليد، وهشام بن الوليد، والعاص بن الوليد، وقيس بن الوليد، وعبد شمس بن الوليد، أسلم منهم ثلاثة: خالد، وهشام، وعمارة قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله وولده حتى هلك.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ أى بسطت له فى العيش بسطًا[1]. وقال ابن عباس: يعنى المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾ يرجو ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾ مالاً وولداً وتمهيداً فى الدنيا. ﴿كَلَّآ﴾ قطع الرجاء عما كان يطمع فيه متصلاً بالكلام الأول. وقيل: قسم، أى حق ويكون ابتداء.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ معانداً. ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن حفص بن حمدان بن عبد الله أخبرنا أبو عامر حامد بن سعدان أخبرنا أحمد بن صالح أخبرنا عبد الله بن وهب قال أخبرنى عمرو عن درّاج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: الصعود الجبل من النار يتصعد فيه سبعين خريفًا ثم تهوى فى ذلك أبدًا.

(١) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: بسطًا وهو الأرجح والأولى.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عمر بن الخطاب[١] أخبرنا عبد الله بن الفضل أخبرنا منجاب بن الحارث أخبرنا شريك عن عمار الدهْنى عن عطية عن أبى سعيد عن النبى ﷺ ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: «هو جبل من النار يكلف أن يصعد فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت».

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ الآيات وذلك أن الله تعالى لما أنزل على النبى ﷺ: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ إلى قوله ﴿هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (غافر: ١-٣) قام النبى ﷺ فى المسجد والوليد بن المغيرة فى المسجد قريبًا منه يسمع قراءته فلما فطن النبى ﷺ لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد ﷺ آنفا كلامًا فما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوه، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق فإنه ليعلو ولا يُعلى.

ثم انصرف إلى منزله. فقالت قريش: صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلها. وكان يقال للوليد ريحانة قريش. فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه، فانطلق وقعد إلى جنب الوليد حزينًا. فقال له الوليد: ما لى أراك حزينًا يا ابن أخى؟

فقال: ما يمنعنى أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد ﷺ، وتدخل على ابن أبى كبشة وابن أبى قحافة لتنال من فضل طعامهم، فغضب الوليد وقال: ألم تعلم قريش أنى من أكثرهم مالاً وولدًا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يحنق قط؟ فقالوا: اللهم، لا. قال: تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن؟ قالوا: اللهم لا. قال: تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه قط ينطق بشعر؟ قالوا: اللهم لا. قال: تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئًا من الكذب؟ قالوا: لا، وكان رسول الله ﷺ يُسَمّى الأمين قبل النبوة من صدقه. فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر فى نفسه، ثم نظر، وعبس. فقال: ما هو إلاّ ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، فهو ساحر، وما يقوله سحر يؤثر، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ فى محمد ﷺ والقرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ فى نفسه ماذا يمكنه أن يقول فيهما؟ ﴿فَقُتِلَ﴾ لعن. وقال الزهرى: عُذِّب. ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ. ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ كلح. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ﴾ ما هذا الذى يقرأه محمد. ﴿إِلَّا سِحْرٌ

(١) هو محدث، وليس بالصحابى المشهور أمير المؤمنين.

﴿يُؤْثَرُ﴾ يروى ويُحكى.

﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ يعنى يساراً وجَبْراً فهو يأثره عنهما. وقيل: يرويه عن مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة. وقيل: يرويه عن أهل بابل.

﴿سَأُصْلِيهِ﴾ سأُدخله. ﴿سَقَرَ﴾ لم يصرفه لأنه اسم من أسماء جهنم.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا أبو على بن حامد ابن سعدان أخبرنا أحمد بن صالح، أخبرنا وهب أخبرنا عمرو أن أبا السمح أخبره عن أبى جحيرة عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربه عز وجل فقال: أى عبادك أفقر؟ قال: صاحب سقر».

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ فيها شيئًا إلاّ أكلته وأهلكته. وقال مجاهد: فلا تميت ولا تحيى، يعنى أنها لا تبقى من فيها حيًا، ولا تذر من فيها ميتًا ولكنها تحرقهم[1] كلما جدد خلقهم. قال السدى: لا تبقى لهم لحمًا، ولا تذر لهم عظمًا. وقال الضحاك إذا أَخذت فيهم لم تبق منهم شيئًا، وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم، ولكل شيء فترةٌ وملالَةٌ إلا لجهنم.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ مغيرة للجلود. تقول العرب: لاحته الشمس، ولوحته.

قال الشاعر:

❖ تقول متى لاحنى السمائم ❖

قال رؤبة:

لُوح منه بعـــد بدن وسبــق تلويحك الضامر يطوى السبق

قال مجاهد: تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل. وقال ابن عباس وزيد بن أسلم: محرقة للجلد. وقال الحسن، وابن كيسان: يعنى تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا نظيره قوله عز وجل: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (الشعراء: ٩١) ولَوَّاحَةٌ رفع على نعت سَقَر فى قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾. وقرأ عطية العوفى: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ بالنصب والبَشَر جمع بشرةٍ وجمع البَشَر أبشَار.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الخزنة. ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر صنفًا، ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر صفًا. ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر نقيبًا. ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر مَلَكًا بأعيانهم وعلى هذا أكثر المفسرين، ولا يستنكر هذا. فإن كان ملك واحد يقبض أرواح جميع

(١) كذا فى متن المخطوط، وكتب الناسخ بهامشه: تمزقهم.

الخلق كان أحرى أن تكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلق (أيسر وأهون)[١].

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن لؤلؤ أخبرنا الهيثم بن خلف أخبرنا أحمد بن إبراهيم أخبرنا الحجاج عن ابن جريج قال: حُدِّثت حديثًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه نعت خزنة النار فقال: «كأن أعينهم البرق، وكأن أفواههم الصَّياصى يجرون أشعارهم، لأحدهم مثلى قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة، على رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم»[٢].

وقال عمرو بن دينار: إن واحداً منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم أكثر من ربيعة ومضر. قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أسمع بن أبى كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدُّهم - أى الشجعان - أفتعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم. فقال أبو الأسد بن كلدة ابن خلف ابن أسد الجمحى: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهرى، وسبعة على بطنى، فاكفونى أنتم اثنين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾ لا رجالاً آدميين فمن ذا يغلب الملائكة؟! ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ عددهم. ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لتكذيبهم بذلك، قول بعضهم أنا أكفيكموهم ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ لأنه مكتوب فى التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ﴾ يشك. ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق، قاله أكثر المفسرين. وقال الحسين بن فضل: هذه السورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق البتة، فالمرض فى هذه الآية الخلاف لا النفاق.

﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ﴾ إنما قاله مشركو مكة ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ جموع. ﴿إِلَّا هُوَ ۚ﴾ قال مقاتل: هذا جواب أبى جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلاّ تسعة عشر؟!

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن أخبرنا عمر بن أحمد بن القاسم أخبرنا محمد بن أحمد ابن الصباح أخبرنا محمد بن عبيد الوراق أخبرنا أبو محذورة أخبرنا حسين بن الحسن الأشقر أخبرنا هاشم عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقسم

---

(١) زيادة يتطلبها سياق الكلام وليس هذا يدل على تصديقى للكلام أو موافقتى عليه إنما هذا مقتضى إتمام الكلام، أما قولى ورأيى فإن الله أعلم بمراده، وما يعلم جند ربك ولا ملائكته إلا هو سبحانه وتعالى.

(٢) هذا خبر لا يصح إسناداً ومتنه فى غاية النكارة، وإنما نؤمن بما أعلمنا ربنا عن ملائكته ولا نفكر فيما وراء ذلك حيث لم نكلفه، ولا فائدة لنا فيه.

غنائم حنين وجبريل إلى جنبه فأتاه ملك فقال: إن ربك يأمرك بكذا وكذا؛ فخشى رسول الله ﷺ أن يكون شيطانًا، فقال: «يا جبريل تعرفه»؟ فقال: هو ملك، وما كل ملائكة ربك أعرفه.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد بن محمد بن شيبة أخبرنا عبيد بن مرداس أخبرنا سلمة ابن شبيب أخبرنا عبد القدوس قال سمعت الأوزاعي يقول: قال موسى عليه السلام يا رب من معك في السماء؟ قال ملائكتي. قال كم عددهم يا رب؟

قال: اثنا عشر سبطًا. قال: كم عدد كل سبط؟ قال: عدد التراب.

﴿وَمَا هِيَ﴾ يعني النار. ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ عظة الناس.



﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي ولى ذاهبًا. واختلف القراء فيه: فقرأ ابن محيصن، ونافع، وحمزة، وخلف ويعقوب، وحفص ﴿إِذْ﴾ بغير ألف ﴿أَدْبَرَ﴾ بالألف. (وقرأ)[1] غيرهم ضده، واختاره أبو عبيدة قال: لأنها أشد موافقة للحرف الذي يليه، ألا تراه قال: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ فكيف يكون في أحدهما ﴿إِذَا﴾، وفي الأخرى ﴿إِذْ﴾، وأبو حاتم قال: لأنه ليس في القرآن قسم يجيبه إذ، وإنما الأقسام يجيبها إذا.

قال قطرب: من قرأ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ يريد أقبل من قول العرب: دَبَر فلان أي جاء خلفي

(١) زيادة يتطلبها السياق.

فكأنه دبر خلف النهار. قال أبو الضحى: كان ابن عباس يعيب على من يقرأ: دَبَرَ، ويقول: إنما يَدْبر ظهر البعير.

وقال الفراء: هما لغتان: دَبَر، وأدبر، قال الشاعر:

صدعت غزالة قلبه بفوارس   تركت مسامعه كأمس الدابر

وقال أبو عمرو: دَبَر لغة قريش.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ قراءة العامة بالألف أى أضاء وأقبل وقرأ ابن السميقع، وعيسى بن الفضل: سَفَر بغير ألف، وهما لغتان: يقال: سَفَرَ وجه فلان، وأسفر، إذا أضاء، ويجوز أن يكون من قولهم: سفرت المرأة إذا ألقت خمارها عن وجهها. ويحتمل أن يكون معناه: نفى الظلام كما يسفر البيت أى يكنس، ويقال للمكنسة المسفرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ يعنى أن سقر لإحدى الأمور العظام وواحد الكُبر: كبرى ﴿نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ﴾ يعنى أن النار نذير. قال الحسن: والله ما أنذر الله بشىء أدهى منها. وهو نصب على القطع من قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ لأنها معرفة، و﴿نَذِيرًا﴾ نكرة.

قال الخليل: النذير مصدر كالنكير، فلذلك وصف بها المؤنث. وقيل: هو من صفة الله تعالى. مجازه: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴿نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ﴾ أى إنذاراً لهم، قال أبو رزين يقول الله تعالى: أنا لكم منها نذير فاتقوها. وقيل: هو صفة محمد ﷺ. ومعنى الكلام: يا أيها النذير قم نذيراً للبشر، فأنذر. وهو معنى قول ابن زيد. وقرأ إبراهيم بن أبى عبلة: نذيرٌ بالرفع على إضمار هو.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ فى الخير والطاعة. ﴿أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ عنها بالشر والمعصية. نظيره، ودليله قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ﴾ (الحجر: ٢٤) يعنى فى الخير ﴿مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾ (الحجر: ٢٤) عنه. قال الحسن: وهذا وعيد لهم كقوله ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ (الكهف: ٢٩) يعنى أنه نذير لهما جميعًا. ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ مرتهنة بكسبها مأخوذة بعملها. قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ فإنهم لا يحاسبون ولا يرتهنون بذنوبهم، ولكن يغفرها الله تعالى لهم ويتجاوزها عنهم كما وعدهم. قال قتادة: غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين. واختلفوا فيهم:

فأخبرنا ابن فنجويه قال: أخبرنا ابن البواب، أخبرنا رضوان بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى اليقظان عن زاذان عن على بن أبى طالب عليه السلام فى قوله: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ . قال: هم أطفال المسلمين.

يدل عليه ما أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا حسن المقرئ أخبرنا البغوى أخبرنا على بن جعد أخبرنا أبو عقيل عن بهية عن عائشة رضى الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن ولدان المؤمنين أين هم؟ قال: «فى الجنة» قالت وسألته عن ولدان المشركين، قال: «فإن شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار».

وقال أبو ظبيان عن ابن عباس: هم الملائكة. وروى أبو حمزة الثمالى عن أبى جعفر الباقر قال: نحن وشيعتنا أصحاب اليمين. وقال مقاتل: هم أهل الجنة الذين كانوا على يمين آدم عليه السلام يوم المشاق حين قال لهم الله تعالى: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى.

وقال الحسن: هم المسلمون المخلصون. وعنه أيضًا: هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم. وقال ابن كيسان: هم المؤمنون الصالحون ليسوا بمرتهنين لأنهم أدوا ما كان عليهم. وقال يمان: هم الذين افتكوا رهونهم. وقال الحكيم: هم الذين اختارهم الله تعالى لخدمته، فلم يدخلهم فى الرهن لأنهم خُدَّام الله وصفوته، وكسبهم لم يضرهم. وقال القاسم: كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلاّ من اعتمد الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة، فكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به، ومن اعتمد على الفضل، فإنه غير مأخوذ.

وسمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا بكر الرازى يقول: سمعت أبا عمرو البخارى يقول فى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ قال: فأين الفرار من القدر؟ وكيف الفرار على الخطر.

﴿فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين. ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أدخلكم. ﴿فِى سَقَرَ۝ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ فى الباطل. ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ يعنى الموقن به وهو الموت.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ قال عبد الله بن مسعود: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء، والصالحون، وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار إلاّ أربعة. ثم تلا ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ قال الحسن: كنا نحدث أن الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حماد أخبرنا ثابت عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الرجل من أهل الجنة يوم القيامة أى رب عبدك فلان سقانى شربة فى الدنيا فشفعنى فيه، فيقول اذهب فأخرجه من النار، فيذهب فيتجسس النار حتى يخرجه منها».

وبإسناده عن حماد عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق عن رجل من بني تميم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليشفعن رجل من أمتى لأكثر من بنى تميم».

أخبرنا الحسن بن محمد الثقفى أخبرنا عمر بن نوح البلخى أخبرنا أحمد بن محمد بن شاهين أخبرنا عبد الله بن عمر أخبرنا أبو معاوية أخبرنا داود بن أبى هند عن عبد الله بن قيس الأسدى عن الحارث بن يعيش قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أمتى من سيُدخل الله بشفاعته الجنة أكثر من مُضَر».

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ نصب على الحال. وقيل: صاروا معرضين ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ جمع حمار. ﴿مُّسْتَنفَرَةٌ﴾ قرأ أهل المدينة والشام، وأيوب بفتح التاء، أى منفرة مذعورة، ومثله روى الفضل عن عاصم، واختاره أبو عبيد، وقرأ الآخرون بالكسر أى نافرة، يقال نفرت، واستنفرت بمعنى واحد. وأنشد الفراء:

أمسك حمارك إنه مستنفر فى أثر أحمرة عمدن لغُرَّب

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن محمد بن شنبه أخبرنا أبو حامد المَستملى أخبرنا محمد بن حاتم الزمى أخبرنا محمد ابن سلاّم الجمحى قال: سألت أبا ضرار الغنوى، وكان أعرابيًا فصيحًا قارئًا للقرآن فقلت: ﴿حُمُرٌ﴾ ماذا؟ قال: (حمر مستنْفَرة) طردها قسورة. قلت: إنما فرت من قسورة. قال: أفرت؟ قلت: نعم. قال: فمستنْفَرة.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ اختلفوا فيه: فقال مجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن كيسان: هم الرماةُ، وهى رواية عطية عن ابن عباس، وابن ظبيان عن أبى موسى الأشعرى. وقال سعيد ابن جبير: هم القناص، وهى رواية عطية عن ابن عباس.

وأخبرنا الحسن بن محمد بن فنجويه أخبرنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى أخبرنا محمد بن أيوب أخبرنا أبو بكر بن أبى شيبة أخبرنا وكيع عن شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ قال: عُصب الرجال.

وأنبأنى عقيل بن محمد أخبرنا المعافى بن زكريا أخبرنا محمد بن جرير أخبرنا ابن المثنى حدثنى عبد الصمد بن عبد الوارث قال سمعت أبى يحدث قال جدى قال داود حدثنى عباس بن عبد الرحمن مولى بنى هاشم قال سئل ابن عباس عن القسورة. فقال: هى جمع الرجال، ألم تسمع إلى ما قالت فلانة فى الجاهلية:

يا بنت كونى خيرة لخيرة أخوالها الحى وأهلها القسورة

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا محمد بن عمران أخبرنا أبو عبد الله المخزومى

أخبرنا سفيان ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس فى قوله عز وجل: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ . قال: هى ركن من الناس.

وأخبرنا ابن فنجويه، أخبرنا ابن حبش المقرى أخبرنا أبو يعلى الموصلى أخبرنا يحيى بن معين أخبرنا عبد الرحمن بن مهدى عن إسماعيل بن مسلم العبدى عن أبى المتوكل فى قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ . قال: هو لغط القوم. وقال أبو هريرة: هى الأُسد.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا ابن ماهان أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا عماد بن سلمة عن على بن زيد عن سليمان بن قنة عن ابن عباس: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ .

قال: هو بلسان العرب الأسد، وبلسان الحبشة القسورة، وبلسان الفرس شير، وبلسان النبط أزيا، وقيل: هو فعولة من القسر، وهو القهر، سُمِّىَ بذلك لأنه يقهر السباع كلها.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن على الصوفى أخبرنا محمد بن صالح بن دريد أخبرنا جبارة بن مغلس أخبرنا عبد الأعلى بن أبى المساور عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله عز وجل: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ قال: حبال الصيادين. وقال عكرمة: من ظلمة الليل. ويقال: هى سواد أول الليل، ولا يقال لسواد آخر الليل قسورة. وقال زيد بن أسلم: أى من رجال أقوياء. وكل ضخم شديد عند العرب فهو قسورة. قال لبيد:

إذا ما هتفنا هتفة فى نادينا ... أتانا الرجال العائدون القساور

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن سرك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان، وفلان من رب العالمين نؤمر فيه باتباعك نظيره: قوله تعالى: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ (الإسراء: ٩٣). وقال زاذان عن ابن عباس يقول: كان المشركون يقولون: إن كان محمد ﷺ صادقًا فليضع عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار. قال مطر الوراق: كانوا يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل. وقال الكلبى: إن المشركين قالوا يا محمد، بلغنا أن الرجل من بنى إسرائيل كان يصبح مكتوبًا عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك فكرهه رسول الله ﷺ، وأنزل الله تعالى هذه الآية. قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ليس كما تقولون وتريدون. وقيل: حقًا، وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه. ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُۥ﴾ يعنى القرآن. ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ وليس بسحر. ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالتاء، نافع، ويعقوب وغيرهما بالياء. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أى أهل أن تُتقى محارمه. وأهل أن يغفر لمن اتقاه.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عمر بن الخطاب[١] أخبرنا عبد الله بن الفضل أخبرنا هدية بن خالد (ح)[٢] وأخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق وهارون بن محمد قالا: أخبرنا محمد ابن عبد العزيز أخبرنا هدية، وأخبرنا موسى ابن محمد بن على أخبرنا الحسن بن على المعمرى أخبرنا هدية أخبرنا سهل بن أبى حازم عن ثابت عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال فى هذه الآية: «﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾» قال ربكم عز وجل: أنا أهل أن اتقى ولا يشرك بى غيرى، وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بى أن أغفر له».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن مالك أخبرنا ابن حنبل أخبرنا أبى أخبرنا عبد القدوس بن بكر قال: سمعت محمد بن النضر الحارثى يذكر فى قوله عز وجل: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ قال: أنا أهل أن يتقينى عبدى، فإن لم يفعل كنت أهلاً أن أغفر له.

تم الجزء بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وفرغ منه لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر الله الأحب سنة ست وعشرين وستمائة على يد العبد المذنب المرجو رحمته وغفرانه حامد بن محمد بن حامد ابن عبدك التسترى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا نبيه ورسوله، والحمد لله.



(١) ليس هو بالصحابى المشهور أمير المؤمنين الفاروق، وإنما هذا محدث.

(٢) زيادة حديثية يقتضيها سياق الإسنادين.

بسم الله الرحمن الرحيم [١]

عونك اللهم

سورة القيامة

مكية، وهى ستمائة واثنان وخمسون حرفًا،
ومائة وسبع [٢] وتسعون كلمة، وأربعون آية

أخبرنا محمد بن القاسم الفقيه أخبرنا محمد بن يزيد المعدل أخبرنا أبو يحيى البزاز أخبرنا محمد بن منصور أخبرنا محمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبى ليلى حدثنا أبى عن مجالد ابن عبد الواحد عن الحجاج بن عبد الله، عن أبى الخليل عن على بن زيد، وعطاء بن أبى ميمون عن زر بن حبيش عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبريل له يوم القيامة أنه كان مؤمنًا وجاء وجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ

---

(١) وقفت لله تعالى هذا المجلد وما قبله، وجعلت النظر فيه لنفسى مدة حياتى، ثم للأرشد من ذريتى ذكرًا كان أو أنثى إن كان لى عقب، وإلا فللأرشد من ذرية خذيمة شيخ الإسلام محمد مراد الأنصارى ذكرًا كان أو أنثى، ينتفع بنظره الخاص والعام.
حرره واقفه محمد على يد الشيخ أحمد على بن محمد مراد الأنصارى . . . (موضع النقط أربع كلمات غير مقروءة) وهذا نص ما بأعلى هامش المخطوط بالجزء الأخير من تفسير الثعلبى والذى يضم من أول سورة القيامة إلى آخر ختم القرآن الكريم جعلنا الله تعالى من العاملين به.

(٢) بالهامش تصحيح من الناسخ نصه: «تسع».

ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝﴾

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ : قراءة العامة مقطوعة الألف مهموزة.

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ : مثلها. وقرأ الحسن، وعبد الرحمن الأعرج: لأقسم، بغير ألف موصولة، ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ﴾ بالألف مقطوعة على معنى أنه أقسم باليوم ولم يقسم بالنفس. ومثله روى القواس عن شبل عن ابن كثير. وكذلك روى قنبل عنه. وكذلك في البلد. والصحيح أنه أقسم بهما جميعًا. ومعنى قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ اختلفوا فيه: فقال بعضهم: ﴿لَآ﴾ صلة أي أُقسم بيوم القيامة، وإليه ذهب سعيد بن جبير. وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد للقسم كقولك: لا والله. وقال الفراء: في قوله: ﴿لَآ﴾ ردٌّ لكلام المشركين المنكرين، ثم ابتدأ القسم فقال: أقسم بيوم القيامة. وقال: وكل يمين قبلها رَدٌّ لكلام فلا بد من تقديم ﴿لَآ﴾ قبلها ليفرق بذلك بين اليمين التي تكون جحداً، واليمين التي تستأنف، ألا ترى أنك تقول مبتدأ: والله إن الرسول لحق. فإذا قلت: لا، والله إن الرسول لحق، فكأنك كذبت قومًا أنكروه.

أخبرنا عقيل بن محمد أن المعافى بن زكريا أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا أبو كريب أخبرنا وكيع عن سفيان عن مسعر عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: لا يقولون القيامة، القيامة، وإنما قيامة أحدهم موته. وبه عن سفيان، ومسعر عن ابن قيس قال: شهدت جنازة فيها علقمة، فلما دفن قال: أما هذا فقد قامت قيامته.

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: قال سعيد بن جبير، وعكرمة تلوم على الخير والشر، ولا تصبر على السراء والضراء. وقال مجاهد: تندم على ما فات، وتلوم عليه وتقول: لو فعلت ولو لم أفعل. قال قتادة: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾ الفاجرة. وقال ابن عباس هي المذمومة. وقال الفراء: ليس من نفس بَرَّة ولا فاجرة إلاّ وهي تلوم نفسها إن كانت عملت خيراً قالت: ألاَ زدْتُ، وإن كانت عملت سوءاً قالت: ليتني لم أفعل. قال الحسن: هي النفس المؤمنة. قال: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟. وإن الفاجر يمضي قُدُمًا لا يحاسب نفسه ولا يعاقبها. قال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله تعالى في الدنيا.. وقيل: لومها قوله سبحانه: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: ٢٤) و﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦) أي في

أمر الله، وقال سهل: هى الأمارة بالسوء، وهى قرينة الحرص والأمل.

وقال أبو بكر الوراق: النفس كافرة فى وقت، منافقة فى وقت، مرائية على الأحوال كلها هى كافرة لأنها لا تألف الحق أبدًا وهى منافقة لأنها لا تفى بالعهد، وهى مرائية لأنها لا تحب أن تعمل عملاً ولا تخطو خطوة إلا لرؤية الخلق، فمن كانت هذه صفاته فهى حقيقة بدوام الملامة لها.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ [(١)] ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ نزلت فى عدى بن ربيعة بن أبى سلمة حليف بنى زهرة ختن الأخنس بن شريف الثقفى وكان النبى ﷺ يقول: «اللهم اكفنى جارىّ السوء». يعنى عديًا، والأخنس، وذلك أن عدى بن ربيعة أتى النبى ﷺ، فقال: يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبى ﷺ بذلك. فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد، ولم أؤمن به، أوَ يَجمع الله العظام؟! فأنزل الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ يعنى الكافر.

﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾: بعد تفرقها وبلائها، فنحييه، ونبعثه بعد الموت. يقال إنه ذكر العظام وأراد بها نفسه كلها لأن العظام قالب الخالق، ولن يستوى الخلق إلا باستوائها. وقيل: هو خارج على قول المنكر: أويجمع الله العظام، كقول الآخر: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨).

ثم قال: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ﴾: أى نقدر استقبال صرفه إلى الحال. قال الفراء: ﴿قَـٰدِرِينَ﴾ نصب على الخروج من ﴿نَّجْمَعَ﴾ كأنك قلت فى الكلام: أيحسب أن لن نجمع، نقوى عليك بلى قادرين على أقوى منك يريد بلى نقوى قادرين على أكثر من ذا. وقرأ أبو عبلة: (قادرين) بالرفع أى بلى نحن قادرون. ومجاز الآية: بلى نقدر على جمع عظامه، وعلى ما هو أعظم من ذلك.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾: أنامله، فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا كخف البعير أو كظلف خنزير، أو كحافر الحمار، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئًا، ولكنّا فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء، ويقبض إذا شاء، ويبسط إذا شاء، فحسنا خلقه. هذا قول أكثر المفسرين.

وقال القتيبى: ظن الكافر أن الله لا يبعث الموتى، ولا يقدر على جمع العظام البالية فقال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ﴾ أن نعيد السُّلاميات على صغرها، ونؤلف بينها حتى يستوى البنان،

---

(١) جاء رسم الكلمة فى المخطوط: بكسر السين (أيحْسِبُ) ورسمت ما هو فى مصحف عثمان بقراءة حفص المتداول المطبوع.

ومن يقدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر. وهذا كرجل قلت له: أتراك تقدر على أن تؤلف بين هذا الحنظل فى خيط؟ فيقول: نعم وبين الخردل.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ : يقول تعالى ذكره وما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه بعد الموت ولكنه يريد أن يفجر أمامه أى يمضى قُدُمًا قُدُمًا فى معاصى الله تعالى راكبًا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن، وعكرمة، والسدى. وقال سعيد بن جبير: يُقَدِّمُ الذنب ويؤخر التوبة يقول: سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك: هو الأمل، يأمل الإنسان يقول: أعيش، وأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس، وابن زيد: يُكذب بما أمامه من البعث والحساب. وقال ابن كيسان: يريد أن تأتيه الآخرة التى هى أمامه فيراها فى دار الدنيا.

وأصل الفجور: الميل، ومنه قيل للكاذب والفاسق، والكافر: فاجر بميله عن الحق، وقال السّدى أيضًا: يعنى ليظلم على قدر طاقته. وقيل: يركب رأسه فى هواه، ويهيم حيث قادته نفسه.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ : متى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فبين الله تعالى له ذلك فقال عز من قائل: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ : قرأ أبو جعفر ونافع وابن أبى إسحاق: ﴿بَرَقَ﴾ بفتح الراء، وغيرهم بالكسر.

أخبرنا محمد بن نعيم أخبرنا يحيى بن الحسن بن أيوب أخبرنا على بن عبد العزيز أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلاّم أخبرنا حجاج عن هارون قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عنها، فقال: بَرِق بالكسر يعنى حار. وسألت عنها عبد الله بن أبى إسحاق، فقال: برق بالفتح، وقال: إنما بَرَق الحنظل اليابس، وبَرَق أبصر. قال: وذكرت ذلك لأبى عمرو، فقال: إنما بَرَق الحنظل، والنار والبَرْق، وأما البصر فبَرِق عند الموت. فقال: فأخبرت بذلك ابن أبى إسحاق فقال: أخذت قراءتى عن الأشياخ نصر بن عاصم وأصحابه. فذكرت ذلك لأبى عمرو، فقال لكنى لا آخذ عن نصر، ولا عن أصحابه. فكأنه يقول: آخذ عن أهل الحجاز. قال قتادة، ومقاتل: شخص البصر، فلا يطرف مما يرى من العجائب مما كان يكذب به فى الدنيا أنه غير كائن.

وقرأ الفراء، والخليل: بَرِق بالكسر، فزع، وأنشد بعض العرب:

فَنَفْسَكَ فَانْعَ ولا تَنْعَنى ... وَدَاوِ الكُلُـومَ ولا تَبْرَق

أى لا تفزع من الجرح الذى بك ودهش وحار أيضًا. قال ذو الرُّمة:

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت ... لعينيه مَىّ سافرًا كـاد يَبْرَقُ

وبرق بفتح الراء: شق عينيه وفتحها، وأنشد أبو عبيدة:

لما أتاني ابن عمير راغبًا أعطيت عبسًا صهابًا فبرق

أي فتح عينيه. ويجوز أن يكون من البرق.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾: أظلم وذهب ضوءه. قال ابن كيسان: ويحتمل أن يكون بمعنى غاب، كقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ (القصص: ٨١). وقرأ أبو حيوة: وخُسِفَ بالضم لقوله: ﴿وَجُمِعَ﴾.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾: أسودين مكورين كأنهما ثوران عفيران وهي في قراءة عبد الله: وجمع بين الشمس والقمر. وقيل: وجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال عطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى. وقال علي، وابن عباس: يجعلان في نور الحُجب.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾: المهرب. وقراءة العامة: ﴿ٱلْمَفَرُّ﴾ بفتح الفاء. واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، قالا: إنه مصدر. وقرأ ابن عباس، والحسن بكسر الفاء. قال الكسائي: هما لغتان مثل مدَب، ومدب، ومصَح ومَصِح. وقال الآخرون بالفتح المصدر، وبالكسر موضع الفرار مثل: المَطلع والمَطلِع.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾: لا حرز، ولا حصن، ولا ملجأ. وقال السدي: لا جبل، وكانوا إذا فزعوا لجأوا إلى الجبل فتحصنوا به، فقال الله تعالى: لا جبل يومئذ يمنعهم.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾: أي مستقر الخلق، وأعمالهم، وكل شيء، وقال مقاتل: المنتهى، فلا تجد عنه مرحلاً. نظيره: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢). وقال يمان: المصير والمرجع. وهو قول ابن مسعود نظيره: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ (العلق: ٨)، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨)، وقوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ (الشورى: ٥٣).

قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: قال ابن مسعود، وابن عباس ﴿قَدَّمَ﴾ قبل موته من عمل صالح أو طالح ﴿وَأَخَّرَ﴾ بعد موته من سُنَّة حسنة أو سيئة فعُمِلَ بها؛ قال عطية عن ابن عباس: ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من المعصية، ﴿وَأَخَّرَ﴾ من الطاعة. قال مجاهد: بأول عمله وآخره. قال قتادة: بما قدم من عمل من خير أو شر، وما أخر من العمل بطاعة الله فلم يعمل به.

قال عطاء: ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ في أول عمره، ﴿وَأَخَّرَ﴾ في آخر عمره. قال زيد بن أسلم: ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من أمواله لنفسه، ﴿وَأَخَّرَ﴾ خلف لورثته. نظيره: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٥).

سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا سعيد بن أبى بكر بن أبى عثمان يقول: سمعت أبى يقول: سمعت أبا عثمان يقول: خمس مصائب فى الدنيا أعظم من الذنب أولاها: خذلان الله تعالى لعبده حتى عصاه ولو عصمه ما عصاه. والثانية: سلبه حلية أوليائه وكساهم لباس أعدائه. والثالثة: أن أغلق عنه باب رحمته، وفتح عليه باب عقوبته. والرابعة: نظر إليه وهو يعصيه. والخامسة: وقوفه بين يديه ويعرض عليه ما قدم وأخر من قبائحه. فهؤلاء المصائب الخمس فى الذنب أعظم من الذنب.



﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾

﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾: قال عكرمة ومقاتل، والكلبى: معناه بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله ويشهدون عليه به، وهى: سمعه، وبصره، ويداه، ورجلاه، وجميع جوارحه. وهذه رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس.

قال القتيبى: أقام جوارحه مقام نفسه لذلك أنث، ويجوز أن يكون تأنيثه الإضافة إلى النفس كما تقول فى الكلام: ذهبت بعض أصابعى. ﴿بَصِيرَةٌ﴾: مرفوعة بخبر حرف الصفة وهو قوله: ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾. ويحتمل أن يكون معناه: بل الإنسان على نفسه بصيرة، ثم حذفت حرف الجر كقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٣) أى لأولادكم. ويجوز أن يكون نعتًا باسم مؤنث، أى بل الإنسان على نفسه عينٌ بصيرة، وأنشد الفراء:

كَأنَّ على ذى العقل عينًا بصيرةً ... لمقعده أو منظر هو ناظره

يحاذر حتى يحسب الناس كلهم ... من الخوف لا تخفى عليهم سرائره

وقال أبو العالية، وعطاء: بل الإنسان على نفسه شاهد. وهى رواية العوفى عن ابن عباس. والهاء فى بصيرة مبالغة. وقال الأخفش: هى كقولك: فلان عبرة وحجة. دليل هذا التأويل قوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٤). وقال أبان بن ثعلب: البصيرة

والبينة، والشاهد، والدليل: واحد.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: يعنى أنه يشهد عليه الشاهد، ولو اعتذر وجادل عن نفسه. نظيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ (غافر:٥٢) وقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات:٣٦). وهذا قول مجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، وابن زيد، وأبى العالية، وعطاء. قال الفراء: ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره. قال مقاتل: ولو أدلى بعذره أو حجته لا ينفعه ذلك.

ومعنى الإلقاء للقول نظيره: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ (النحل:٨٧)، ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ (النحل:٨٧). وقال الضحاك، والسدى: يعنى ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب. قال: وأهل اليمن يسمون الستر المعذار. قال بعض أهل المعانى: المعاذير إحالة بعضهم على بعض.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾: وذلك أن رسول الله ﷺ كان لا يفتر من قراءة القرآن مخافة أن ينساه وكان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن لم يفرغ جبريل من الآية حتى يقرأ رسول الله ﷺ أولها، ويحرك لسانه بها فى نفسه مخافة أن ينساها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ (طه:١١٤)، وأنزل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ (الأعلى:٦)، وأنزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ أى بالقرآن. وقيل: ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ تبادر ﴿بِهِۦ﴾ أى الوحى ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أى بتلاوته لتحفظه ولا تنساه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾: فى صدرك حتى تحفظه، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ عليك حتى تعيه. وقيل: أراد بقوله: ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ وجمعه فى صدرك، هو مصدر كالرجحان والنقصان.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ﴾: عليك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: أى ما فيه من الأحكام ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: بما فيه من الحدود، والحلال، والحرام ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: قرأهما أهل المدينة، والكوفة: بالتاء، وغيرهم بالياء. أى يختارون الدنيا على العقبى. نظيره فى سورة الإنسان: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (الإنسان:٢٧).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: يعنى يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: قال ابن عباس: حسنة. وقال الحسن: حسنها الله بالنظر إلى ربها. وقال مجاهد: مسرورة. وقال ابن زيد: ناعمة. وقال مقاتل: بيض يعلوها النور. وقال السدى: مضيئة. وقال يمان: مسفرة. وقال الفراء: مشرقة بالنعيم. وقال الكسائى: بهجة. وقال الفراء، والأخفش: يقال: نضر الله وجه فلان ينضره نضراً، فنضر وجهه ينضر نضرة. ونضارة قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ (المطففين:٢٤)، وقال رسول الله ﷺ: «نضّر الله امرأً سمع مقالتى فوعاها». ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ (عبس: ٣٨، ٣٩).

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال ابن عباس: وأكثر الناس تنظر إلى ربها عيانًا.

قال الحسين بن واقد أخبرنا زيد بن عكرمة، وإسماعيل بن أبى خالد، وأشياخ من أهل الكوفة قال: تنظر إلى ربها نظرًا. وقال الحسن: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر، وهى تنظر إلى الخالق. وقال عطية العوفى: ينظرون إلى الله تعالى لا تحيط أبصارهم به من عظمته ونظره محيط بهم يوم ذلك، قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٣). ودليل هذا التأويل ما أخبرنا به الحسن بن فنجويه أخبرنا أحمد بن الحسن بن ماجه أخبرنا أبو جعفر محمد بن مندة الأصفهانى أخبرنا الحسن بن حفص أخبرنا إسرائيل بن يونس عن ثور بن أبى فاختة قال سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى خُزَّانه وأزواجه وسُرُره ونعمته مسيرة ألف عام، وإن أكرمهم على الله تعالى لمن ينظر إلى وجهه تبارك وتعالى غدوة وعشية». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو الفتح محمد بن الحسن الأزدى الموصلى حدثنى أحمد بن عيسى بن السكين أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمانى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا رباح عن زيد الصنعانى أخبرنا ابن جريج أخبرنا زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يتجلى لنا ربنا عز وجل حتى ننظر إلى وجهه، فيخرون له سُجَّدًا، فيقول: ارفعوا رءوسكم فليس هذا بيوم عبادة».

وروى الحسن عن عمار بن ياسر قال: كان من دعاء النبى ﷺ: «أسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك فى غير ضرار مضرة، ولا فتنة مضلة» وقال مجاهد: يعنى أنها تنتظر الثواب من ربها ولا يراه من خلقه شىء.

قلت: وهذا تأويل مدخول لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا: أنظرته؟ كما قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ (محمد: ١٨)، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ (الأعراف: ٥٣)، ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ (يس: ٤٩). وإذا أرادوا التفكر والتدبر قالوا: أنظرت فيه. فأما إذا كان النظر مقرونًا بذكر إلى وذكر الوجه فلا يكون إلاّ بمعنى الرؤية والعيان ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ يومئذ ﴿نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: عابسة، كالحة، متغيرة، مسودة ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: قال مجاهد: داهية. وقال سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر. وأصلها فى الفقرة، والفقار يقال: منه فَقَرَهُ إذا كسر فقاره كما يقال رَأَسَهُ إذا ضرب رأسه. قال قتادة: الفاقرة الشر. وقال ابن

زيد: تعلم أنها ستدخل النار. وقال أبو عبيدة: الفاقرة الداهية. يقال: عمل به الفاقرة، وأصلها الوَسْم على أنف البعير بحديد أو بنار حتى تخلص إلى العظم. وقال الكلبى: منكرة من العذاب، وهو الحجاب.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ﴾: يعنى النفس كناية عن غير مذكور ﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾: فحشرج بها عند الموت، والتراقى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال، قال دريد بن الصِّمة:

ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقى

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ﴾: وقال من حضره ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾: هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه؟ قال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئًا.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق السُّنى أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى أخبرنا مسدد بن مسرهد عن خالد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى: أنه كوى غلامًا له. فقلت: أتكوى؟ قال: نعم هو داء العرب.

أخبرنا ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا وأنزل معه دواء جهله من جهله، وعلمه من علمه». قال سليمان التيمى، ومقاتل بن سليمان: هذا من قول الملائكة، يقول بعضهم لبعض من يَرْقَى بروحه فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب. وهذه رواية أبى الجوزاء عن ابن عباس. قال أبو العالية: يختصم فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب أيهم يرقى بها.

﴿وَظَنَّ﴾: وأيقن ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾: قال الشاعر:

فراق ليس يشبهه فراق قد انقطع الرجاء عن التلاق

أخبرنا الربيع بن أحمد الحاتمى، ومحمد بن عقيل الخزاعى، قال: أخبرنا على بن محمد بن عقبة الشيبانى أخبرنا الخضر بن أبان القرشى أخبرنا إبراهيم بن هدبة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته، وإن مفاصله يسلم بعضها على بعض تقول عليك سلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة».

❖ ❖ ❖

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ۝

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾: قال الربيع بن أنس: الدنيا بالآخرة، وهى رواية أبى الجوزاء وعطية عن ابن عباس. ورواية عوف، ومنصور عن الحسن. وروى الوالبى، وباذان عن ابن عباس قال: أمر الدنيا بأمر الآخرة، فكان بآخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة. وهى رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد. وقال إسماعيل بن أبى خالد: عمل الدنيا بعمل الآخرة. وقال الضحاك: الناس يجهزون جسده، والملائكة تجهز روحه. وروى سفيان عن الحسن، ومجاهد قالا: اجتمع فيه الحياة والموت. وقال قتادة: الشدة بالشدة. وقال بشر بن المهاجر عن الحسن قال: هما ساقاك إذا لفّتا فى الكفن. وإليه ذهب سعيد بن المسيب.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا أبو محمد المزنى، أخبرنا مطير أخبرنا نصر بن على أخبرنا خالد بن قيس بن قتادة عن الحسن قال: ماتت رجْلاَه فلم تحملاه، وكان عليهما جوالاً. وروى شعبة عن قتادة قال: أما رأيته إذا ضرب برجله الأخرى (التفت عليها)[1] رجله الأخرى. قال أبو مالك: هو يُبْسهما عند الموت. وقال عكرمة: خروج من الدنيا إلى الآخرة. وقال أبو يحيى عن مجاهد: بلاءٌ ببلاء الأمر بالأمر. وقال يزيد بن أسلم: ساق الكفن بساق الميت. وقال سعيد بن جبير: قد تتابعتْ عليه الشدائد. وقال السُّدى: لا يخرج من كرب إلاّ جاءه أشد منه، والعرب لا تذكر الساق إلاّ فى المحن والشدائد، ومنه مثلهم السائر: لا يرسل الساق إلا ممسكًا ساقًا، وقال أمية بن أبى الصلت:

وقد أرقت لهم بَاتَ يطرقنى ... والنفس ذات حزازات وطراق

مُستحْـذيًا لقراه حين أرقنى ... ليل التمـام أقاسيه على ساق

أى على تعب وشدة.

وقال ابن عطاء: اجتمع عليه شدة مفارقة الوطن من الدنيا، والأهل والولد، وشدة القدوم على ربه، لا يدرى بماذا يقدم عليه. لذلك قال عثمان بن عفان عليه السلام: ما رأيت منظراً إلاّ والقبر أفظع منه لأنه آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة. قال يحيى بن معاذ: إذا أُدخل الميت القبر قام على شفير قبره أملاك، واحد: عند رأسه، والثانى: عند رجليه، والثالث:

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

عن يمينه، والرابع: عن شماله. فيقول الذى عند رأسه: يا ابن آدم انقضت الآجال، وانقطعت الآمال. ويقول الذى عن يمينه: ذهبت الأموال، وبقيت الأعمال. ويقول الذى عن يساره: ذهبت الأشغال وبقى الوبال. ويقول الذى عند رجليه: طوبى لك إن كان كسبك من الحلال، وكنت مشتغلاً بخدمة ذى الجلال.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾: المنتهى، والمرجع، تسوق الملائكة روحه إلى حيث أمرهم الله تعالى ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾: يعنى أبا جهل ﴿وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾: يتبختر. وقال زيد بن أسلم: هى مشية بنى مخزوم وأصله من المطى وهو الظهر أى يلوى مطاه يتبختر. وقيل: أصله يتمطط أى يتمدد، والمط هو المد، فجعلت إحدى الطاءين ياء، وقد مضت هذه المسألة، وتمطى الإنسان إذا قام من منامه فتمدد.

أخبرنا يحيى بن محمد بن الحسين الدينورى، أخبرنا أحمد بن محمد بن على بن الحسن الهمدانى أخبرنا محمد بن على بن مخلد الفرقدى أخبرنا سليمان بن داود الشاذكونى أخبرنا سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصارى سمع شيخًا قديمًا يقال له: بحنس مولى للزبير يقول قال رسول الله ﷺ: «إذا مشت أمتى المطيطاء، وخدمتهم الروم وفارس سلط بعضهم على بعض». قال سفيان: فأخبرت بهذا الحديث ابن أبى نجيح، قال: هل تدرون ما المطيطاء؟ مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾: هذا وعيد من الله تعالى على وعيد أبى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد. قالت الخنساء:

همت بنفسى كل الهموم ... فأولى لنفسى أولى لها

أنشدنى أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسى قال أنشدنى أبو محمد عبد الله بن محمد البلوى الأديب قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب:

يا وَيْسُ لو نالتك أرماحنا ... كنت كمن تهوى به الهاويه

أُلْفيتا عيناك عند القفا ... أولى فأولى لك ذا واقيه

وقال بعض العلَماء: معناه إنك أولى واحد بهذا العذاب، وأحق وأولى. ويقال للرجل يصيبه مكروه فيستوجبه. وقيل: هى كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه. وأصلها من التولى، وهو القرب، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ (التوبة: ١٢٣). ويقال: ثم الذى يليه، أى يقرب منه، قال الشاعر:

فصالوا صولهم فيمن يليهم ... وصلنا صولنا فيمن يلينا

وقال آخر:

هجرت غضوب وحُبٌّ من يتجنب وعدت عواد دون وليك تشعب

يحكى لنا الأستاذ أبو القاسم الحبيبى أنه سمع أبا الهيثم الشجرى وكان عارفًا بالمعانى يقول حاكيًا عن بعض العلماء: أن قوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ من المقلوب مجازه: أويل من الويل، كما يقال: ما أطيبه وأيطبه، وعاقنى وعقانى، وأيّم وأيَامَى، وأصله أيايم، وقوس وقسى، وأصله قؤوسٌ، ومعنى الآية: كأنه يقول لأبى جهل الويل لك يوم تحيا والويل لك يوم تموت، والويل لك يوم تبعث، والويل لك يوم تدخل النار وتخلد فيها.

قال قتادة: ذكر لنا أن النبى ﷺ لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء، فقال له: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ فقال أبو جهل: أتوعدنى يا محمد، والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيئًا وإنى لأعزّ من مشى بين جبليها، فلما كان يوم بدر، أشرف عليهم، وقال: لا يعبد الله بعد اليوم فصرعه الله تعالى شرَّ مصرع، وقتله أسوأ قتلة أقعصه ابنا عفراء وأجهز عليه ابن مسعود. قال: وذكر لنا أن أبا جهل كان يقول: لو علمت أن محمدًا رسول الله ما اتبعت غلامًا من قريش. وذكر لنا أن النبى ﷺ كان يقول: «لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة أبو جهل».

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ[1] ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: هملاً لا يؤمر ولا يُنهى. يقال أسديت حاجتى أى ضيعتُها، وإبل سُدى ترعى حيث شاءت بلا راعٍ ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ[2]﴾: قرأ الحسن، وابن محيصن، ويعقوب، وسلام الطويل: بالياء، وهى رواية المفضل وحفص عن عاصم، واختيار أبى عبيد لأجل المنىّ. وقرأ الباقون بالتاء لأجل النطفة، وهى اختيار أبى حاتم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: خلقه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾: الذى فعل هذا ﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

أخبرنا ابن فنجويه، أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى، أخبرنا محمد بن يونس الكريمى أخبرنا شعيب بن بنان الصفار أخبرنا شعبة حدثنى يونس الطويل جليس لأبى إسحاق الهمدانى عن البراء بن عازب قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، قال

(١) رسمت الكلمة فى المخطوط بكسر السين (أيَحْسِبُ) ورسمت ما فى رواية حفص.

(٢) رسمت فى المخطوط: بالتاء: (تُمْنَى) ورسمت ما فى المصحف من رواية حفص.

رسول الله ﷺ: «سبحانك اللهم بلى».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن إبراهيم الربيعى أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب المخزومى أخبرنا صالح بن مالك أخبرنا أبو نوفل على بن سليمان أخبرنا أبو إسحاق السبيعى عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: من قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١) إمامًا كان أو غيره فليقل: سبحان ربى الأعلى، ومن قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فإذا انتهى إلى آخرها فليقل: سبحانك اللهم بلى إمامًا كان أو غيره.



سورة الإنسان

(الدهر)

مكية ، وهى ألف وأربعمائة وخمسون حرفًا ،
ومائتان وأربعون كلمة وإحدى وثلاثون آية

أخبرنا نافل بن راقم أخبرنا محمد بن شاده أخبرنا أحمد بن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا سالم بن قتيبة عن شعبة عن عاصم عن زر عن أُبَىّ قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ سورة : ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ كان جزاؤه على الله جنة وحريرًا» .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ : قد أتى على الإنسان ، وهو آدم عليه السلام وهو أول من سمى به ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ : أربعون سنة ملقى بين مكة والطائف قبل أن تنفخ الروح فيه ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ : لا يذكر ، ولا يعرف ، ولا يُدرى ما اسمه ولا ما يراد به . وروى أن عمر رضى الله عنه سمع رجلاً يقرأ : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ . قال عمر : ليتها تمت . وقال عوف بن عبد الله : قرأ رجل عند ابن مسعود هذه الآية : فقال : يا ليت ذلك لم يكن[١] .

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ : يعنى ولد آدم ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ : يعنى من مَنِىّ الرجل ، ومَنِىّ المرأة ، وكل ماء قليل فى وعاء فهو نطفة ، كقول عبد الله بن رواحة : هل أنت إلا نطفة فى شَنَّة . وجمعها

(١) بالهامش تصحيح للعبارة نصه : فليت ذلك لم يكن . وهو بقلم الناسخ .

نطَاف، ونُطَفٌ. وأصلها من نطف إذا قطر ﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط واحدها مَشْجٌ ومَشَيجٌ، مثل: خَدن وخَدين، قال رُؤبة:

يطرحن كل مُعَجَّلٍ مشَّاج   لم يُكْسَ جلدًا فى دم أمْشَاجِ

ويقال: مشجت هذا بهذا أىْ خلطته فهو ممشوج ومشيج، مثل مخلوط وخليط قال أبو ذؤيب:

كأن الريش والفوقين منه   خلاف النصل سيط به مَشيجُ

قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والربيع: يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم، فيكون منهما جميعًا الولد. وماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا ماء صاحبه كان الشبه له. وقال قتادة: هى أطوار الخلق، نطفة، ثم علقة ثم مضغة، ثم لحمًا، ثم عظمًا، ثم يكسوه لحمًا ثم ينشئه خلقًا آخر.

وقال الضحاك: أراد اختلاف ألوان النطفة نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وصفراء[1] فهى مختلفة الألوان. وهى رواية الوالبى عن ابن عباس، وابن أبى نجيح عن مجاهد. وكذلك قال عطاء الخراسانى والكلبى: الأمشاج الحمرة فى البياض، والبياض فى الحمرة أو الصفرة.

وقال عبد الله بن مسعود، وأسامة بن زيد: هى العروق التى تكون فى النطفة. وروى ابن جريج عن عطاء: الأمشاج الهن الذى كأنه عَقب. وقال الحسن: نعم والله خلقت من نطفة مشجت بدم وهو دم الحيض فإذا حبلت ارتفع دم الحيض. وقال يمان: كل لونين اختلطا فهما أمشاج. وقال ابن كيسان: الأمشاج الأخلاط، لأنها ممتزجة من أنواع، فخلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة. وقال أهل المعانى: بناء الأمشاج بناء جمع، وهو فى معنى الواحد لأنه نعت النطفة وهذا كما يقال برمة أعشار، وثوب أخلاق ونحوهما.

وسمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا عثمان المغربى يقول: سُئلت وأنا بمكة عن قوله تعالى: ﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ فقلت: ابتلى الله تعالى الخلق بتسعة أمشاج ثلاث مفتنات، وثلاث كافرات. وثلاث مؤمنات. فأما الثلاث المفتنات: فسمعه، وبصره، ولسانه. وأما الثلاث الكافرات: فنفسه، وهواه، وشيطانه. وأما الثلاث المؤمنات: فعقله، وروحه، وملكه. فإذا أيد الله تعالى العبد بالمعونة سلط العقل على القلب، فملكه، واستأسرت النفس والهوى فلم تجد إلى الحركة سبيلًا فجالست النفس الروح، وجالس الهوى العقل، وصارت

(١) فى متن المخطوط: «وحمراء»، والتصويب من هامش المخطوط.

كلمة الله هى العليا ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (البقرة: ١٩٣).

﴿نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ : نختبره بالأمر والنهى. وقال بعض أهل العربية هى مقدمة معناها التأخير مجازها: فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ : أى بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر، وهو قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠) ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ : إما مؤمنًا سعيدًا، وإما كافرًا شقيًا، يعنى خلقناه إما كذا وإما كذا. وقيل: معنى الكلام الجزاء يعنى بينا له الطريق إن شكر أو كفر. وهو اختيار الفراء. ثم بين ما للفريقين فقال عز من قائل: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟﴾ : كل سلسلة سبعون ذراعًا.

﴿وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا﴾ : قرأها: سلاسلاً، وقواريرًا، أبو جعفر ونافع، وشيبة، وعاصم، غير حفص. وكذا روى أبو بكر عنه، والأعمش والكسائى، وأيوب: كلهن بإثبات الألف فى الوقف والتنوين فى الوصل، وهو اختيار أبى عبيد. رواية هشام عن أهل الشام ضد حمزة، وخلف وحفص، وليعقوب برواية رويس وزيد. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: قواريرًا الأول بالألف، والثانى بغير ألف.

قال أبو عبيد: ورأيت فى الإمام مصحف عثمان عليه السلام ـ قواريرًا الأولى بالألف مثبتة والثانية كانت بالألف فحُكّت ورأيت أثرها بينًا هناك.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ : يعنى المؤمنين الصادقين فى إيمانهم المطيعين لربهم. وقال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ، ولا يرضون السر. واحدهم بار، مثل شاهد، وأشهاد، ناصر وأنصار، وصاحب وأصحاب. وبَرّ مثل نهر وأنهار، وضرب وأضراب.

﴿يَشْرَبُونَ﴾ : فى الآخرة ﴿مِن كَأْسٍ﴾ : خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ : قال قتادة: تمزج لهم بالكافور، ويختم لهم بالمسك. وقال عكرمة: ﴿مِزَاجُهَا﴾ طعمها. وقال أهل المعانى: أراد كالكافور فى بياضه، وطيب ريحه، وبرده، لأن الكافور لا يشرب. وكقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ (الكهف: ٩٦) أى كنار. وقال ابن كيسان: طيب الكافور والمسك والزنجبيل. قال الفراء: ويقال إن الكافور اسم لعين ماء فى الجنة. وفى مصحف عبد الله من كأس صفراء كان مزاجها كافورًا. والقاف والكاف يتعاقبان لأنهما لهويان[١]. وقال الواسطى: لما اختلفت أحوالهم فى الدنيا اختلفت أشربتهم فى الآخرة، فكأس الكافور برّدت الدنيا فى صدورهم.

﴿عَيْنًا﴾ : نصب لأنها تابعة للكافور كالمفسرة له. قال الكسائى: على الحال والقطع.

(١) يقصد وفى مخارجهما من الحلق، متقاربان.

وقيل: يشربون عينًا، وقيل: من عين، وقيل: أعنى عينًا، وقيل: على المدح. وهى لهذه الوجوه كلها محتملة.

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: أى يشربها، والباء صلة. وقيل: منها ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: أى يقودونها حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم كما يفجر الرجل منكم النهر يكون له فى الدنيا ههنا وهاهنا إلى حيث يريد.

❖ ❖ ❖

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾: قال قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والحج والعمرة وغيرها من الواجبات. وقال مجاهد، وعكرمة يعنى إذا نظروا فى طاعة الله تعالى وفّوا به ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾: ممتلئًا فاشيًا يقال: استطار الصدع فى الزجاجة، واستطار إذا امتد ومنه قول الأعشى:

فبانت وقد أشارت فى الفؤاد صـدعًا على نهائها مستطيرا

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قال ابن عباس: على قلته، وحبّهم إياه وشهوتهم له. وقال الدارانى: على حب الله عز وجل، وقال الحسين بن الفضل: على حب إطعام الطعام ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾: وهو الحربى يؤخذ قهرًا، أو المسلم يحبس بحق. وقال قتادة: لقد أمر الله تعالى بالأسرى أن يحسن إليهم، وأن أسراهم يومئذ لأهل الشرك، فأخوك المسلم أحق أن تطعمه. قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، هو المسجون من أهل القبلة.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله أخبرنا موسى بن محمد بن على بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن محمد بن ناجية أخبرنا عباد بن أحمد عن العرزمى أخبرنا عمى عن أبيه عن عمرو بن عيسى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾. قال: فقيرًا ﴿وَيَتِيمًا﴾، قال: المملوك، والمسجون. وقال أبو حمزة الثمالى: الأسير المرأة ودليل هذا التأويل، قول النبى ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن

عندكم عوان».

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ : فيه وجهان: أحدهما أن يكون جمع الشكر كالفلوس، لجمع الفلس، والكفور لجمع الكفر. والآخر: أن يكون بمعنى المصدر كالقعود والدخول، والخروج.

قال مجاهد، وسعيد بن جبير: أمَا إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله تعالى من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب فى ذلك كل راغب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾ فى يوم ﴿عَبُوسًا﴾ : تعبس فيه الوجوه من شدته، وكثرة مكارهه، فنسبت العبوس إلى اليوم كما تقول يوم صائم، وليل نائم. وقال ابن عباس: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران[1]، وقيل: وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة، والهول كالرجل الكالح البائس.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾ : روى عن ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال: العبوس: الضيق، والقمطرير: الطويل. قال الكلبى :العبوس: الذى لا انبساط فيه، والقمطرير: الشديد. وقال قتادة، ومجاهد، ومقاتل: القمطرير: الذى يقلص الوجوه، ويقبض الجباه، وما بين العين من شدته. وقال الأخفش: القمطرير أشد ما يكون من الأيام وأطولها فى البلاء يقال: يوم قمطرير، وقماطر إذا كان شديدًا كريهًا. قال الشاعر:

ففروا إذا ما الحرب ثار غبارها ... ولج بها اليوم العبوس القماطرُ

وأنشد الفراء:

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا ... عليكم إذا ما كان يوم قماطر

وقال الكسائى: يقال: اقمطر اليوم وازمهر اقمطرارًا، وازمهرارًا، وهى الزمهرير والقمطرير، ويوم مقمطرٌ إذا كان صعبًا شديدًا، قال الهذلى:

بنو الحرب أوضعنا لهم مقمطرة ... فمن يلق منا ذلك اليوم يَهرَبُ

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ : الذى يخافون ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ : نضرة فى وجوههم، وسرورًا فى قلوبهم ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ : على طاعة الله، وعن معصيته. قال الضحاك: على الفقر. وقال القرطبى: على الصوم. وقال عطاء: على الجوع.

وروى سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن الصبر، فقال:

---

(١) مثل هذا القول لا يقبل ما لم يدعم بخبر صحيح عن النبى ﷺ أو يأتى صريحًا فى القرآن الكريم لأنه إخبار بالغيب، وحيث لم يرد ذلك فى القرآن، ولم يصح فيه شىء عن النبى ﷺ فيطرح.

«الصبر أربعة: أولها الصبر عند الصدمة الأولى، والصبر على أداء الفرائض، والصبر على اجتناب محارم الله، والصبر على المصائب» ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾: قال الحسن: أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: نصبت على الحال ﴿فِيهَا﴾: فى الجنة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرُر فى الحجال لا تكون أريكة إلاّ إذا اجتمعا. قال الحسن: وهى لغة أهل اليمن، كان الرجل العظيم منهم يتخذ أريكة، فيقال أريكة فلان.

وقال مقاتل: الأرائك السُّرُر فى الحجال، من الدُّر، والياقوت موضونة بقضبان الذهب والفضة، وألوان الجواهر ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾: أى قيظًا ولا شتاءً.

قال قتادة: عَلِمَ الله تعالى أن شدة الحرّ تؤذى، وشدة القرّ تؤذى فوقاهم الله تعالى إيذاءهما جميعًا. وقال مرة الهمدانى. الزمهرير البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان: هو شىء مثل رءوس الإبر ينزل من السماء فى غاية البرد. وقال ابن مسعود: هو لون من العذاب، وهو البرد الشديد.

وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أحمد ابن عمران السوادى يقول سمعت أبا عباس أحمد بن يحيى ثعلب، سُئل عن قوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ قال: الزمهرير: القمر بلغة طىء، قال شاعرهم:

وليلة ظلامها قد اعتكر   قطعتها والزمهرير ما زَهَر

أى لم يطلع القمر.

واختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآيات: فقال مقاتل: نزلت فى رجل من الأنصار، أطعم فى يوم واحد مسكينًا، ويتيمًا، وأسيرًا. وكانت قصته:

ما أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن خلف بن حيان أخبرنا إسحاق بن محمد أخبرنا مروان[1] أخبرنا أبى أخبرنا إبراهيم بن عيسى، أخبرنا على بن على عن أبى حمزة الثمالى قال: بلغنا أن مسكينًا أتى إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ﷺ أطعمنى، فقال: «ما عندى ما أطعمك، ولكن اطلب» فأتى رجلاً من الأنصار، وهو يتعشى، وامرأته فقال: إنى أتيت رسول الله ﷺ، فقلت له: أطعمنى، فقال: «ما عندى ما أطعمك، ولكن اطلب» فقال الأنصارى لامرأته: ما ترين؟ فقالت أطعمه واسقه. ثم أتى رسول الله ﷺ يتيم فقال: يا رسول الله، فقال: «ما عندى ما أطعمك، ولكن اطلب» فأتى اليتيم للأنصارى، الذى أتاه المسكين فقال له أطعمنى، فقال لامرأته ما ترين؟ فقالت: أطعمه واسقه، فأطعمه: ثم أتى رسول الله

(١) كذا فى متن المخطوط، وبهامش المخطوط «ابن مروان» ولعله تصحيح من نسخة أخرى مع الناسخ. فالله أعلم.

أسير فقال: يا رسول الله أطعمنى، فقال: «ما عندى ما أطعمك، ولكن اطلب» فأتى الأسير للأنصارى، فقال له: أطعمنى، فقال لامرأته: ما ترين؟ فقالت: أطعمه، وكان هذا كله فى ساعة واحدة. فأنزل الله فيما صنع الأنصارى من إطعامه المسكين، واليتيم، والأسير: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

وقال غيرهما: نزلت فى على بن أبى طالب وفاطمة رضى الله عنهما، وجارية لهما يقال لها فضة، وكانت القصة فيه:

ما أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن على الشيبانى العدل قرأه عليه فى صفر سنة سبع وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن بن الشرقى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب الخوارزمى ابن عم الأحنف بن قيس فى سنة ثمان وخمسين ومائتين أخبرنا أحمد بن حماد المروزى أخبرنا محبوب بن حميد البصرى، وسأله عن هذا الحديث روح ابن عبادة. (ح)[1] أخبرنا القاسم بن بهرام عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس. وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزنى أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن سهل بن على ابن مهران الباهلى بالبصرة أخبرنا أبو مسعود، وعبد الرحمن ابن مسهر بن هلال حدثنا القاسم بن يحيى عن أبى على العنبرى عن محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس. (ح)[1] وقال الحسن بن مهران، وحدثنى محمد بن زكريا البصرى حدثنى شعيب بن واقد المزنى أخبرنا أبو القاسم بن بهرام عن الليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قول الله عز وجل: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾.

قال: مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدّهما محمد ﷺ، ومعه أبو بكر، وعمر رضى الله عنهما، وعادهما عامة العرب، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولديك نذراً، وكل نذر لا يكون له وفاء فليس بشىء.

فقال على عليه السلام: إن برأ ولداى مما بهما صُمْتُ لله تعالى ثلاثة أيام شكراً. وقالت فاطمة رضى الله عنها: إن برأ ولداى مما بهما صمت لله ثلاثة أيام شكراً. وقالت جارية يقال لها فضة نوبية: إن بَرَأ سيداى مما بهما صمت لله ثلاثة أيام شكراً فلبس الغلامان العافية وليس عند آل محمد ﷺ قليل ولا كثير، فانطلق عَلِىّ إلى شمعون بن جابا الخيبرى وكان يهودى، فاستقرض منه ثلاثة أصواع من شعير، وفى حديث المزنى عن أبى مهران الباهلى قال: انطلق على إلى جارٍ له من اليهود يعالج الصوف يقال له شمعون بن جابا فقال له: هل لك أن تعطينى

---

(١) زيادة حديثية يقتضيها سياق الإسناد.

جَزَّة من صوف تغزلها لك بنت محمد ﷺ بثلاثة آصع من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه، فجاء بالصوف والشعير، فأخبر فاطمة بذلك، فقبلت وأطاعت. قالوا: فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص، وصلى عَلىّ مع النبى ﷺ المغرب ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين، فوقف بالباب، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد ﷺ مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه على، فأنشأ يقول:

أفاطم ذات المجد واليقين ... يا بنت خير الناس أجمعين
أمـا ترين البائس المسكين ... قــد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين ... يشكــو إلينا جائعًا حزين
كل امرئ بكسبه رهين ... وفاعل الخيرات يستبين
موعـــدنا جنـــة عليين ... حرمهـا الله على الضنين
وللبخيل موقف مهين ... تهوى به النار إلى سجين
شرابها الحميم والغسلين ... من يفعل الخير يقم سمين

ويدخل الجنـــة أى حين

فأنشأت فاطمة رضى الله عنها تقول:

أمرك يا ابن عم سمع طاعة ... ما بى من لؤم ولا وضاعة
هديت فى الخير له صناعة ... أطعمــه ولا أبالى الساعة
أرجو إذا أشبعتُ ذا مجاعة ... أن ألحق الأخيار والجماعة

وأدخل الخلد ولى شفاعة

قال: فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئًا إلاّ الماء القَرَاحَ، فلما كان اليوم الثانى قامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته وصلى على كرم الله وجهه مع النبى ﷺ المغرب ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فأتاهم يتيم فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد ﷺ يتيم من أولاد المهاجرين استشهد يوم العقبة أطعمونى أطعمكم الله على موائد الجنة فسمع عَلِىّ عليه السلام فأنشأ يقول:

فاطم بنت السيد الكريم ... بنت نبى ليس بالذميم
قد جاءنا الله بذا اليتيم ... من يرحم اليوم فهو رحيم
موعــده فى جنة النعيم ... قد حرم الخلد على اللئيم

يزل فى النـار إلى الجحيم شرابه الصـديد والحميم

فأنشأت فاطمة عليها السلام تقول:

إنى لأعطيــه ولا أبالى وأوثر الله على عيـالى

أمسوا جياعًا وهم أشبالى أصغرهم يقتل فى القتال

بكرْبلا يقتل باغتيـال للقـاتل الويل مع الوبالَ

تهوى به النار إلى سفال مصفـد اليدين بالأغلال

كبولَة زادت على الأكبالى

قال: فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئًا إلاّ الماء القَرَاح. فلما كان فى اليوم الثالث قامت فاطمة رضى الله عنها إلى الصاع الباقى فطحنته واختبزته وصلى عَلىّ عليه السلام مع النبى ﷺ ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب، فقال: السلام تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا، أطعمونى فإنى أسير محمد ﷺ أطعمكم الله على موائد الجنة، فسمعه عَلىّ عليه السلام، فأنشأ يقول:

فاطم يا بنت النبى أحمد بنت نبى سيـد مسـود

هـذا أسير للنبى المهتد مكبل فى غله مقيـد

يشكو إلينا الجوع قد تمدد من يُطعم اليوم يجده فى غد

عند العلى الواحد الموحد ما يزرع الزارع سوف يحصد

فأطعمى من غير مَنّ أنكد حتى تجازى بالذى لا ينفد[1]

فأنشأت فاطمة عليها السلام تقول:

لم يبق مما جئت غير صاع قد دَميتْ كفى مع الذراع

ابناى والله من الجيـاع أبوهمَا للخير[2] واصطناع

أبوهما للخير ذو اصطناع يصطنع المعروف بابتداع

عبل الذراعين طويل الباع وما على رأس من قناع

إلا قناع نسجـه تساع

قال: فأطعموه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئًا إلاّ الماء القراح. فلما كان فى اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أخذ عَلىّ بيده اليمنى الحسن، وبيده اليسرى الحسين رضى

(١) فى هامش المخطوط: «لم ينفد».

(٢) فى هامش المخطوط: «للجود».

الله عنهم أجمعين، وأقبل نحو رسول الله ﷺ، وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر به النبى ﷺ قال: «يا أبا الحسن ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم انطلق إلى ابنتى فاطمة» فانطلقوا إليها وهى فى محرابها قد ألصق بطنها بظهرها من شدة الجوع، وغارت عيناها. فلما رآها النبى ﷺ، قال: «واغوثاه بالله أهل بيت محمد يموتون جوعًا». فهبط جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد خذها هنأك الله فى أهل بيتك، قال: «وما آخذ يا جبريل؟» فأقرأه: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ إلى آخر السورة.

وزاد ابن مهران الباهلى فى هذا الحديث: فوثب النبى ﷺ حتى دخل على فاطمة، فلما رأى ما بهم انكب عليهم يبكى وقال لهم: «أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم». فهبط جبريل عليه السلام بهذه الآيات. ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ قال: هى عين فى دار النبى ﷺ تفجر إلى دور الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين:

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ يعنى عليًّا، وفاطمة والحسن، والحسين، وجاريتهم فضة رضوان الله عنهم ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ يقول على شهوتهم للطعام، وإيثارهم به مسكينًا من المساكين المسلمين، ويتيمًا من يتامى المسلمين، وأسيرًا من الأسرى المشركين، يقولون إذا أطعموهم: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾ قال: والله ما قالوا لهم هذا بألسنتهم ولكنهم أضمروه فى نفوسهم[1] فأخبر الله عز وجل بإضمارهم، يقولون لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا، فتمنون عليه به ولكنا أعطيناكم لوجه الله وطلب ثوابه. قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ﴾ فى الوجوه ﴿وَسُرُورٗا﴾ فى القلوب ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ﴾ يسكنونها ﴿وَحَرِيرٗا﴾ يلبسونه ويفترشونه ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾.

قال ابن عباس: بينا أهل الجنة فى الجنة إذا رأوا ضوءًا كضوء الشمس، وقد أشرقت الجنان له، فيقول أهل الجنة: يا رضوان ليست هذه شمس ولا قمر، ولكن هذه فاطمة وعلىّ ضحكا ضحكًا أشرقت الجنان من نور ضحكهما، وفيهما أنزل الله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ (الإنسان: ٢٢).

(١) فى الهامش: «صدورهم».

وقد أنشد فيه:

أنا مـــولى لفتى نزلت فيه هل أتى

وعلى هذا القول تكون السورة مدنية، وقد اختلف العلماء فى نزول هذه السورة: فقال مجاهد، وقتادة هى كلها مدنية، وقال الحسن وعكرمة: منها آية مكية، وهو قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ والباقى مدنية. وقال الآخرون: هى كلها مكية، والله أعلم.

❖ ❖ ❖

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾: أى قريبة منهم ظلال أشجارها. وفى نصب ﴿وَدَانِيَةً﴾ أوجه: أحدها: العطف بها على قوله: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾. والثانى: على موضع قوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، ويرون دانية. والثالث: على المدح، وأتت دانية لأن الظلال جمع. وفى قراءة عبد الله: ودانيًا عليهم. فقدم الفعل. وفى حرف أُبى: ودانٍ، رفع على الاستئناف.

﴿وَذُلِّلَتْ﴾: سخرت، وقربت ﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارها ﴿تَذْلِيلًا﴾: يأكلون من ثمارها قيامًا، وقعودًا، ومضطجعين يتناولونها، وينالونها كيف شاءوا، وعلى أى حال كانوا.

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد أخبرنا حامد بن محمد أخبرنا موسى بن إسحاق أخبرنا أبى أخبرنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: أرض الجنة من ورق، وترابها مسك، وأصول شجرها ذهب، وورق أفنانها لؤلؤ، وزبرجد، وياقوت، والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائمًا لم يؤذه، ومن أكل قاعدًا لم يؤذه، ومن أكل مضطجعًا لم يؤذه، فذلك قوله عز وجل:

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ .

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ : قال المفسرون : أراد بياض الفضة فى صفاء القوارير، فصفاؤها صفاء الزجاج، وهى من فضة.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا سفيان (ح)[1] وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن حمدويه أخبرنا محمود بن آدم أخبرنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله عز وجل : ﴿قَوَارِيرَا۠ ۝ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ . قال : لو أخذت فضة من فضة الدنيا . وضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم ترا الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة ببياض الفضة فى صفاء القارورة.

وقال الكلبى، والثمالى : إن الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وإن تراب الجنة من فضة فجعل من تلك الفضة قوارير يشربون فيها ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ : على قدر ريهم لا تزيد ولا تنقص. وقال الربيع، والقرظى : عِلى قدر ملء الكف. وقرأ العامة بفتح الكاف، والدال : أى قدرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شعبة أخبرنا أبو حامد المستملى أخبرنا محمد ابن حاتم الزّمنى أخبرنا هشيم أخبرنا إسماعيل بن سالم عن الشعبى قال : سمعته قرأها : قدروها بضم القاف وكسر الدال أى قُدِّرت عليهم فلا زيادة فيها ولا نقصان. قال : وسمعت غيره يقول : قدَّروها فى أنفسهم، فأتتهم على ما قدَّروها لا تزيد ولا تنقص.

قوله تعالى : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ : يُشوِّق . . .[2].

من جلده أطيب ريحًا من المسك الأذفر ويضم بطنه، وتعود شهوته. وقيل يطهرهم من الذنوب والأدناس والأنجاس، ويرشحهم للجنة.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ سوق ومطرب من غير لدع، والعرب تستحب الزنجبيل، قال شاعرهم :

كأن جنيا من الزنجبيل خالط ... فاهــا وأريا مشـــورا

وقيل : هو عين فى الجنة توجد منها طعم الزنجبيل.

قال قتادة : شربها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ قال قتادة : سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا، وقال

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد حتى لا يحدث خلط بين الإسنادين.

(٢) أحسب أن من هنا سقط فى أوراق المخطوط للآيات التى سوف أشير إليها بعد قليل.

مجاهد: حديدة الجرية. يمان: طيبة الطعم والمذاق، تقول العرب: هذا شراب سلس وسلسل وسلسبيل، أبو العالية ومقاتل بن حيان: سميت سلسبيلا، لأنها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك، ومعنى ﴿تُسَمَّىٰ﴾ توصف، لأن أكثر العلماء على أن سلسبيل صفة الاسم.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ وهو أن أدناهم - يعنى أهل الجنة - منزلة ينظر من ملكه فى مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وقيل: هو استئذان الملائكة عليهم، وقيل: ﴿وَمُلْكًا﴾ لا زوال له.

قال أبو بكر الوراق: ملكا لا يتعقبه هلك، وقال محمد بن على الترمذى: يعنى ملك التكوين إذا أراد شيئًا كان.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ قرأ قتادة ومجاهد وابن سيرين وعون العقيلى وابن محيصن وأبو جعفر ونافع والأعمش وحمزة وأيوب ﴿عَالِيهِمْ﴾ بتسكين الياء على أنه اسم موصوف بالفعل يقول علاهم فهو عاليهم، واختاره أبو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود وابن وثاب وغيرهما (عاليتهم) وتفسير ابن عباس: أما رأيت الرجل عليه ثياب يعلوها أفضل منها، وقرأ الباقون بنصب الياء على الصفة أى فوقهم وهو نصب على الظرف، وقيل هو كقوله: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنبياء: ٣) وقد مضى، ذكرنا تقديم الصفة على الموصوف، وقيل: معناه عاليًا لهم ثيابها كقوله: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ (المائدة: ٩٥) ونحوها.

﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ اختلف القراء فيهما فقرأ ابن كثير وأبو بكر والمفضل خضر بالخفض على نعت السندس والإستبرق بالرفع على نعت الثياب، وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بضده واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، وقرأ نافع وأيوب وحفص كليهما بالرفع، وقرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائى وخلف كليهما بالجر.

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ طاهر من الأقذار لم تدنسه الأيدى ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا قال أبو قلابة وإبراهيم: يعنى أنه لا يصير نجسًا ولكنه يصير رشحًا فى أيديهم كريح المسك، وأن الرجل من أهل الجنة يقسم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا وأكلهم ونهمتهم، فإذا أكل ما شاء سقى شرابًا طهورًا فيطهر بطنه ويصير ما أكل رشحًا يخرج من جلده أطيب ريحًا من المسك الأذفر ويضمر بطنه وتعود شهوته، وقيل: يطهرهم من الذنوب والأدناس والأنجاس ويرشحهم للجنة.

وقال جعفر يطهر به عن كل شىء سواه إذ لا طاهر من تدنس بشىء من الأكوان.

وقال أبو سليمان الدارانى: سقاهم ربهم على حاشية بساط الوُد فأزواهم من صحبة الخلق وأراهم رؤية الحق وأقعدهم على منابر القدس، وحياهم بتحف المزيد، وأمطر عليهم مطر التأبيد فسالت عليهم أودية الشوق فكفاهم هموم الفرقة، وحياهم بسرور القربى.

وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشاشى يقول سمعت الحسن بن علويه الدمغانى يقول سُئل أبو يزيد البسطامى عن قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال: طهرهم به عن محبة غيره. ثم قال: إن لله شرابًا ادخره لأفضل عباده يتولى سقيهم، فإذا شربوا طاشوا وإذا طاشوا طاروا، وإذا طاروا وصلوا، وإذا وصلوا اتصلوا، فهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وسمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت طيب الحمال يقول: صليت خلف سهيل[1] بن عبد الله العتمة، فقرأ قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فجعل يحرك فمه كأنه يمص شيئًا، فلما فرغ من صلاته، قيل له: أتشرب أم تقرأ؟ فقال: والله لو لم أجد لذة عند قراءته كاللذة عند شربه ما قرأته.

وأخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين الحديثى حدثنى هارون بن محمد بن هارون أخبرنا حازم بن يحيى الحلوانى أخبرنا محمد بن عبد الله بن عمار الموصلى أخبرنا عفيف بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى النبى ﷺ يسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «سل واستفهم». فقال: يا رسول الله، فضلتم علينا بالصور، والألوان، والنبوة، أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به، وعملت بمثل ما عملت به إنى لكائن معك فى الجنة؟ قال: «نعم». ثم قال النبى ﷺ: والذى نفسى بيده ليرى بياض كل أسود فى الجنة من مسيرة ألف عام». ثم قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة». قال رجل: كيف نهلك بعدها يا رسول الله قال: «إن الرجل ليأتى يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله، قال: فتقوم النعمة من نعَم الله تعالى فتكاد أن تستنفد ذلك كله إلاّ أن يتطوّل الله عز وجل برحمته ثم نزلت: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ الآيات. قال الحبشى: وإن عينىّ لتريان ما ترى عيناك فى الجنة؟ قال النبى ﷺ: «نعم».

---

(١) كذا فى متن المخطوط: «سهيل»، وفى هامش المخطوط: «سهل».

فاشتكى الحبشى حتى فاضت نفسه. فقال ابن عمر: لقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه فى حفرته بيديه(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ (٢) قال ابن عباس: متفرقًا آية بعد آية ولم ينزل جملة، ولذلك قال: ﴿نَزَّلْنَا﴾.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾: يعنى وكفوراً، الألف صلة. قال الفراء: أو بمعنى لا كقول الشاعر:

لا وجـد شكلى كما وجدت ... ولا وجد عجول(٣) أضلها رُبَعُ
أو وَجْـدُ شيخ أضل ناقتـه ... يوم توافى الحجيج فاندفعـوا

أراد: ولا وجد شيخ.

قال قتادة: الآثم الكفور الذى نهى الله تعالى نبيه عليه السلام فى طاعته أبو جهل لما فرضت على النبى ﷺ الصلاة، وهو يومئذ بمكة نهاه أبو جهل عنها، وقال: لئن رأيت محمداً ﷺ يصلى لأطأن عنقه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ يعنى مشركى مكة، ﴿آثِمًا﴾ يعنى عتبة بن ربيعة، قال للنبى ﷺ: إن كنت صنعت ما صنعت من أجل النساء، فقد علمت قريش أنَّ بناتى من أجملها بناتًا، فأنا أُزوجك ابنتى، وأسوقها إليك بغير مهر، فارجع عن هذا الأمر.

﴿أَوْ كَفُورًا﴾: يعنى الوليد بن المغيرة قال للنبى ﷺ: يا محمد إن كنت صنعت ما صنعت من أجل المال وقد علمت قريش أنى من أكثرهم مالاً فأنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الأمر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا﴾ يعنى عتبة: ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ يعنى ولا كفوراً وهو الوليد بن المغيرة.



﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا

---

(١) متن هذا الحديث يدل على وضعه، وقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات فى (٢/ ٢٣١) وكذا العجلونى فى كشف الخفا (١/ ٤٧٣).

(٢) قلت سقط منه سهواً أو فقد من أوراق المخطوط الأصلى من تفسير قوله تعالى: ﴿﴾ وتركت نقلها عن أى من التفاسير حفاظًا على أسلوب المؤلف فيلاحظ ذلك، والله الموفق والهادى للصواب.

(٣) كذا فى متن المخطوط: «عجول» وفى هامش المخطوط: «عجوز» وهو الأرجح والله أعلم.

شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾: يعني صلاة العشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾: يعني التطوع ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾: أمامهم، وقدامهم كقوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ (الكهف: ٧٩) وقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ (المؤمنون: ١٠٠).

﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: وهو يوم القيامة ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ﴾: قوّينا وأحكمنا ﴿أَسْرَهُمْ﴾: قال مجاهد وقتادة، ومقاتل: خلقهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس. يقال: رجل حسن الأسْر أي حسن الخلق، وفرس شديد الأسْر. وقال أبو هريرة، والربيع: مفاصلهم. وقال الحسن: أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب. وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾. قال: الشَّرَج. وأصل الأَسْر الشد، يقال ما أحسن أسْر قتبه. أي شده. ومنه قولهم: خذ بأسْره إذا أرادوا أن يقولوا: هُوَ لَكَ كُلُّهُ. كأنهم أرادوا بعكمه وشده لم يفتح ولم ينقص منه شيء، قال لبيد:

ساهم الوجـه شديد أسره مشرف الحارك محبوك الكفل

وقال الأخطل:

من كل مجتنب شديد أسره سلس القيـاد تخاله مُخْتالا

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: أي وسيلة بالطاعة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾: بالياء ابن كثير، وأبو عمرو، ومثله روى هشام عن أصحاب الشام وغيرهم بالتاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: لأن الأمر إليه لا إليكم. وفي قراءة عبد الله: إلا ما شاء الله ﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: وقرأ أبان بن عثمان: والظالمون.



سورة المرسلات

(العرف)

مكية، وهى ثمانمائة وستة عشر حرفًا،
ومائة وإحدى وثمانون كلمة وخمسون آية

أخبرنا محمد بن القاسم الفقيه أخبرنا محمد بن يزيد العدل أخبرنا أبو يحيى البزاز أخبرنا محمد بن منصور أخبرنا محمد بن عمران حدثنى أبى عن مجاهد عن على بن زيد عن زر بن حبيش عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المرسلات كُتب أنه ليس من المشركين». وروى الأسود بن يزيد عن مسعود قال: نزلت ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ على رسول الله ﷺ ليلة الجن ونحن نسير معه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢﴾

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ : يعنى الرياح يتبع بعضها بعضًا كعرف الفرس. وقيل: كثيرًا. وتقول العرب: الناس إلى فلان عُرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا. وهذا معنى قول مجاهد، وقتادة. ورواية أبى عبيد عن ابن مسعود، والعوفى عن ابن عباس. وقال أبو صالح، ومقاتل: يعنى اسم واحد من الملائكة التى أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، وهى رواية مسروق عن ابن مسعود.

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ : يعنى الرياح الشديدة الهبوب.

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ : يعنى الرياح اللينة. وقال أبو صالح: هى المطر. وقال الحسن: هى الرياح يُرسلها الله تعالى نشرًا بين يدى رحمته، أقسم الله تعالى بالرياح ثلاث مرات. قال مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب.

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ : قال ابن عباس، وأبو صالح، ومجاهد، والضحاك: يعنى الملائكة التى تفرق بين الحق والباطل. وقال مقاتل[1]، والحسن، وابن كيسان: يعنى آى القرآن فرقت بين الحلال والحرام. وقيل: يعنى السحابات الماطرة تشبيهًا بالناقة الفارق، وهى الحامل التى تجزع حين تضع، ونوق فُرْقٌ وفراقٌ.

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ : يعنى الملائكة التى تنزل بالوحى، نظيره قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ (القدر: ٤)﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ : يعنى الأعذار والإنذار. اختلف القراء فيهما: فخففهما الأعمش، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائى. واختاره أبو عبيدة قال: لأنهما فى موضع مصدرين لكأنهما للإعذار والإنذار ليسا بجمع فيثقلا. وثقلهما الحسن، وهى رواية الأعشى، والبرجمى عن عاصم، والوليد عن أهل الشام، وروح عن يعقوب. والباقون بتثقيل النذر وتخفيف العذر. وهما لغتان. وقرأ إبراهيم التيمى: (عذرًا ونذرًا) بلا ألف بينهما.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ : محى نورها﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ : فتقت﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ : قلعت من أماكنها﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ : جمعت لميقات يوم معلوم. واختلف القراء فيه: فقرأ أبو عمرو: (وقتت) بالواو، وتشديد القاف على الأصل. وقرأ أبو جعفر بالواو، والتخفيف. وقرأ عيسى، وخالد بن إلياس: أُقِتَتْ بالألف وتخفيف القاف. وقرأ الآخرون بالألف والتشديد. وهى اختيار أبى عبيد، وأبى حاتم. العرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكدت وأكدت، وورَّخت الكتاب وأرّخته، وورّجت بين القوم وأرَّجت، ووشاح وأشاح، ووكاف وأكاف، ووسادة وأسادة. وقال النخعى: وعدت.

(١) كذا فى المخطوط فى المتن: «مقاتل» وفى الهامش: «قتادة».

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾: أى وقتت من الأجل. وقيل: أُخرت ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾: من الأمم المكذبة فى قديم الدهر ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾: السالكين سبيلهم فى[1] الكفر والتكذيب. وقرأ الأعرج: نُتْبِعْهُمْ بالجزم وقرأ ابن مسعود: سنتبعهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقت الولادة ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾: قرأ الحسن، والسلمى، وطلحة، وقتادة، وأبو إسحاق، وأهل المدينة، وأيوب بالتشديد من التقدير. وهى اختيار الكسائى. وقرأ الباقون بالتخفيف من القُدْرة. واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ (الواقعة: ٦٠) قرئ بالتخفيف، والتشديد ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾: وعاء ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾: أحياء على ظهرها، فإذا ماتوا ضمتهم إليها فى بطنها. وقال بيان: خرجنا فى جنازة مع الشعبى فنظر إلى الجبان[2]، فقال: هذه كفات الأموات، ثم نظر إلى البيوت فقال: وهذه كفات الأحياء. وأصل الكَفْت الجمع والضم. وكانوا يسمون بقيع الغرقد كَفْتَة، لأنه مقبرة تضم الموتى. ومنه قوله ﷺ: «خمروا آنيتكم، واكفتوا صبيانكم، وأجيفوا الباب وأطفئوا المصابيح فإن للشيطان انتشاراً وخَطْفَةً». يعنى بالليل. ويقال للأرض: كافتة.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾: عذبًا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: فى الدنيا ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: يعنى دخان جهنم إذا ارتفع انشعب. وقيل: إنها عنق تخرج من النار فتتشعب ثلاث شعب. فأما النور فيقف على رءوس المؤمنين والدخان على رءوس المنافقين. واللهب الصّافى يقف على رءوس الكافرين وقال مقاتل: هو السرادق، والظل من يحموم.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾: لا كنين ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۝ إِنَّهَا﴾: يعنى جهنم ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾: وهو ما تطاير من النار إذا التهبت، واحدتها شررة. وقرأ عيسى: بشرار. وهى لغة تميم واحدتها شرارة.

﴿كَالْقَصْرِ﴾: قراءة العامة بسكون الصاد. قال ابن مسعود: يعنى الحصون والمدائن وهو واحد القصور. وهى رواية الوالبى عن ابن عباس قال: كالقصر العظيم. قال القُرظى: إن على جهنم سوراً فما خرج من وراء السور بما يرجع إليه فى عظم القصر ولون القار.

---

(١) فى المخطوط كلمة: «من» وفوقها كلمة: «فى» فأثبت المناسب للسياق.

(٢) أى نظر إلى القبور، وهى تسمى الجبان وتسميها العامة الجَبَّانة حتى اليوم خصوصًا فى الريف.

وروى سفيان عن عبد الرحمن عن عابس قال سألت ابن عباس عن قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾. قال: هى الخشب العظام المقطعة، وكنا نعمد إلى الخشب فنقطعها ثلاث أذرع وفوق ذلك ودونه ندخره للشتاء فكُنَّا نسميها القَصْر. وقال مجاهد: هى حزم الشجر. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هى أصول النخل، والشجر العظام، وواحدتها قصرة مثل تَمْرَة وتَمْر، وَجَمْرَة وَجَمْر وقرأ على بن أبى طالب، وابن عباس: كَالْقَصَرِ بفتح الصاد أراد أعناقَ النخل والقَصَرَة العُنُقُ، وجمعها قَصَرٌ وقَصَرَاتٌ. وقرأ سعيد بن جبير: كالقِصَر بكسر القاف وفتح الصاد. قال أبو حاتم: ولعلَّه لُغَةٌ. ونظيرها من الكلام حاجة وحِوَجٌ؛ رَدَّ الكَناية إلى اللفظ.

❖ ❖ ❖

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ قرأ ابن عباس: جُمَالاتٌ بضم الجيم كأنه جمع جُمَالَة، وهى الشىء المجمل. وقرأ حمزة، والكسائى، وخلف: جمَالة من غير ألف، وكسر الجيم علَى جمع الجَمل مثل: حَجَر وحجارة. وقرأ يعقوب: جُمَالَة بضم الجيم من غير ألف أراد الأشياء العظام المجموعة وقرأ الباقون جمالات بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال. وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير هى حِبَال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال ﴿صُفْرٌ﴾: جمع الأصفر يعنى لون النار. قال بعض أهل المعانى: أراد سود الإبل لأن فى الخبر: أن رسول الله ﷺ قال: «إن شرر نار جهنم سود كالقير». والعرب تسمى السود فى الإبل صُفراً قال الشاعر:

تلك خيلى منه وتلك ركابى   هن صفرٌ أولادها كالزبيب

أى سود.

وإنما سُميت سود الإبل صفُراً لأنه يشُوبُ سوادها شيء من صُفْرَةٍ كما قيل لبيض الظباء آدم لأن بياضها يعلوه كدرة.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾: رفع عطف على قوله: ﴿يُؤْذَنُ﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: قال أبو عثمان أمسكتهم رؤية الهيبة وحَياء الذنوب. وقال الجنيد: وأى عذر لمن أعرض عن منعه وجحده وكفر بآياته ونعمه ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾: جمع الظل: وقرأ الأعرج: ظلل جمع الظُّلّة ﴿وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: يقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾: فى الدنيا ﴿قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾: مشركون مستخفون للعذاب ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾: صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يصلون. قال مقاتل: نزلت فى ثقيف حيث أمرهم النبى ﷺ بالصلاة فقالوا: لا ننحنى فإنها مَسَبَّةٌ علينا. فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود». قال ابن عباس: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: أى بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به. قال أهل المعانى: ليس قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تكراراً غير مفيد، لأنه أراد بكل قول منه غير ما أراد بالقول الآخر، كأنه ذكر شيئًا، ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذا. والله أعلم.



سُورَةُ النَّبَإِ

مكية، وهى سبعمائة وسبعون حرفًا،
ومائة وثلاث وسبعون كلمة وأربعون آية

أخبرنا ابن المقرئ أخبرنا ابن مطر أخبرنا ابن شريك أخبرنا ابن يونس أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أُبى بن كعب: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾: يعنى عن أى شىء يتساءلون هؤلاء المشركون وذلك أنهم اختلفوا واختصموا فى أمر محمد ﷺ وما جاءهم به؛ ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال مجاهد: هو القرآن. دليله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ (ص: ٦٧) الآية. وقال قتادة: هو البعث ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: فمصدق ومكذب ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: وهذا وعيد لهم. وقال

الضحاك: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: يعنى الكافرين ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: يعنى المؤمنين. قراءة العامة بالياء فيهما. وقرأ الحسن، ومالك بن دينار بالتاء فيهما.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا ذكورًا وإناثًا ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: راحة لأبدانكم، والنائم مسبوت لا يعلم، ولا يعقل كأنه ميت ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: غطاء وغشاء يلبس كل شىء بسواده ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: سببًا لمعايشكم والتصرف فى مصالحكم فسماه به كقول الشاعر:

وآخر الهموم إذا الهموم تحصرت جُنُح الظلام وسادة لا ترقـــد

فجعل الوسادة هى التى لا ترقد، والمعنى أصحاب الوسادة.

قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾: مضيئًا منيرًا ﴿وَهَّاجًا﴾: وقادًا حارًا، وهى الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾: قال مقاتل، ومجاهد، وقتادة: يعنى الرياح التى تعصر السحاب، وهى رواية العوفى عن ابن عباس. ومجازه على هذا التأويل: أى بالمعصرات ﴿مِنَ﴾ بمعنى الباء كقوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ﴾ (القدر: ٤، ٥). وكذلك كان عكرمة يقرأها: (وأنزلنا بالمعصرات). روى الأعمش عن المنهال بن عمر عن قيس بن سكن قال: قال عبد الله فى قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾. قال: يبعث الله الريح فتحمل الماء من السماء فتدر كما تدر اللقحة، ثم يبعث الماء كأمثال العزالى فتضربه الرياح فينزل متفرقًا.

قال المؤرّج: ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾ ذوات الأعاصير. قال أبو العالية، والربيع، والضحاك: هى السحاب التى تجلب المطر ولم تمطر كالمرأة المعصر، وهى التى دنا حيضها. قال أبو النجم:

قد أعصرت أو قد دنا إعصارها. وهذا معنى رواية الوالبى عن ابن عباس. قال المبرد: المعصرات القاطرات. وقال ابن كيسان: المغيبات من قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف: ٤٩)، وقال أُبى بن كعب، والحسن، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ أى من السموات.

﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾: صبابًا. وقال مجاهد: مدرارًا. وقال قتادة: متتابعًا يتلو بعضه بعضًا وقال ابن زيد: كثيرًا.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾: مجمعة وملتفة بعضها ببعض، وواحدها اللف فى قول نحاة البصرة، وليس بالقوى وفى قول الآخرين: واحدها لف ولفيف. وقيل: هى جمع الجمع يقال: جنة لف وبنت لف وجنان لُف بضم اللام ثم يجمع اللف ألفافًا.

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَـٰتٗا﴾ : لما وعد الله.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ : زمرًا زمرًا. أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد ابن شنبة أخبرنا عبد الله بن أحمد بن منصور الكسائى أخبرنا محمد بن عبد الجبار أخبرنا محمد ابن زهير عن محمد بن المهتدى عن حنظلة الدورى عن أبيه عن البراء بن عازب قال: كان معاذ ابن جبل جالسًا قريبًا من رسول الله ﷺ فى منزل أبى أيوب الأنصارى، فقال معاذ: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ ؟ قال: «يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر» ثم أرسل عينيه، ثم قال: «تحشرون عشرة أصناف من أمتى أشتاتًا قد ميزهم الله تعالى من جماعة المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكوسين أرجلهم فوق وجوههم فيسحبون عليها، وبعضهم عمى يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابًا يقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبين على جذوع من نار بعضهم أشد نتنًا من الجيف، وبعضهم يلبسون جبابًا سابغة من قطران لازقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس - يعنى النمام - وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السُّحت، وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا، والعمى من يجور فى الحكم، والصم البكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصّاص الذين خالف قولهم أعمالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع النار السعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتنًا من الجيف فالذين يستمتعون بالشهوات واللذات، ومنعوا حق الله عز وجل من أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلة»[1].

قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ : قرأ أهل الكوفة بالتخفيف، وغيرهم بالتشديد ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ : أى شقت لنزول الملائكة. وقيل: شقت حتى جعلت كالأبواب قطعًا. وقيل: تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق. وقيل: إن لكل عبد بابين إلى السماء باب لعمله، وباب لرزقه، فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ : على وجه الأرض ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ : كانت كالتراب ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا﴾ : طريقًا وممرًا فلا سبيل إلى الجنة حتى تقطع النار. قال مقاتل: محبسًا ﴿لِّلطَّـٰغِينَ﴾ :

(١) هذا حديث فى إسناده من لم أقف عليه وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦/ ٣٠٧) عن البراء بغير إسناد، وهو حديث متنه لا يصح ولا يعتد به، والله أعلم.

للكافرين ﴿مَـَٔابًا﴾: مرجعًا.

﴿لَّـٰبِثِينَ﴾: قرأها العامة بالألف. وقرأها علقمة، وحمزة (لَبِثينَ) بغير ألف وهما لغتان ﴿فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: جمع حقب، والحُقب جمع حِقْبَة كقول متمم بن نويرة:

وكنا كندمانى جذيمة حِقْبَةً ... من الدَّهر حتى قيل لن يتصدعا

واختلف العلماء فى معنى الحقب: فقال قوم: هو اسم الزمان والدهر وليس له حَدٌّ معلوم. وروى أبو الضحى عن ابن مسعود قال: لا يعلم عدد الأحقاب إلاّ الله تعالى. وقال الآخرون: هو محدود. ثم اختلفوا فى مبلغ مدته. فقال طارق بن عبد الرحمن: دعانى شيخ بين الصفا والمروة، فإذا عنده كتاب عبد الله بن عمرو: ﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ أن الحقب أربعون سنة كل يوم منها ألف سنة؛ أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد بن على، والحسن بن محمد بن حبش قالا: أخبرنا محمد بن عمران أخبرنا ابن المقرئ وأبو عبد الله قالا: أخبرنا العبدى عن سفيان عن عمار الدهنى قال: قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لهلال الهَجَرى: ما تجدون الحُقب فى كتاب الله تعالى المنزل، قال نجده فى كتاب الله عز وجل ثمانين سنة. كل سنة اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يومًا كل يوم ألف سنة.

وأخبرنا ابن فنجويه محمد بن عبد الله بن محمد بن الفتح أخبرنا أبو حامد محمد بن هارون الخضرى أخبرنا زياد بن أبى يزيد أخبرنا سليمان بن مسلم عن سليمان التيمى عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكونوا فيها أحقابًا، والحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم كألف سنة مما تعدون ولا يتكلن أحد على أن يخرج من النار».

وقال أُبى بن كعب: بلغنى أن الحقب ثلاثمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم ألف سنة. وقال مجاهد: الأحقاب ثلاثة وأربعون حقبًا، كل حقب سبعون خريفًا، كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم ألف سنة. قال الحسن: إن الله تعالى لم يذكر شيئًا إلاّ وجعل له مدةً ينقطع إليها، ولم يجعل لأهل النار مُدَّةً بل قال: ﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾، فوالله ما هو إلاّ لهم إذا مضى حقب دخل آخر، ثم آخر إلى أبد الآبدين، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود فى النار، ولكن قد ذكروا أن الحقب الواحد سبعون ألف سنة كل يوم منها كألف سنة مما نعده. وقال مقاتل: الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة، قال: وهذه الآية منسوخة نسختها ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ بمعنى أن العذاب ارتفع والخلود قد حصل[1].

(١) سبق أن قلنا إن فى مسألة النسخ كلامًا كثيراً بين العلماء فمنهم من يجيزه ومنهم من ينكره، والآيتان هنا بمعنى =

وقال بعض العلماء: الآية: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا۝ لَّا يَذُوقُونَ﴾ فى تلك الأحقاب غير الحميم والغساق من أنواع العذاب، فهو توقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم فى النار.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا﴾: يشفيهم من الحر إلا الغساق، وهو الزمهرير، وقيل صديد أهل السعير. وقال الثمالى: دموعهم. وقال شهر بن حوشب غساق واد فى النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعبًا فى كل شعبة ثلاثمائة وثلاثون بيتًا فى كل بيت أربع زوايا فى كل زاوية شجاع كأعظم ما خلق الله تعالى من الخلق فى رأس كل شجاع سُمٌّ[1].

﴿وَلَا شَرَابًا﴾: يرويهم من العطش ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾: أنبأنى عبد الله بن حامد أخبرنا حامد بن محمد أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حماد أخبرنا محمد بن على بن الحسن الشقيقى قال سمعت أبا معاذ النحوى الفضل[2] بن خالد المروزى يقول فى قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا﴾. قال: البرد: النوم. ومثله قال الكسائى، وأبو عبيدة، وأنشدوا فيه:

بردت مراشفها فصدّنى عنها وعن قبلاتهـــا البـردُ

يعنى النوم.

والعرب تقول: منع البردُ البردَ، يعنى أذهب البردُ النومَ. قال الفراء: إن النوم لَيبْرُدُ صاحبه وإن العطشان لينام فيبرد غليله، فلذلك سمى النوم بردًا، قال الشاعر:

وإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نُقَاخًا ولا بُرْدَا

أى نومًا.

قال الحسن وعطاء: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا﴾. أى روحًا وراحة.

﴿جَزَآءً﴾: نصب على المصدر. مجازه: جازيناهم جزاءً.

﴿وِفَاقًا﴾: وافق أعمالهم وفاقًا كما تقول: قاتل قتالا، عن الأخفش. وقال الفراء: هو جمع وَفْق، والوَفْقْ، واللَّفْقُ واحد. وقال الربيع: جزاء بحسب أعمالهم. وقال الضحاك: على قدر أعمالهم. وقال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من النار. وقال الحسن وعكرمة: كانت أعمالهم سيئة، فأثابهم الله تعالى بما يسوءهم.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ﴾: يخافون ﴿حِسَابًا۝ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾: تكذيبًا. قال الفراء: وهى

= واحد فلا ناسخ ولا منسوخ بينهما حيث لم يحدد عدد الأحقاب بغض النظر عن مدة الحقب كما أن الآية التى استشهد بها عامة وكثير من الآيات تبين الخلود عافانا الله وإياكم منها.

(١) هذا الوصف وتلك الأرقام خالية من الأدلة الشرعية فلا يعتد بها ولا ينظر إليها فلم ينزل الله بها من سلطان.

(٢) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: المفضل وهو تصحيح من الناسخ.

لغة يمانية فصيحة يقولون: كَذَّبْتُ كذَّابًا، وخرَّقت القميص خرَّاقًا، وكل فَعَّلْتُ فمصدرها فِعَّالٌ في لغتهم مشدَّد. قال: وقال لي أعرابي منهم، على المروة يستفتيني: الحلاق أحب إليك أم القِصَّار؟ وأنشدني بعض بني كلاب:

لقد طال ما ثبطني عن صحابتي وعن حَوَجٍ قضاؤها من شِفَائيا

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر السني أخبرني ابن يحيويه أخبرنا أبو داود الحراني أخبرنا شعيب بن بنان أخبرنا مهدي بن ميمون قال سمعت الحسن بن دينار سُئل عن أشد آية في القرآن على أهل النار، فقال الحسن: سألنا أبا برزة الأسلمي، فقال: سألت رسول الله ﷺ قال: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

❖ ❖ ❖

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ۝﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: فوزاً ونجاة من النار إلى الجنة. وقال ابن عباس، والضحاك: متنزهًا ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ﴾: نواهد قد تكعَّب ثديهن واحدتهن كاعب، قال بشر بن أبي حازم:

فهن ركود كالكواعب حــوله لهن حرير تحت ظلماء جنْدِين

﴿أَتْرَابًا﴾: مستويات في السن ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: قال ابن عباس، والحسن وقتادة وابن زيد مترعة مملوءة. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: متتابعة. وروى ثابت البناني عن أبي رافع عن أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿دِهَاقًا﴾ دَما دَم فارسية. وقال عكرمة: صافية، وقال مقاتل: على قدر ريِّهم.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾: تكذيبًا، وكذلك هي في قراءة العامة. وخففه الكسائي، وهي

قراءة أمير المؤمنين على عليه السلام. هما مصدران للتكذيب.

وقال قوم: الكِذَاب بالتخفيف مصدر المكاذبة، وقيل: هو الكذب. قال الأعشى:

فصدقتها وكذبتها　　　والمرء ينقضه كِذَابهُ

وإنما خفف ههنا لأنها ليست بمقيدة بفعل يصيرها مصدراً له، وشَدد قوله: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ لأن كذَّبوا يُقَيِّد الكذَّاب بالمصدر.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾: كثيراً وافيًا. يقال: أَحْسَبْتُ فلانا أى أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبى ويكفينى قال الشاعر:

ونقفى وليد الحى إن كان جائعًا　　　ونُحْسِبُه إن كان ليس بجائع

أى نعطيه حتى يقول حسبى.

وقيل: جزاء بقدر أعمالهم. وقرأ أبو هاشم: (عطاءً حَسَّابًا) بفتح الحاء وتشديد السين على وزن فَعَّال أى كفاءٌ. قال الأصمعى: تقول العرب: حَسَّبتُ الرجل بالتشديد إذا أكرمته، وأنشد:

إذا أتاه ضيفه يُحَسِّبُهْ　　　فمن خاثر أو من صريح يَحْلُبُهْ

أخبرنا ابن فنجويه اخبرنا ابن حبيش المقرئ أخبرنا الظهرانى أخبرنا يحيى بن الفضل أخبرنا وهيب بن عمر أخبرنا هارون بن موسى عن حنظلة عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ: عَطاءً حَسَنًا بالنون.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: قرأ ابن مسعود، وأشهب، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وسلام، ويعقوب برفع الباء والنون. وقرأ ابن عامر، وعيسى، وعاصم كلاهما خفضًا. واختاره أبو حاتم. وقرأ ابن كثير مثل نافع. وقرأ ابن مُحيصن، ويحيى، وحمزة والكسائى: ﴿رَّبِّ﴾ خفضًا، و (الرحمنُ) رفعًا. واختاره أبو عبيد فقال: هذه أعدلها عندى أن يخفض الأولى منها لقربه من قوله: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ فيكون نعتًا، ثم يرفع (الرحمنَ) لبعده منه.

﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا﴾: كلامًا. وقال الكلبى[1]: شفاعة إلا بإذنه.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ فاختلفوا فيه. فأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن حَرْجَةَ أخبرنا عبد الله بن العباسى يعنى الطيالسى أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثنى أبى أخبرنا إبراهيم بن طهمان عن سالم الأعور عن مجاهد عن ابن عباس قال: أتى نفر من اليهود

(١) كذا فى متن المخطوط وفى هامشه: «الكسائى».

رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الروح ما هو؟ فقال: «جند من جند الله ليسوا بملائكة لهم رءوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام». ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ الآية، فقال: «هؤلاء جُند وهؤلاء جُند». وقال ابن عباس هو من أعظم الملائكة خلقًا.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا ابن علوية أخبرنا إسماعيل أخبرنا المسيب أخبرنا ثابت أبو حمزة عن عامر عن علقمة عن ابن مسعود قال: الروح ملك أعظم من السموات، ومن الجبال وأعظم من الملائكة، وهو فى السماء الرابعة يُسَبِّح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة يُخْلَقُ من كل تسبيحة ملك يجىء يوم القيامة صفًا وحده(١).

وقال الشعبى، والضحاك: هو جبريل. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: إن عن يمين العرش نهراً من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع، والبحار السبع يدخل جبريل عليه السلام فيه كل سحر، فيغتسل فيزداد نورًا إلى نوره، وجمالاً إلى جماله وعظمًا إلى عظمه، ثم ينتفض فيخرج الله سبحانه من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك، يدخل كل يوم منهم سبعون ألف ملك البيت المعمور، وفى الكعبة سبعون ألفًا لا يعودون إلى أن تقوم الساعة(٢).

وقال وهب: إن جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله عز وجل ترعد فرائضه يخلق الله تعالى من كل رعدة مائة ألف ملك، فالملائكة صفوف بين يدى الله تعالى منكسو رؤوسهم، فإذا أذن الله تعالى لهم فى الكلام قالوا: لا إله إلا أنت وهو قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾:

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ يعنى لا إله إلا الله. وقال مجاهد: هم خلق على صورة بنى آدم يأكلون، ويشربون. وقال أبو صالح: خلق يشهدون الناس وليسوا بالناس. وقال الحسن، وقتادة: هم بنو آدم. وقال قتادة: وهذا مما كان يكتمه ابن عباس، وروى مجاهد عن ابن عباس قال: الروح خلق من خلق الله، وصورهم على صور خلق بنى آدم، وما ينزل من السماء ملك إلاّ ومعه واحد من الروح. قال عطية عنه: هى أرواح الناس

---

(١) ما دام أن الله سبحانه وتعالى سكت عن تفصيل ذكره فلا يسعنا إلا أن نقف عند حدود ما أراد الله لنا من أمره. سواء كان جبريل عليه السلام أم خلق غيره.

(٢) هذا الخبر فى التعليق عليه كسابقه، ثم إننا لا نعرف عن السموات الأخرى سوى أنها سبعة رأينا منها واحدة وآمنا بما سوى ذلك ولم نر من الأرضين السبع سوى واحدة نحن عليها ونؤمن بما وراء ذلك فمن أين لنا أن نصدق ما يقال وليس عليه دليل من كتاب ربنا سبحانه.

يقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن يَرُدَّ الأرواح إلى الأجساد. وقال ابن زيد: كان أبى يقول: هو القرآن، وقرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢) الآية.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾: قال الشعبى: سمَاطًا رب العالمين يوم القيامة: سمَاط من الروح، وسمَاط من الملائكة ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: حقًا فى الدنيا وعمل به. أخبرنا أبو سعيد بن حمدون أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار العطاردى أخبرنا أبو معاوية الضرير عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾. قال: لا إله إلا الله فى الدنيا.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: مرجعًا وسبيلاً إلى طاعته، ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾: يعنى القيامة. وقيل: القتل ببدر.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾: وقال عبد الله بن عمرو: إذا كان يوم القيامة مُدَّت الأرض مَدَّ الأديم، وحُشر الدواب، والبهائم، والوحوش، ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى تقتص الشاة الجماء من الشاة القرناء بنطحتها، فإذا فرغ من القصاص قال لها: كونى ترابًا. فعند ذلك: ﴿يَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾. قال مجاهد: يقاد يوم القيامة للمنقورة، والمنطوحة من الناقرة والناطحة. وقال المقاتلان: إن الله تعالى يجمع الوحوش والهوام والطير، وكل شيء غير الثقلين، فيقول: من ربكم؟ فيقولون: الرحمن الرحيم، فيقول لهم الرب جل جلاله بعدما يقضى بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء: إنّا خلقناكم وسخرناكم لبنى آدم، وكنتم مطيعين أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذى كنتم، كونوا ترابًا، فيكونون ترابًا، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار ترابًا تمنى فيقول: يا ليتنى كنت فى الدنيا على صورة خنزير رزقى كرزقه، وكنت اليوم فى الآخرة ترابًا. وقال عكرمة: بلغنى أن السباع والوحوش والبهائم إذا رأين يوم القيامة بنى آدم وما هم فيه من الغم والحزن قلن: الحمد لله الذى لم يجعلنا مثلكم، فلا جنة نرجو ولا نار نخاف، وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن خالد أخبرنا داود بن سليمان أخبرنا عبد بن حميد أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا يعقوب بن عبد الله أخبرنا جعفر عن عبد الله بن ذكوان زياد قال: إذا قضى الله سبحانه بين الناس، وأمر أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار قيل لسائر الأمم ولمؤمنى الجن عودوا ترابًا فيعودون ترابًا، فعند ذلك: ﴿يَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾.

وبه قال ليث بن أبى سليم: مؤمنو الجن يعودون ترابًا. وقال عمر بن عبد العزيز: إن مؤمنى

الجن حول الجنة فى رياض ورحاب وليسوا فيها .

وسمعت أبا القاسم الحسن بن حبيب يقول : رأيت فى بعض التفاسير : أن الكافر ههنا إبليس ، وذلك أنه عاب آدم عليه السلام لأنه خلقَ من التراب وافتخر أنه خلق من النار ، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة ورأى ما هو فيه من الشدَّة والعذاب تمنى أنه بمكان آدم فيقول حينئذ : ﴿يَـٰلَيۡتَنِی كُنتُ تُرَ ٰبَۢا﴾ .

وقال أبو هريرة : فيقول التراب للكافر : لا ولا كرامة لك من جعلك مثلى .



سورة النازعات

مكية، وعدد حروفها سبعمائة وثلاثة وخمسون حرفًا،
وكلماتها مائة وسبع وسبعون كلمة وست وأربعون آية

عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النازعات كان حبسه فى القبر حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة». وروى «لم يكن حبسه فى القبر والقيامة إلاّ كقدر صلاة مكتوبة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقًا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقًا﴾ قال مسروق: يعنى هى الملائكة التى تنزع نفوس بنى آدم. وهى رواية أبى صالح، وعطية عن ابن عباس. قال أمير المؤمنين على عليه السلام: هى الملائكة تنزع أرواح الكفار. وقال ابن مسعود: يريد أنفس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافير وأصول القدمين ثم يغرقها ويرددها فى جسده بعدما ينزعها حتى إذا كادت تخرج ردّها فى جسده فهذا عمله بالكافر، وقال مقاتل: هم ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشُّعَبِ من الصوف المبتل فتخرج نفسه كالغريق فى الماء.

وقال سعيد بن جبير: نزعت أرواحهم ثم غرقت ثم حرقت تم قذف بها فى النار. وقال مجاهد: الموت ينزع النفوس. وقال السدى: هى النفس حين تغرق فى الصدر وقيل: يرى الكافر نفسه فى وقت النزع كأنها تغرق. وقال الحسن، وقتادة، وابن كيسان، وأبو عبيدة

والأخفش: هى النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب. وقال عطاء وعكرمة: هى القسى. وقيل: الغزاة الرماة. ومجاز الآية: والنازعات إغراقا كما يُغَرّق النازع فى القوس إذا بلغ بها غاية المدّ حتى ينتهى إلى القشر الذى عند النصل الملفوف عليه. ويقال لقشرة البيضة الداخلة غرقى.

وأراد بالإغراق المبالغة فى النزع وهو سائغ فى جميع وجوه تأويلها.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ قال ابن عباس: يعنى الملائكة تنشط فى نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حُلَّ عنها. وحكى الفراء هذا القول قال: والذى سمعت من العرب أن تقول: أنشطت فكأنما يُنشط العقال من يد البعير إذا حل عنها. وحكى الفراء هذا القول قال: الذى سمعت من العرب أن تَقول أنشطت، فكأنها أنشط من عقال، وربطتها نشطًا، والرابط: الناشط، وإذا ربطت الحبل فى يد البعير فقد نشطته، وأنتَ ناشط، وإذا أحللته فقد أنشطته، وأنت مُنْشطٌ.

وعن ابن عباس أيضًا هى أَنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج، وذلك أنه ليس من مؤمن يحضره الموت إلاّ عُرضت عليه الجنة قبل أن يموت فيرى فيها أشباهًا من أهله، وأزواجه من الحور العين فهم يدعونه إليها فنفسه إليهم تنشطه أن تخرج فتأتيهم. وقال على بن أبى طالب عليه السلام: هى الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافهم بالكرب والغم. وقال مجاهد: هو الموت ينشط نفس الإنسان وقال السدى: حتى تنشط من القدمين. وقال عكرمة وعطاء: هى الأرهاق. قال قتادة والأخفش هى النجوم تنشط من أُفق إلى أُفق أى تذهب، يقال حمار ناشط ينشط من بلد إلى بلد، أى يذهب. ويقال للبقر الوحشى نواشط لأنها تذهب من موضع إلى موضع، قال الطرماح:

وهل تحليف الخيل ممن عهدته به غير أخدان النواشط رُوَّعُ

والهموم تنشط بصاحبها، قال هميان بن قحافة:

باتت همومى تنشط المناشطا الشام بى طوراً وطوراً واسطا

قال الخليل: النشط والإنشاط مدّك شيئًا إلى نفسك حتى يَنْحَلّ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ قال على بن أبى طالب عليه السلام: هى الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين. وقال الكلبى: هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين كالذى يسبح فى الماء، فأحيانًا ينغمس وأحيانًا يرتفع يسلونها سلاً رفيقًا، ثم يدعونها حتى تستريح. وقال مجاهد، وأبو صالح هى الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كما يقال للفرس الجواد سابح إذا

أسرع فى جريه. وقيل: هى خيل الغزاة، قال امرؤ القيس:

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبـار بالكـديد المركل

وقال قتادة: هى النجوم، والشمس، والقمر، قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠) وقال عطاء: هى السفن.

﴿فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا﴾ قال مجاهد، وأبو روق: سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. قال مقاتل: هى الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. وقال ابن مسعود: هى أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها، وقد عاينت السرور شوقًا إلى لقاء الله ورحمته وكرامته. وقال عطاء: هى الخيل. وقال قتادة: النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير.

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ يعنى الملائكة.

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر بن الطيب أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص، أخبرنا محمد بن خلف أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن عبد الرحمن بن سابط قال: يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل عليهم السلام. فأما جبريل فموكل بالريح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات. وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس. وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم[1].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ يعنى النفخة الأولى التى يتزلزل ويتحرك لها كل شىء. ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾وهى النفخة الأخيرة وبينهما أربعون سنة، وقال قتادة: هما صيحتان: أما الأولى: فتميت كل شىء بإذن الله عز وجل. وأما الأخرى: فتحيى كل شىء بإذن الله عز وجل. وقال مجاهد: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ يعنى تزلزل الأرض والجبال ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ حين تنشق السماء وتُحمل الأرض والجبال فدكتا دكّة واحدة. وقال عطاء: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ القيامة، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ البعث. قال ابن زيد: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ الموت و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ الساعة. وأصل الرجفة الصوت والحركة، ومنه سميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها، وإفاضة الناس فيها، وكل شىء ولى شيئًا وتبعه فقد ردفه.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك أخبرنا محمد بن هارون الحضرمى أخبرنا الحسن بن عرفة أخبرنا قبيصة بن عقبة عن سفيان الثورى عن عبد الله بن

---

(١) هذا قول عبد الرحمن بن سابط رحمنا الله وإياه ورأيه، ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ سبحانه وملائكته لا يعلم عددهم ولا كنههم ولا وظائفهم إلاّ خالقهم فهم يفعلون ما يؤمرون به من ربهم فلا يجب علينا أن نبحث فيما يعملون ولا فيما يكلفون ولنقبل على ما أمرنا نحن به ولنعمل فيه عساه أن يغفر لنا سبحانه برحمته وكرمه آمين.

محمد بن عقيل عن الطفيل بن أُبى بن كعب عن أُبى بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام وقال: «يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه».

واختلف العلماء فى جواب القسم: فقال بعض نُحَاة الكوفة: جوابه مُضْمَرٌ، مجازه: لتبعثن ولتحاسبن. وقال بعض نُحاة البصرة: هو قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ (النازعات:٢٦). وقيل: فى الكلام تقديم وتأخير تقديره: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقًا.

قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفة قال مجاهد: وجلة. وقال السدى: زائلة عن أماكنها، نظيره: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾(غافر:١٨) قال المؤرج: قلقة. قال قطرب: مستوفزة. قال يمان: غير هادئة ولا ساكنة؛ قال أبو عمرو بن العلاء: مرتكضة. وقال المبرد: مضطربة من وجيف الحركات، يقال: وجف القلب ووجب، فهو يجب، ويجف وجوفًا ووجيفًا ووجوبًا ووجيبًا.

﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ﴾ يعنى هؤلاء المكذبين المنكرين للبعث من مشركى مكة إذا قيل لهم إنكم مبعوثون بعد الموت.

﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أى إلى أول الحال، وابتداء الأمر فراجعون أحياء كما كنا قبل مماتنا وهو من قول العرب: رجع فلان على حافرته إذا رجع من حيث جاء. قال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار

ويقال النقد عند الحافر، وعند الحافرة أى...[1] عند ابتداء الأمر وأول سومه. والتقى القوم فاقتتلوا عند الحافرة أى عند أوّل كلمة.

أخبرنا أبو بكر الحمشاذى أخبرنا أبو بكر القطيعى أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أخبرنا عمر بن مرزوق أخبرنا عمار القطان قال سمعت الحسن يقول: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ قال: خلق جديد. وقيل: الحافرة العاجلة، أى أئنا لمردودون إلى الدنيا فنصير أحياء كما كُنَّا.

قال الشاعر:

ألاَ ليت لا أنساكم فاعملوا حتى يرد الناس فى الحافرة

وقال بعضهم: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ الأرض التى فيها تحفر قبورهم فسميت حافرة وهى بمعنى المحفورة كقوله: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق:٦) و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (الحاقة:٢١). ومعنى الآية: إنّا

(١) موضع النقط كلمة غير مقروءة تقطعت وتراكبت حروفها.

لمردودون إلى الأرض فنبعث خلقًا جديدًا، ثم مردودون فى قبورنا أمواتًا، وهذا قول مجاهد والخليل بن أحمد، وسميت الأرض حافرة لأنها مستقر الحوافر كما سمى القدم أرضًا لأنها على الأرض.

ومجاز الآية: نُردُّ فنمشى على أقدامنا؟ هذا معنى قول قتادة. وقال ابن زيد: الحافرة: النار، وقرأ: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ وقال: هى اسم من أسماء النار، وقال: ما أكثر أسماءها.

قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ قرأ أهل الكوفة إلاّ حفصًا وأيوب (ناخرة) بالألف وهى قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وابنه وابن عباس، وابن الزبير، وابن مسعود وأصحابه. واختاره الفراء وابن جرير لوفاق رءوس الآى. وقرأ الباقون: ﴿نَّخِرَةً﴾ بغير ألف وهى اختيار أبى عبيد، وأبى حاتم، قال أبو عبيد: إنما اخترناه لحجتين إحداهما: أن الجمهور بعضهم يرى الناس عليها منهم: أهل تهامة والحجاز، والشام، وأهل البصرة. والثانية: أنا نظرنا فى الآثار التى فيها ذكر العظام التى قد نخرت فوجدناها كلها العظام النخرة، ولم أسمع فى شىء منها الناخرة. وكان أبو عمرو يحتج بحجة ثالثة قال: إنما تكون الناخرة التى تنخر بعد ولم تفعل. وهما لغتان فى قول أكثر أهل اللسان، مثل الطمع والطامع، والبخل والباخل، والفره والفَاره، والحَذر والحَاذر، وفرَّق قوم بينهما فقال: النخرة البالية، والناخرة المجوفة التى يمرّ فيها الريح فَتنخر أى تصوّتَ.

﴿قَالُواْ﴾ يعنى المنكرين. ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ راجعة خائبة. قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ صيحة ونفخة. ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ يعنى وجه الأرض صاروا على ظهرها بعدما كانوا فى جوفها. والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة. قال أئمة أهل اللغة نراهم سموا ذلك بها لأن فيها نوم الحيوان، وسهرهم فوصف بصفة ما فيه. واستدل ابن عباس وجماعة المفسرين بقول أمية بن الصلت:

وفيها لحم ساهرة وصيد ... وبحر مائه لهم مقيم

وروى أيضًا:

وفيها صيد ساهرة وبحر ... ومـا فاه ثوابه لهم مقيم

أى لحم البر والبحر. وقال امرؤ القيس:

ولاقيتم بعـــده غِبها ... فضاقت عليكم به الساهرة

وقال أبو ذؤيب:

يرتدن ساهرة كأن حميمها وعميمها أزْدَافُ ليل مظلم

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا ابن ماهان أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حماد عن أبي سنان عن أبي المنية : ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ ، قال : هذه الساهرة جبل ، ثم عند بيت المقدس . وروى الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة[1] : ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال : بالصقع الذي بين جبل حسان ، وجبل أريحا يمده الله كيف يشاء . وقال سفيان : هي أرض بالشام . وقال قتادة : هي جهنم .

❖ ❖ ❖

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۝ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۝ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۝﴾

قوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ . قرأ أهل الحجاز ، وأيوب ، ويعقوب بتشديد الزاي أي تتزكى . ومثله روى العباس عن أبي عمرو . (وقرأ)[2] غيرهم بتخفيفه ، ومعناه تَسْلَم ، وتصلُح وتطهر .

---

(١) كذا بالمتن ، وفي هامش المخطوط : «العالية» . قلت وهو الأرجح في نفسي .

(٢) زيادة يتطلبها سياق الكلام ، وتركها المؤلف اختصاراً .

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حبيش المقرئ أخبرنا ابن زنجويه أخبرنا سلمة أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن التميمي عن عبد الله بن أبي بكر حدثني صخر بن جويرية قال: لما بعث الله تعالى موسى إلى فرعون قال له: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ ولن يفعل، قال موسى: يا رب وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لن يفعل؟ فأوحى الله تعالى إليه: أن امض لما أُمرت به، فإن في السماء اثني عشر ألف ملك يطلبون علم القدر فلن ينالوه ولن يدركوه(١).

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ وهي العصا واليد البيضاء. ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ وتولى وأعرض عن الإيمان.

﴿يَسْعَىٰ﴾ بعمل الفساد. ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع السحرة وقومه ﴿فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يقول ليس رب فوقي. وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربها وربكم. وقيل: أراد القادة والسادة. ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ فعاقبه الله ﴿نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ يعني في الدنيا والآخرة، في الأولى بالغرق، وفي الآخرة بالنار. وقيل: نكال كلمته الأولى، وهو قوله سبحانه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ (القصص:٣٨)، وكلمته الأخرى هي قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وكان بينهما أربعون سنة. فأخرج نكال الدنيا مخرج المصدر، لأن معنى قوله: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ نكَّلَ الله به، فجعل نكال الدنيا مصدراً من معناه لا من لفظه وقيل: نصب بنزع حرف الصفة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝ ءَأَنتُمْ﴾ أيها المنكرون البعث. ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ فإن الذي قدر على خلق السماء قادر على إحيائكم بعد الموت. نظيره قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (الأحقاف:٣٣). وقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ (غافر:٥٧). ﴿بَنَىٰهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ سقفها. قال الفراء: كل شيء حمل شيئًا من البناء وغيره فهو سَمْكٌ وبناء سموك. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ بلا شطور ولا فطور. ﴿وَأَغْطَشَ﴾ أظلم. ﴿لَيْلَهَا﴾ والغطش، والغبش الظُّلْمَة، ورجل أغطش أي أعمى. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أبرز وأظهر نهارها ونوره.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ اختلفوا في معنى الآية: فقال ابن عباس: خلق الله تعالى الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ﴾ (البقرة:٢٩)

(١) هذا خبر موقوف على صخر بن جويرية وهو وإن كان ثقة في الحديث إلاّ أنه لم يخبر عمن سمع هذا الكلام، ولسنا مكلفين بفهمه إن كان هو قوله هو، وإنما نحن نقبل روايته إن صح إسنادها إلى رسول الله ﷺ، فهذا الخبر إخبار بالغيب فلا يجوز قبوله إلا بعد تيقن صدوره عمن يخبر بأخبار السماء محمد ﷺ.

ثم دحى الأرض بعد ذلك أى بسطها. وقال ابن عباس، وعبد الله بن عمرو: خلق الله سبحانه وتعالى الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفى عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت. وقيل: معناه: والأرض مع ذلك دحاها كما يقال للرجل: أنت أحمق، وأنت بعد هذا لئيم الحسب، أى مع هذا. قال الله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم: ١٣) أى مع ذلك. قال الشاعر:

فقلت لها فيئى إليك فإننى حرام وإنى بعد ذاك لبيب

أى مع ذلك.

ودليل هذا التأويل قراءة مجاهد: والأرض عند ذلك دحاها. وقيل: بعد بمعنى قبل كقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) أى من قبل الذكر، وهو القرآن. وقال الهُذلى:

حمدت إلهى بعد عروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض

وزعموا أن خراشًا نجا قبل عروة.

وقرأ العامة: ﴿وَالْأَرْضَ﴾ بالنصب. وقرأ الحسن: (والأرضُ) رفعًا بالابتداء لرجوع الهاء. وعلى الوجهين سائغًا فى عائد الذكر، والدحو البسط والمدّ، ومنه أدحى النعامة لأنها تدحوه بصدرها. يقال دحا يدحو دحواً ودحا يدحى دحيًا لغتان مثل قولهم: طغا يطغو ويطغى وصغا يصغو، ويصغى، ومحا يمحو، ويمحى، ولحا العود يلحو، ويلحى. فمن قال يدحو قال: دحوت، ومن قال يدحى قال دحيت.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ قال القتيبى: انظر كيف دل بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قُوتًا ومتاعًا للأنام من العشب، والشجر، والحب، والثمر، والعصف، والحطب، واللباس، والنار، والملح لأن النار من العيدان، والملح من الماء.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ قراءة العامة بالنصب. وقرأ عمرو بن عبيد بالرفع.

﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ وهى القيامة سميت بذلك لأنها تطم على كل هائلة من الأمور فتغمر ما سواها بعظم هولها أى تغلب، والطّامة عند العرب الداهية التى لا تستطاع وإنما أخذت من قولهم: طم الفرس طميمًا إذا استفرغ جهده فى الجرى.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حبش المقرئ أخبرنا محمد بن عمران أخبرنا هناد بن السرى أخبرنا أبو أسامة عن مالك بن مغول عن القاسم الهمدانى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾.

قال: حين يساق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ عمل فى الدنيا من خير أو شر. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى ظهورها وثبوتها؟ ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أى منتهى علمها عند الله، ولست من علمها فى شىء. قالت عائشة رضى الله عنها: لم يزل النبى ﷺ يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت هذه الآية. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ قراءة العامة بالإضافة. وقرأ أبو جعفر وابن محيصن منذرٌ بالتنوين. ومثله روى العباس عن أبى عمرو.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ فى الدنيا. وقيل فى قبورهم. ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ قال الفراء: ليس للعشية ضحى إنما الضحى بصدر النهار، ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشية أو غداتها، إنما معناه آخر يوم، أو أوله. قال وأنشد فى بعض بنى عقيل:

نحن صبحنا عامراً فى دارِهَا جردًا تعادى طرفى نهارِهَا
عشيةَ الهلال أو سرارِها

يعنى: عشية الهلال أو عشية سرَارِ العشية.



سورة عبس

مكية[١]، وهى خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفًا،
ومائة وثلاثون كلمة واثنتان[٢] وأربعون آية

أخبرنا ابن المقرئ أخبرنا ابن مطر أخبرنا ابن شريك أخبرنا ابن يونس أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ جاء يوم القيامة ووجهه ضاحكًا مستبشرًا».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢﴾

﴿عَبَسَ﴾ كلح. ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرض عنه بوجهه. ﴿أَن﴾ لأن ﴿جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ وهو ابن أم مكتوم، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى. وذلك أنه

(١) هذه نهاية الصفحة رقم (٣٩/أ) وما بعدها من صفحة (٣٢/ب) وذلك لاضطراب أصاب أوراق المخطوط الأصلى وتم التصوير على ما هو الحال، وسأشير إليه فى كل موضع إن شاء الله تعالى.

(٢) جاء فوقها بخط دقيق بقلم الناسخ: «واثنان» وهو الصواب الموجود فى مصحف عثمان الذى برواية حفص المطبوع.

أتى رسول الله ﷺ وهو يناجى عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب وأُبيًا، وأمية ابنى خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهم. فقال يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله، فجعل ينادى ويكرر النداء ولا يدرى أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وقال فى نفسه، يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسَّفلة والعبيد، فعبس رسول الله ﷺ، وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: «مرحبًا بمن عاتبنى فيه ربى». ويقول له: «هل لك من حاجة[1]؟» واستخلفه على المدينة مرتين فى غزاتين غزاهما؛ قال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء. قال ابن زيد: كان يقال: لو كتم رسول الله ﷺ شيئًا من الوحى لكتم هذا.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أى يتطهر من ذنوبه، ويتعظ ويصلح، وقال ابن زيد: يُسلم.

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ. ﴿فَتَنفَعَهُ[2] ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ بالرفع نسقًا على قوله: ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ و﴿يَذَّكَّرُ﴾ وقرأ عاصم فى أكثر الروايات بالنصب على جواب لعل بالفاء. قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ أثرى. ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ تتعرض وتصغى إلى كلامه، قال الراعى:

تصدى لوضاح كأن جبينه سراج الدجى تجرى[3] إليه الأساور

وقرأ أهل الحجاز ويعقوب: تَصَّدَّى بتشديد الصاد على معنى تتصدى. وقرأ الباقون بالتخفيف على الحذف.

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ يسلم. ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ (الشورى: ٤٨). ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾ يمشى يعنى الأعمى. ﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾ الله. ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ تعرض وتتغافل وتتشاغل بغيره. ﴿كَلَّآ﴾ ردع وزجر، أى لا تفعل مثلها بعدها فليس الأمر على ما فعلته من إقبالك على الغنى الكافر، وإعراضك عن الفقير المؤمن.

﴿إِنَّهَا﴾ يعنى هذه الموعظة. وقيل: هذه السورة. وقال مقاتل: آيات القرآن. ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾

---

(١) نهاية صفحة (٣٢/ ب) وأستكمل ما بعدها من صفحة (٣٣/ أ) وكلاهما من سورة عبس أما الورقتان فمن سورة النبأ فيلاحظ ذلك لمن أراد مقابلة المطبوع على المخطوط، وسأذكر هذا الاختلال فى كل موضع حتى يستقيم أمر الأوراق.

(٢) جاءت الكلمة بالمخطوط بضم العين ورسمتها على ما هو بمصحف عثمان بقراءة حفص وهو المتداول وتركت الرسم الآخر لشرح المفسر رحمنا الله وإياه.

(٣) كذا فى المتن وفى هامش المخطوط: «تجىء».

موعظة وتبصرة. ﴿فَمَن شَآءَ﴾ من عباد الله. ﴿ذَكَرَهُۥ﴾ اتعظ به. وقال مقاتل: فمن شاء الله ذكره[1]: أى فَهِمَهُ واتعظ به إذا شاء الله تعالى منه ذلك، وذكره وفهمه، والهاء فى قوله: ﴿ذَكَرَهُۥ﴾ راجعة إلى القرآن أو التنزيل، أو الوحى أو الوعظ.

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ يعنى اللوح المحفوظ. وقيل: كتب الأنبياء عليهم السلام دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٨، ١٩).

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ أى رفيعة القدر عند الله. ﴿مُّطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: كتبة، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم سافر ويقال: سَفَرْتُ أى كتبت، ومنه قيل للكتاب سِفْرٌ، وجمعه أسفار. ويقال للوراق سفر بلغة العبرانية، وقال قتادة: هم القراء. وقال الباقون: هم الرسل من الملائكة، واحدهم سفير وهو الرسول، وسفير القوم هو الذى يسعى بينهم للصلح، وسفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم، وقال الشاعر:

وما أدع السِّفارة بين قومى ... وما أمشى بغش إن مشيت

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حَبَش المقرئ أخبرنا أبو القاسم بن الفضل أخبرنا على بن الحسين أخبرنا الصلت[2] بن مسعود أخبرنا جعفر بن سليمان عن عبد الصمد بن معقل قال: سمعت عَمّى وهب بن منبه ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ قال: هم أصحاب محمد ﷺ.

﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ جمع بار وبر مثل كافر وكفرة، وساحر وسحرة.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لعن الكافر سمعت السلمى يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال ابن عطاء: منع الإنسان من طريق الخيرات لجهله بطلب رشده وسكونه إلى ما وعد الله تعالى. قال مقاتل: نزلت فى عتبة بن أبى لهب. ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ بالله وأنعمه مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجب. قال الكلبى، ومقاتل: هو ﴿مَآ﴾ الاستفهام يعنى أى شىء يحمله على الكفر.

﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ أى طريق خروجه من بطن أمه. وقال الحسن ومجاهد: يعنى طريق الحق والباطل بين له ذلك، وسهل له العلم به. دليله: قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ (الإنسان: ٣)، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠).

وقال أبو بكر بن طاهر: يسر على كل أحد ما خلقه له، وقدَّره عليه. دليله قوله ﷺ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ﴾ فقبض روحه. ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ صيره بحيث يقبر ويدفن. يقال: قبرت الميت إذا دفنته،

(١) هذه نهاية الصفحة (٣٣/ أ) ويليها أو يكملها من الكلام ما هو فى (ص ٣٩/ ب) فلاحظ ذلك.
(٢) كذا وفى هامش المخطوط: السكت.

وأقبره الله أي صيره بحيث يقبر، وجعله ذا قبر. وتقول العرب بترت ذنب البعير، والله أبتره وعضبت قرن الثور، والله أعضبه، وطردت فلانًا، والله أطرده أي صيره طريدًا. وقال الفراء: جعله مقبوراً، ولم يجعله ممن يلقى للسباع والطير، ولا ممن يلقى في النواويس فالقبر مما أكرم به المسلم. وقال أبو عبيدة فأقبره أي أمر بأن نُقبره قال: وقالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل صالح بن عبد الرحمن: أقْبرنا صالحًا، قال: دونكموه.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أحياه بعد موته. ﴿كَلَّا﴾ ردًا عليه، أي ليس الأمر كما تقول ويظن هذا الكافر. وقال الحسن: حقًا.

﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ أي لم يفعل ما أمره به ربه، ولم يؤد ما فرض الله عليه.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ كيف قدره ربه، ودبره له ليكون له آية وعبرة. قال مجاهد: إلى مدخله ومخرجه.

أخبرنا ابن فنجويه الدينوري أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعي أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن عبد الملك أخبرنا حماد بن زيد عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الضحاك بن سفيان الكلبي أن النبي ﷺ قال له: «يا ضحاك، ما طعامك؟» قال: يا رسول الله، اللحم واللبن، قال: «ثم يصير إلى ماذا؟». قال: إلى ما قد علمت، قال: «فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا».

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن مالك أخبرنا ابن حنبل حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى حدثني أبو حذيفة أخبرنا سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن عن غنيّ عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مطعم ابن آدم جُعل مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه، فانظر إلى ما يصير».

وأخبرنا ابن فنجويه، وأخبرنا ابن صقلاب أخبرنا ابن أبي الخصيب أخبرنا أبي أخبرنا سهل ابن تمام أخبرنا عمرو بن سليمان عن أبي الوليد قال: سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر إلى ما يخرج منه. قال: يأتيه الملك فيقول: انظر إلى ما بخلت به إلى ما صار. وقال أبو قلابة: مكتوب في التوراة: يا ابن آدم انظر إلى ما بخلت به إلى ما صار.

قوله تعالى: ﴿أَنَّا﴾[1] قرأ الكوفيون بفتح الألف على تكرير الخافض مجازه: فلينظر إلى

(١) جاءت الكلمة بكسر الهمزة، ورسمت ما في مصحف عثمان بقراءة حفص وتركت المؤلف يشرح بما يفهم منه الخلاف في القراءات والرسم. والله الموفق للصواب.

(أنا)، (وقرأ)[١] غيرهم بالكسر على الاستئناف.

﴿صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ يعنى الغيث. ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ بالنبات. ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ قال ابن عباس، والضحاك: يعنى الرطبة وأهل مكة يسمون القَتّ القضب. قال ثعلب: سمى بذلك لأنه يقضب فى كل الأيام، أى يقطع. وقال الحسن: القضب العَلَف.

﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو الذى منه الزيت. ﴿وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ غلاظ الأشجار، واحدها أغلب ومنه قيل لغليظ الرقبه: أغلب. وقال مجاهد: ملتفة. وقال ابن عباس: طوالاً. وقال قتادة: الغلب النخل الكرام. وقال عكرمة: عظام الأوساط. قال ابن زيد: عظام الجذوع والرقاب.

﴿وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ يعنى الكلأ والمرعى. وقال الحسن: هو الحشيش مما تأكله الدواب، ولا يأكله الناس. وقال قتادة: أما الفاكهة فلكم، وأما الأبّ فلأنعامكم. وقال أبو رزين: النبات، يدل عليه ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام. وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: الأَبّ: الثمار الرطبة. وقال الضحاك: هو التبن، وقال عكرمة: الفاكهة مما يأكل الناس، والأبّ ما تأكل الدواب.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا محمد بن خالد أخبرنا داود بن سليمان أخبرنا عبد ابن حميد أخبرنا محمد بن عبيد عن العوام عن إبراهيم التيمى: أن أبا بكر رضى الله عنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا﴾. فقال: أى سماء تظلنى، وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم.

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يعقوب بن إبراهيم ابن سعد أخبرنا أبى عن صالح عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أخبره أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ هذه الآية فقال: كل هذا قد عرفناه، فما الأبّ، ثم رفع[٢] عصًا كانت بيده، ثم قال: هذا لَعَمْرُ الله التكليف، وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الأبّ، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه.

﴿مَّتَـٰعًا لَّكُمْ﴾ يعنى الفاكهة. ﴿وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ يعنى العشب.



(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) فى متن المخطوط: «رفض» والتصويب من هامش المخطوط بتصحيح الناسخ.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ يعنى صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أى تبالغ فى إسماعها حتى كادت تصمها. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه. وقيل: حذاراً من مطالبتهم إياه بما بينهم وبينه من التبعات والمظالم. وقيل: لعلمه بأنهم لا ينفعونه، ولا يغنون عنه من الله شيئًا.

سمعت محمد بن الحسن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت عبد الله بن طاهر الأبهرى يقول فى هذه الآية: يفر منهم إذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد سوى ربه الذى لا يعجزه شىء وتمكن من فسحة التوكل واستراح فى ظل التفويض.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا حصن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر أخبرنى شيخ لنا عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن قال: أول من يَفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم عليه السلام، وأول من يفر من أمه محمد ﷺ وأول من يفر من ابنه نوح عليه السلام، وأول من يفر من أخيه هابيل بن آدم وأول من يفر من صاحبته نوح ثم لوط عليهما السلام، ثم تلا هذه الآية ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾. قال فيروز: إن هذه الآية نزلت فيهم والله أعلم.

وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد أخبرنا أبو حنيفة محمد بن عمر بن عمرو أخبرنا أبى أخبرنا خليد بن دعلج عن قتادة فى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾. قال: يفر هابيل من قابيل. ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ قال يفر النبى ﷺ من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه. ﴿وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ قال: لوط من صاحبته ونوح من ابنه. ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يشغله عن شأن غيره. قال خفاف:

ستغنيك حرب بنى مـــالك عن الفحش والجهل فى المحفل

قال الفراء: وقرأ بعض القراء: وهو ابن محيصن - يعنيه بالعين غير معجمة وهو شاذ.

أخبرنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا محمد بن عبد العزيز أخبرنا ابن أبى أويس أخبرنا أبى عن محمد بن أبى عياش عن عطاء بن يسار عن سودة عن النبى ﷺ

قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً بُهْمًا قد ألجمهم العرق، وبلغ شحوم الآذان». فقلت: يا رسول الله، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «قد شغل الناس﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾».

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مشرقة مضيئة، يقال أسفر الصبح إذا أضاء. ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ فرحة.

أخبرنا أبو القاسم الحبيبى أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد الفامى أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار أخبرنا يحيى بن معين أخبرنا إسحاق بن الأشعث عن شهر بن عطية عن عطاء فى قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾. قال: من طول ما اغبرت فى سبيل الله عز وجل.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غبار. ذكر أن البهائم التى يصيرها الله ترابًا بعد القضاء بينها يحول ذلك التراب غبرة فى وجوه الكفرة[1]. ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ ظلمة، وكآبة، وكسوف، وسواد، قال ابن عباس: تغشاها ذلة. قال ابن زيد: الفرق بين الغبرة، والقترة. أن القترة: ما ارتفع من الغبار فيلحق بالسماء. والغبرة: ما كان أسفل فى الأرض. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الذين يصنع بهم هذا. ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾.



(١) هذا قول يفتقر إلى دليل من كتاب الله تبارك وتعالى أو من سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ وليست الغبرة التى على وجوه الكفار التى وصفهم الله بها من شىء من الغبار وإنما هى صفة وصفهم الله تعالى بهم يعرفون بها يوم القيامة تكون لازمة لهم عافانا الله وإياكم منها برحمته آمين.

سُورَةُ التَّكوِير

مكية، وهى تسع وعشرون آية،
ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفًا[١]

أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسن محمد بن على بن سهل الماسرجسى إملاءً أخبرنا أبو الوفا الموصلى بن الحسن بن عيسى الماسرجسى أخبرنا حسن بن منصور هو الرمادى أخبرنا إبراهيم ابن خالد أخبرنا عبد الله بن أحمد القاضى[٢]، قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد الصنعانى يقول سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ. «من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾».

وأخبرنا سعيد بن محمد أخبرنا محمد بن مطر أخبرنا إبراهيم بن شريك أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ أعاذه الله سبحانه وتعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: أظلمت. قال عطية عنه: ذهبت. قال مجاهد: اضمحلت. قال قتادة: ذهب ضوءها. قال سعيد بن جبير: غورت، وهى بالفارسية كوريكرد. قال أبو صالح نُكستْ. وعنه أيضًا: ألقيت، يقال طعنه فكوره أى ألقاه. وقال ربيع بن خثيم: رُمى بها وأصل التكوير فى كلام العرب جمع بعض الشيء إلى

(١) فوقها فى المخطوط بقلم دقيق بخط الناسخ: وأربعمائة وأربعة وثلاثون. قلت يريد حرفًا.
(٢) كذا فى متن المخطوط، وفى الهامش: «القصاص».

شيء كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس. وتكوير الكارة من الثياب وهو جمع بعضها إلى بعض ولفها فمعنى قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذهب ضوءها. دليله، ونظيره قوله: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ (القيامة: ٩).

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أى تناثرت من السماء[١] فتساقطت على الأرض. ويقال انكدر الطائر: أى سقط عن عشه. قال العجاج:

❖ أبصر خربان الفضاء[٢] فانكدر ❖

وانكدر القوم، إذا جاءوا أرسالاً حتى انصبوا على غيرهم، قال ذو الرُّمَّة:

فانصاع جانبه الوحشى وانكدرت   يلحن لا يأتلى المطلوب والطلب

وقال ابن عباس: تغيرت.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض، فصارت هباء مبثوثًا[٣] ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ هى النوق الحوامل اللواتى أتى على حملها عشرة أشهر، واحدتها عشراء، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة، وهى أنفس ما تكون عند أهلها وأعزّها عليهم. ﴿عُطِّلَتْ﴾ نسيت وأهملت وتركها أربابها وكانوا لازمين لأزنابها فلم تركب. ولم تحلب، ولم يكن فى الدنيا مال أعجب إليهم منها لإتيان ما يشغلهم عنها.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أخبرنا عبد الخالق بن على أخبرنا أبو بكر بن خنب أخبرنا أبو العباس البرقى[٤] أخبرنا أبو نعيم أخبرنا سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: حَشْرها موتها. قال ابن عباس: حشر كل شىء الموت غير الإنس والجن فإنهما يوقفان[٥] يوم القيامة. وقال أُبى بن كعب: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أى اختلطت. وقال قتادة: جمعت. وقيل: بعثت ليقضى الله تعالى بينها.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف وغيرهم بالتشديد. واختلفوا فى معناه. فقال ابن زيد، وشمر بن عطية، وسفيان، ووهب: أوقدت فصارت ناراً.

قال ابن عباس: يكور الله تعالى الشمس، والقمر، والنجوم فى البحر، فيبعث عليها ريحًا

(١) كذا فى المتن وفى الهامش: «قضاء».
(٢) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: «فضاء».
(٣) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: «منبثًا».
(٤) كذا جاء فى متن المخطوط، وجاء فى هامشه: «اليزنى».
(٥) كذا جاء فى المتن، وجاء بهامش المخطوط «يوافيان».

دبوراً : فتنفخه حتى يصير ناراً[١] .

وقال مجاهد ، ومقاتل ، والضحاك : يعنى فجّر بعضها فى بعض العذب والمالح ، فسارت البحور كلها بحراً واحداً .

وقال الكلبى : ملئت . وقال ربيع بن خثيم : فاضت . وقال الحسن : يبست . وقال قتادة : ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة . وقيل : صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار .

أخبرنا الفقيه عقيل بن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمد ابن جرير أخبرنا الحسين بن حُريث أخبرنا الفضل بن موسى المروزى عن الحسن بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبى العالية حدثنى أُبى بن كعب قال : ست آيات قبل يوم القيامة : بينا الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت وأرجفت[٢] وفزعت الجن إلى الإنس ، والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم فى بعض ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال : اختلطت ، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال : أهملها أهلها ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال : قالت الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر ، فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج ، قال : فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى ، وإلى السماء السابعة العليا ، قال : فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم[٣] .

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد ابن إسحاق السنى أخبرنا أبو يعلى أخبرنا محمد بن بكار أخبرنا الوليد بن مسلم عن سماك عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال : الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله» .

---

(١) هذا قول عار عن الحق وليس عليه دليل من شرع وهو مخالف لما ثبت من العلوم العصرية التى تؤكد على كون البحار ستسجر وتصير ناراً كنص الآية ولم يشهد بذلك المسلمون فقط بل كل العلماء يقرون بتلك الحقيقة العلمية لتراكيب ذرات الماء ذاته ثم لما تحته من براكين هائلة مكتومة يأتى عليها يوم تثور فيه ، وهذا اليوم يعلمه رب السموات والأرض سبحانه .

(٢) فى المتن : «وأحرفت» . والتصويب من هامش المخطوط .

(٣) مثل هذا القول لا يقبله العقل عن يوم أخفى الله عز وجل تفاصيل كنهه ووصفه بأنه : ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ فلا تترك عقلك أخى المسلم لكل من صور له خياله المحدود أن يرسم لك صورة قد رسمها له عقله فتقبلها ، وقل دائماً : ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ فما لم يرد فى كتاب الله تعالى وما لم يرد بخبر صحيح موثق عن رسول الله ﷺ فلا تقبله أخى حتى تنجو من هول ذلك اليوم وسَلم بما فهمت وما لم تفهم من كتاب ربك واعلم أنه حقًا ما جاء فيه سيكون على الكيفية التى يعلمها منزله سبحانه .

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن خالد بن على أخبرنا أحمد بن خالد الوهبى أخبرنا إسرائيل عن سماك بن حرب أنه سمع النعمان بن بشير يقول: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح. قال ابن عباس: ذلك حين يكون الناس أزواجًا ثلاثة. وقال الحسن وقتادة: أُلحق كل امرئ بشيعته[1] اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى. وقال ربيع بن خثيم: يحشر المرء مع صاحب عمله. وقال مقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، ونفوس الكافرين بالشياطين، نظيرها: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ (الصافات: ٢٢). وقيل: زوجت النفوس بأعمالها.

وأخبرنا محمد بن حمدون أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا أحمد بن الأزهر أخبرنا أسباط بن محمد عن أبيه عن عكرمة فى قول الله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: ردت الأرواح إلى الأجساد.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ وهى الجارية المقتولة المدفونة حيّة، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أى يثقلها حتى تموت. قال: كان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت فإذا أراد أن يستحيها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم فى البادية. وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية، قال أبوها لأمها طيبيها، وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها. وقد حفر لها بئراً فى الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظرى لحفر هذا البئر فيدفعها من خلفها فى البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوى التراب بالأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ (النحل: ٥٩). وقال ابن عباس: كانت المرأة فى الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإن ولدت جارية رمت بها فى الحفرة، وإن ولدت غلاما حبسته. فكانت طوائف من العرب يفعلون ذلك، وفيه يقول قائلهم:

سميتها إذ وُلدت تموت والقبر صهر ضامن رَميت

قال قتادة: كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه، فعاب الله تعالى ذلك عليهم وأوعدهم.

أخبرنا الحسن بن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله أخبرنا جعفر بن محمد الفريابى أخبرنا محمد بن مهدى الأبُلى، ويحيى بن موسى قالا: حدثنا عبد الرزاق

(١) كذا فى متن المخطوط، وبهامشه: «بشبهه».

أخبرنا إسرائيل بن يونس عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فى قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ قال: جاء قيس بن عاصم التميمى إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، إنى وأدت ثمانى بنات فى الجاهلية؟ قال: «فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة إن شئت». قال: يا رسول الله، إنى صاحب إبل؟ قال: «فاهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت».

﴿سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ قرأ العامة على الفعل المجهول فيهما ولهما وجهان: أحدهما: سُئلت هى فقيل لها بأى ذنب قُتلَت.

ثم يجوز قُتلْتُ، كما يقال: قال عبد الله إنه ذاهب، وإنى ذاهب، وقال عبد الله بأى ذنب ضُربتُ، وبأىَ ذنب ضُربَ، كلاهما سائغ جائز. والآخر: سُئل عنها الذين وأدوها، كأنك قلت: طلَبت منهم، فقيلَ أين أولادكم وبأى ذنب قتلتموهم.

أخبرنا الحسن بن محمد بن عبد الله المقرئ أخبرنا البغوى ببغداد أخبرنا ابن أبى شيبة أخبرنا زياد بن أيوب دلّويه أخبرنا هاشم عن رجل ذكروا أنه هارون قال زياد: ولم أسمعه أنا من هاشم - عن جابر بن زيد: (وإذا الموءودة سَأَلَتْ بأى ذنب قتلت). ومثله قرأ أبو الضحى مسلم ابن صبيح.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قرأ عاصم، وأهل المدينة، والشام والبصرة إلاّ أبا عمرو بالتخفيف، وغيرهم بالتشديد لقوله تعالى: ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ (المدثر: ٥٢).

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا هارون ابن محمد بن هارون أخبرنا السيسرى أخبرنا سعيد بن سليمان عن عبد الحميد بن سليمان أخبرنا محمد بن أبى موسى عن عطاء بن يسار عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة». قلت: يا رسول الله ﷺ كيف بالنساء؟ قال: «شُغلَ الناس يا أم سلمة»؛ قلت: وما شغلهم؟ قال: «نشر الصحف فيها مثاقيل الذر، مثاقيل الخردل».



﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا

صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ أى: قلعت ونزعت وجُذبَت من أماكنها، ثم طويت. وفى قراءة عبد الله، بالقاف، وهما لغتان، والكاف والقاف فى كلام العرب يتعاقبان لقرب مخرجيهما، كما يقال: الكافور والقافور والقف والكف.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾. قرأ أهل المدينة بالتشديد. وغيرهم بالتخفيف، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لأنها واحدة، واختلف فيه ابن عاصم، وابن عامر. ومعناه: أُوقدت. قال قتادة: سَعَّرَهَا غضب الله تعالى وخطايا بنى آدم.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قُربت فدنت لأهلها. بيانه[1] قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء: ٩٠). ﴿عَلِمَتْ﴾ عند ذلك. ﴿نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ من خير أو شر، وهو جواب لقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ﴾ وما بعدها كما يقال: إذا قام زيد قعد عمرو. وقال ابن عباس فى قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِمَتْ﴾ اثنتا عشرة خصلةً ستةٌ فى الدنيا وستةٌ فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ قال قوم: هى النجوم الخمسة الدرارى السيارة تخنس فى مجراها، فترجع وراءها وتكنس فى وقت اختفائها وغروبها، كما تكنس الظباء فى مغارها. وقال قتادة: هى نجوم تبدو بالليل وتخفى بالنهار فلا تُرى. ودليل هذا التأويل ما روى شعبة عن سماك بن حرب عن خالد بن عروة: أن رجلاً من مراد قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: ما الخنس الجوار الكنس؟ قال: هى الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى، وتكنس بالليل فتأوى إلى مجاريها، وهن: بَهْرَام وزُحَل، وعُطارد، والزُّهَرة، والمشترى. وقال ابن زيد: معنى الخنس: أنها تخنس، أى تتأخر عن مطالعها كل ليلة، لها فى كل عام تأخر تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه، ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ تكنس بالنهار فلا تُرى.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن البواب أخبرنا رضوان بن أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الجبار أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله فى قوله تعالى: ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ قال: يعنى بقر الوحش. وإليه ذهب إبراهيم، وجابر بن زيد. وقال سعيد بن جبير: هى الظِّبَاء

(١) كذا فى متن المخطوط، وكتب الناسخ فوقه بخط دقيق: نظيره.

وهى رواية العوفى عن ابن عباس .

وأصل الخنس الرجوع إلى الوراء ، والكنوس أى تأوى إلى مكانسها وهى المواضع التى تأوى إليها الوحوش ، قال الأعشى :

فلما لحقن الحىّ أتلع أنسٌ كما أتلعت تحت المكانس رَبْرَبُ

ويقال لها الكُنَّاس أيضًا ، قال طرفة بن العبد :

كأنَّ كناسى ضالة يكتفانها وأطرُ قسىّ تحت صلب مُؤيّد

وقال أوس بن حجر :

ألم تر أن الله أنزل مُزْنَــــهُ وعفراء الظباءِ فى الكناس تَقمعُ[1]

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ قال الحسن : أقبل بظلامه . وقال الآخرون : أدبر . تقول العرب : عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلاّ يسير . قال علقمة بن قرط :

حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقال رؤبة :

يا هند ما أسرع ما تسعسعا من بعد ما كان فتى سرعرعا

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أقبل وأضاء ، وبدا أوله وقيل : امتد وارتفع . ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعنى القرآن . ﴿لَقَوۡلُ﴾ لتنزيل . ﴿رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ وهو جبريل عليه السلام . ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝ مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ فى السماء تطيعه الملائكة . ﴿أَمِينٖ﴾ على الوحى . قوله تعالى : ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ محمد ﷺ . ﴿بِمَجۡنُونٖ ۝ وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ يعنى جبريل على صورته . ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق الذى يجىء منه النهار ، قاله مجاهد وقتادة .

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى حدثنا إسحاق بن بشير[2] حدثنا ابن جرير عن عكرمة ، ومقاتل عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام : «إنى أحب أن أراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء» . فقال : لن تقوى على ذلك ، قال : (بلى) قال : فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال : (بالأبطح) قال : لا يسعنى ، قال : (فبمنى) قال : لا يسعنى ، قال : «فبعرفات»

(١) للعلماء فى عصرنا تفسير أحسب والله تعالى أعلم أنها أقرب التفاسير إلى الصواب ؛ من هؤلاء العالم الكبير الأستاذ الدكتور/ زغلول النجار حيث قال ما معناه : إن النجوم الكنس هو نجوم أشبه ما تكون بالمكانس الكبيرة العملاقة الشفاطة التى تبتلع كل ما فى السماء من نجوم قد ماتت أو اضمحلت أو انتهى مفعولها فهى أشبه بالكانس لأنها تنظف السماء من تلك الشوائب . فهذا ما وصل إليه العلم فى عصرنا الحالى والله أعلم بمراده .

(٢) كذا فى متن المخطوط : «بشير» وفى هامشه : «بشر» .

قال: ذلك بالحرى أن يسعى فواعده. فخرج النبى ﷺ للوقت، فإذا هو بجبريل عليه السلام قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض، فلما رآه النبى ﷺ خرّ مغشيًا عليه قال: فتحول جبريل فى صورته فضمه إلى صدره، وقال: يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه فى تخوم السابعة، وإن العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانًا من مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع يعنى العصفور حتى ما يحمل عرش ربك إلاّ عظمته[1].

﴿وَمَا هُوَ﴾ يعنى محمداً ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أى الوحى، وخبر السماء وما اطلع عليه من علم الغيب. ﴿بِضَنِينٍ﴾ [2] قرأ زيد بن ثابت، والحسن، وابن عمر، والأشهب، وعاصم، والأعمش، وحمزة، وأهل المدينة، والشام بالضاد، وكذلك هى فى حرف أُبى بن كعب ومصحفه، وهى قراءة ابن عباس برواية مجاهد، واختيار أبى حاتم. ومعناه: ببخيل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به، تقول العرب ضننت بالشىء بكسر النون أضنّ به ضنًا وضنانة، فأنا به ضنين أى بخيل، قال الشاعر:

أجود بمضنون[3] البلاد وإننى بسرك عمن ساءنى لضنين

وقرأ الباقون بالظاء، وكذلك هو فى حرف ابن مسعود ومصحفه، وهى قراءة عبد الله، وعروة ابنى الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وعبد الرحمن السلمى، ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. ومعناه: يتهمهم، تقول: فلان يُظن بمال ويُزَن بمال، أى: يتهم به والظِنَّة: التهمة. قال الشاعر:

أما وكتاب الله لا عن شناءة هجرت ولكن الظنين ظنين

واختار أبو عبيد هذه القراءة، وقال: إنهم لم يُبخلوه فيحتاج إلى أن ينفى عنه ذلك البخل، وإنما كذبوه واتهموه. ولكن الأكثر من كلام العرب: ما أنا ظنين بكذا، ولا يقولون علىّ كذا إنما يقولون: ما أنت على كذا بمتهم، وقيل: بظنين بضعيف، حكاها الفراء، والمبرِّد. يقال:

---

(١) هذا خبر لا يصح، ومقاتل متروك، والمسلم لا يعرف إلاّ ما عرفه الله تعالى عن أنبيائه ورسله وملائكته ولا يصفهم بأكثر مما وصفهم الله تعالى بهم فى كتابه الكريم من قوة وطاعة وعظم خلق يليق بما كلفوا به من مهام كما خلق الإنسان وأعطى من العقل والقوة ما يليق ويساوى ما كلفه الله تعالى به من قوة على طلب الرزق والعبادة والجهاد، فعلى المسلم أن لا يهتم بأكثر مما أخبره الله به حتى لا يكلف نفسه يوم القيامة ما لا يطيق.

(٢) جاء الرسم فى المخطوط: بالظاء. ورسمت على ما فى مصحف عثمان برواية حفص المطبوع والمتداول فى أيدى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وتركت الاختلاف إلى ما سيبينه المؤلف رحمنا الله وإياه.

(٣) كذا فى متن المخطوط، وفى هامش المخطوط: بمكنون.

رجل ظنين أى ضعيف. وبئر ظنون إذا كانت ضعيفة الماء. قال الأعشى:

ما جُعل الجـد منه الظنون الذى جنبه صوب المحب الماطر
مثل الفراتى إذا مـــا بدا يقـــذف بالبُوصىّ والماهر

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعنى القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ۝ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ يعنى فإلى أين تعدلون عن هذا القرآن وفيه الشفاء والبيان. قال الكسائى: وسمعت العرب تقول: ذهب به الغور، وحكى الفراء عن العرب: ذهبت الشام وخرجت العراق، وانطلقت السوق أى إليها. قال سمعناه فى هذه الأحرف الثلاثة وأنشدنى بعض بنى عقيل:

تصيح بنا حنيفـــة إذا رأتنا وأىّ الأرض تذهب بالصياح

يريد إلى أى الأرض تذهب.

قال الواسطى ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ من ضعف إلى ضعف ارجعوا إلى فسحة الربوبية ليستقر بكم القرار. وقال الجنيد: معنى هذه الآية مقرون بآية أخرى، وهو قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١). ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾. أى يتبع الحق ويعمل به، ويقيم عليه، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وأخبرنا أبو بكر بن عبدوس المزكى أخبرنا أبو حامد بن بلال البزاز أخبرنا أحمد بن يوسف السلمى أخبرنا أبو مسهر حدثنى سعيد ابن سليمان بن موسى قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: ذاك ذاك إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد ابن شنبة أخبرنا الفريابى أخبرنا مالك ابن سليمان أخبرنا بقية عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة قال: لما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قالوا: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن عمر بن مهران أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجى أخبرنا جعفر بن جبير بن فرقد قال سمعت رجلاً سأل الحسن عن قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. فقال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاءه الله سبحانه وتعالى لها.

وأخبرنا الحسين بن محمد الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد بن على بن الحسين أخبرنا على

ابن بسطام أخبرنا إبراهيم بن الحجاج الشامى أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا أبو سنان عن وهب ابن منبه قال : الكتب التى أنزلها الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام بضعة وتسعون كتابًا ، قرأت منها بضعة وثمانين كتابًا ، فوجدت فيها : من جعل إلى نفسه شيئًا من المشيئة فقد كفر[١] .

قال الواسطى : أعجزك فى جميع أوصافك فلا تشاء إلا بمشيئته ، ولا تعمل إلاّ بقوته ، ولا تطيع إلا بفضله ، ولا تعصى إلا بخذلانه ، فماذا يبقى لك؟ وبماذا تفتخر من أفعالك وليس من فعلك شىء؟



(١) الكلام فيما وراء ما أعلمنا الله تعالى من الكتب التى أنزل الله فى القرآن لا يعتد به ، ولا بعددها .

سُورَةُ الانْفِطَارِ

مكية، وهى ثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفًا، وثمانون كلمة وتسع عشرة آية

أخبرنا محمد بن القاسم أخبرنا محمد بن مطر أخبرنا إبراهيم بن شريك أخبرنا أحمد بن يونس، أخبرنا سلام بن سليم المدائنى أخبرنا هارون ابن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ أعطاه الله من الأجر بعدد كل قبر حسنة، وبعدد كل قطرة ماء حسنة وأصلح الله له شأنه يوم القيامة».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ انشقت. ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ تساقطت. ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فتحت بعضها فى بعض عذبها فى ملحها، وملحها فى عذبها فصارت بحرًا واحدًا. قال الحسن: ذهب ماؤها. وقال الكلبى: ملئت.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ بحثت، ونثرت، وأثيرت، واستخرج ما فى الأرض من الكنوز، ومن فيها من الموتى أحياء تقول بعثرت الحوض، وبحثرته إذا هدمته فجعلت أسفله أعلاه. وهذا من أشراط الساعة أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها من ذهبها، وفضتها وأموالها. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من عمل صالح أو طالح.

﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من سُنَّة حسنة أو سيئة. وقال عكرمة: ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ من الفرائض التى أدتها، ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من الفرائض التى ضيعتها. وقيل: ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ من الأعمال ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من المظالم. وقيل: ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ من الصدقات، ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من التركات. وقيل: ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ من الإسقاط والإفراط. ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من الأولاد. وهذا جواب قوله تعالى: ﴿إِذَا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ أخبرنا أبو عبد الله الفنجوى أخبرنا أبو على المقرئ

أخبرنا أبو القاسم بن الفضل أخبرنا على بن الحسين أخبرنا المقدمى ، وعلى بن هاشم قالا : أخبرنا كثير بن همام أخبرنا جعفر بن برقان أخبرنا صالح بن مسمار قال : بلغنى أن النبى ﷺ تلا هذه الآية : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ثم قال : (جهله). وقال قتادة : غرَّ البائس عدوه المسلط عليه .

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبى عن جدى عن على بن الحسين الهلالى عن إبراهيم بن الأشعث قال : قيل للفضيل بن عياض : لو أقامك الله تعالى يوم القيامة بين يديه فقال : ما غرك بى ماذا كنت تقول؟ قال : كنت أقول : غرنى ستورك المرخاة فنظمه محمد بن السماك ، فقال :

يا كاتم الذنب أما تستحى الله فى الخلوة ثانيكا
غرك من ربك إمهاله وستره طول مساويكا

وقال مقاتل : غره عفو الله تعالى حين لم يعجل عليه بالعقوبة . وتلا السرى بن مغلس هذه الآية فقال : غره رفق الله تعالى به .

سمعت أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أبى يقول : سمعت على بن محمد الوراق يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول : لو أقامنى الله تعالى بين يديه فقال : ما غرَّك بى؟ قلت : غرنى بك برّك بى سالفًا وآنفًا .

سمعت الحبيبى يقول سمعت أبى يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن صالح المعافرى يقول سمعت حماد بن كثير يحكى عن بعضهم أنه قال : لو سألنى الله تعالى عن هذا لقلت : غرنى حلمك . وسمعت الحبيبى يقول : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن زيد النسفى يقول : سمعت أبا عبد الله ختن أبى بكر الوراق سمعت أبا بكر الوراق يقول : لو قال لى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ لقلت غرنى كرم الكريم .

قال أهل الإشارة : إنما قال ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته لأنه لقنه الإجابة حتى يقول : غرّنى كرم الكريم . وقال منصور بن عمار : لو قيل لى : ما غرّك؟ قلت : يا رب ما غرّنى إلاّ ما قد علمته من فضلك على عبادك وصفحك عنهم ، وروى أبو وائل عن ابن مسعود قال : ما منكم من أحد إلاّ سيخلو الله به يوم القيامة فيقول : يا ابن آدم ما غرك بى؟ يا ابن آدم ما عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم بماذا أجبت المرسلين؟

سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشاشى ، وأبا الحسن محمد بن الحسين القاضى الجرجانى يقولان : سمعنا إبراهيم بن فاتك يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون يقول : كم من مغرور تحت الستر ، وهو لا يشعر .

وأنشدنا الحسين بن جعفر البابى قال: أنشدنى منصور بن عبد الله الأصفهانى، قال: أنشدنا أبو بكر بن ظاهر الأبهرى بهذا المعنى:

يا من علا فى الغىّ والتيه ... وغره طول تماديه

أملى لك الله فبارزته ... ولم تخف غبّ معاصيه

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ[1]﴾ قراءة أهل الكوفة بالتخفيف أى صرفك وأمالك إلى أى صورة شاء قبيحًا وجميلاً وقصيراً وطويلاً.

وقرأ الباقون: بالتشديد، أى قومك وجعلك معتدل القامة والخلق. وهو اختيار الفراء، وأبى عبيد، وأبى حاتم لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ قال مجاهد: فى أى شبه: أب أو أم أو عم أو خال.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن العسكرى أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور أخبرنا مطهر بن الهيثم أخبرنا على بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ لجده: «ما وُلدَ لك؟» قال: يا رسول الله، وما عسى أن يولد لى إمّا غلام وإمّا جارية، قال: «من شبه؟» قال فمن عسى أن يشبه أمه أو أباه. فقال له النبى ﷺ: «لا تقل هكذا، فإن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينهم وبين آدم، أما قرأت هذه الآية: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ فيما بينك وبين آدم». وقال عكرمة، وأبو صالح: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ قال: إن شاء فى صورة إنسان، فإن شاء فى صورة الحمار، فإن شاء فى صورة خنزير.



﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ قراءة العامة بالتاء، لقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ﴾ وقرأ أبو

---

(١) فى المخطوط جاءت بالتشديد، ورسمت ما فى مصحف عثمان بقراءة حفص والتى هى متداولة، ثم تركت القراءة الأخرى لشرح المؤلف.

جعفر بالياء، ومثله قتيبة عن الكسائي. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ رقباء يحفظون عليكم أعمالكم.

﴿كِرَامًا﴾ على الله. ﴿كَاتِبِينَ﴾ يكتبون أقوالكم وفعالكم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ يعني الذين بروا، وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله سبحانه، واجتناب معاصيه، وأخبرنا عبد الله بن يحيى العدل أخبرنا علي بن المؤمل أخبرنا أحمد بن عثمان أخبرنا هشام ابن عمار أخبرنا سعيد بن يحيى بن عبد الله الوصافي عن محارب بن دثار عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالدك عليك حقًا كذلك لولدك عليك حقًا»، ﴿لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها. ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم القيامة.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ قرأ أهل مكة والبصرة برفع الميم، ردًا على اليوم الأول. وقرأ غيرهم بالنصب: أي في يوم. واختاره أبو عبيد، قال: لأنها إضافة غير محضة. ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ وحده.



سورة المطففين

مدنية، وهى سبعمائة وثمانون حرفًا،
ومائة وتسع وستون كلمة وست وثلاثون آية

أخبرنا كامل بن أحمد المقيد أخبرنا محمد بن مطر العدل أخبرنا إبراهيم بن شريك الأسدى أخبرنا أحمد بن يونس اليربوعى أخبرنا سلام ابن سليم المدائنى أخبرنا هارون بن كثير عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أُبى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة التطفيف سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ يعنى الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والوزن، وأصله من الشىء الطفيف، وهو النزر القليل. وإناء طفَّاف إذا لم يكن ملآنًا. ومنه قيل للقوم يكونون سواء فى حسب أو عدد، هو كطفِّ الصاع، أى كقرب الملء منه ناقص عن الملء.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟﴾ أخذوا. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أى منهم. وعَلَى، ومن يتعاقبان فى هذا الموضع. ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ حقوقهم منهم. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أى كالوا لهم أو وزنوا لهم يقال: كلتك طعامك، ووزنتك حقك بمعنى كلت لك ووزنت لك، قال الفراء: وهى لغة أهل الحجاز، ومن جاورهم من قيس. قال: وسمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر

فيكيلنا المُدّ والمُدَّين إلى الموسم المقبل.

قال أبو عبيدة: وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين ويقف على كالوا، ووزنوا، ثم يبتدئ فيقول: هم يخسرون. قال: وأحسب قراءة حمزة كذلك أيضًا. قال أبو عبيدة: والاختيار الأول من جهتين: أحدهما: الخط، وذلك أنهم كتبوها بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكتبتا: كالوا ووزنوا بالألف، على ما كتبوا الأفعال كلها مثل: قالوا، وجاءوا، ولم نجد المصاحف إلاّ على إسقاطها.

والجهة الأخرى: يقال: كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك، وهو كلام عربى كما يقال: صدتك وصدت لك، وكسبتك وكسبت لك، ومثله كثير.

﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون.

أخبرنا أبو محمد المخلدى، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا على بن الحسين بن واقد حدثنى أبى حدثنى يزيد النحوى: أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فاجتنبوا الكيل.

وقال القرظى: كان بالمدينة تجار يطففون، وكانت بياعاتهم كشبه القمار، والمنابذة، والملامسة، والمخاطرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق، وقرأها عليهم. قال السدى: قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن يوسف أخبرنا ابن عمران أخبرنا أبو الدرداء أخبرنا عبد العزيز ابن منيب أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان عن أبيه عن الضحاك ومجاهد وطاوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس». قالوا: يا رسول الله، وما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سُلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلاّ فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلاّ فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حُبس عنهم القطر».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن ماجه أخبرنا ابن أيوب أخبرنا القطوانى أخبرنا سيار ابن حاتم أخبرنا جعفر أخبرنا مالك بن دينار قال: دخلت على جار لى وقد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار، جبلين من نار. قال: قلت: ما تقولٌ؟ أتهجر؟ قال: يا يحيى، كان لى مكيالان، كنت أكيل بأحدهما، وأكتال بالآخر. قال فقمت، فجعلت أضرب بأحدهما

الآخر. فقال: يا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد عظمًا، فمات فى وجهه.

وأخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا ابن صقلاب أخبرنا محمد بن محمد بن النفاج الباهلى أخبرنا بركة بن محمد الكلبى عن عثمان بن عبد الرحمن عن النضر بن عدى قال سمعت عكرمة يقول: أشهد على كل كيّال أو وزان أنه فى النار؛ قيل له: إن ابنك كيال أو وزان؟ قال: أنا أشهد أنه فى النار.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا عبد الله بن زكريا يعنى القاضى أخبرنا العباس بن عبيد الله بن أحمد أخبرنا المبرد أخبرنا الرياشى عن الأصمعى قال: قال أعرابى: إنى لا ألتمس[1] الحوائج ممن مروءته فى رءوس المكاييل وألسن الموازين. وروى عبد خير: أن عليّا عليه السلام مَرَّ على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح الميزان فكف الميزان، وقال: أقم الوزن بالقسط، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت. وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن بالقسط فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى أن العَرَقَ ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ يستيقن. ﴿أُولَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن مالك القطيعى، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنى أبى أخبرنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائى عن القاسم بن أبى بزة حدثنى من سمع: أنَّ عثمان[2] قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فلما بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ بكى حتى خرَّ، وامتنع من قراءة ما بعده.

﴿كَلَّآ﴾ قال الحسن: حقًا. ﴿إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ الذى كتب فيه أعمالهم. ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ قال عبد الله بن عمرو، ومغيث بن سمى، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد هى الأرض السابعة فيها أرواح الكفَّار وأعمالهم. يدل عليه ما أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا المسيب أخبرنا الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: «سجين أسفل سبع أرضين».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو على المقرئ أخبرنا أبو القاسم بن الفضل أخبرنا محمد بن

(١) كذا فى المخطوط، وفى هامش المخطوط «لا نلتمس».
(٢) فى الهامش: «عمر» قلت: وربما أن الصواب «ابن عمر».

محمد بن حميد أخبرنا يعقوب بن عبد الله الأشعرى أخبرنا حفص بن حُميد عن شمر بن عطية قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فقال أخبرنى عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ قال: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء، فتأبى أن تقبلها، ثم تهبط إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبلها فتهبط فتدخل تحت سبع أرضين حتى يُنتهى بها إلى سجين، وهو خدّ إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت خد إبليس رق فيرقم ويختم ويوضع تحت خد إبليس بمعرفتها الهلاك لحساب يوم القيامة[١]. وإليه ذهب سعيد بن جبير وقال عطاء الخراسانى هى الأرض السفلى وفيها إبليس وذريته.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا الفضل بن الفضل أخبرنا عبد الرحمن بن أبى حاتم قال قرئ على يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب قال: وحدثنى عمار بن عيسى عن يونس بن زيد عمن حدثه عن ابن عباس أنه قال لكعب الأحبار: أخبرنى عن سجين، وعليين؟ فقال كعب: والذى نفسى بيده لأخبرنك عنها إلاّ بما أجد فى كتاب الله تعالى المنزل. أما سجين: فإنها شجرة سوداء تحت الأرضين السبع مكتوب فيها اسم كل شيطان، فإذا قبضت نفس الكافر عرج بها إلى السماء، فغلقت أبواب السماء دونها، ثم يرمى بها إلى سجين، فذلك سجين. وأما علّيّونَ: فإنه إذا قبضت نفس المؤمن عُرِج بها إلى السماء، وفتحت لها أبواب السماء حتى انتهى بها إلى العرش. قال: فتخرج كف من العرش فتكتب له نزله وكرامته، فذلك عليون[٢].

وقال الكلبى: هى صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء، فخضرة السموات منها يجعل كتاب الفجار تحتها، وقال وهب: هى آخر سلطان إبليس.

وأنبأنى عقيل بن محمد أن المعافى بن زكريا أخبرهم عن محمد بن جرير حدثنى إسحاق ابن وهب الواسطى حدثنى مسعود بن موسى ابن مشكان أخبرنا نصر بن خزيمة عن سعيد ابن صفوان عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «الفلق جب فى جهنم مغطًى، وسجين جب فى جهنم مفتوح».

أخبرنا أبو القاسم الصفار أخبرنا حاجب ابن أحمد أخبرنا محمد بن حماد أخبرنا يحيى بن سليم الطائفى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾

---

(١) هذا من أخبار كعب الأحبار، وهو غير مقبول الخبر، ثم إن هذا ضرب من ضروب الغيب لا يعلم حقيقته إلاّ الله سبحانه ولا فائدة فى البحث عنه حيث لم يخبرنا بأكثر مما أخبرنا عنه فى كتابه سبحانه وتعالى.

(٢) هذا الخبر كسابقه إلاّ أن هذا يزيد عنه ضعفًا حيث إن فى إسناده مجاهيل لا يعرفون فزادوا الخبر ضعفًا على ضعفه، وظلامًا على ظلامه.

قال: سجين صخرة تحت الأرض السابعة السفلى تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها. وقال عكرمة: أى لفى خسران وضلال، والمعنى أنه أراد بطلان أعمالهم وذهابها بلا محمدة ولا ثواب، وهذا سائغ مستفيض من كلام الناس يقولون لمن خمد ذكره وسقط قدره، قد لزق بالحضيض. وقال الأخفش: لفى حبس ضيق شديد وهو فعيل من السجن كما يقال: فسيق وشريب. قال ابن مقبل:

ورفقة يضربون البيض ضاحية ضربًا تواطئه به الأبطال سجينا

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ يا محمد. ﴿مَا سِجِّينٌ﴾ أى ذلك الكتاب الذى فى سجين، ثم بين فقال: ﴿كِتَـٰبٌ﴾ أى هو فى كتاب. ﴿مَّرْقُومٌ﴾ مكتوب مثبت عليهم كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى تجازوا به وقال قتادة: رقم لهم بشرٍّ. وقيل: مختوم بلغة حمير. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا﴾ قراءة العامة: ﴿تُتْلَىٰ﴾ بالتاء. وقرأ أبو حيوة بالياء لتقديم الفعل.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ۝ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ﴾ قرأ أبو بكر، وحمزة، والكسائى، بإمالة فتحة الراء، وحفص يسكت على: ﴿بَلْ ۜ﴾، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن الثقفى، أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المكرم - يعنى البرتى - ببغداد أخبرنا على بن المدينى أخبرنا الوليد ابن مسلم قال سمعت محمد بن عجلان يقول حدثنى القعقاع بن حكيم أن أبا صالح السمان قال إن أبا هريرة حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب صُقل قلبه، وإن عاد زادت حتى يسود قلبه، فذلك قوله عز وجل: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾» وكذا قال المفسرون: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب. وقال حذيفة بن اليمان: القلب مثل الكف فإذا أذنب العبد انقبض، وقبض إصبعًا من أصابعه، ثم إذا أذنب انقبض وقبض إصبعًا أخرى، ثم إذا أذنب انقبض وقبض أصابعه، ثم يطبع على قلبه، وكانوا يرون أن ذلك هو الرين، ثم قرأ هذه الآية.

وقال بكر بن محمد بن عبد الله: إن العبد إذا أصاب الذنب صار فى قلبه كوكزة الإبرة، ثم إذا أذنب ثانيًا صار كذلك، فإذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل أو كالغربال. وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب. وقال ابن عباس طبع عليها. وقال عطاء: غشيت على قلوبهم فهوت بها، فلا يتورعون ولا يتحاشون. وقيل: قلبها فجعل أسفلها أعلاها نظيره قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ (الأنعام: ١١٠) وأصل الرَّين الغلبة، يقال: رانت الخمر

على عقله إذا غلبت عليه فسكر. قال أبو يزيد الطائى:

ثم لما رآه رانت به الخمر وأن لا يَرينَه باتقاء

وقال آخر:

لم ترونى حتى هجرت ورين بى ورين بالساقى الذى أمسى معى

فمعنى الآية غلب على عقولهم وأحاط بها حتى غمرها وغشيها.

❖ ❖ ❖

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ قال بعضهم: عن كرامته ورحمته ممنوعون. وقال قتادة: هؤلاء ينظر إليهم ولا يزكيهم. قال أكثر المفسرين: عن رؤيته. وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته.

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هانئ أخبرنا الحسين بن الفضل أخبرنا عفان بن مسلم الصفار عن الربيع بن صبيح وعبد الواحد بن زيد قالا قال الحسن لو علم الزاهدون، والعابدون أنهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت نفوسهم فى الدنيا قال يحيى بن سليمان بن نضلة: سئل مالك بن أنس عن هذه الآية، فقال: لما حجب أعداؤه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه، وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد النيسابورى يقول سمعت أبا على الحسن بن محمد النسوى بها يقول سمعت أبا نعيم عبد الملك

ابن محمد بن عدى يقول: سمعت الربيع بن سليمان يقول: كنت ذات يوم عند الشافعى رحمه الله وجاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قول الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فكتب فيه: لما حجب قومًا بالسخط دَلّ على أن قومًا يرونه بالرضا. فقلت له: أوتدين وتوقن بهذا؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه فى المعاد لما عبده فى الدنيا.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ لداخلون النار. ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا المسيب أخبرنا الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال: «عليون فى السماء السابعة تحت العرش»، وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه(١). وقال كعب، وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى. وقال مقاتل: ساق العرش. وقال على بن أبى طلحة، وعطاء عن ابن عباس: هو الجنة. وقال عطية: أعمالهم فى كتاب الله عند الله فى السماء. وقال الضحاك: سدرة المنتهى. وقال أهل المعانى: معناه: علو بعد علو، وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت الياء والنون كجمع الرجال إذا لم يكن له بناء من واحده ولا تثنية. وقال الفراء: هو اسم موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه كقولك عشرين وثلاثين. وقال يونس النحوى: واحدها عَلِيٌّ وعليّةٌ.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا أبو الحسن محمد بن إسحاق المحلبى أخبرنا محمد بن يونس أخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن خيثمة عن عبد الله بن عمر فى قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ قال: إن أهل عليين لينظرون إلى أهل الجنة من كذا(٢)، فإذا أشرف الرجل أشرقت الجنة وقالوا: قد اطلع علينا رجل من أهل عليين.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ رُقم لهم بخير، وتقدير الآية: التقديم والتأخير مجازها: إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم فى عليين، وهى محل الملائكة. ومثله إن كتاب الفجار كتاب مرقوم فى سجين وهو محل إبليس وجنده.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ الملائكة. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ إلى ما

---

(١) فى متن المخطوط: «فيها». والتصويب من هامشه.

(٢) فى متن المخطوط على هذا الرسم، وفى هامش المخطوط: «كوة» قلت: والكوة هى الفتحة.

أعطاهم من الكرامة والنعمة. وقال مقاتل: ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون وقال عطاء: على أرائك المعرفة ينظرون إلى المعروف، وعلى أرائك القربة ينظرون إلى الرءوف.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أى نضاره وبريقه ونوره. يقال: أنضر النبات إذا أزهر، ونوّر. وقراءة العامة: ﴿تَعْرِفُ﴾، بفتح التاء، وكسر الراء. ﴿نَضْرَةَ﴾ نصب. وقرأ أبو جعفر ويعقوب بضم التاءين، وفتح الراء على غير تسمية الفاعل.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ خمر صافية طيبة. وقيل: هى الخمر العتيقة. وقال مقاتل: الخمر البيضاء. وقال حبان:

يسقون من ورد البرائض عليهم بُردًا يصفق بالرحيق السلسل

وقال آخر:

أم لا سبيل إلى الشباب وذكره أشهى إلىّ من الرحيق السلسل

﴿مَّخْتُومٍ﴾ ختمت ومنعت عن أن يمسها ماس أو تنالها يد إلى أن يفك ختمها الأبرار يوم القيامة. وقال مجاهد؛ ومطين:

﴿خِتَامُهُ﴾. طينه ﴿مِسْكٌ﴾ قال ابن زيد ختامه عند الله مسك، وختامه اليوم فى الدنيا طين. وقال ابن مسعود: مختوم ممزوج ختامه خلطه مسك. وقال علقمة: طعمه وريحه مسك. وقال الآخرون: عافيته وآخر طعمه مسك. قال قتادة: يمزج لهم بالكافور، ويختم لهم بالمسك. وروى عبد الرحمن بن سابط عن أبى الدرداء فى قوله: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلاّ وجد طيبها.

وختم كل شىء الفراغ منه، ومنه ختم القرآن والأعمال بخواتيمها. وقراءة العامة: ختامه: بتقديم التاء وقرأ الكسائى: خاتمه. وهى قراءة على، وعلقمة.

أخبرنا محمد بن عبدوس أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن الجهم أخبرنا يحيى بن زياد الفراء أخبرنا محمد بن الفضل عن عطاء السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه أنه قرأ: خاتمه مسك.

وبإسناده عن الفراء حدثنى أبو الأحوص عن أشعث بن أبى الشعثاء المحاربى قال: قرأ علقمة بن قيس: خاتمه مسك وقال: أما رأيت المرأة تقول للعطار: اجعل لى خاتمة مسك. تريد آخره. والخاتم، والختام واحد. كما يقال للرجل كريم الطبع، والطباع. قال الفرزدق:

فبتن بجانبى مُصرَّعاتٍ وبتُّ أفض أغلاق الختام

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ يعنى فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى. وقال مجاهد: فليعمل العاملون. نظيره: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ (الصافات: ٦١). وقال مقاتل بن سليمان: فليتنازع المتنازعون. وقال ابن حيان: فليتسارع المتسارعون. وقال عطاء: فليستبق المتسابقون، وقال زيد بن أسلم: فليتشاح المتشاحون. وقال ابن جرير: فليجدوا فى طلبه وليحرصوا عليه. وأصله من الشىء النفيس، وهو الذى تحرص عليه نفوس الناس، وتطلبه وتتمناه ويريده كل واحد منهم لنفسه، وينفس به على غيره أى يضن.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ شراب يصب عليهم من علو، ومنه سنام البعير، وتسنيم القبور. قال الضحاك: هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف الشراب، وقال مقاتل: سمى تسنيمًا لأنه يتسنم فينصب عليهم انصبابًا من فوقهم فى غرفهم ومنازلهم يجرى من جنة عدن إلى أهل الجنة. قال ابن مسعود، وابن عباس: هو خالص للمقربين يشربونها صرفًا وتمزج لسائر أهل الجنة.

أخبرنا عبد الله بن حامد فى آخرين[1] قالوا: أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا عمار بن رجاء أخبرنا سويد بن عمرو الكلبى أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ قال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

وعن بعضهم أنها عين تجرى فى الهواء متسنمة[2] تنصب فى أوانى أهل الجنة على مقدار ملئها فإذا امتلأت أمسك الماء حتى يقع منه قطرة على الأرض، فلا يحتاجون إلى الاستقاء، وهو معنى قول قتادة، وأصل الكلمة مأخوذ من علو المكان، والمكانة، فيقال للشىء المرتفع سنام، وللرجل الشريف سنام، وهو اسم معرفة مثل التنعيم وهو اسم جبل.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ نصب على الحال، وإن شئت قلت: ويسقون عينًا أو من عين أو أعنى عينًا يشرب بها منها. وقيل: يشربها ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾. وقال الحريرى والواسطى يشرب بها المقربون صرفًا على بساط القرب فى مجلس الأنس ورياض القدس كأس الرضا على مشاهدة الحق سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أشركوا، أبا جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمى،

---

(١) فى المخطوط: فى آخر من قالوا، وهو تحريف.

(٢) فى متن المخطوط: «متسنمًا». والتصويب من هامشه.

وأصحابهم من مُتْرَفى مكة ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وأصحابهم من فقراء المؤمنين ﴿يَضْحَكُونَ﴾ وبهم يستهزئون ومن إسلامهم يتعجبون.

وقال مقاتل والكلبى: نزلت فى على بن أبى طالب عليه السلام، وذلك أنه جاء فى نفر من المسلمين إلى النبى ﷺ فسخر منهم المنافقون وضحكوا، وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم، فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه، فأنزل الله تعالى هذه الآيات قبل أن يصل على وأصحابه إلى رسول الله ﷺ.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يغمز بعضهم بعضًا ويشيرون بالأعين ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ[1]﴾ بغير ألف. قرأ حفص وحده: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ حين يأتون محمدًا ﷺ يرون أنهم على شىء. ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ﴾ يعنى المشركين. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعنى على المؤمنين. ﴿حَٰفِظِينَ﴾ لأعمالهم موكلين بأحوالهم. ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعنى يوم القيامة. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا، وذلك أنه يفتح للكفار باب إلى الجنة، فيقال لهم اخرجوا إليها، فإذا وصلوا إليها أُغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارًا، ويضحك المؤمنون وهم ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾. من الدُّر والياقوت. ﴿يَنظُرُونَ﴾ إليهم كيف يعذبون. قال كعب: بين الجنة والنار كوًى[2] فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوه الذى كان فى الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى. دليله قوله: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٥٥) ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ جوزى ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ ثوِّب وأثيب بمعنى واحد.



(١) جاء الرسم فى المخطوط بالألف، ورسمت على ما فى مصحف عثمان بقراءة حفص المتداول والمطبوع فى كل الأقطار الإسلامية وسيشير المؤلف إلى الاختلاف فى الشرح والتفسير إن شاء الله تعالى.

(٢) جمع كوة، وهى الفتحة أو ما نسميه الآن شباك ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله سبحانه وتعالى.

سورة الانشقاق

مكية، وهى أربعمائة وأربعة وثلاثون حرفًا،
ومائة وسبع كلمات وخمس وعشرون آية

أخبرنا سعيد بن محمد، وكامل بن أحمد، ومحمد بن القاسم قالوا أخبرنا محمد بن مطر أخبرنا إبراهيم بن شريك أخبرنا أحمد بن يونس أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أى سمعت أمر ربها بالانشقاق، وأطاعت ﴿وَحُقَّتْ﴾ أى وحق لها أن تطيع ربها، وحقق الله ذلك عليه.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ مَدَّ الأديم العُكاظى وَزِيدَ فى سعتها ﴿وَأَلْقَتْ﴾ أخرجت. ﴿مَا فِيهَا﴾ من

الموتى والكنوز ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وخلت فليس فى باطنها شىء ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ واختلفوا فى جواب قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ فقيل: جوابه متروك لأن المعنى مفهوم، وقيل: جوابه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ ومجازه: إذا السماء انشقت لقى كل كادح ما عمله. وقال المبرد: فيه تقديم وتأخير تقديره: (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه إذا السماء انشقت). وقيل: جوابه ﴿وَأَذِنَتْ﴾، وحينئذ تكون الواو زائدة.

ومعنى قوله: ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أى عامل واجعل به إلى ربك عملاً. ﴿فَمُلَـٰقِيهِ﴾ ومجازًا به خيرًا كان أو شرًا. وقال القعنبى: ناصب فى معيشتك إلى لقاء ربك والكدح السعى والجهد فى الأمر حتى يكدح ذلك فيه أى يؤثر، ومنه قول النبى ﷺ: «من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشًا أو خموشًا أو كدوحًا فى وجهه». أى أثر الخدش قال ابن مُقبل:

هل العيش إلاّ تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

أخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا الحسن بن علوية القطان أخبرنا إسماعيل بن إسحاق بن بشير عن سفيان الثورى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم على ما سلف».

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ﴾ ديوان أعماله. ﴿بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد بن فنجويه العدل أخبرنا محمد بن عبد الله بن برزة أخبرنا محمد بن غالب أخبرنا سعيد بن سليمان أخبرنا مبارك بن فضالة عن أيوب عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يحاسب يعذب». قالوا: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «ذلك العرض من نوقش الحساب عُذّب».

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وقال مجاهد: تختلع يده من وراء ظهره.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ ينادى بالويل والهلاك. ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، وأيوب وكوفى غير الكسائى بفتح الياء والتخفيف. واختاره أبو عبيد لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ١٦٣)، وقوله: ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ (الأعلى: ١٢) وقرأ الباقون بضم الياء وتشديد اللام. واختاره أبو حاتم لقوله: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (الحاقة: ٣١). وقوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة: ٩٤). ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ فى الدنيا. سمعت السلمى يقول سمعت

منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا القاسم البصرى يقول: قال ابن عطاء لنفسه متابعًا، وفى مراتع هواه ساعيًا.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ يرجع إلينا. قال النبى ﷺ: «أعوذ بك من الحور بعد الكور» وقال ابن عباس: كنت لا أدرى ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تدعو بنية لها تقول: حورى حورى؛ أى ارجعى. قال الشاعر:

فما المرء إلاّ كالشهاب وضوئه   يحور رمادًا بعد إذ هو ساطع

ثم قال: ﴿بَلَىٰٓ﴾. أى ليس كما ظن بل يحور إلينا ويبعث.

﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ قال مجاهد، وغيره: هو النهار كله، وقال عكرمة: ما بقى من النهار وقال ابن عباس، وأكثر الناس: هو الحمرة التى تبقى فى الأفق بعد غروب الشمس وبغيبوبته يتعلق أوّل وقت العشاء الآخرة. وإليه ذهب من الصحابة: ابن مسعود، وابن الزبير، وعمر، وابنه، وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس، وأنس بن مالك، وأبو قتادة الأنصارى، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله. ومن التابعين: سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وطاوس، وعبد الله بن دينار، ومكحول. ومن الفقهاء: مالك، والأوزاعى، والشافعى وأبو يوسف، وأبو ثور، وأبو عبيد، وأحمد، وإسحاق.

وقال قوم: هو البياض، وإليه ذهب عمر بن عبد العزيز، وأبو حنيفة. رحمة الله عليهم أجمعين. والاختيار القول الأول لإجماع العَبَادلة عليه. ولأن الشواهد فى كلام العرب وأشعارهم تشهد له. قال الفراء: سمعت بعض العَرَب يقول لثوب أحمر كأنه الشفق. وقال الشاعر:

❖ أحمر اللون كمُحْمَرّ الشفق ❖

وقال آخر:

قم يا غلام أعنى غير محتشم   على الزمان بكأس حشوها شفقُ

ويقال للحفرة الشفق. وزعم الحكماء أن البياض لا يغيب أصلا. قال الخليل بن أحمد: صعدت منارة إسكندرية فرمقت البياض فرأيته يتردد من أفق إلى أفق ولم أره يغيب، والله أعلم بالصواب.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾أى جمع وحمل. يقال: وسقتهُ، أسقهُ وسقًا. ومنه قيل للطعام المجتمع الكثير وسق، وهو ستون صاعًا. وطعام مُوسَقٌ أى مجموع فى غرارة ووعاء. وقال مجاهد

برواية ابن أبى نجيح: ما آوى فيه من دابة. وقال منصور عنه: وما لف وأظلم عليه، ودخل فيه. وقال عكرمة: وما جمع فيه من دوابه وعقاربه وحَيَّاته، وظلمته. وقال الضحاك، ومقاتل: وما ساق من ظلمة، فإذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه. قال الأستاذ أبو القاسم بن حبيب: يشبه أن يكون على هذا من المقلوب لأن أصله ساق يسوق. وقال يمان: حمل من الظلمة. وقال ابن حيان: أقبل من ظلمة أو كوكب. وقال سعيد بن جبير: وما عمل فيه، وروى ابن أبى مليكة وابن جبير عن ابن عباس: وما جمع، قال: ألم تسمع قول الشاعر:

إن لنـا قلائصًا حقـائقا مستوسقات لو يجدن سائقا

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أى اجتمع واستوى وتم نوره وقال قتادة: إذا استدار. وقيل: سار. وقال مُرَّة الهمدانى: ارتفع وهو فى الأيام البيض. ويقال: اتسق الشيء إذا تتابع واستوسقت الإبل إذا اجتمعت وانضمت. وهو افتعل من الوسق.

﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ قرأ أهل مكة والكوفة إلاّ عاصمًا بفتح الباء، وهى قراءة عمر بن الخطاب، وابن مسعود وأصحابه، وابن عباس، وأبى العالية، وقالوا: يعنى لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة. وقيل: أراد به السماء تتغير لونًا بعد لون فتصير تارة كالدهان، وتارة كالمهل وتشقق بالغمام مرة وتطوى أُخرى. وقرأ الآخرون بضمه، واختاره أبو عبيد قال: لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبى ﷺ، إنما ذكر قبل الآية من يؤتى منهم كتابه بيمينه وشماله ثم قال بعدها: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وذكر ركوبهم ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ بينهما.

واختلف المفسرون فى معنى الآية: فقال أكثرهم: حالاً بعد حال[1]، وأمرًا بعد أمر فى مواقف القيامة عن محمد بن مروان الكلبى. وروى حيان عنه مرة يعرفون، ومرة يجهلون. وقال مقاتل: يعنى الموت ثم الحياة، ثم الموت، ثم الحياة. قال عطاء: فقيرًا ومرة غنيًا. وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس: الشدائد والأهوال، الموت ثم البعث، ثم العرض والعرب تقول لمن وقع فى أمر شديد: وقع فى بنات طبق، وفى إحدى بنات طبق. وقال أبو عبيدة: لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم وقال عكرمة: حالاً بعد حال، فطيم بعد رضيع، ثم غلام، ثم شاب، ثم شيخ. قال الحكماء: يشتمل الإنسان من كونه نطفة إلى أن يهرم ويموت على سبعة وثلاثين حالاً، وسبعة وثلاثين اسمًا:

---

(١) هذه نهاية الصفحة (٦٠/ أ) يتممها ما بعدها وهو من الصفحة (٦١/ ب) حيث حدث خلل فى ترتيب أوراق المخطوط وتم التصوير دون ضبط ذلك فيلاحظ وسبق الإشارة إلى مثل ذلك كثيرًا وربما يأتى مثله أيضًا، وسأشير إليه فى حينه إن شاء الله تعالى.

نطفة ـ ثم علقة ـ ثم مضغة ـ ثم عظامًا ـ ثم خلقًا آخر ـ ثم جنينا ـ ثم وليدًا ـ ثم رضيعًا ـ ثم فطيمًا ـ ثم يافعًا ـ ثم ناشئًا ـ ثم مترعرعًا ـ ثم حزورًا ـ ثم مراهقًا ـ ثم محتلمًا ـ ثم بالغًا ـ ثم أمرد ـ ثم طارًا ـ ثم باقلا ـ ثم منبطرًا ـ ثم مطرخمًا ـ ثم مختلطًا ـ ثم صملاً ـ ثم ملتحيًا ـ ثم مستويًا ـ ثم مصعدًا ـ ثم مجتمعًا ـ والشباب يجمع ذلك كله ـ ثم ملهوزًا ـ ثم كهلاً ـ ثم أشمط ـ ثم شيخًا ـ ثم أشيب ـ ثم حوقلاً ـ ثم صفتانا ـ ثم هرمًا ـ ثم ميتًا .

فهذا معنى قوله سبحانه : ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ .

﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ والطبق فى اللغة الحال ؛ قال الأقرع بن حابس :

إنى امرؤ قد حلبت الدهر أشطره ... وساقنى طبق منه إلى طبق

فلست أصبو إلى خل يفارقنى ... ولا تقبض أحشائى من الفَرَق

وأنشدنى أبو القاسم عبد الله بن محمد البابى قال : أنشدنى أبو سعيد عثمان بن جعفر بن نصر الموصلى قال : أنشدنا أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى :

الصبر أجمل والدنيا مفجعة ... من ذا الذى لم يذق من عيشه رنقا

إذا صفا لك من مسرورها طبق ... أهدى لك الدهر من مكروهها طبقا

وقال مكحول فى هذه الآية : فى كل عشرين عامًا تحدثون أمرًا لم تكونوا عليه . وهذا أدل دليل على حدث العالم وإثبات الصانع . قالت الحكماء : من كان اليوم على حالة ، وغدًا على حالة أخرى ، فليعلم أن تدبيره إلى سواه . وقيل لأبى بكر الوراق : ما الدليل على أن لهذا العالم صانعًا؟ قال : تحويل الحالات وعجز القوة ، وضعف الأركان ، وقهر المنية ، وفسخ العزيمة . وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر يقول سمعت أبا الفضل أحمد ابن محمد بن حمدون النسوى يقول سمعت أبا عبد الرحمن الأرزيانى يقول : دخل أبو الغمر على محمد بن يزيد العلوى بطبرستان عائدًا ، فأنشأ يقول :

إنّى اعتللت ولا كانت بك العلل ... وهكذا الدهر فيه الصاب والعسل

إن الذى لا تحل الحادثات به ... ولا تغير فيه الله لا الرجُل

قوله تعالى : ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ لا يخضعون ولا يستكينون له . قال الكلبى ، ومقاتل : لا يصلون .

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن يوسف بقراءتى عليه أخبرنا أبو حاتم مكى بن عبدان ابن محمد قراءة عليه سنة تسع عشرة وثلاثمائة أخبرنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على عبد الله بن نافع المدنى ، وحدثنى مطرف بن عبد الله عن مالك بن أنس عن عبد الله بن يزيد

مولى الأسود بن سفيان عن أبى سلمة بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة قرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ فسجد فيها، فلمّا انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها.

أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن نوح قراءة عليه سنة ست وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو العباس السراج أخبرنا قتيبة عن الليث عن بكر عن نعيم بن عبد الله المجمر قال: صليت مع أبى هريرة فوق هذا المسجد فقرأ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ فسجد فيها، وقال: رأيت رسول الله ﷺ سجد فيها. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ قال مجاهد: يكتمون؛ قال قتادة: يوعون فى صدورهم. قال ابن زيد: يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم. ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ غير منقوص، ولا مقطوع.



سورة البروج

مكية، وهى أربعمائة وخمسة وستون حرفًا،
ومائة وتسع كلمات واثنتان وعشرون آية

أخبرنا محمد بن القاسم أخبرنا إسماعيل بن نجيد أخبرنا محمد بن إبراهيم بن سعيد أخبرنا سعيد بن حفص قال: قرأت على معقل بن عبيد الله عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ أعطاه الله من الأجر بعدد كل يوم جمعة، وكل يوم عرفة يكون فى دار الدنيا عشر حسنات».

وعن ابن الأنبارى أنه قال: روى أن من قرأها أعطاه الله سبحانه وتعالى بعدد كل جمعة وعرفة ما سأل فى الدنيا ويكونان مائة مائة حسنة ومائة درجة ويشفع يوم القيامة فى عدد أهل منى حتى يدخلهم الجنة وله بعدد فرعون وعاد وثمود الذين كفروا منهم واللوح المحفوظ بعدد كل واحد منهم عتق رقبة مع ما له من المزيد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ .

أخبرنا أبو عبد الله بن الطيب أخبرنا أبو سعيد عمرو ابن محمد بن منصور أخبرنا أبو بكر بن سليمان بن الحارث أخبرنا عبد الله بن موسى .

(ح)[1] وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن حمدان أخبرنا إبراهيم بن سهلويه أخبرنا محمد بن الصباح أخبرنا مروان بن معاوية قالا : أخبرنا موسى بن عبيدة الزيدى عن أيوب بن خالد الأنصارى عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة ، والشاهد يوم الجمعة ، ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة ، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجاب الله له ، ولا يستعيذه من سوء إلا أعاذه منه» .

وأخبرنا أبو عباس سهل بن محمد بن سعيد أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حليم أخبرنا أبو الموجه أخبرنا عبدان أخبرنا عبد الوارث عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود يوم القيامة ، ثم تلا هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (النساء : ٤١) ثم قال : ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود : ١٠٣) .

وأخبرنا ابن فنجويه الحديثى أخبرنا محمد بن الحسن اليقطينى أخبرنا أحمد بن عبد الله ابن يزيد العقيلى أخبرنا صفوان بن صالح أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : «شاهد : يوم عرفة ، ومشهود : يوم الجمعة» .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى أخبرنا الفضل بن الفضل الكندى أخبرنا محمد ابن عبد الله بن النعمان أخبرنا أبو طاهر سهل بن عبد الله أخبرنا عمرو بن سواد بن الأسود أخبرنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد ابن أبى هلال عن زيد بن أرقم عن عبادة بن نُسى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : «أكثروا الصلاة علىَّ يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحدًا لا يصلى علىّ إلاّ عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ منها» .

قال : قلت : وبعد الموت؟ قال : «إن الله تعالى حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، ونبى الله حىٌّ يرزق» .

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن جعفر بن حمدان أخبرنا إبراهيم بن سهلويه أخبرنا أحمد بن إبراهيم الدورقى أخبرنا أبو غسان مالك بن ضيعم الراسبى أخبرنا أبو سهل المندرانى عن خباب

---

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد للفصل بين الإسنادين حتى لا يحدث خلط بينهما .

عن رجل قال: دخلت مسجد المدينة فإذا أنا برجل يحدث عن رسول الله ﷺ، والناس حوله، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة؛ فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر، فجزتهما إلى غلام كأن وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت له: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد محمد ﷺ، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥)، وقال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود: ١٠٣) فسألت عن الأول: فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث، فقالوا: الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي الدورقي بقراءتي فأقرّ به أخبرنا عبد الله ابن محمد بن الحسن بن الشرقي أخبرنا عبد الرحمن ابن بشر العبدي أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

الشاهد آدم، والمشهود يوم القيامة. وقال ليث عنه: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة.

وقال الوالبي عن ابن عباس الشاهد الله تعالى، والمشهود يوم القيامة، وقال عكرمة: الشاهد الإنسان والمشهود يوم القيامة، وعنه أيضًا الشاهد الملك يشهد على ابن آدم والمشهود يوم القيامة؛ فقال هاتين الآيتين: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١)، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود: ١٠٣) وقال جابر بن عبد الله: الشاهد يوم القيامة والمشهود الناس.

وقال محمد بن كعب الشاهد: أنت، والمشهود هو الله سبحانه وتعالى، وقال عطاء بن يسار: الشاهد آدم وذريته والمشهود يوم القيامة، وقال الحسن: الشاهد الجمعة، والمشهود يوم القيامة يشهدها الأولون والآخرون. وقال أبو مالك: الشاهد عيسى، والمشهود أمته؛ بيانه قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧) وقال عبد العزيز بن يحيى: الشاهد محمد ﷺ والمشهود أُمته؛ بيانه قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١) وقال الحسن بن الفضل: الشاهد هذه الأمة، والمشهود سائر الأمم؛ بيانه قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣) وقال سعيد بن المسيب: الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة، وقال سالم بن عبد الله: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ فقال

الشاهد: هو الله تعالى، والمشهود: نحن؛ بيانه قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٩)، وقوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (الأنعام: ١٩) وقيل: الشاهد: أعضاء ابن آدم، والمشهود ابن آدم، بيانه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ (النور: ٢٤) سمعت أبا القاسم الحبيبى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن نجيد القطان البلخى يقول: الشاهد الحجر الأسود والمشهود الحجاج، وقيل: الشاهد: الأيام والليالى، والمشهود بنو آدم؛ دليله الخبر المروى: «ما من يوم إلاّ وينادى إنى يوم جديد وإنى على ما يفعل فىّ شهيد، فاغتنمنى، فلو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة».

وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن أحمد بن الصديق يقول سمعت أبا واثلة عبد الرحمن بن الحسين المزنى يقول: سمعت مطرفا يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: الحسين[1] بن على رضى الله عنهما قال:

مضى أمسك الماضى شهيداً معدلاً ... وخُلفت فى يوم عليك شهيدُ

فإن كنت بالأمس اقترفت إساءةً ... فثن بإحسان وأنت حميدُ

فاشرع بفعل الخير يوماً إلى غد ... لعل غداً يأتى وأنت فقيدُ

فيومك إن أعتبته عاد نفعهً ... عليك وماضى الأمس ليس يعود

وقال محمد بن على الترمذى: الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم؛ أنشدنا أبو القاسم الحبيبى قال: أنشدنى أبى قال: أنشدنا أبو بكر بن الأنبارى ببغداد فى كتاب الزاهر:

إن من يركب الفواحش سراً ... حين يخلو بذنبه غير خال

كيف يخلو وعنده كاتباه ... حافظاه وربه ذو الجلال

وقيل: الشاهد: الأنبياء، والمشهود محمد ﷺ بيانه قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١) وقيل: الشاهد: الله عز وجل والملائكة وأولو العلم، والمشهود: لا إله إلا الله.

بيانه: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ١٨) وقيل: الشاهد: الخلق، والمشهود الحق، وفيه يقول الشاعر:

أيا عجبًا كيف يعصى الإله؟ ... أم كيف يجحده الجاحدُ؟

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحدُ

(١) كذا فى المخطوط، وكتب الناسخ فوقه: «الحسن».

وفي كل تحريكة علينا وتسكينة شاهد

وقيل: الشاهد: يوم الاثنين، والمشهود: يوم الجمعة، وقيل: الشاهد: الحق، والمشهود: الخلق، وقيل: الشاهد أفعال العبد، والمشهود العبد.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ﴾ لُعنَ، قال ابن عباس: كل شيء في القرآن قتل فهو لُعنَ ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ يعني الشق، واختلفوا فيهم:

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر أخبرنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور، وأبو القاسم المنصور بن العباس ببوشنج، وأبو الحسن محمد بن محمد ابن عبيد الله بمرو، وأبو بكر أحمد بن محمد بن عبيد الله الظاهري بنيسابور - واللفظ له - قالوا: أخبرنا الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني أن هدية بن خالد القيسي حدثهم أخبرنا حماد بن سلمة، (ح)[1] وحدثت عن محمد بن جرير حدثني محمد بن معمر حدثني ابن عمارة أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن صُهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث لي غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه راهب، فقعد إليه الغلام، وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر ضربه، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربوه، فشكا ذلك للراهب، فقال له: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى في طريقه على دابة عظيمة قد حبست الناس لا تدعهم يجوزون، فقال الغلام اليوم أعلم أمر الراهب أرجى عند الله وأفضل أم الساحر، فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب، فأخبره، فقال له الراهب: يا بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغك الله من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلن علي، فكان الغلام يبرئ الأكمه، والأبرص ويداوي الناس لسائر الأدواء فسمع جليس الملك، وكان قد عمي، فآتاه هدايا كثيرة، وقال هذه لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: أنا لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوت الله تعالى فشفاك، فآمن بالله فدعا فشفي، فأتى الملك يمشي، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال الملك من ردّ عليك بصرك، فقال ربي، قال: ولك رب غيري؟! قال: ربي وربك واحد، فأخذه، فلم يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام، فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد حتى لا يحدث خلط بين طريقي الخبر، ويسمى أهل الحديث هذا الرمز إحالة.

الأكمه، والأبرص، وتفعل؟! قال: إنى لا أشفى أحداً إنما يشفيه الله تعالى وأخذه، فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب، فقيل له ارجع عن دينك، فأبى، فدُعى بالمنشار فوضعه فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جىء بجليس الملك، فقيل له ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جىء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلاّ فاطرحوه، فذهبوا به إلى الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا، فجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال اذهبوا به فى قرقور - وهو السفينة - فلجوا به فإن رجع عن دينه وإلاّ فاقذفوه فيه.

فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، وجاء يمشى إلى الملك، فقال له ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله ثم قال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتى ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمنى فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى، فجمع الناس فى صعيد واحد، ثم صلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضعه فى كبد قوسه، ثم قال بسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم فى صدغه، فوضع يده عليه، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك، قد والله نزل[1] بك ما كنت تحذر قد آمن الناس، فأمر بالأخدود فى أفواه السكك، فخدَّت وأحزمت فيها النار وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُماه اصبرى فإنك على الحق، فاقتحمت فى النار».

قال الضحاك: تكلم فى المهد ستة: شاهد يوسف، وابن مشاطة بنت فرعون، وعيسى، ويحيى عليهما السلام، وصاحب جريج العابد وصاحب الأخدود.

وقال سعيد بن المسيب: كنا عند عمر رضى الله عنه إذ ورد عليه أنهم وجدوا ذلك الغلام - يعنى الذى ذكرناه وهو واضع يده على صدغه فكلما مُدَّت يده عادت إلى صدغه فكتب عمر رضى الله عنه واروه حيث وجدتموه.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن يوسف أخبرنا عمر بن محمد بن يحيى أخبرنا عبد الحميد بن حميد الكشى عن الحسن بن موسى أخبرنا يعقوب بن

(١) فى متن المخطوط: «تزايد». والتصويب من هامش المخطوط بتصحيح الناسخ رحمنا الله وإياه آمين.

عبد الله القمى أخبرنا جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال : لما هزم المسلمون أهل الأسفيدهان انصرفوا فجاءهم ـ يعنى عمر رضى الله عنه فاجتمعوا فقالوا : أى شيء يجرى على المجوس من الأحكام ، فإنهم ليسوا من أهل الكتاب وليسوا من مشركى العرب؟ فقال على بن أبى طالب عليه السلام بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم ، وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها ، فلما ذهب عنه السُّكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت؟ وما المخرج منه؟

قالت : المخرج منه أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس إن الله تعالى قد أحل نكاح الأخوات فإذا ذهب هذا فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته . فقام خطيبًا ، فقال : أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات ؛ فقال الناس جماعتهم معاذ الله أن يأمر بهذا أو نقر به ، وما جاءنا به نبى ولا أنزل علينا فى كتاب ؛ فرجع إلى صاحبته ، فقال : ويحك إن الناس قد أبوا علىَّ ، قالت : إذا أبوا عليك ، فابسط فيهم السوط ؛ قال : فبسط فيهم السوط ، فأبى الناس أن يقروا . فرجع إليها ، فقال : قد بسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا ؛ قالت : فجرد فيهم السيف ؛ قال : فجرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا .

فقال لها : ويحك إن الناس قد أبوا أن يقروا . قالت : خد لهم أخدودًا ، ثم أوقد فيها النيران ، ثم أعرض عليها أهل مملكتك فمن تابعك فخل عنه ، ومن أبى فاقذفه فى النار .

فخد لهم أخدودًا فأوقد فيها النيران وأعرض أهل مملكته على تلك النار فمن أبى قذفه فيها ومن أجاب خلى سبيله ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ .

وقال الضحاك : أصحاب الأخدود من بنى إسرائيل أخذوا رجالاً ونساء فخد لهم أخدودًا ثم أقدوا فيها النيران ، فأقاموا المؤمنين عليها فقالوا تكفرون أو نقذفكم فى النار . ويزعمون أنه دانيال وأصحابه ، وهذه رواية العوفى عن ابن عباس .

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن عبد الله بن يوسف أخبرنا عمر بن محمد بن جبير أخبرنا عبد بن حميد عن يونس عن شيبان عن قتادة فى قوله تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ قال : حدثنا على بن أبى طالب كان يقول : هم أناس بمزارع اليمن اقتتل مؤمنهم وكافرهم . فظهر مؤمنهم على كافرهم ، ثم اقتتلوا الثانية فظهر مؤمنهم على كافرهم ، ثم أخذ

بعضهم على بعض عهوداً ومواثيق لا يغدر بعضهم ببعض، فغدر بهم الكفار، فأخذوهم، ثم إن رجلاً قال: هل لكم إلى خير، توقدون ناراً ثم تعرضون عليها فمن تابعكم على دينكم فذلك الذى تشتهون ومن لا اقتحم النار، فاسترحتم منه، قال فأججوا ناراً وعرضوهم عليها، فجعلوا يقتحمونها حتى بقيت عجوز فكأنها تلكأت فقال لها طفل فى حجرها امضى ولا تنافقى فقص الله تعالى علينا نبأهم وحديثهم.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أبو محمد المزنى أخبرنا مطين أخبرنا عثمان أخبرنا معاوية ابن هشام عن شريك عن جابر عن أبى الطفيل عن على بن أبى طالب عليه السلام قال: كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشى؛ قال على: بعث نبى من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ على: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (غافر:٧٨) فدعاهم النبى عليه السلام فبايعه أناس، فقاتلهم، فقتل أصحابه، وأخذ فأوثق، فأفلت منهم فخدوا أخدوداً فملأوها ناراً فمن تبع النبى رمى فيها ومن تابعهم تركوه فجاءوا بامرأة معها صبى رضيع فجزعت، فقال لها الصبى: يا أماه مُرِّى ولا تُنافقى[1].

وبه عن مُطيَّن: أخبرنا أبو موسى الزمن أخبرنا مسلم بن قتيبة أخبرنا جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة فى قوله الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ قال: كانوا من قومك من النبط، وقال الكلبى: هم نصارى أهل نجران، وذلك أن ملكًا بنجران أخذ بها قومًا مؤمنين فخد لهم فى الأرض سبعة أخاديد طول كل أُخدود أربعون ذراعًا وعرضه اثنا عشر ذراعًا ثم طرح فيها النفط والحطب ثم عرضهم عليها، فمن أبى قذفه فى النار، فبدأ برجل يقال له عمرو ابن زيد، فسأله ملكهم، فقال له: من علمك هذا؟ يعنى التوحيد؛ فأبى أن يخبره، فأتى الملك الذى علّمه التوحيد فقال: أيها الملك أنا علمته، واسمه عبد الله بن سمر، فقذفه فى النار؛ ثم عرض على النار واحداً بعد واحد حتى إذا أراد أن يتبع بقية المؤمنين. فصنع ملكهم صنمًا من ذهب، ثم أَمَّر على كل عشرة من المؤمنين رجلاً يقول لهم إذا سمعتم صوت المزامير، فاسجدوا للصنم، فمن لم يسجد فألقوه فى النار، فلما سمعت النصارى بذلك سجدوا للصنم، وأما المؤمنون فأبوا، فخدَّ لهم وألقاهم فيها، فارتفع النار فوقهم اثنا عشر ذراعًا.

وقال مقاتل: كانت الأخدود ثلاثًا: واحدة بنجران باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس، حُرِّقوا بالنار؛ أما التى بالشام: فهو بطباونس بن بليس الرومى. وأما التى بفارس: فهو بختنَصَّر، وأما التى بأرض العرب: فهو يوسف بن ذى نواس؛ فأما التى كانت بفارس

(١) كذا فى المخطوط، وهو تصحيح من الناسخ رحمنا الله وإياه، وهو بهامش المخطوط: «ولا تنافقى».

والشام فلم ينزل الله سبحانه فيهما قرآنا، وأنزل فى التى كانت بنجران وذلك أن رجلين مسلمين ممن يقرءون الإنجيل أحدهما بأرض تهامة، والآخر بنجران اليمن فأخذ أحدهما نفسه فى عمل يعمله، وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنت المستأجر النور يضىء أثناء قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها، فرمقه حتى رآه، فسأله، فلم يخبره، فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون إنسانًا من رجل وامرأة، وهذا بعدما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فسمع ذلك يوسف بن ذى نواس بن شراحيل بن اليشرح الحميرى، فخدّ لهم فى الأرض، فأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى منهم أن يكفر قذفه فى النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف فى النار، وأن امرأة جاءت ومعها ولدها صغير لا يتكلم، فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار، فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلما كانت فى الثالثة ذهبت فرجعت[1]، فقال لها ابنها: يا أماه إنى أرى قدامك نارًا لا تُطفأ، فلما سمعت ابنها يقول ذلك قذفا جميعًا أنفسهما فى النار فجعلها الله تعالى وابنها فى الجنة، فقذف فى النار فى يوم واحد سبعة وثمانون إنسانًا.

قال ابن عباس من أبى أن يقع فى النار ضرب بالسياط، فأدخل أرواحهم الجنة قبل أن تصل أجسامهم إلى النار، وذكر محمد بن إسحاق بن يسار عن وهب بن منبه أن رجلاً كان بقى على دين عيسى عليه السلام فوقع إلى نجران فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودى بجنود من حمير وخيرهم بين النار واليهودية، فأبوا عليه، فخدّ لهم الأخاديد، وأحرق اثنى عشر ألفًا، وقال الكلبى: كان أصحاب الأخدود سبعين ألفًا، قال وهب: ثم لما غلب أرباط على اليمن خرج ذو نواس هاربًا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وفيه يقول عمرو بن معدى كرب:

أتوعدنى كأنك ذو رعين ... بأنعم عيشة أو ذو نواس
وكأين كان قبلك من نعيم ... وملك ثابت فى الناس راس
أزال الدهر ملكهم فأضحى ... يُنقل من أناس فى أُناس

قال الكلبى: وذو نواس هو الذى قتل عبد الله بن الثامر، وقد مضت القصة فى الحديث المرفوع إلى رسول الله ﷺ ومما يزيده وضوحًا ما روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف بن ذى نواس بن شراحيل فى الفترة قبل مولد النبى ﷺ بسبعين سنة، وكان فى بلاده غلام يقال له: عبد الله بن ثامر، وكان أبوه سلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بُدًا من طاعة أبيه، فجعل يختلف إلى المعلم،

(١) كذا فى متن المخطوط وأظن أن الصواب ما بهامش المخطوط وهو: «ترجع» والله أعلم.

وكان فى طريقة راهب حسن القراءة[١] حسن الصوت فأعجبه ذلك، فكان يأتى المعلم آخر الغلمان فيضربه المعلم فيقول: ما الذى حبسك، وإذا انقلب إلى أبيه دخل على الراهب فيضربه أبوه ويقول: لمَ أبطأت، فشكا ذلك الغلام إلى الراهب فقال له الراهب: إذا أتيت المعلم فقل حبسنى أبىَ، وإذا أتيت أباك فقل حبسنى المعلم وكان فى تلك البلاد حيّة عظيمة قطعت الطريق على الناس، فمر بها الغلام، فرماها فقتلها، فأحس الراهب بذلك فازداد به عجبًا وقال: أنت قتلتها؟ قال: نعم؛ قال: إن لك لشأنا، وكان للملك ابن عمّ مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية، فجاءه مع قائد فقال: أنت قتلت الحيّة؟ قال: لا؛ قال: ومن قتلها؟

قال: الله؛ قال: ومن الله؟ قال: رب السموات والأرض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة؛ قال: إن كنت صادقًا، فادع ربك حتى يرد علىّ بصرى؛ قال الغلام: أرأيت إن ردّ الله عليك بصرك أتؤمن به؟

قال: نعم؛ قال: اللهم إن كان صادقًا فاردد عليه بصره. فردّ الله عليه بصره، فرجع إلى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك، فلما رآه تعجب منه؛ فقال: من صنع هذا؟ قال: الله؛ قال: ومن الله؟

قال: رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق والمغارب، ورب الشمس والقمر ورب الليل والنهار والدنيا والآخرة؛ فقال له الملك: أخبرنى من علمك هذا؟ فدل على الغلام، فدعاه، فكلمه، فإذا غلام عاقل، فسأله عن دينه، فأخبره بالإسلام، ومن آمن معه، فهمّ الملك بقتلهم مخافة أن يبدلوا دينه، فأرسل بهم إلى ذروة جبل، وقال: ألقوهم من رأس الجبل؛ فذهبوا بالغلام إلى أطول جبل، فدعا الغلام ربه، فأهلكهم الله تعالى، ونجا؛ فغاظ الملك ذلك، ثم أرسل معهم رجالاً إلى البحر وقال: غرقوهم؛ فدعا الغلام ربه فغرقهم الله تعالى ونجاه وأصحابه فدخل على الملك؛ فقال: ما فعل أصحابك الذين أرسلتهم معك؟

فقال: أهلكهم الله ونجانا، فقال: اقتلوه بالسيف فنبا السيف عنه، وفشا خبره بأرض اليمن وعرفه الناس فعظموه وعلموا أنه وأصحابه على الحق[٢]؛ فقال الغلام للملك: إنك لا تقدر على قتلى إلاّ أن تفعل ما أقول؛ قال: فكيف أقتلك؟ قال: تجمع أهل مملكتك وأنت على

(١) فى متن المخطوط: «القرآن». والتصويب من هامش المخطوط، وهو تصحيح من الناسخ.

(٢) إلى هنا نهاية الصفحة (٧٠/ ب) ويحدث اضطراب فى تصوير أوراق المخطوط لاضطراب فى رص أوراق الكتاب الأصلى المخطوط فاستكملت ما بعده من الصفحة رقم (١٢٠/ ب) من مصورة المخطوط فيلاحظ ذلك عند من أراد أن يراجع المطبوع على صورة المخطوط. والله الموفق والهادى للصواب.

سريرك وترمينى بسهم باسم إلهى، ففعل الملك ذلك، ثم رماه باسم إلهه فأصابه فقتله؛ فقال الناس: لا إله إلا إله عبد الله بن ثامر، ولا دين إلا دينه؛ فغضب الملك، وأغلق الباب - يعنى باب المدينة - وأخذ أفواه السكك وخَدَّ أخدودًا وملأه نارًا، ثم عرضهم رجلاً رجلاً فمن رجع عن الإسلام تركه، ومن قال: دينى دين عبد الله بن ثامر ألقاه فى الأخدود فأحرقه وكان فى مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فأخذهم؛ فقال لها الملك ارجعى عن دينك وإلاّ ألقيتك وأولادك فى النار، فأبت فأخذ ابنها الأكبر منهم فألقاه فى النار، ثم قال لها: ارجعى عن دينك، فأبت. فألقى الثانى فى النار، ثم قال لها ارجعى عن دينك، فأبت فأخذوا الصبى منها ليُلقوه فى النار، فهمت المرأة بالرجوع.

فقال الصبى: يا أماه لا ترجعى عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك، فألقى الصبى فى النار، وألقيت أمه على أثره؛ فذلك قول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾.

وقال الضحاك فى هذه الآية: أحرق بختنَصَّر قومًا من المسلمين.

والأخدود: الحفرة والشق المستطيل فى الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد، وهو أفعول من الخد. يقال: خددت فى الأرض خدًا أى شققت وحفرت.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ قراءة العامة بفتح الواو وهو الحطب[1]، وقرأ أبو رجاء العطاردى بضم الواو على المصدر وقراءة العامة ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ بالكسر فيهما على نعت الأخدود، وقرأ أشهب العقيلى بالرفع فيهما على معنى أحرقتهم النار ذات الوقود.

قال الربيع بن أنس: كان أصحاب الأخدود قومًا مؤمنين فاعتزلوا الناس فى الفترة وأنّ جبارًا من عبدة الأوثان أرسل إليهم فعرض عليهم الدخول فى دينه فأبوا فخدَّ أخدودًا وأوقد فيه نارًا، ثم خيرهم بين الدخول فى دينه وبين إلقائهم فى النار، فاختاروا إلقاءهم فى النار على الرجوع عن دينهم فألقاهم فى النار، فنجى الله المؤمنين الذين ألقوا فى النار بأن قبض أرواحهم قبل أن يمسوا النار، وخرجت النار إلى من على شفير الأُخدود من الكفار فأحرقتهم.

﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾ حضور وقال مقاتل: يعنى يشهدون أن المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنَّم.

---

(١) هذه نهاية (ص١٢٠/ ب) ثم أستكمل ما بعده من صفحة (١٢١/ أ) وذلك حسب ترقيم صورة المخطوط التى أصابها خلل لاضطراب فى ترتيب أوراق المخطوط أثناء التصوير، وسأشير إلى ذلك فى نهاية كل صفحة حتى يتم الانتهاء من هذا الاضطراب ليتسنى لمن أرد الموافقة بين المطبوع وصورة المخطوط الوقوف على الصواب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أى ما علموا فيهم عيبًا، ولا وجدوا لهم جرمًا، ولا رأوا منهم سوءًا ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعنى إلا بأن يؤمنوا، ومن أجل أن يؤمنوا بالله.

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ۝ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾ عذبوا وأحرقوا ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ نظير قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (الذاريات: ١٣) ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ فى الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ فى الدنيا، وذلك بأن الله أحرقهم بتلك النار التى أحرقوا[١] بها المؤمنين، هذا قول الربيع وأصحابه.

وقال الآخرون: هما واحد.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا على بن محمد بن لؤلؤ الوراق أخبرنا أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمل الصيرفى أخبرنا أبو جعفر محمد بن جعفر الأحول المعروف باللقلوق أخبرنا منصور بن عمار أخبرنا سعيد بن أبى توبة عن عبد الرحمن بن الجهم يبلغ به حذيفة بن اليمان قال: أسَرَّ إلىَّ النبى ﷺ حديثًا فى النَّار، فقال: «يا حذيفة إن فى جهنم لسباعًا من نار، وكلابًا من نار، وسيوفًا من نار، وإنه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأجناحهم، ويقطعونهم بتلك السيوف عضوًا عضوًا، ويلقونهم إلى تلك الكلاب والسباع كلما قطعوا عضوًا عاد آخر مكانه غضًا جديدًا»[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ اختلف العلماء فى جواب القسم: فقال بعضهم: جوابه ﴿قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ وفيه إضمار يعنى لقد قتل، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: (قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج).

وقال قتادة جوابه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أى أخذه بالعذاب والانتقام.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يعنى الخلق عن أكثر العلماء، وروى عطية العوفى عن ابن عباس يعنى يبدأ العذاب للكفار فى الدنيا، ثم يعيد عليهم العذاب فى الآخرة.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ قال[٣] ابن عباس: المتودد إلى أوليائه بالمغفرة قال على بن أبى طلحة

---

(١) هذا نهاية صفحة (١٢١/أ) وأتممت ما بعده من صفحة (٩٠/ب) وذلك لاضطراب أصاب ترتيب أوراق المخطوط الأصلى فجاءت الصفحات فى تصوير المخطوط على الشكل المبين والذى أشير إليه أولاً بأول حتى نهاية ذلك وإلى حين استرسال صورة المخطوط على الصواب.

(٢) هذا حديث ليس بصحيح ولا يعتد به.

(٣) هذه بداية صفحة (٩١/أ) هى متممة لما سبق من تفسير السورة ثم يسترسل بعد ذلك التفسير والترتيب على الصواب إن شاء الله.

عنه: الحبيب.

وقال مجاهد: الواد، وقال ابن زيد: الرحيم، وقيل: بمعنى المودود، مثل الحلوب، والركوب، وقيل: معناه: يغفر ويود أن يغفر.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ السرير العظيم؛ قال ابن عباس وقتادة: الكريم، واختلف القراء فيه: فقرأ يحيى بن وثاب، وحمزة، والكسائى، وخلف بجر الدّال على نعت العرش (وقرأ)[1] غيرهم بالرفع على صفة الغفور.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ۝ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾. خبر الجنود الكافرة الهالكة، ثم بَيَّنَ من هم، فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قومك يا محمد ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ واستيجاب للتعذيب كدأب من قبلهم ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ عالم بهم لا يخفى عليه شىء من أحوالهم ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ كريم شريف كثير الخير، وليس كما زعم المشركون، وقال عبد العزيز بن يحيى: ﴿مَّجِيدٌ﴾ يعنى غير مخلوق، وقرأ ابن السميقع: بل هو قرآن مجيدٍ، بالإضافة أى قرآن ربٍّ مجيد.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ قرأ يحيى بن يعمر: فى لُوح بضم اللام، أى إنه يَلُوحُ، وهو نور وعلو وشرف.

وقرأ الآخرون: بفتح اللام ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ قرأ نافع، وابن مُحيصن بضم الظاء على نعت القرآن، وقرأ الباقون: بالكسر على نعت اللَّوحِ.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر الباقر أخبرنا حسن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر أخبرنا مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن فى صدر هذا اللوح: لا إله إلا الله وحده ودينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله تعالى وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة؛ قال: واللوح لوح من دُرَّة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه برٌّ معقود بالعرش، وأصله فى حجر ملك يقال له ماطريون محفوظ من الشياطين، فذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾، لله عز وجل فيه فى كل يوم وليلة ثلاثمائة وستون لحظة، يحيى ويميت، ويُعزُّ ويذل، ويفعل ما يشاء[2]

---

(١) زيادة يتطلبها السياق، وتركها المؤلف اختصاراً.

(٢) هذا خبر لا يعتد بإسناده، ولا ينظر فيه لأنه من أخبار مقاتل وهو وإن كان شيخًا كبيرًا فى التفسير إلا أنه متروك الحديث بقول البخارى وغيره من كبار الحفاظ والنقاد.

أخبرنا عقيل بن محمد أن المعافى بن زكريا أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا عمرو بن على قال: سمعت قرة بن سليم أخبرنا حرب بن شريح أخبرنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس ابن مالك فى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ قال: اللوح المحفوظ الذى ذكره الله تعالى فى خيمة إسرافيل عليه السلام.

وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش[1].

❖ ❖ ❖

(١) كل ما سكت عنه الله سبحانه وتعالى فعلى المؤمن أن يسلم به دون البحث عنه ما لم يخبر عنه نبيه فى خبر صحيح لا يعتريه الشك، ثم إنه لو كان لنا فى معرفته نفع فى دنيا أو فى آخرة لما أخفاه الله عنا ولا سكت عنه رسوله الكريم ﷺ، فلا يهم كنه اللوح، ولا أين هو؟.

سورة الطارق

مكية، وهى مائتان وتسعة وثلاثون حرفًا،
وإحدى وستون كلمة وسبع عشرة آية

أخبرنا أبو عثمان بن أبى بكر المقرئ أخبرنا أبو عمرو ابن أبى الفضل الشروطى أخبرنا إبراهيم بن شريك الأسدى أخبرنى أبو عبد الله بن يونس أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون ابن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أبى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله من الأجر بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن نصرويه أخبرنا أبو العباس إسحاق بن الفضل الزيات أخبرنا يوسف بن موسى القطان أخبرنا الضحاك بن مخلد عن عبد الله عن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب عن عبد الرحمن بن خالد بن جبلة أو ابن جبلة - شك أبو عاصم - عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ متوكئًا على قوس فى مشرُقة ثقيف فقرأ سورة ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ حتى ختمها فحفظتها فى الجاهلية؛ قال: فمررت فى مجلس ثقيف وفيه[1] قوم من قريش فيهم عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، فاستقرءونى فقرأتها عليهم؛ فقال الثقفيون: ما نرى هذا إلاّ حقًا؛ فقال القرشيون: نحن أعلم بصاحبنا، لو علمنا أنه حق لتبعناه.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾

(١) كذا فى المتن، وبهامش المخطوط: «فيهم» وأحدهما صحيح من الناسخ رحمنا الله وإياه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ نزلت فى أبى طالب وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ، فأتحفه بخبز، ولبن، فبينا هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلأ ماء ثمَّ نارًا ففزع أبو طالب وقال: أى شىء هذا؟ فقال رسول الله ﷺ «هذا نجم رُمِىَ به وهو آية من آيات الله تعالى» فعجب أبو طالب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ يعنى النجم يظهر ليلاً ويخفى نهارًا، وكل ما جاء ليلاً فقد طرق، ومنه حديث جابر: نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله (ليلاً)(١) وقال: «حتى تستمد المغيبة، وتمتشط الشعثة»، وقالت هند بنت عتبة يوم أحد:

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

تريد: أن أبانا نجم فى شرفه وعلوه.

وأنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد المفسر قال: أنشدنى أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن الكارزى قال: أنشدنى أبو عبد الله محمد بن الرومى:

يا راقد الليل مسرورًا بأوله إن الحوادث قد يطرقن إسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله فربَّ آخر ليل أجج النّارا

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ ثم فسره فقال عز من قائل: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ أى المنير، تقول العرب أثقب نارك أى أضئها؛ قال مجاهد: المتوهج، وقال عطاء: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ الذى ترمى به الشياطين فيثقبهم؛ قال ابن زيد: كانت العرب تسمى الثريا النجم، وقيل: هو زحل سمى بذلك لارتفاعه، وتقول العرب للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعًا قد ثقب.

روى أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: ﴿ٱلطَّارِقُ﴾ نجم فى السماء السابعة، لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أماكنها من السماء هبط، فكان معها، ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة وهو زحل، فهو طارق حين ينزل، وطارق حين يصعد.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾ جواب القسم ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ وقرأ الحسن وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (لمّا) بتشديد الميم يعنون ما كل نفس إلاّ عليها حافظ، وهى لغة هذيل يقولون: نشدتك الله لمّا قمت؛ يعنون إلاّ قمت.

وقرأ الآخرون بالتخفيف، جعلوا ما صلة. مجازه: إن كل نفس لعليها حافظ.

أخبرنا محمد بن نعيم أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا على بن عبد العزيز أخبرنا معاذ عن ابن عوف قال: قرأت عند ابن سيرين:

إن كل نفس لَمَا، فأنكر وقال سبحان الله؛ فتأويل الآية: كل نفس عليها حافظ من ربها

(١) زيادة يتطلبها السياق، وهو حديث مشهور.

يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر.

قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة، وقال قتادة: هم حفظة يحفظون عملك وأجلك، إذا توفيت يا ابن آدم قبضت إلى ربك. وقال الكلبى، وخصيف: حافظ من الله تعالى يحفظ قولها وفعلها ويحفظها حتى يدفعها، ويسلمها إلى المقادير، ثم يُخلى عنها.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عمر بن الخطاب[1] أخبرنا عبد الله بن الفضل أخبرنا سلمة بن شبيب أخبرنا يحيى بن صالح أخبرنا عقيل بن معدان عن سليم بن عامر عن أبى أمامة الباهلى قال قال رسول الله ﷺ: «وكِّل بالمؤمن ستون ومائة ملك يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك، يذبون عنه كما يُذب عن قصعة العسل الذباب لو وُكِّلَ العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين».

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أى من أى شىء خلقه ربه، ثم بين جل جلاله فقال: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ أى مدفوق مصبوب فى الرحم، وهو المنى فاعل بمعنى مفعول كقوله: سرّ كاتم، وليل نائم، وهم ناصب، وعيشة راضية. قال الفراء: وأعان على ذلك أنها توافق رءوس الآيات التى معهن.

والدفق الصب، تقول العرب للموج إذا علا وانحط تدفق، واندفق، وأراد ما بين ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما، ولكنه جعل ماء واحداً لامتزاجهما.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ يعنى صلب الرجل وترائب المرأة. واختلفوا فى الترائب؛ فقال ابن عباس: موضع الولادة، وقال الوالبى عنه: من ثدى المرأة وقال العوفى عنه: يعنى بالترائب اليدين والرجلين، والعينين، وبه قال الضحاك، وروى ابن أبى عُلية عن أبى رجاء قال: سُئل عكرمة عن الترائب فقال: هذه، ووضع يده على صدره بين ثدييه. وقال سعيد بن جبير: الجيد، وقال ابن زيد: الصدر وقال مجاهد: ما بين المنكبين، والصدر، وقال سفيان: فوق الثديين، وقال يمان: أسفل من التراقى، وقال قتادة: النحر، وقال جعفر بن سعيد: الأضلاع التى أسفل الصلب، وقال ليث عن معمر بن أبى حبيبة المدنى قال: عصارة القلب، ومنه يكون الولد، والمشهور من كلام العرب: أنها عظام النحر، والصدر، واحدتها تريبة، قال الشاعر:

وبدت كأن على ترائب نحرها ... جمر الغضا فى ساعة يتوقد

وقال الآخر:

---

(١) ليس هو الصحابى المشهور، وإنما تشابه أسماء.

والزعفران على ترائبها شرقًا به اللبّات والصَّدْرُ

وقال المثقب العبدى:

ومن ذهب لبسن ترائب كلون العاج ليس بذى غُضون

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ قال قتادة: إن الله سبحانه على بعث الإنسان وإعادته بعد الموت قادر، وقال عكرمة: إن الله تعالى على رد الماء الذى خرج من الصلب إليه[1] لقادر؛ قال مجاهد: على رد النطفة فى الإحليل؛ قال الضحاك: إنه على رد الإنسان ماء كما كان قبل لقادر، وروى مقاتل بن حيان عنه: يقول إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة؛ قال ابن زيد: إنه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج.

وأوْلى الأقاويل بالصواب تأويل قتادة لقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أى تظهر الخفايا، وقال قتادة، ومقاتل، وسفيان: تختبر. وقال عطاء بن أبى رباح: ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ فرائض الأعمال كالصوم، والصلاة، والوضوء، وغُسل الجنابة، ولو شاء العبد أن يقول: قد صُمت وليس بصائم، وقد صليت ولم يُصل، وقد اغتسلت ولم يغتسل لفعل.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا طلحة بن محمد الشاهد وابن البواب قالا: أخبرنا أبو بكر بن مجاهد أخبرنا إسماعيل بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن إسماعيل عن ابن زيد ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ قال: ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ الصلاة والصيام وغُسل الجنابة.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا الحسين بن محمد بن عبد الله الفنجوى أخبرنا أحمد بن محمد ابن إسحاق أخبرنى أبو عروبة أخبرنا هاشم بن القاسم الحرانى، أخبرنا عبد الله بن وهب عن جبير بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الجبلى عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من حافظ عليهن فهو ولى الله حقًا، ومن اختانهن فهو عدو الله حقًا: الصلاة، والصوم والغسل من الجنابة».

﴿فَمَا لَهُۥ﴾ يعنى بهذا الإنسان الكافر ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ منعة ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ ينصره؛ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ أى ترجع بالغيث وأرزاق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا، وهلكت مواشيهم وقال ابن عباس هو السحاب فيه المطر.

أخبرنا محمد بن أحمد بن عبدوس أخبرنا على بن أحمد بن محفوظ أخبرنا عبد الله بن هاشم أخبرنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن خصيف عن عكرمه عن ابن عباس ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ قال: المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ قال: ذات النبات.

(١) كذا فى المتن، وفى هامش المخطوط جاءت العبارة على النحو التالى: إلى الصلب الذى خرج منه.

قال أبو عبيدة الرجع الماء وأنشد للمنتخل الهذلى فى صفة سيف

أبيض كالرجع رسوب إذا ما تاح فى محتفل يختلى

وقال ابن زيد: يعنى بالرجع أن شمسها وقمرها يغيب ويطلع ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ أى تتصدع عن النبات والأشجار والثمار والأنهار؛ نظيره قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ (عبس: ٢٦-٣١) وقال مجاهد: هما السَّدَّان بينهما طريق نافذ مثل مَأزمى عرفة.

﴿إِنَّهُۥ﴾ يعنى القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ حق وجد، وجزل، يفصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ باللعب والباطل ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وأريد بهم أمرًا ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ قليلاً، فأخذوا يوم بدر.



سُورَةُ الأَعْلَى

مكية، وهى مائتان وواحد وسبعون حرفًا،
واثنتان وسبعون كلمة وتسع عشرة آية

أنبأنى كامل بن أحمد، وسعيد بن محمد، ومحمد بن القاسم قالوا: أخبرنا محمد بن مطر أخبرنا إبراهيم بن شريك أخبرنا أحمد بن يونس أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله تعالى من الأجر عشر حسنات بعدد كل حرف أنزل الله تعالى على إبراهيم وموسى ومحمد». صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الله أخبرنا عبد الله ابن عمر بن أبان أخبرنا وكيع عن إسرائيل بن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن النبى ﷺ قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: (سبحان ربى الأعلى).

وكذلك روى عن على، وأبى موسى، وابن عُمر، وابن عباس، والزبير، أنهم كانوا يفعلون ذلك.

وروى جويبر عن الضحاك أنه كان يقول ذلك، وكان يقول: من قرأها فليقرأها كذلك.

وروى عن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

وأول من قال سبحان ربى الأعلى: ميكائيل عليه السلام.

قال النبى ﷺ: «يا جبريل أخبرنى عن ثواب من قالها فى صلاته وفى غير صلاته، فقال: يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها فى سجوده ولا فى غير سجوده إلاّ كانت له فى ميزانه أثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدى أنا أعلى فوق كل شىء وليس فوقى شىء اشهدوا ملائكتى أنى قد غفرت لعبدى وأدخلته جنتى، فإذا مات العبد المؤمن زاره ميكائيل كل يوم، فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدى الله تعالى فيقول: يا رب شفعنى فيه، فيقول: قد شفعتك اذهب به إلى الجنة».

وقال عقبة بن عامر: لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الواقعة: ٧٤) قال رسول الله ﷺ:

«اجعلوها فى ركوعكم» قال: فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال ﷺ: (اجعلوها فى سجودكم).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ يعنى قل: سبحان ربى الأعلى، وإلى هذا القول ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وقال قوم معناه: نزه ربك الأعلى عما يقول فيه الملحدون، ويصفه به المبطلون، وجعلوا الاسم صلة، ويجوز أن يكون معناه: نزه ذات ربك الأعلى عما لا يليق به لأن الاسم والذات والنفس عبارة عن الوجود والإثبات.

وقال الآخرون: نزه تسمية ربك وذكرك إياه، أى لا تذكره إلاّ وأنت له خاشع معظم ولذكره محترم، وجعلوا الاسم بمعنى التسمية، وقال الفراء: سواء قلت: سبح اسم ربك أو سبح باسم ربك إذا أردت ذكره وتسبيحه؛ قال ابن عباس: صل بأمر ربك الأعلى.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ فعدل الخلق ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ خفف على عليه السلام، والسلمى، والكسائى داله، وشددها الآخرون.

﴿فَهَدَىٰ﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة، والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتعها، وقال مقاتل، والكلبى، عَرَّف خلقه كيف يأتى الذكر والأنثى؛ قال عطاء: جعل لكل دابة ما يصلحها، وهداها له، وقيل: هدى لاكتساب الأرزاق والمعاش، وقيل: خلق المنافع فى الأشياء، وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها، وقيل: هدى لدينه من شاء من خلقه؛ قال السدى: قدّر فى الرحم تسعة أشهر أقل وأكثر، فهدى للخروج من الرحم.

قال الواسطى: قدَّر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك ما قدر

عليه، وقيل: قدَّر الأرزاق فهداهم لطلبها، وقيل: قدّر الذنوب على عباده، ثم هداهم للتوبة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾ النبات من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ هشيمًا باليًا ﴿أَحۡوَىٰ﴾ أسود إذا هاج وعتق ﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾ سنعلمك، ويقرأه عليك جبريل ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أن تنساه، وهو ما نسخه الله تعالى من القرآن وهذا معنى قول قتادة، وقال مجاهد، والكلبى: كان النبى ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن لم يفرغ من قراءة الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فأنزل الله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ فلم ينس بعد ذلك شيئًا، ووجه الاستثناء على هذا التأويل ما قاله الفراء: لم يشأ أن ينسى شيئًا وهو قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ (هود: ١٠٧)، وأنت تقول فى الكلام: لأعطيتك كلما سألت إلاّ ما شاء أن أمنعك، والنية أن لا تمنعه. وعلى هذا مجارى الأيمان يستثنى فيها ونية الحالف التمام.

وسمعت محمد بن الحسن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول: سمعت محمد بن عبد الله الجرجانى يقول: كان يغشى الفرغانى الجنيد فى مجلسه أهل النسك من أهل العلم وكان أحد من يغشاه ابن كيسان النحوى، وكان فى وقته رجلاً جليلاً، فقال له يومًا: يا أبا القاسم ما تقول فى قوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؟ فأجابه مسرعًا كأنه تقدم السؤال بعد ذلك بأوقات: فلا تنسى العمل به؛ فأعجب ابن كيسان بى إعجابًا شديدًا، وقال: لا يفضض الله فاك مثلك يُصدَّر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ وقال محمد بن حامد: يعلم إعلان الصدقة لصوابة الصدور وإخفائها ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ لعمل الجنة، وقيل: هو متصل بالكلام الأول، معناه يعلم الجهر بما تقوله[1] يا محمد على جبريل إذا فرغ من التلاوة عليه، ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ وما تقرأه فى نفسك مخافة أن تنساه، ثم وعده، فقال: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ أى نهون عليك الوحى تحفظه، وتعلمه وتعمل به، وقيل: نوفقك للشريعة اليسرى، وهى الحنيفية السمحة.

﴿فَذَكِّرۡ﴾ عظ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ التذكير ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ سيتعظ ﴿مَن يَخۡشَىٰ﴾ الله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ يعنى ويتجنب التذكرة ويتباعد عنها ﴿ٱلۡأَشۡقَى﴾ الشقى فى علم الله ﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ حياة تنفعه.

---

(١) كذا فى متن المخطوط. وبهامش المخطوط تصويب له من الناسخ وهو: مما تقرأه.

سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا القاسم البزاز يقول: قال ابن عطاء: ﴿لَا يَمُوتُ﴾ فيستريح من غم القطيعة ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فيصل إلى روح الوصلة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أى تطهر من الشرك، وقال: لا إله إلا الله، هذا قول عطاء وعكرمة، ورواية الوالبى عن سعيد بن جبير وعن ابن عباس، وقال الحسن: من كان عمله زاكيًا، وقال قتادة: عمل صالحًا وورعًا، وقال أبو الأحوص: رضخ من ماله وأدى زكاة ماله، وكان ابن مسعود رحمه الله يقول: رحم الله امرأ تصدق ثم صلى، ثم يقرأ هذه الآية، وقال الآخرون: هو صدقة الفطر؛ روى أبو هارون عن أبى سعيد الخدرى فى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: أعطى صدقة الفطر.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ قال: خرج إلى العيد، وصلى.

وروى عبيد الله بن عمر عن نافع قال: كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعنى من يوم العيد قال: يا نافع أخرجت الصدقة فإن قلت: نعم، خرج إلى المُصَلَّى، وإن قلت: لا، قال: فالآن أَخْرِج، وإنما نزلت هذه الآية فى هذا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾.

وروى مروان بن معاوية عن أبى خالد قال: دخلت على أبى العالية، فقال لى: إذا غدوت غدًا إلى العيد فمُر بى؛ قال: فمررت به، فقال: هل طعمت شيئًا؟ قلت: نعم؛ قال: فأخبرنى ما فعلت بزكاتك؟ قلت: قد وجهتها؛ قال: إنما أردتك لهذا، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء، ودليل هذا التأويل: ما أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد ابن على الهمدانى أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن إسحاق الأصبهانى أخبرنا حاتم بن يونس الجرجانى أخبرنا دحيم أخبرنا عبد الله بن نافع عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: أخرج زكاة الفطر، وخرج إلى المصلّى، وصلى.

قلت: ولا أدرى ما وجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكية بإجماع، ولم يكن بمكة عيد، ولا زكاة فطر. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾. قيل: ذكر تسمية ربه، وقيل: هى تكبيرات العيد ﴿فَصَلَّىٰ﴾ صلاة العيد وقيل الصلوات الخمس، ويدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبد الله، أخبرنا محمد بن عبد الله، أخبرنا عباد بن أحمد، أخبرنا عمى محمد بن

عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن ابن سابط عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ قال: «هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها حين ينادى بها والاهتمام بمواقيتها»، وقيل: الصلاة ههنا الدعاء.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ بالتاء قرأه العامة، وتصديقهم قراءة أُبي بن كعب: بل أنتم تؤثرون، وقرأ أبو عمرو بالياء، يعني الأشقين. قال عفرجة الأشجعي: كنا عند عبد الله بن مسعود فقرأ هذه الآية، فقال: أتدرون لما آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا، قال: لأن الدنيا اخضرت وعجلت لنا طعامها وشرابها ونساؤها، ولذتها وبهجتها، وأن الآخرة نعتت لنا وزُويت عنا، فأخذنا العاجل وتركنا الآجل.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكرت في السورة، وقال الكلبي: يعني من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى آخر السورة، وقال ابن زيد: يعني قوله ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ وقال قتادة: تتابعت كتب الله كما تسمعون أن الآخرة خير وأبقى.

وقال الضحاك: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ﴾ في الكتب ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ واحدتها صحيفة ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ يقال: إن في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظًا للسانه عارفًا بزمانه مقبلاً على شانه، وقال أبو ذر: قلت يا رسول: كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفًا» قال: قلت يا رسول الله كم المرسلون منهم؟

قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر، وبقيتهم أنبياء». قلت: أكان آدم نبيًا؟ قال: «نعم كلمه الله وخلقه بيده، يا أبا ذَرّ أربعة من الأنبياء عرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيّك» قلت: يا رسول الله، كم أنزل الله من كتاب؟

قال: «مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثين صحيفة، وهو أول من خط بالقلم، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة، والإنجيل، والزبور والفرقان».

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مكية وهي ثلاثمائة وواحد وثمانون حرفًا،
واثنتان وتسعون كلمة وست وعشرون آية

أخبرنا محمد بن القاسم أخبرنا إسماعيل بن نجيد أخبرنا محمد بن إبراهيم بن سعيد[(١)] أخبرنا سعيد بن حفص بن علي قال قرأت على معقل بن عبد الله عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابًا يسيرًا».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ يعني القيامة تغشى كل شيء بالأهوال هذا قول أكثر المفسرين، وقال سعيد بن جبير، ومحمد بن كعب: ﴿الْغَاشِيَةِ﴾ النار دليله قوله عز وجل: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم: ٥٠).

---

(١) كذا في متن المخطوط وفي هامش المخطوط: «سعد».

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعنى يوم القيامة. وقيل: فى النار. ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة. ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قال بعضهم: يعنى عاملة فى النار ناصبة فيها، قال الحسن، وسعيد بن جبير: من عمل لغير الله فى الدنيا[١]، فأعملها وأنصبها فى النار بمعالجة السلاسل والأغلال، وهى رواية العوفى عن ابن عباس، قال قتادة: تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله سبحانه وتعالى فأعملها وأنصبها فى النار وقال الكلبى: يخرون على وجوههم فى النار، قال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار، والنصب الدؤوب فى العمل، وقال عكرمة، والسُّدى: عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة فى النار يوم القيامة، وقال سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم: هم الرهبان وأصحاب الصوامع، وهى رواية أبى الضحى عن ابن عباس.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ وقال ابن مسعود: يخوض فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل قراءة العامة بفتح التاء. وقرأ أبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر بضمها اعتباراً بقوله ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ حارة. قال قتادة: قد أنى طبخها مذ خلق الله السموات والأرض.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة: هو نبت ذو شوك لاط بالأرض تسميه قريش: الشبرق فإذا هاج سمَّوْهُ الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه، وهى رواية العوفى عن ابن عباس. قال الوالبى: هو شجر من نار، وقال ابن زيد: أما فى الدنيا فالضريع[٢]: الشوك اليابس الذى ليس له ورق، تدعوه العرب الضريع، وهو فى الآخرة شوك من نار.

وقال الكلبى: لا تطلبه دابة إذا يبس ولا يرعاه شىء، وقال سعيد بن جبير: هو الحجارة. وقال عطاء عن ابن عباس: هو شىء يطرحه البحر المالح يسميه أهل اليمن الضريع، وقد روى عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «الضريع شىء يكون فى النار يشبه الشوك أمرّ من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار سماه الله تعالى ضريعًا»، وقال عمرو بن عبيد لم يقل الحسن فى الضريع شيئًا، إلاّ أنه قال: بعض ما أخفى الله تعالى من العذاب، وقال ابن كيسان: هو طعام يضرعون منه ويذلون ويتضرعون إلى الله تعالى. وعلى هذا التأويل يكون المعنى: المُضَرِع.

وقال أبو الدرداء، والحسن: يقبح الله وجوه أهل النار يوم القيامة يشبهها بعملهم القبيح فى

---

(١) كذا جاءت العبارة فى متن المخطوط وهو السياق الصحيح وهو تصحيح من الناسخ حيث أشار فى الهامش أن أصلها فيما نقل عنه: «لم تعمل الله فى الدنيا».

(٢) كذا فى المتن، وبهامش المخطوط: «فإن الضريع».

الدنيا، ويحسن وجوه أهل الجنة يشبهها بأعمالهم الحسنة فى الدنيا وأن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون من الضريع، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غُصّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص بالماء فيستسقون فيعطشهم الله تعالى ألف سنة، ثم يسقون من عين آنية شرة لا هنية ولا مرية، فإذا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطَّعها فذلك قوله تعالى ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥).

وقال المفسرون: لما أنزلت هذه الآية، قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع؛ فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾.

ويقول: فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطبًا فإذا يبس فلا يأكله شىء، ورطبه يسمى شبرقًا لا ضريعًا.

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا﴾ فى الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ فى الآخرة. حين أعطيت الجنة ونعيمها بعملها ومجازاة لثواب سعيها فى الآخرة راضية ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً﴾ قرأ أبو عمرو بضم الياء، لاغيةٌ بالرفع. ونافع كذلك إلاّ أنه قرأ بالتاء، وقرأ الباقون بالياء مفتوحة. (لاغية) بالنصب لغو وباطل، وقيل: حَلفٌ كاذب. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ﴾ وسائد ومَرافق ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجنب بعض، واحدتها نمرقة، قال الشاعر:

كهول وشبان حسان وجوههم على سرر مصفوفة ونمارق

﴿وَزَرَابِىُّ﴾ يعنى البسط العريضة، وقال ابن عباس: هى الطنافس التى لها خمْل رقيق، واحدتها زربية ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة وقيل: متفرقة فى المجالس؛ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ قال المفسرون: لما نعت الله تعالى ما فى الجنة فى هذه السورة، عجب من ذلك أهل الكفر والضلالة وكذبوا بها، فذكرهم الله تعالى صنعه، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

وكانت الإبل من عيش العرب ومن خولهم. وتكلمت الحكماء[1] فى وجه تخصيص الله سبحانه وتعالى الإبل من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل: لأنهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل إلاّ الشاذ منهم. وقال الكلبى: لأنها تنهض بحملها وهى باركة ولأنه ليس شىء من الحيوانات سائقها[2] غيرها، وقال قتادة: ذكر الله تعالى ارتفاع سُرُر الجنة وفرشها،

(١) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: العلماء وهو تصحيح من الناسخ رحمنا الله وإياه.

(٢) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: سابقها، ولا أفهم معناهما فى العبارة والله أعلم.

فقالوا: كيف نصعدها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وسُئل الحسن عن هذه الآية، وقيل له الفيل أعظم فى الأعجوبة؛ فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به، ثم هو خنزير لا يركب ظهرها، ولا يؤكل لحمها ولا يحلب درّها، والإبل من أعز مال العرب وأنفسه.

وقال الحسن أيضًا: إنها تأكل النوى والقت، وتخرج اللبن، وقيل: لأنها فى عظمها تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف حتى إن الصبى الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث يشاء.

وحكى الأستاذ أبو القاسم بن حبيب: أنه رأى فى بعض التفاسير: أن فأرة أخذت بزمام ناقة فجعلت تجرها والناقة تتبعها حتى دخلت الجحر فجرت الزمام فبركت، فجرته فَقَرَّبَتْ فمها من جحر الفأر، فسبحان الذى قدَّرها وسخرها.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الله أخبرنا محمد بن العلاء أخبرنا وكيع عن يونس بن أبى إسحاق عن أبيه عن شريح أنه كان يقول: اخرجوا بنا إلى الكُناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت؟

وقيل: الإبل ههنا السحاب، ولم أجد لذلك أصلاً فى كتب الأئمة. ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ بسطت.

قال أنس بن مالك صليت خلف على بن أبى طالب عليه السلام فقرأ: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقتُ، وكذلك رفعتُ، ونصبتُ، وسطحتُ) برفع التاءات، وقرأ الحسن: سطّحت بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾. قرأ هشام بالسين، وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاى.

(وقرأ)[١] الباقون بالضاد الخالصة، بمسلط جبار يكرههم على الإيمان، ثم نسخ ذلك بآية القتال، وقرأها هارون بمسيطر بفتح الطاء وهى لغة تميم.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ اختلفوا فى وجه هذا[٢] الاستثناء. فقال بعضهم: هذا راجع إلى قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾، ومجاز الآية: فذكر قومك إلا من تولى وكفر منهم فإنه لا ينفعه التذكير.

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) فى المخطوط: هذه، وهو تحريف.

وقيل معناه: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ إلاّ على ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ فإنك تقاتله حتى يسلم. وقيل: هو راجع إلى ما بعده وتقديره لكن من تولى وكفر:

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ وهو النار، وإنما قال ﴿الْأَكْبَرَ﴾ لأنه يعذبه فى الدنيا بالجوع، والقحط، والقتل، والأسر: ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود: إلا من تولى وكفر فإنه يعذبه الله العذاب الأكبر: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم ومعادهم وقرأ أبو جعفر بتشديد الياء، قال أبو حاتم لا يجوز ذلك ولو جاز فيه لجاز فى الصيام والقيام. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.



سُورَةُ الفَجْرِ

مكيّة، وهى خمسمائة وسبعة وتسعون حرفًا،
ومائة وتسع وثلاثون كلمة وثلاثون آية

أنبأني ناقل بن راقم بن أحمد البابى بقراءتى عليه أخبرنا محمد بن محمد شاذة أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا سلم بن قتيبة عن شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن أُبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ قال ابن عباس: يعنى النهار كله. وقال عطية عنه: صلاة الفجر، وقال عثمان ابن محيص عنه: فجر المحرّم. ومثله قال قتادة: هو أول يوم المحرّم، تتفجر منه السنة. وقال الضحاك: فجر ذى الحجة، لأن الله تعالى قرن الأيام بها. قال عكرمة، وزيد بن أسلم: الصبح قال مقاتل: غداة جمع كل سنة. وقال القرطبى: انفجار الصبح من كل يوم إلى انقضاء الدنيا. وفى بعض التفاسير: أن الفجر تتفجر الصخور والعيون تنفجر بالمياه.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: قال مجاهد وقتادة، والضحاك، والسدى والكلبى: هى عشر ذى الحجة. وقال عكرمة: ليالى الحج. وقال مسروق: هى أفضل أيام السنة وقال أبو روق عن الضحاك: هى العشر الأوائل من شهر رمضان. وقال أبو ظبيان عن ابن عباس: هى العشر الأواخر من رمضان. وقال يمان بن زياد: العشر الأوائل من المحرم، التى عاشرها يوم عاشوراء.

أنبأنى الحسن بن محمد بن عبد الله أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا موسى بن إسحاق الأنصارى أخبرنا منجاب بن الحارث أخبرنا بشر بن عمارة أخبرنا عمرو بن حسان عن عطية العوفى فى قوله عز وجل: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ قال: هو الفجر الذى تعرفون. قلت: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾؟ قال: عشر الأضحى. قلت: ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾؟ قال: يقول الله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ (النبأ: ٨) قلت: ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾؟ قال: الله وتر. قلت له: هل تروى هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبى ﷺ؟ قال: نعم. قلت: عمن؟ قال: عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ.

وأخبرنا ابن فنجويه به، أخبرنا ابن نصرويه أخبرنا ابن وهب أخبرنا أحمد بن يحيى بن سعيد القطان، وغيره عن عبد الله بن نعمان قال: أخبرنا أبو الحسن زيد بن الحباب العكلى حدثنى عياش بن عقبة حدثنى جبير بن نعيم الحضرمى عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ فى قول الله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، قال: عشر النحر والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر. وبه عن ابن وهب حدثنا يوسف بن عبد الرحمن أخبرنا سعيد ابن مسلمة الأموى أخبرنا واصل بن السائب الرقاشى حدثنى أبو سودة أخبرنا أبو أيوب الأنصارى قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ قال: «الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر ليلة النحر».

أخبرنا أبو الحسن بن الفضل الفهندى أخبرنا أبو طاهر المحمدآباذى أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا مسلم بن إبراهيم أخبرنا خالد بن قيس وهمام بن يحيى قالا أخبرنا قتادة عن عمران بن عاصم عن عمران بن حصين أن النبى ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال: «هى الصلوات منها الشفع ومنها الوتر».

أخبرنا ابن فنجويه الدينوري العدل أخبرنا ابن لؤلؤ أخبرنا ابن الهيثم أخبرنا الدورقى أخبرنا حجاج عن ابن جريج أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول: ﴿وَٱلشَّفۡعِ﴾ النفر الأول، ﴿وَٱلۡوَتۡرِ﴾ يوم النفر الأخير.

وأخبرنا الحسن بن محمد الحديثي أخبرنا محمد بن على بن الحسن الصوفى أخبرنا أحمد ابن كثير القيسى أخبرنا محمد بن عبد الله المقرئ أخبرنا مروان بن معاوية الفزارى عن أبى سعيد بن عوف قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول على المنبر. معشر الحاج إنكم جئتم من القريب والبعيد على الضعيف والشديد، فأسهرتم الأعين، وأنصبتم الأنفس، وأتعبتم الأبدان، فلا يبطلن أحدكم حجه وهو لا يشعر، ينظر نظرة بعينه أو يبطش بطشة بيده أو يمشى مشية برجله.

يا أهل مكة، وسعوا عليهم ما وسع الله عليكم وأعينوهم ما استعانوكم عليه، فإنهم وفد الله، وحاج بيت الله، ولهم عليكم حق فسألونى فعلينا كان التنزيل ونحن حضرنا التأويل. فقام إليه رجل من ناحية زمزم فقال: دخلت فأرة جرابى وأنا محرم؟ فقال: اقتل الفويسقة. فقام آخر، فقال: أخبرنا بالشفع والوتر وليال عشر؟ فقال: أما الشفع والوتر فقول الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ (البقرة: ٢٠٣) وهما الشفع والوتر. وأما الليالى العشر فالثمانى وعرفة، والنحر. فقام آخر، فقال: أخبرنا عن الحج الأكبر؟ فقال: هو يوم النحر، ثلاث يقولها.

وقال مجاهد، ومسروق، وأبو صالح: الشفع الخلق كله، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ (الذاريات: ٤٩) الكفر والإيمان، الشقاوة والسعادة، الهدى والضلالة، الليل والنهار، السماء والأرض، الشمس والقمر، الجن والإنس، الوتر الله قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) وقال الحسن، وابن زيد أراد بالشفع والوتر الخلق كله منه شفع ووتر.

وقال عطية عن ابن عباس: الشفع صلاة الغداوة والوتر صلاة المغرب. قال قتادة عن الحسن: هو العدد منه شفع ومنه وتر. وقال مقاتل: الشفع هو آدم وحواء عليهما السلام والوتر هو الرب تبارك وتعالى وقيل: الوتر آدم عليه السلام شفعه الله تعالى بزوجته حواء.

وقال إبراهيم[١] القرظى: الزوج والفرد. وقال الربيع عن أبى العالية: الشفع الركعتان من صلاة المغرب والوتر الركعة الثالثة. وقيل: الشفع الصفا والمروة، والوتر البيت. وقال الحسين ابن الفضل: درجات الجنة لأنها ثمانية، والوتر دركات النار لأنها سبع، كأن الله تعالى أقسم

(١) فى هامش المخطوط: «برهيم».

بالجنة وبالنار.

وقال مقاتل بن حيان الشفع الأيام والليالى والوتر اليوم الأول الذى لا ليلة بعده وهو يوم القيامة.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن حبيب يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن نافع السجزى يقول سمعت أبا يزيد حاتم بن محبوب الشامى يقول سمعت عبد الجبار بن العلاء العطاردى يقول سمعت ابن عيينة يقول: الوتر هو الله عز وجل، وهو الشفع أيضًا لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (المجادلة: ٧) الآية. وسمعت أبا القاسم بن حبيب سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد يقول سمعت أبا عبد الله ختن أبى بكر الوراق يقول سُئل أبو بكر عن الشفع والوتر فقال: الشفع: تضاد أوصاف المخلوقين العز والذل، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والجهل والعلم، والبصر والعمى. والوتر: انفراد صفات الله عز بلا ذلٍّ، وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل وبصر بلا عمى وحياة بلا موت، وما وراءها. وقيل: الشفع مسجدا مكة والمدينة، والوتر مسجد المقدس. وقيل: الشفع القران فى الحج والتمتع فيه، والوتر الإفراد فيه.

وقال ابن عطاء: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ محمد ﷺ به[1] تفجرت أنوار الإيمان وغابت ظُلَم الكفر، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: ليالى موسى عليه السلام التى كمل بها ميعاده بقوله: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾ الخلق، ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ الحق. وقيل: الشفع الفرائض والوتر السنن. وقيل: الشفع الأفعال، والوتر النية، وهو الإخلاص.

وقيل: الشفع: العبادة التى تتكرر كالصلاة والصوم، والزكاة والوتر: العبادة التى لا تتكرر كالحج.

وقيل: الشفع: النفس والروح إذا كانتا معًا، والوتر: الروح بلا نفس، والنفس بلا روح، فكأن الله تعالى أقسم بها فى حالتى الاجتماع والافتراق. واختلف القراء فى الوتر: فقراءة يحيى بن وثاب والأعمش، وحمزة والكسائى وخلف: بكسر الواو. وهو اختيار أبى عبيد قال: لأنها أكثر فى العامة وأفشى. ومع هذا إنّا تدبّرنا الآثار التى جاء فيها ذكر وتر الصلاة، فوجدناها كلها بهذه اللغة ولم تسمع فى شىء منه الوتر بالفتح. ووجدنا المعنى فى الوترين جميعًا الذى فى الصلاة والذى فى السورة وإن تفرقا فى الفرع فإنهما فى الأصل واحد وإنما تأويله الفرد الذى هو ضد الشفع. وقرأ الباقون بفتح الواو وهى لغة أهل الحجاز واختيار أبى

(١) فى متن المخطوط: «فيه». وكتب فوقها به، فأثبت لفظ «به» فى المتن، وحذفت فيه ليتسق السياق.

حاتم وهما لغتان مستفيضتان.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾: قال أكثر المفسرين: يعنى إذا سار فذهب. وقال قتادة: إذا جاء وأقبل. قال مجاهد وعكرمة والكلبى: هى ليلة المزدلفة. واختلف القراء فى قوله: ﴿يَسۡرِ﴾. فقرأ أهل المدينة وأبو عمرو، وعيسى: بالياء فى الوصل. وهى اختيار أبى حاتم ورواية قتيبة، ونصير، والشيرازى عن الكسائى. قال أبو عبيد: كان الكسائى مرة يقول أثبت الياء فى الوصل وحذفها فى الوقف لمكان الكتاب. ثم رجع إلى حذف الياء فى الحالتين جميعًا لأنه رأس آية وهى قراءة ابن عامر وعاصم واختيار أبى عبيد اتباعًا للخط. وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فى الحالين على الأصل. قال الخليل بن أحمد: أسقط الياء منه وفاقًا لرءوس الآى. وقال أكثر أهل المعانى: يعنى يَسْرى فيه كقولهم ليل نائم، ونهار صائم، وسر كاتم. فال الفراء: قد تحذف العرب الياء وتكتفى بكسر ما قبلها، أنشد بعضهم:

كفاك كف ما تليق درهمًا ... جودًا وأخرى تعط بالسيف الدما

وقال آخر:

ليس تخفى يسارتى قدر يوم ... ولقد تخف شيمتى إعسارى

وقال المورِج: سألت الأخفش عن العلة فى سقوط الياء من يَسْر. فقال: لا أجيبك ما لم تبت على باب دارى سنة. قال: فبت سنة على باب داره، ثم سألته، فقال: الليل لا يَسرى، وإنما يُسرى فيه، وهو مصروف، فلما صرفه بخسه حظه من الإعراب، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ (مريم:٢٨) ولم يقل بغية لأنه صرفه من باغية.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾: الذى ذكرت ﴿قَسَمٞ﴾: أى مقنع ومكتف فى القسم ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾: عقل، سمى بذلك لأنه يحجر صاحبه عمَا لا يحل كما سمى: عقلا لأنه يعقله عن القبائح والفضائح، ونُهًى: لأنه ينهى عما لا ينبغى. وأصل الحجر المنع. يقال للرجل إذا كان مالكًا لنفسه قاهراً ضابطًا لها: إنه لذو حجر. ومنه قولهم: حَجَر الحاكم على فلان.

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ﴾: قراءة العامة بالتنوين. وقرأ الحسن: بعادِ أرَمَ، على الإضافة. وقرأ العامة: ﴿إِرَمَ﴾ بكسر الألف. وقرأ مجاهد: بفتحه. قال المورج: من قرأ بفتح الألف شبههم بالآرامِ وهى الأعلام واحدها أَرَمَ. واختلف العلماء فى معنى قوله: ﴿إِرَمَ﴾.

فأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا الباقرجى أخبرنا ابن علويه أخبرنا إسماعيل بن إسحاق بن بشر عن محمد بن إسحاق عمن يخبره: أن سعيد بن المسيب كان يقول: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ دمشق.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا ابن مروان أخبرنا على بن حرب الطائى أخبرنا أبو الأشهب هودة عن عوف الأعرابى عن خالد الربعى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ قال: دمشق. وبه قال عكرمة، وأبو سعيد المقبرى، وقال القرظى: هى الإسكندرية. وقال مجاهد: هى أُمَّةٌ ومعناها القديمة. قال قتادة: هم قبيلة من عاد. وقال ابن إسحاق: هو جد عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح.

وقال مقاتل: إرم قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك، وكانوا بمهرة، وكان عاد أباهم فنسبهم إليه، وهو إرم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح. أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حبش المقرئ أخبرنا أبو الطيب المروزى أخبرنا محمد بن على أخبرنا الفضل بن خالد أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ: (أرم ذات العماد) بفتح الألف والراء. والأَرَم الهلاك يقال: أَرَمَ بنو فلان أى هلكوا، وهى رواية العوفى عن ابن عباس.

وروى الضحاك: أنه قرأ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أى أهلكهم وجعلهم رميمًا. والصواب أنها اسم قبيلة أو بلد، فلذلك لم يُجر.

﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾: قال قوم: يعنى ذات الطول والقوة والبطش والشدة.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو على بن حبش المقرئ أخبرنا أبو القاسم بن الفضل أخبرنا أبو حاتم أخبرنا أبو صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عمن حدّثه عن المقداد[1] عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العماد، قال: «كان الرجل منهم يأتى الصخرة فيحملها على الحى فيهلكهم».

قال الكلبى: كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع. وقال ابن عباس: يعنى طولهم مثل العماد. ويقول العرب للرجل الطويل: معمد، وقال مقاتل: كان طول أحدهم اثنى عشر ذراعًا وقال آخرون: قيل لهم: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ لأنهم كانوا أهل عمد سيارة ينتجعون الغيث وينتقلون إلى الكلأ بحيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم ولا يقيمون فى موضع.

وقال الكلبى: إرَم هو الذى يجتمع إليه نسب عاد وثمود، وأهل السواد، وأهل الجزيرة كان يقال: عاد إرم، وثمود، فأهلك الله عادًا وثمود، وأبقى أهل السواد، وأهل الجزيرة، وكانوا أهل عمد وخيام وماشيه فى الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم فكانوا أهل جنان وزروع، ومنازلهم كانت لوادى القرى، وهى التى يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾.

وقيل: سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عُمُدَهُ، ورفع بناءه. والعمَاد، والعُمد،

(١) فى المتن: «المقدام» والتصويب من الهامش.

والعُمُدُ: جمع عَمُود.

وهى ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار الأصفهانى أخبرنا أبو جعفر أحمد بن مهدى بن رسيم الأصفهانى أخبرنا عبد الله بن صالح المصرى أخبرنا ابن لهيعة.

(ح)[1] وأخبرنا أبو القاسم أخبرنا أبو الحسن بن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفى أخبرنا عثمان بن سعيد الدارمى أخبرنا عبد الله بن صالح أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة. أنه خرج فى طلب إبل له شردن فبينا هو فى صحارى عدن إذ هو قد وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن حصون[2] كثيرة. وأعلام طوال، فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله عن إبله، فلم ير خارجًا ولا داخلاً، فنزل عن دابته، وعقلها، وسَلَّ سيفه، ودخل من باب الحصن، فلما صار خلف الحصن إذا هو ببابين عظيمين لم يُر أعظم منهما، والبابان مرصَّعَان بالياقوت الأبيض والأحمر. فلما رأى ذلك دهش وأعجبه، ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصور كل قصر معلق تحته أعمدة من زبرجد، وياقوت، وفوق كل قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة، واللؤلؤ، والياقوت، ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة يقابل بعضها بعضًا مفروشة كلها باللؤلؤ، وبنادق من مسك وزعفران.

فلما عاين الرجل ما عاين ولم ير فيها أحداً هاله ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا هو بشجر فى كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار، وتحت الشجر أنهار مطردة يجرى ماؤها من قنوات من فضة، كل قناة أشد بياضًا من الشمس. فقال الرجل: والذى بعث محمداً ﷺ بالحق، ما خلق الله مثل هذا فى الدنيا، وإن هذه هى الجنة التى وصفها الله تعالى فى كتابه، فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران، ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها، ولا من ياقوت شيئًا، فأخذ ما أراد وخرج ورجع إلى اليمن، فأظهر ما كان معه، وأعلم الناس أمره، وباع بعض ما حمل.

فلم يزل أمره ينمى حتى بلغ معاوية خبره فأرسل فى طلبه حتى قدم عليه، فخلا به وقصّ عليه ما رأى. فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار، فلما أتاه قال له: يا أبا إسحاق، هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم، أخبرك بها وبمن بناها، إنما بناها شداد بن عاد، فأما المدينة:

---

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق سند الحديث حتى لا يحدث خلط بين الإسنادين.

(٢) كذا فى المتن وفى الهامش: «قصور».

فإرم ذات العماد التى وصفها الله تعالى فى كتابه، وهى: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ .

قال معاوية: فحدثنى حديثها. فقال: عاد الأولى، وليس عاد قوم هود، وإنما هود قوم هود ولد ذلك. وكان عاد له ابنان شداد، وشديد، فهلك عاد فبقيا، وملكا، وقهرا البلاد وأخذاها عنوة. ثم مات شديد، وبقى شداد فملك وحده، ودانت له ملوك الأرض، وكان مولعًا بقراءة الكتب، كلما مَرّ فيها بذكر الجنة دعته نفسه إلى بناء مثلها عتوًّا على الله تعالى، فأمر بصنعة تلك المدينة إرم ذات العماد وأَمَّرَ على صنعتها مائة قهرمان، مع كل قهرمان ألف من الأعوان؛ فكتب إلى كل ملك فى الدنيا: أن يجمع له ما فى بلاده من الجواهر، وكانت تحت يده مائتان وستون مملكًا. فخرج القهارمة، وتبددوا فى الأرض، ليجدوا ما يوافقوه حتى وقع على صحراء عظيمة نقية من التلال، فإذا هم بعيون مطردة قالوا هذه صفة إرم التى أمر الملك بها.

فقدروها العرض والطول، ثم وضعوا أساسها من الجزع اليمانى، وأقاموا فى بنائها ثلاثمائة سنة حتى فرغوا منها وكان عمر شداد سبعمائة سنة. فلما أتوه فارغين منها قال: انطلقوا واجعلوا عليها حصنًا، واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم، يكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى، يكون فوق علم ناطور. فرجعوا وعملوا ما أمر به، فأمر ألف وزير أن يتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد، وأمر تلك الأعلام برجال يسكنونها ويقيمون عليها. وكان الملك وأهله فى جهازهم عشر سنين.

ثم ساروا إليها، فلما كان منها على مسيرة[(١)] يوم وليلة، بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعًا، ولم يبق منهم واحد. وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال، وعلى عنقه خال يخرج فى طلب إبل فى تلك الصحارى. والرجل عند معاوية، فالتفت إليه كعب فقال: هذا والله ذلك الرجل[(٢)] .

وروى الشعبى عن دغفل الشيبانى عن علماء حمير قالوا: لما هلك شداد بن عاد ومن معه من الصيحة على مرحلة من إرم ذات العماد ملك من بعده ابنه مرثد بن شداد، وقد كان أبوه خلفه بحضرموت على ملكه وسلطانه، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت فحمل

(١) فى متن المخطوط: «مدة». والتصويب من هامش المخطوط، وهو تصحيح من الناسخ رحمنا الله وإياه آمين.

(٢) هذه القصة لا تحتاج إلى كثير تعليق حيث إننا نعرف من هو كعب الأحبار وما هى أخباره فلا غرابة فى أن يسوق مثل هذه الحكاية الأسطورية، وقد تمتع هذا الرجل بقدر كبير من الأدب والقصص فهو قصاص بارع وأديب متمكن دُسَّ على الإسلام ودَسَّ فى عقائد كثير من المسلمين معظم ما ينتشر بينهم من مفاهيم غريبة عن الإسلام معظمها مؤثر فى صحة إيمانهم بالله ورُسله.

مطليًا بالصبر، والكافور، وأمر فحفرت له حفيرة فى مغارة، استودعه فيها على سرير من ذهب، وألقى عليه سبعين حلة منسوجة بقضبان الذهب، ووضع عند رأسه لوحًا عظيمًا من ذهب، وكتب فيه بالمسند:

اعتبر بى أيهـــا المغرور بالعمر المديـد

أنا شداد بن عـــاد صاحب الحصن العميـد[1]

وأخـــو القــوة والبأسا والملك الحشيد[2]

دان أهل الأرض لى من خوف وعدى ووعيد

وملكت الغرب والشرق بسلطـــان شديد

وبفضل الملك والعـــدة فيـه والعـديد

فأتى هـــود وكنا فى ضلال قبل هـــود

فدعانا لو قبلنـــاه إلى الأمر الرشيـــد

فعصيناه وناديت الأهل هل من محيــد

فأتتنا صيحـــة تهوى من الأفق البعيــد

فتوافينا كزرع وسط بيــــدا حصيـــــد

﴿وَثَمُودَ﴾: ثمود ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ﴾: قطعوا وخرقوا ﴿ٱلصَّخْرَ﴾: الحجر واحدتها صخرة.

﴿بِٱلْوَادِ﴾: يعنى بوادى القرى، فاتخذوا منها بيوتًا آمنين كما قال الله تعالى: ﴿يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٢).

قال أهل السير: أول من نحت الجبال والصّخور والرخام ثمود، فبنوا من الدور والمنازل ألفى ألف وسبعمائة ألف بيت كلها من الحجارة. وأثبت أبو جعفر، وأبو حاتم، وورش الياء فى الوادى وصلاً. وأثبتها فى الوصل والوقف ابن كثير برواية البزى والقواس، ويعقوب على الأصل. وحذفها الآخرون فى الحالين لأنها رأس آية.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾: اختلفوا فيه، فقال بعضهم: أراد الجنود والجموع الذين يقوون أمره، ويسددون مملكته، وسُمِّى الأجناد أوتادًا لكثرة المضارب التى كانوا يضربونها، ويوتدونها فى أسفارهم وهى رواية عطية عن ابن عباس.

وقال قتادة: سُمِّىَ ذا الأوتاد لأنه كانت له مظال وملاعب، وأوتاد تضرب له فيلعب له

(١) كذا فى المتن، وفى الهامش: «العتيد».

(٢) كذا فى المتن، وفى الهامش: «الشديد».

تحتها، وقال محمد بن كعب يعنى ذا البناء المحكم، وقال سعيد بن جبير كانت له منارات يعذب الناس عليها، وقال مجاهد وغيره: كان يعذب الناس بالأوتاد وكان إذا غضب على أحد مَدَّه على الأرض وأوتد يديه ورجليه ورأسه إلى الأرض.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس: أن فرعون إنما سمى ذا الأوتاد أنه كانت امرأة، وهى امرأة خازنة خزبيل بن نوحاييل، وكان مؤمنًا كتم إيمانه سنة وكان لقى من لقى أصحاب يوسف، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: لعن من كفر بالله.

فقالت بنت فرعون: وهل لك من إله غير أبى؟ فقالت: إلهى وإله أبيك وإله السموات والأرض، واحد لا شريك له؛ فقامت فدخلت على أبيها وهى تبكى، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السموات والأرض واحد لا شريك له؛ فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت: صدقت؛ فقال لها: ويحك اكفرى بإلهك وقرّى أنى إلهك.

قالت: لا أفعل؛ فمدّها بين أربعة أوتاد، ثم أرسل إليها الحيات والعقارب.

فقال لها: اكْفُرى بالله وإلاّ عذبتك بهذا العذاب شهرين؛ قالت: والله لو عذبتنى سبعين شهرًا ما كفرت بالله عز وجل.

قال: وكان لها ابنتان، فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها، وقال لها: اكفرى بالله وإلا ذبحت ابنتك الصغرى على فيك، وكانت طفلة رضيعة تَجدُ بهَا وَجدًا شديدًا؛ فقالت: لو ذبحت من على الأرض على فىّ ما كفرت بالله عزّ وجلّ، قال: فأتى بابنتها، فلما أن قربت منها وأضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فانطق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت - وهى من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً - فقالت: يا أماه لا تجزعى فإن الله تعالى قد بنى لك بيتًا فى الجنة اصبرى فإنك تقضين إلى رحمة الله عز وجل وكرامته، قال: فذبحت، فلم تلبث أن ماتت وأسكنها الله تعالى الجنة؛ قال: فبعث فى طلب زوجها خزبيل، فلم يقدروا عليه، فقيل لفرعون: إنه قد زوى فى موضع كذا وكذا فى جبال كذا وكذا؛ فبعث رجلين فى طلبه، فلما انتهيا إليه وهو يصلى وثلاثة صفوف من الوحوش خلفه يصلون؛ فلما رأيا ذلك انصرفا.

فقال خزبيل: اللهم إنك تعلم أنى كتمت إيمانى مائة سنة ولم تظهر علىّ أحدًا، فأيما هذين الرجلين كتم علىّ فاهده إلى دينك وأعطه فى الدنيا سؤله، وأيما هذين الرجلين أظهر علىّ

فعجل عقوبته فى الدنيا واجعل مصيره فى الآخرة إلى النار.

فانصرف الرجلان إلى فرعون؛ فأما أحدهما: فاعتبر وآمن، وأما الآخر: فأخبر فرعون بالقصة على رءوس الملأ؛ فقال فرعون: هل كان معك غيرك؟ قال: نعم؛ قال: ومن كان معك؟ قال: فلان، فدعا به؛ فقال: حقًا ما يقول هذا؟ قال: لا، ما رأيت مما قال شيئًا، فأعطاه فرعون، وأجزل له، وأما الآخر: فقتله، ثم صلبه.

قال: وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بنى إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم؛ فرأت ما صنع فرعون بالماشطة قالت: وكيف يسعنى أن أصبر على ما يأتى فرعون وأنا مسلمة، وهو كافر؟

فبينا هى كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون، فجلس قريبًا منها؛ فقالت: يا فرعون أنت شر الخلق وأخبثه، عمدت إلى الماشطة فقتلتها، قال: فلعل بك الجنون الذى كان بها؟ قالت: ما بى جنون، وإن إلهى وإلهها، وإله السموات والأرض واحد لا شريك له.

فمزق عليها ثيابها، وضربها، وأرسل إلى أبويها فدعاهما، فقال لهما: ألا تريان الجنون الذى كان بالماشطة، أصابها؛ فقالت: أعوذ بالله من ذلك، إنى أشهد أن ربى وربكم ورب السموات والأرض واحد لا شريك له؛ فقال أبوها: يا آسية ألست خير نساء العماليق، وزوجك إله العماليق، قالت: أعوذ بالله من ذلك إن كان ما تقول حقًا، فقولا له أيتوجنى تاجًا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله؛ فقال لهما فرعون: اخرجا عنى فمدّها بين أربعة أوتاد يعذبها.

ففتح الله تعالى لها بابًا إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك، قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ (التحريم: ١١): يعنى من جماع فرعون ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (التحريم: ١١): يعنى من فرعون وشيعته فقبض الله تعالى روحها وأسكنها الجنة.

وقيل: الأوتاد عبارة عن ثبات مملكته وطول مدته وشدوا هيبته، كثبوت الأوتاد فى الأرض كقول الأسود بن يعفر:

❖ فى ظل ملك ثابت الأوتاد ❖

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ قال قتادة: يعنى لونا من العذاب صبّه عليهم وقال السدى: كل يوم لون آخر من العذاب، وقيل: وجع عذاب، وقال أهل المعانى: هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب

فجرى ذلك لكل عذاب، قال الشاعر:

ألم تر أن الله أظهر دينه وصب على الكفار صوت عذاب

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾: قال ابن عباس: بحيث يرى ويسمع، وقال مقاتل: يرصد الناس على الصراط، فيجعل رصداً من الملائكة معهم الكلاليب المحاجن، والحسك، وقال الضحاك: بمرصد لأهل الظلم والمعصية، وقيل: معناه: مرجع الخلق ومصيرهم إلى حكمه وأمره، وقال الحسن، وعكرمة: يرصد أعمال بني آدم وعن مقاتل أيضًا: ممر الناس عليه، وقال عطاء بن أبي رباح: لا يفوته أحد قال يمان: لا محيص عنه، وقال السدي: أرصد النار على طريقهم حتى يهلكهم، والمرصاد: الطريق، وجمع المرصاد: مراصيد، وجمع المرصد: مراصد.

وروى مقسم عن ابن عباس قال: إن على جسر جهنم سبع محابس، يُسأل العبد عن: شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها تامة جاز إلى الثاني، فيسأل عن الصلاة، فإن جاء بها كاملة جاز إلى الثالث، فيسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم، فإن جاء به تامًا جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج، فإن جاء به تامًا جاز إلى السادس فيسأل عن العُمْرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم، فإن خرج منها وإلا يقال: انظروا، فإن كان له تطوع أكمل به أعماله، فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ امتحنه ربه بالنعمة والسعة، ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾: بالمال، ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾: بما وسع عليه من الأفضال ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: فيفرح بذلك ويُسَرّ، ويحمد عليه ويشكر ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾: بالفقر، ﴿فَقَدَرَ﴾: فضيق وقتر ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾: أذلني بالفقر، ولم يشكر الله تعالى على ما أعطاه من سلامة الجوارح ورزقه من العافية والصحة؛ قال قتادة: ما أسرع كفر ابن آدم.

وقراءة العامة: ﴿فَقَدَرَ﴾ بتخفيف.

وقرأ أبو جعفر، وابن عامر بالتشديد. وهما لغتان.

وكان أبو عمرو يقول: قَدَّرَ بمعنى قَتَرَ، وقَدَّرَ وهو أن يعطيك ما يكفيك، ولو فعل به ذلك ما قال: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ ثم رَدَّ عليه فقال عز من قائل: ﴿كَلَّا﴾ لم أبتله بالغنى لكرامته عَلَيّ، ولم أبتله بالفقر، وقلة الدنيا، ولكني إنما أكرم من أكرمته بطاعتي، وأهين من أهنته بمعصيتي وقال الفراء معنى قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ لم ينبغ له أن يكون هكذا، ولكن ينبغي أن يحمده على الأمرين على الغنى والفقر.

ثم قال: ﴿بَل لَّا تُكۡرِمُونَ(١) ٱلۡيَتِيمَ﴾: يعنى أهنت من أهنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم.

واختلف القراء فى هذه الآية: فقرأ أهل البصرة: يكرمون وما بعدها كلها بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾: قرأ أبو جعفر، وأهل الكوفة: ﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾ بالألف، وفتح التاء، وروى الشبزرى عن الكسائى: تُحاضون بضم التاء، وغيرهم: تَحُضُّون بغير ألف ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾: الميراث ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾: شديدًا؛ قال الحسن: يأكل نصيبه ونصيب غيره؛ قال بكر بن عبد الله: اللم: الاعتداء فى الميراث، يأكل ميراثه، وميراث غيره؛ قال ابن زيد: الأكل اللم الذى يأكل كل شىء يجده، ولا يسأل عنه أحلال أم حرام؟ ويأكل الذى له، والذى لغيره، وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، وقرأ: ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ﴾ (النساء: ١٢٧) الآية؛ قال أبو عبيدة: يقال: لممت ما على الخوان إذا أتيت على ما عليه، وأكلته كله أجمع ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾: كثيرًا؛ يقال: جمَّ الماء فى الحوض إذا كثر واجتمع ﴿كَلَّآ﴾: ما هكذا ينبغى أن يكون الأمر، ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من قائل: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾: مرة بعد مرة، فتكسر كل شىء على ظهرها.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: قال الحسن: أمره وقضاؤه، وقال أهل الإشارة: ظهرت قدرة ربك وقد استوت الأمور، وإن الحق لا يوصف بتحويل من مكان إلى مكان، وأنى له التحويل والتنقل، ولا مكان له ولا أوان، ولا يجرى عليه وقت ولا زمان، لأن فى جريان الوقت على الشىء فوت الأوقات، ومن فاته شىء فهو عاجز، والحق مُنَزَّهٌ أن تحوى صفاته الطبائع، أو تحيط به الصدور ﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾

قوله: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن ماجه أخبرنا يعقوب بن يوسف القزوينى أخبرنا القاسم بن الحكم أخبرنا عبيد الله بن الوليد أخبرنا عطية عن أبى سعيد قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ تغير لون رسول الله ﷺ وعُرِفَ فى وجهه حتى اشتد على أصحابه ما رأوا من حاله، فانطلق بعضهم إلى عَلىّ بن أبىَ طالب عليه السلام، فقالوا(٢) له: يا على لقد حدث أمر قد رأيناه فى نبى الله ﷺ؛ فجاء على عليه السلام فاحتضنه، ثم قَبّل بين عاتقيه، ثم قال: يا نبى الله بأبى أنت وأمى ما الذى حدث اليوم؟ وما

(١) جاءت القراءة فيما هنا إلى آخر السورة بالياء وأثبت ما هو فى مصحف عثمان برواية حفص لاشتهاره ثم إن المؤلف سيوضح ذلك أثناء التفسير، ويبين الخلاف بين القراءات.

(٢) فى المخطوط: «فقال». وهو تحريف.

الذى غيرك؟ فقال: «جاء جبريل عليه السلام فأقرأنى هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ قلت: فكيف يُجَاءُ بها؟

قال: يجىء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت أحرقت أهل الجمع ثم أتعرض لجهنم فتقول: ما لى ولك يا محمد، فقد حرم الله لحمك علىّ، فلا يبقى أحد إلا قال: نفسى نفسى وإن محمداً يقول: أمتى أمتى، فيقول الله عز وجل للملائكة ألا ترون الناس يقولون نفسى نفسى وإن محمداً يقول: «ربى أمتى أمتى».

وقال عبد الله بن مسعود ومقاتل فى هذه الآية: تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها نقيض وزفير حتى تنصب على يسار العرش.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾: الدنيا لحياتى فى الآخرة ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: قراءة العامة بكسر الذال والتاء على معنى لا يعذب كعذاب الله أحد فى الدنيا ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: وقرأ الكسائى، ويعقوب بفتح الذال والتاء على معنى لا يعذب أحد فى الدنيا كعذاب الله يومئذ؛ قال الفراء: قيل إنه رجل مسمى بعينه وهو أمية بن خلف الجمحى، يعنى لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد.

واختار أبو عبيد وأبو حاتم هذه القراءة بما أخبرنا محمد بن نعيم أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا على بن عبد العزيز أخبرنا القاسم بن سلام أخبرنا هشيم وعباد بن عباد عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عمن أقرأه النبى ﷺ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذَّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثَقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: يعنى بنصب الذال والتاء. ويروى أن أبا عمرو رجع فى آخر عمره إلى قراءة النبى ﷺ.

ومعنى الآية لا يَبْلُغ أحد من الخلق كبلاغ الله تعالى فى العذاب والوثاق، وهو الإسار فى السلاسل والأغلال.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا أبو بكر بن مالك أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبى أخبرنا محمد بن جعفر حدثنى شعبة عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عمن سمع النبى ﷺ يقرأ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذَّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثَقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ يعنى يفعل به.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى ما وعد الله المصدقة بما قال، قال مجاهد: المنيبة، المخبتة التى قد أيقنت أن الله تعالى ربها، وضربت لأمره جأشاً؛ قال سعيد بن المسيب: سمعت الكلبى، وأبا روق يقولان: هى التى يبيض الله وجهها ويعطيها كتابها بيمينها بعد ذلك تطمئن قال الحسن: المؤمنة الموقنة، قال عطية: الراضية بقضاء الله، وقال حيان عن الكلبى: الآمنة من عذاب الله تعالى، يدل عليه ما أخبرنا عقيل بن محمد الفقيه أن أبا الفرج البغدادى القاضى

أخبره عن محمد بن جرير أخبرنا خالد بن أسلم أخبرنا النضر عن هارون القارئ حدثنى هلال عن أبى شيخ الهنات قال: قرئ فى قراءة أُبى: يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة.

وأخبرنا أبو محمد شيبة بن أبى أحمد الشعيبى حدثنى أبى أخبرنا محمد بن إسحاق السراج أخبرنا سوار بن عبد الله أخبرنا المعتمر بن سليمان عن إبراهيم بن إسماعيل عن أبى نجيح عن مجاهد: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: قال: الراضية بقضاء الله تعالى التى قد علمت أن ما أصابها لم يكن ليخطئها وأن ما أخطأها لم يكن ليصيبها.

وقال ابن كيسان: المخلصة، وقال ابن عطاء: العارفة بالله التى لا تصبر عنه طرفة عين، وقيل: المطمئنة بذكر الله؛ بيانه: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (الرعد:٢٨) وقيل: هى المتوكلة على الله الواثقة بما ضمن لها من الرزق.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: اختلف العلماء فى تأويل هذه الآية، ووقت هذه المقالة؛ فقال قوم يقال: لها ذلك: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: وهو الله تعالى.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى أخبرنا عبد الله بن عبد الله بن أبى سمرة البغوى أخبرنا محمد بن سهل العسكرى أخبرنا العطاردى حدثنا أبى حدثنا قيس بن الربيع عن إسماعيل عن أبى صالح فى قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ قال: هذا عند خروجها من الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا الفريابى أخبرنا أحمد بن خالد أخبرنا روح بن عبادة أخبرنا زهير بن محمد أخبرنا زيد بن أسلم أخبرنا عبد الرحمن بن السلمانى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إذا توفى العبد المؤمن أرسل الله تعالى ملكين، وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجى أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى روح وريحان ورب عنك راضٍ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه قط، والملائكة على أرجاء السماء فيقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة، فلا تمر بباب إلاّ فتح له، ولا بملك إلاّ صلى عليه حتى يؤتى به الرحمن، ثم تسجد الملائكة ثم يقولون: ربنا هذا عبدك فلان توفيته كان يعبدك ولا يشرك بك شيئًا، فيقول: مُرُوه فليسجد فتسجد النسمة، ثم يدعى ميكائيل فيقول: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعين ذراعًا عرضه وسبعين ذراعًا طوله، وينبذ له فيه الريحان، وإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن معه جعل له نوراً مثل الشمس فى قبره، ويكون مثله كمثل العروس لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، فيقوم من نومته كأنه لم يشبع منها.

وإذا توفى الكافر أرسل الله تعالى ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن، فيقال: أيها النفس الخبيثة اخرجى إلى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا المسوحى أخبرنا عمرو بن العلاء الحنفى أخبرنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعد قال: قرأ رجل عند النبى ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: ما أحسن هذا، فقال النبى ﷺ: «أما إن الملك سيقولها لك».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن محمد بن يعقوب القصرى بها أخبرنا إسماعيل بن حمدان بن إسماعيل ببغداد أخبرنا الحسن بن عرفة أخبرنا مروان بن شجاع الجزرى.

(ح)[1] أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا محمد بن على بن سالم أخبرنا أحمد بن منيع أخبرنا مروان بن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف، فجاء طائر فلم ير على خلقه فدخل نعشه، ثم لم ير خارجًا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لم يدر من قرأها[2]: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ .

وقال آخرون: إنما يقال ذلك عند البعث: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أى صاحبك وجسدك، فيأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد.

وإلى هذا القول ذهب عكرمه، وعطاء، والضحاك. وهى رواية العوفى عن ابن عباس.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا محمد بن نعيم، أخبرنا الحسن بن أيوب، أخبرنا على بن عبد العزيز أخبرنا القاسم بن سلام أخبرنا حجاج عن هارون عن أبان بن أبى عياش عن سليمان بن قتة عن ابن عباس أنه قرأ: (فادخلي في عبدي): على التوحيد.

وقال الحسن: معناه ارجعى إلى ثواب ربك وكرامته؛ قال ابن كيسان: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى أمثالك من عباد ربك الصالحين.

وقال بعض أهل الإشارة: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ : إلى الدنيا ﴿ٱرْجِعِىٓ﴾ : إلى الله بتركها والرجوع إلى الله تعالى، هو سلوك سبيل الآخرة ﴿رَاضِيَةً﴾ : عن الله تعالى بما أعد لها ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ : رضى عنها ربها ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى﴾ : قال بعضهم: يعنى مع عبادى ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ : فى بمعنى مع، وفى الآية تقديم وتأخير.

---

(١) زيادة يتطلبها السياق حتى لا يحدث خلط بين الإسنادين.

(٢) فى المخطوط: «قلاها». وهو تحريف.

وإليه ذهب مقاتل والقرظى، وأبو عبيدة نظيره قوله: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل: ١٩): يعنى مع الأنبياء عليهم السلام فى الجنة، وقال الأخفش: أى فى حزبى، وقيل: هو أمر الأرواح بعودها إلى أجسادها والله أعلم.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا المسيب أخبرنا إبراهيم عن صالح بن حيان عن ابن بريدة فى هذه الآية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: قال: نفس حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه، نزلت فيه حين استشهد يوم أحد، ثم لم تزل نفسه عند رب العالمين فى أجواف طير خضر مكرمة مشرّفة على من عنده حتى يردها الله عز وجل إلى حمزة فى دعة وسكون وكرامة.

وقيل: نزلت فى خُبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة، وجعلوا وجهه إلى المدينة، فقال: اللهم إن كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك، فحول وجهه نحو القبلة من غير أن يحوله أحد، فلم يستطيع أحد أن يحوله. وحكمها عام لجميع المؤمنين المطمئنين.



سُورَةُ البَلَدِ

مكية، وهي ثلاثمائة وعشرون حرفًا، وثمانون كلمة، وعشرون آية

أخبرنا ناقل بن أرقم بن أحمد بن عبد الجبار أخبرنا أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الصفار أخبرنا عمرو بن محمد أخبرنا أسباط بن اليسع أخبرنا يحيى بن عبد الله السلمي أخبرنا أبو عصمة نوح بن أبي مريم عن علي بن زيد عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أعطاه الله تعالى الأَمْنَ من غضبه يوم القيامة».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: يعني أقسم، ﴿بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: مكة، ﴿وَأَنتَ﴾: يا محمد، ﴿حِلٌّ﴾: حلال، ﴿بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله تعالى أحل لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح حتى قاتل، وقتل، وأحل ما شاء الله، وحرم ما شاء الله.

فقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة، وغيرهما، ثمّ قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

فأحل دم ابن خطل وأصحابه، وحرّم دار أبى سفيان، ثم قال ﷺ: «إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات فهى حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى، ولم تحل لى إلاّ ساعة من نهار، فلا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد[1]» فقال العباس: يا رسول الله. إلا الأذْخِر لبيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله ﷺ: «إلا الأذخر».

وقال شرحبيل بن سعد: معنى قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: يحرمون أن يقتلوا بها صيداً أو يعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك أو قتلك.

قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ قال عكرمة وسعيد بن جبير: (الوالد) الذى يولد له ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ العاقر الذى لا ولد له، ورويناه عن ابن عباس. وعلى هذا القول تكون: «ما» نافية، وهو بعيد لا يصح إلا بإضمار؛ قال عطية: عنه: الوالد وولده؛ قال مجاهد، وقتادة، والضحاك وأبو صالح: ﴿وَوَالِدٍ﴾ آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ولده.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ماهان بن على أخبرنا عبد الله بن الوليد العكبرى أخبرنا محمد بن موسى الحرشى أخبرنا جعفر بن سليمان، قال سمعت أبا عمران الجونى قرأ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ قال إبراهيم وما ولد.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾: أى نصب؛ عن الوالبى عن ابن عباس: الإنسان[2] يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة؛ قال قتادة: فى مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا والآخرة، وقال سعيد بن جبير: فى شدة، وعن الحسن أيضًا: يكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء، فلا يخلو منهما.

قال عطاء عن ابن عباس: فى شدة خَلْق، وحمله وولادته ورضاعه وفصاله، ومعاشه، وحياته، ومماته، وقال عمرو بن دينار عنه: نبات أسنانه.

قال يمان: لم يخلق الله تعالى خلقًا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق. وعن سعيد بن جبير أيضًا: فى ضيق معيشة، قال ابن كيسان: المكابدة مقاساة الأمر وركوب معظمة، وأصل الكَبْد: الشدة وهو من الكَبَد.

قال لبيد:

عين هلا بكيت أربد إذ ... قمنا وقام الخصوم فى كَبَدِ

(١) فى هامش المخطوط: إلا منشدها.

(٢) فى المخطوط: «الحسن». وهو تحريف.

قال مجاهد، وإبراهيم، وعكرمة، وعبد الله بن شداد، وعطية، والضحاك، وأبو صالح: يعنى منتصبًا قائمًا معتدل القامة، وهى رواية مقسم عن ابن عباس قال: خلق كل شيء يمشى على الأرض على أربعة إلا الإنسان فإنه خلق منتصبًا قائمًا على رجلين.

قال مقاتل: فى قوة نزلت فى أبى الأشدين، واسمه: أسيد بن كلدة بن أسيد بن خلف، وكان شديدًا قويًا يضع الأديم العكاظى تحت قدميه فيقول: من أزالنى عنه فله كذا وكذا، فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعًا، ويبقى موضع قدميه، ويقال هو شدة الأمر والنهى والثواب والعقاب، وقال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ يعنى آدم ﴿فِى كَبَدٍ﴾: أى وسط السماء، وذلك حين رفع إلى الجنة، وقال أبو بكر الوراق: لا يدرك هواه، ولا يبلغ مناه، قال خصيف فى معناه: ومقاساة، وانتقال أحواله نطفة ثم علقة إلى آخر تمام الخلق؛ قال ابن كيسان: منتصبًا رأسه ما دام فى بطن أمه يكون رأسه مقابلا مع رأس أمه، ورجلاه مقابلاً مع رجلى أمه، فإذا أذن الله تعالى فى إخراجه انقلب رأسه إلى رجلى أمه، وقيل: جرىء القلب غليظ الكَبِد مع ضعف خلقه ومهانة مادته؛ قال جعفر: أى فى بلاء ومحنة؛ قال ابن عطاء: فى ظلمة وجهد، وقال محمد بن على الترمذى: مضيعًا لما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه ﴿أَيَحْسَبُ﴾: يعنى أبا الأشدين من قوته ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: يعنى الله تعالى، وقيل: هو الوليد بن المغيرة. رواه أبو الضحى عن ابن عباس ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾: أنفقت.

﴿مَالًا لُّبَدًا﴾: كثير بعضه على بعض، وهو من التلبيد فى عداوة محمد ﷺ وقال مقاتل: نزلت فى الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه أذنب ذنبًا فاستفتى رسول الله ﷺ، فأمره أن يُكَفِّر، فقال: لقد ذهب مالى فى النفقات والكفَّارت منذ دخلت فى دين محمد ﷺ.

واختلف القراء فى قوله: ﴿لُّبَدًا﴾ فقرأ أبو جعفر بتشديد الباء على جمع لابد، مثل راكع وركع، وقرأ مجاهد بضم اللام، والباء مخففًا كقولك أمر «نُكُر»، ورجل جُنُب، وقرأ الباقون: بضم اللام، وفتح الباء مُخفَّفًا ولها وجهان: أحدهما: على جمع لِبْدَة، والثانى: على واحد مثل قثم وحَطَم، وليس بمعدول.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: يعنى الله تعالى، وقيل: محمد ﷺ، فيعلم مقدار نفقته، وكان كاذبًا لم ينفق جميع ما قال، وقال سعيد بن جبير وقتادة: أيظن أن لم يره أحد فيسأله عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه.

أخبرنا ابن فنجويه الحافظ أخبرنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى أخبرنا الهيثم بن

خلف الدورى أخبرنا محمد بن يزيد بن سليمان مولى بن هاشم أخبرنا حسين بن الحسن يعنى الأشتر أخبرنا هشيم بن بشر عن ابن هشام عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن حبنا أهل البيت».

قال ابن خَرْجَةَ: ما سمعت هذا الحديث إلاّ من الهيثم.

وأخبرنا الحسين بن محمد الدينورى أخبرنا أبو الحسن على بن هارون أخبرنا موسى بن هارون بن عبد الله أخبرنا الربيع الزهرانى أخبرنا نعيم ابن ميسرة، وأخبرنى عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز أخبرنى رجل من بنى عامر عن أبيه قال: صليت خلف النبى ﷺ فسمعته يقرأ: أيَحْسبُ أن لن يقدر عليه أحد - أَتَحْسبُ أن لم يره أحد. يعنى بكسر السين.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ قال قتادة: نعم والله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن عامر هو السمرقندى أخبرنا عمر ابن بجير أخبرنا جيعويه أخبرنا صالح بن محمد أخبرنا عبد الحميد المدنى عن أبى حازم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حَرَّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين[1] فاطبق، وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق».

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: قال أكثر المفسرين: يعنى بينا له طريق الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلالة كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣).

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا عبد الله بن حامد إجازة أخبرنا أحمد بن يحيى أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا عبد الرحمن بن مهدى عن قرة بن خالد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما هما نجدان: نجد الخير، ونجد الشر، فما يجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير؟!».

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون أخبرنا مكى ابن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا أبى عن عمرو بن أبى بكر القرشى عن محمد بن كعب عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال: الثديين، وإليه ذهب سعيد بن المسيب والضحاك: والنجد طريق فى ارتفاع، قال الشاعر:

غداة غدوا فاسلك بطن نخلة ... وآخر منهم جازع نجد كبكب

(١) فى الهامش بطبقين. والتصويب من الناسخ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ : يعني فلم يجاوز هذا الإنسان العقبة فيأمن؛ قال الفراء: أفرد قوله: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ . بذكر «لا» مرة واحدة، والعرب لا تكاد تُفرد «لا» مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يعيدوها عليه في كلام آخر كما قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ (القيامة: ٣١)، ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢)، وإنما فعل ذلك كذلك في هذا الموضع استغناء بدلالة آخر الكلام على معناه، من إعادتها مرة أخرى، وذلك أنه فسر اقتحام العقبة بأشياء، فقال:

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ : الآية

فكأنه قال في أول الكلام: (فلا) فعل ذا ولا ذا ولا ذا، وقال بعضهم: معنى الكلام الاستفهام تقديره: أفلا اقتحم العقبة.

وإليه ذهب ابن زيد وجماعة من المفسرين يقول: فهلا أنفق ماله في فك الرقاب وإطعام السغبان ليجاوز بها العقبة، فيكون خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ، ويقال: إنه شبه عظَمَ الذنوب وثقلها على مرتكبها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وعمل صالحًا كان مثله مثل من اقتحم تلك العقبة، وهي الذنوب حتى تذهب وتذوب كمن يقتحم عقبة فيستوي عليها ويجوزها، وذكر ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقال كعب: هي سبعون دركة في جهنم، وقال الحسن وقتادة: هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله سبحانه وتعالى.

وقال مجاهد، والضحاك، والكلبي: هي الصراط يضرب على جهنم كحدِّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف[1] سهلاً وصعوداً وهبوطًا، وأن بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكردس في النار، فمن الناس من يمر عليه كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح العاصف، ومنهم من يمر عليه كالفارس، ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمر عليه كالرجل يسير ومنهم من يرجف رجفًا، ومنهم الزالون والزالات، ومنهم من يكردس في النار، اقتحامه على المؤمنين كما بين صلاة العصر إلى العشاء.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله تعالى يقول: إن المعتق والمطعم يقاحم نفسه وشيطانه مثل من يتكلّف صعود العقبة، وقال ابن زيد يقول: فهلا سلك الطريق الذي فيها النجاة والخير، ثم بَيّن ما هي، فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ : قال سفيان بن عيينة: كل شيء، قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فإنه أخبره به، وما قال: وما يدريك فإنه لم يخبره به.

---

(١) كذا في متن المخطوط وهو تصويب من الناسخ وكتب بهامش المخطوط، سنة على ما كان بالأصل.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ فمن أعتق رقبة كانت فداه من النار؛ قال عكرمة: فك رقبته من الذنوب بالتوبة، وقرأ أبو رجاء، والحسن، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائى: بنصب الكاف، والميم على الفعل لقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ وقرأ غيره بالإضافة على الاسم. اختاره أبو عبيد، وأبو حاتم لأنه تفسير لقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ ثم أخبر ما هى فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾: مجاعة.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن عبد الله ابن أبى سمرة أخبرنا محمد بن عبد الله المستعينى أخبرنا على بن الحسن البصرى أخبرنا حجاج أخبرنا جرير بن حازم قال: سمعت الحسن، وأبا رجاء يقرآن: (فى يوم ذا مسغبة يتيمًا ذا مقربة أو مسكينًا ذا متربة): قد لصق بالتراب من الفقر فليس له مأوى إلا التراب.

سمعت أبا القاسم الحبيبى يقول: سمعت أبا حامد الخازرنجى يقول: المتربة: ههنا من التربة، وهى شدة الحال، وانشد الهذلى:

وكنا إذا ما الضيف حَلّ بأرضنا سفكنا دماء البدن فى تربة الخال

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن الدينورى أخبرنا عمر بن أحمد بن القاسم - يعنى النهاوندى - أخبرنا موسى بن إسحاق الأنصارى أخبرنا عبد الحميد بن صالح أخبرنا عيسى بن عبد الرحمن السلمى عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمنى عملاً يدخلنى الجنة: فقال: «لئن أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة، وفك الرقبة» قال: أو ليستا وحداة؟ قال: «لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها، والمنحة الركوب، وابق على ذى الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن، ومُر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلاّ من خير».

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ مع ذلك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: وقيل: ثم بمعنى الواو ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾: أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: برحمة الناس.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾: قرأ أبو عمرو، وعيسى بن عمر، وحمزة، ويعقوب، وحفص، بالهمز ههنا، وفى سورة الهُمَزَة، وغيرهم بلا همز، وهما لغتان، وهى المطبقة؛ قال الفراء، وأبو عبيدة: يقال: آصدتَ الباب، وأوصدت إذا أطبقت، وقيل: معنى الهمز المطبقة، وغير الهمز المُعلَّقة، ومنه قيل للباب: الوصيد.

سورة الشمس

مكية وهى مائتان وسبعة وأربعون حرفًا،
وأربع وخمسون كلمة وخمس عشرة آية

أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسى، أخبرنا أبو محمد بن أبى حامد، أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن الأصفهانى، أخبرنا مؤمل بن إسماعيل، أخبرنا سفيان الثورى، أخبرنا أسلم المنقرى، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الشمس وضحاها فكأنما تصدق بكل شىء طلعت عليه الشمس والقمر».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾: قال مجاهد: ضوءها؛ قال قتادة: هو النهار كله. وقال مقاتل: حرّها كقوله فى طه ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ (طه: ١١٩) يعنى ولا يؤذيك الحر.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ تبعها فأخذ من ضوئها وسار خلفها، وذلك فى النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر طالعًا.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾: أى جلا الشمس وكشفها بإضاءتها، وقال الفراء، وجماعة من العلماء: يعنى والنهار إذا جلّى الظلمة.

فجازت الكناية عن الظلمة، ولم تذكر لأن معناها معروف، ألا ترى أنك تقول: أصبحت

باردة، وأمست عاصفة، وهبت شمالاً. فتكنى عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر لأن معناهن معروف.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾: أى يغشى الشمس حين تغيب، فتظلم الآفاق.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾: أى ومن خلقها وهو الله سبحانه كقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ (النساء:٣) و﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء:٢٢) وقيل: هى «ما» المصدر، أى وبنائها. كقوله: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ (يس:٢٧)، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾: أى خلق ما فيها، رواه عطية عن ابن عباس. وروى الوالبى عنه فسمَّاها غيره بسطها ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: عدل خلقها ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾: قال ابن عباس برواية الوالبى: بين له الخير والشر.

(وبرواية)[1] العوفى عنه: علمها الطاعة، والمعصية، (وبرواية)[1] الكلبى: علمها ما تأتى وما تتقى، وقال ابن زيد، وابن الفضل جعل فيها ذلك يعنى بتوفيقه إياها بالتقوى، وبخذلانه إياها بالفجور.

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الله، أخبرنا موسى بن محمد بن على، أخبرنا عبد الله بن سنان أخبرنا مسلم بن إبراهيم أخبرنا عروة بن ثابت الأنصارى أخبرنا يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبى الأسود الدؤلى قال: قال لى عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل فيه الناس ويكادحون فيه؟ أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قَدَرٍ سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ، وأكدت عليهم الحجة؟

قلت: بل شىء قضى عليهم؛ قال: فهل يكون ذلك ظلمًا؟ قال: ففزعت منه فزعًا شديداً، وقلت له: إنه ليس شىء إلاّ وهو خلقه وملك يده: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء:٢٣) فقال لى: سددك الله، إنما سألتك لأخبر عقلك، إن رجلاً من جهينة أو مزينة أتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه، ويتكادحون فيه، أشىء قضى عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت به عليهم الحجة؟

فقال: «فى شىء قضى عليهم» قال: فقلت: ففيم العمل إذًا؟ قال: «من كان الله تعالى خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه الله لها» وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾: سَعَدَ وفاز، و«ها» هنا موضع القسم ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾: أى أفلحت نفس زكاها الله تعالى، يعنى أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للتقوى ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾: خسرت نفس ﴿مَن

(١) زيادة يتطلبها السياق.

﴿دَسَّىٰهَا﴾ : دسها الله فأحملها وأخذلها ووضع منها وأخفى محلها حتى عملت بالفجور وركبت المعاصى، والعرب تفعل هذا كثيراً فتبدل فى الحرف المشدد بعض حروفه «ياء» أو «واو»، كالتقضى، والتظنى، وبابهما.

أخبرنا أبو بكر بن عبدوس المزكى أخبرنا أبو الحسن المحفوظى حدثنا عبد الله بن هاشم أخبرنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن حصيف عن سعيد بن جبير، ومجاهد: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قال أحدهما: أصلحها، وقال الآخر: أضلها، وقال قتادة: ﴿دَسَّىٰهَا﴾ : أثمها، وأفجرها، وقال ابن عباس: أبطلها وأهلكها.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أبو محمد المزنى أخبرنا الحضرمى، أخبرنا عثمان أخبرنا أبو الأحوص عن محمد بن السائب عن أبى صالح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ . قالا: أفلحت نفس زكاها الله، وخابت نفس أفسدها الله تعالى وعز وجل، وقال الحسن معناه: قد أفلح من زكى نفسه، فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ : قال: من أهلكها وأضلها وحملها على معصية الله عز وجل، فجعل الفعل للنفس.

أخبرنا الحسين بن محمد بن عبد الله السفيانى حدثنا محمد بن الحسن بن على اليقطينى أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلى أخبرنا صفوان ابن صالح أخبرنا الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن سعيد وأبى هلال: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ وقف ثم قال: «اللهم آتِ نفسى تقواها أنت وليها ومولاها، وزكها أنت خير من زكاها».

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ : بطغيانها، وعدوانها، وروى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال: قال: اسم العذاب الذى جاءها[1] الطغوى، فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ : أى بعذابها، وقرأ العامة بفتح الطاء.

وقرأ الحسن، وحماد بن سلمة: بطُغواها، بضم الطاء، وهى لغة كالفَتْوى، والفُتُوَى، والفُتْيا.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ : قام.

﴿أَشْقَىٰهَا﴾ : وهو قُدار بن سالف عاقر الناقة، وكان رجلاً أشقر، أزرق، قصيراً ملتزق الخلق.

واسم أُمه قُدَيْرة.

---

(١) فى هامش المخطوط: «جاءهم» والتصويب من الناسخ.

أخبرنا محمد بن حمدون أخبرنا مكى بن عبدان حدثنا عبد الرحمن بن بشر حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله ابن زمعة، قال: ذكر رسول الله ﷺ عاقر الناقة فقال: «انتدب لها عازم ذو عزّ ومنعة فى قومه كأبى زمعة» وذكر الحديث: «﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ﷺ: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ إغراء وتحذير: أى احذروا عقر ناقة الله كقولك: البئر البئر. الأسد الأسد ﴿وَسُقْيَـٰهَا﴾: شربها من الماء، فلا تزاحموها، وفيه قال الله عز وجل: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الشعراء: ١٥٥)، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: يعنى صالحًا ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: يعنى الناقة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾: دمّر عليهم وأهلكهم ﴿رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾: بتكذيبهم رسوله، وعقرهم الناقة ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: فسوى الدمدمة عليهم جميعًا وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد، قال المورج: الدمدمة إهلاك باستئصال؛ قال بعض أهل اللغة: الدمدمة: الإدامة، تقول العرب: ناقة مدمدمة أى سمينة ملمومة، وقرأ عبد الله بن الزبير: فدهدم عليهم بالهاء، وهما لغتان كقولك: امتقع لونه، واهتقع إذا تغير.

﴿وَلَا يَخَافُ﴾: قرأ أهل المدينة، والشام بالفاء. وكذلك هو فى مصاحفهم الباقون. وقرأها الباقون بالواو، وهذا فى مصاحفهم ﴿عُقْبَـٰهَا ۝﴾: عاقبتها.

واختلف العلماء فى معنى ذلك؛ فقال الحسن: يعنى ولا يخاف الله من أحد تبعه فى إهلاكهم، وهى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس. وقال الضحاك، والسدى، والكلبى: هو راجع إلى العاقر، وفى الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إذا انبعث أشقاها، لا يخاف عقباها.



سورة الليل

مكية، وهى ثلاثمائة وعشرة أحرف،
وإحدى وسبعون كلمة وإحدى وعشرون آية

أخبرنا محمد بن القاسم بن أحمد حدثنا عبد الله بن أحمد بن جعفر أخبرنا أبو عمرو الحيرى، وأبو عثمان البصرى قالا حدثنا أحمد بن عبد الوهاب العبدى حدثنا حميد بن عبد الله ابن يونس حدثنا سلام بن سليم حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ أعطاه الله حتى يرضى، وعافاه الله من العسر ويسر له اليسر».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾: النهار يذهب بضوئه ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: بضوئه ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: يعنى من خلق.

أخبرنا محمد بن نعيم أخبرنا الحسين بن أيوب حدثنا على بن عبد العزيز أخبرنا أبو عبيد حدثنا حجاج عن هارون عن إسماعيل عن الحسن: أنه كان يقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: فيقول: والذى خلق؛ قال هارون: قال أبو عمرو: أهل مكة يقولون للرعد: سبحان من سبحت له الرعد. وقيل: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: وذكر أنها قراءة ابن

مسعود، وأبى الدرداء: والذكر والأنثى.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا مكى ابن عبدان بن عبد الله بن هاشم أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: قدمنا الشام، فأتانا أبو الدرداء، فقال: فيكم أحد يقرأ عليّ قراءة عبد الله؟ فأشاروا إليّ؛ فقلت: نعم، أنا؛ قال: فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية: فى ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؟ قال: قلت: سمعته يقرأ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: والذكر والأنثى. قال: أنا والله هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها، وهؤلاء يريدوننى أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ فلا أتابعهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾: إن عملكم لمختلف، فساع فى فكاك نفسه وساع فى عطبها.

دله عليه قول النبى ﷺ: «الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها».

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾: ماله فى سبيل الله ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: ربه واجتنب محارمه ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: أى بالخلف وأيقن أن الله سيخلف عليه، وهذه رواية عكرمة وشهر بن حوشب عن ابن عباس.

يدل عليه ما أخبرنا عقيل بن محمد الفقيه أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم عن محمد بن جرير حدثنى الحسن بن سلمة بن أبى كبشة أخبرنا عبد الملك بن عمر وأخبرنا عباد بن راشد عن قتادة قال: حدثنى جليد العصرى عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم غربت شمسه إلاّ وبجنبتها ملكان يناديان، يسمعهما خلق الله تعالى كلهم إلاّ الثقلين: اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط ممسكًا تلفًا فأنزل الله تعالى فى ذلك قرآنًا ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾.

وقال أبو عبد الرحمن السلمى، والضحاك: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: بلا إله إلا الله، وهى رواية عطية عن ابن عباس، وقال مجاهد: بالجنة، ودليله قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ (يونس: ٢٦)، وقال قتادة، ومقاتل، والكلبى: بموعد الله الذى وعده أن يثيبه.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾: فسنهيئه فى الدنيا؛ تقول العرب: يسرت غنم فلان إذا ولدت أو تهيأت للولادة، قال الشاعر:

هما سيدانا يزعمان وإنما	يسوداننا إن يسرت غنماهما

﴿لِلۡيُسۡرَىٰ﴾: للخلة اليسرى وهى العمل بما يرضاه الله تعالى، وقيل: نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه؛ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾: بالنفقة فى الخير.

﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾: عن ربه فلم يرغب فى ثوابه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾: أى للعمل بما لا يرضى الله حتى يستوجب به النار؛ فكأنه قال: يخذله ويؤديه إلى الأمر العسير وهو العذاب، وقيل: سندخله جهنم، والعسرى اسم لها؛ فإن قيل: فأى تيسر فى العسرى؟ قيل: إذا جُمع بين كلامين أحدهما ذكر الخير، والآخر ذكر الشر جاز ذلك كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الانشقاق: ٢٤).

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا ابن ماهان أخبرنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن الأعمش عن سعيد بن عبيد عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب عليه السلام: أن رسول الله ﷺ كان فى جنازة، فأخذ عوداً، فجعل ينكث به الأرض، فقال: «ما منكم واحد إلا قد كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار».

فقال رجل: أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له». ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾. الآيات.

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾: قال مجاهد: مات، وقال قتادة، وأبو صالح: هوى فى جهنم؛ قال الكلبى: نزلت فى أبى سفيان بن حرب ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: أى بيان الحق من الباطل، وقال الفراء: يعنى من سلك الهدى فعلى الله تعالى سبيله، كقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ (النحل: ٩)، يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصدة، وقيل: معناه إن علينا للهدى والإضلال، كقوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ (آل عمران: ٢٦) ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ (النحل: ٨١).

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾: فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق؛ قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾: تتوقد، وتتوهج، وقرأ عبيد بن عمير: تتلظى على الأصل، (وقرأ)[1] غيره على الحذف، وشدد ابن كثير تاءها.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: قال أبو هريرة: ليدخلن الجنة إلاّ من يأبى. قالوا: يا أبا هريرة، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ فقرأ قوله: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا نرهان بن على الصوفى أخبرنا أبو خليفة أخبرنا القعنبى أخبرنا مالك قال: صلى بنا عمر بن عبد العزيز المغرب فقرأ فيها بـ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، فلما أتى على هذه الآية: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ وقع عليه البكاء، فلم يقدر أن ينفذها من البكاء وقرأ سورة أخرى.

قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ قال أهل المعانى: أراد الشقى والتقى

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

كقول طرفة:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أى بواحد.

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد بن الحسين الحافظ أخبرنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن على أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المقرئ حدثنى جدى حدثنى سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن سالم.

(ح)[1] وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن يوسف أخبرنا ابن عمران أخبرنا أبو عبيد الله المخزومى أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه: أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله تعالى: بلالاً، وعامر بن فهيرة، والنجدية، وبنتها، وزبيرة، وأم عميس، وأمة بنى المؤمل.

فأما زبيرة: فكانت رومية، وكانت لبنى عبد الدار، فلما أسلمت عميت، فقالوا: عماها اللات والعزى، فقالت: هى تكفر باللات والعزى، فرد الله تعالى إليها بصرها، فمر بها أبو بكر عليه السلام، وهى تطحن وسيدتها تقول: والله لا أعتقك حتى يعتقك صباتك، فقال أبو بكر: فخلى إذًا يا أم فلان، فبكم هى إذًا؟ قالت: بكذا وكذا أوقية؛ قال: قد أخذتها، قومى؛ قالت: حتى أفرغ من طحنى.

وأما بلالاً: فاشتراه، وهو مدفون بالحجارة، وقالوا له: لو أبيت إلاّ أوقية واحدة لبعناك، فقال أبو بكر: لو أبيتم إلاّ مائة أوقية لأخذته، وفيه نزلت يعنى أبو بكر: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ قال: وأسلم وله أربعون ألفًا فأنفقها كلها ـ يعنى أبا بكر ـ.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنى أبو سعيد الحسن بن أحمد بن جعفر البردى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى عبد الرحمن المقرئ حدثنى سفيان بن عيينة حدثنى من سمع ابن الزبير على المنبر، وهو يقول: كان أبو بكر يبتاع الضعفة، فيعتقهم، فقال له أبوه: أى بُنى، لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك؛ قال: منع ظهرى أريد، فنزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ إلى آخر السورة. وكان اسمه: عبد الله بن عثمان رضى الله عنه.

قال عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية قال: إن بلالاً لما أسلم ذهب إلى الأصنام فسلح عليها، وكان المشركون وكلوا امرأة بحفظ الأصنام، فأخبرتهم المرأة، وكان بلال عبداً لعبد الله

---

(١) زيادة يتطلبها سياق الإسناد حتى لا يحدث خلط بين الطريقين.

ابن جُدعان فشكوا إليه، فوهبه لهم ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم؛ فأخذوه وجعلوا يعذبونه فى الرمضاء، وهو يقول: أحدٌ أحد؛ فمر به النبى ﷺ، فقال: «ينجيك أحد أحد» ثم أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه أن بلالاً يعذب فى الله، فحمل أبو بكر رضى الله عنه رطلاً من ذهب فابتاعه به:

وقال سعيد بن المسيب: بلغنى أن أمية بن خلف قال لأبى بكر حين قال له أبو بكر أتبيعه؟

قال: نعم أبيعه بنسطاس وكان نسطاس عبداً لأبى بكر رضى الله عنه صاحب عشرة آلاف دينار، وغلمان وجوارى، ومواش وكان مشركًا، وحمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له، فأبى، فأبغضه أبو بكر فلما قال له أمية ابتعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به؛ فقال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾ من أولئك الذين أعتقهم ﴿عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ يد يكافئه عليها لكن ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ بثواب الله تعالى فى العقبى عوضًا، مما فعل فى الدنيا.

أخبرنا أبو القاسم يعقوب بن أحمد بن السرى العروضى فى دار الحاجب أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله العمانى الحفيد حدثنا أحمد بن نصر بن خفيف القلانسى الرفاء، أخبرنا جعفر بن محمد بن سوار بن سنان فى سنة خمس وثمانين ومائتين أخبرنا على بن حجر عن إسحاق بن نجيح عن عطاء قال: كان لرجل من الأنصار نخلة، وكان له جار، فكان يسقط من بلحها فى دار جاره، فكانت صبيانه يتناولون منه، فشكى ذلك إلى النبى ﷺ، فقال له النبى ﷺ: «بعنيها بنخلة فى الجنة، فأبى، قال: فخرج فلقيه أبو الدحداح، فقال له: هل لك أن تبيعها بحشى؟ يعنى حائطًا له، قال: هى لك؛ قال: فأتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله أتشتريها منى بنخلة فى الجنة؟ قال: «نعم».

قال: هى لك؛ فدعا النبى ﷺ جار الأنصارى فقال: «خذها» فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾.

أبو الدحداح والأنصارى صاحب النخلة:

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾: أبو الدحداح ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: يعنى بالثواب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾: يعنى الجنة.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: يعنى الأنصارى ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: يعنى الثواب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ

﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾: يعنى إلى النار ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾: يعنى إذا مات، إلى قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾: يعنى صاحب النخلة ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾: يعنى أبا الدحداح ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾: يعنى أبا الدحداح ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾: يكافئه بها، يعنى أبا الدحداح ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾: إذا دخل الجنة؛ فكان رسول الله ﷺ يمر بذلك الحُش وعذوقه[1] دانية، فيقول: «عذوق وعذوق لأبى الدحداح فى الجنة».



(١) العذق هو الفرع المثمر من الشجر أو النخل، أو ما شابه ذلك من النباتات المثمرة كالعنب وغيره.

سورة الضحى

مكية وهي مائة واثنان وسبعون حرفًا،
وأربعون كلمة وإحدى عشرة آية

أخبرنا محمد بن القاسم الفقيه أخبرنا محمد ابن يزيد المعدل أخبرنا أبو يحيى البزاز أخبرنا محمد بن منصور أخبرنا محمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثني أبي عن مجالد عن عبد الواحد عن الحجاج بن عبد الله بن أبي الخليل، وعن علي بن زيد، وعطاء بن أبي ميمون عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ كان فيمن يرضاه الله عز وجل لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح، فقال: «سأخبركم غدًا» ولم يقل إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي. وقال زيد بن أسلم: كان سبب احتباس جبريل عنه، كون جرو في بيته، فلما نزل عليه جبريل عاتبه على إبطائه، فقال: يا محمد أما علمت أنّا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة.

واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه؛ فقال جرير بن عبد الله: اثني عشر يومًا، وقال ابن عباس: خمسة عشر يومًا، وقيل: خمسة وعشرين يومًا، وقال مقاتل: أربعين يومًا.

قالوا: فقال المشركون: إن محمدًا ودعه ربه وقلاه، ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه

كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء، وقال المسلمون: يا رسول الله، أما ينزل عليك الوحى، فقال: «وكيف ينزل علىّ الوحى، وأنتم لا تنقون براجمكم، ولا تقلمون أظفاركم».

فأنزل الله تعالى جبريل بهذه السورة، فقال النبى ﷺ: «يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك».

فقال جبريل عليه السلام: وأنا كنت إليك أشد شوقًا، ولكنى عبد مأمور: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنى محمد بن يعقوب أخبرنا الحسن بن على بن عفان أخبرنا أسامة عن سفيان عن الأسود بن قيس: أنه سمع جندب بن سفيان يقول: رُمى رسول الله ﷺ بحجر فى أصبعه فقال: «هل أنتِ إلا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت» فمكث ليلتين أو ثلاثة لا يقوم، فقالت له امرأة يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، وقيل: إن المرأة التى قالت ذلك أم جميل امرأة أبى لهب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾. يعنى النهار كله دليله قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ فقابله بالليل، نظيره قوله: ﴿أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحًى﴾: أى نهاراً؛ قال قتادة، ومقاتل: يعنى وقت الضحى وهى الساعة التى فيه ارتفاع الشمس واعتدال النهار من الحر والبرد فى الشتاء والصيف، وقيل: هى الساعة الى كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام، وقيل: هى الساعة التى أُلقى فيها السحرة سجداً؛ بيانه: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ وقال أهل المعانى فيه وفى أمثاله بضمر الرب، مجازه: ورب الضحى.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: قال الحسن: أقبل بظلامه، وفى رواية العوفى عن ابن عباس والوالبى عنه: إذا ذهب؛ قال الضحاك: غطى كل شىء؛ قال مجاهد؛ وقتادة وابن زيد سكن بالخلق واستقر ظلامه، يقال: ليل ساج، وبحر ساج إذا كان ساكنًا. وقال الراجز:

يا حبذا القمر والليل الساج ... وطرقًا مثل مُلاءِ النسَّاج

وقال أعشى بنى ثعلبة:

فما ذنبنا إن جاش ابن عمكم ... وبحرك ساج ما يوارى الدعامصا

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: أى ما تركك منذ اختارك، ولا أبغضك منذ أحبّك، وهذا جواب القسم.

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ﴾: من الثواب، وقيل: من النصر

والتمكن وكثرة المؤمنين ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عامر السمرقندي قال: حدثنا عمر بن بحر قال: حدثنا عبد بن حميد، عن قتيبة، عن سفيان، عن الأوزاعي، عن إسماعيل ابن عبد الله، عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ما هو مفتوح على أمتي من بعدي كفرًا كفرًا» فسرّني ذلك، فنزلت: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ قال: أعطي في الجنة ألف قصر من لؤلؤ ترابها المسك، في كل قصر ما ينبغي له.

وأخبرني عقيل أن أبا الفرج، أخبرهم عن ابن جرير قال: حدثني عباد بن يعقوب قال: حدثنا الحكم بن ظهر، عن السدي، عن ابن عباس: في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ قال: رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، وقيل: هي الشفاعة في جميع المؤمنين.

أخبرني أبو عبد الله الفنجوي قال: حدثنا أبو علي المقري قال: حدثنا محمد بن عمران بن أسد الموصلي قال: حدثنا محمد بن أحمد المدادي قال: حدثنا عمرو بن عاصم قال: حدّثنا حرب بن سريح البزاز قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي قال: حدثني عمي محمد بن علي ابن الحنفية، عن أبيه علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «أشفع لأمتي حتى ينادي ربي عزّ وجلّ: رضيت يا محمد، فأقول: ربّ رضيت» ثم قال لي: إنكم معشر أهل العراق تقولون: إن أرجى آية في القرآن: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ قلت: إنا لنقول ذلك، قال: ولكنّا أهل البيت نقول: إنّ أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾: وهي الشفاعة.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا أبو عامر بن سعدان قال: حدثنا أحمد بن صالح المصري، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدّثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله سبحانه في إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فرفع يديه ثم قال: «اللهم أمّتي أمّتي» وبكى.

فقال الله سبحانه: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربّك أعلم - فاسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ فقال الله سبحانه: يا جبريل اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.

ويروى أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «إذًا لا أرضى وواحد من أمتي في النار».

وقال جعفر بن محمد: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضى الله عنها وعليها كساء من جلد الإبل، وهى تطحن بيدها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ لمّا أبصرها، فقال: «يا بنتاه تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله علىّ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

ثم أخبره[1] الله سبحانه، عن حاله (عليه السلام) التى كان عليها قبل الوحى، وذكّره نعمه، فقال عزّ من قائل: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾.

أنبأنى عبد الله بن حامد الأصبهانى قال: أخبرنا محمد بن عبد الله النيسابورى قال: حدثنا محمد بن عيسى، قال: حدثنا أبو عمر الحوصى، وأبو الربيع الزهرانى، عن حمّاد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربى مسألة وددت أنى لم أكن سألته، قلت: يا ربّ إنك آتيت سليمان بن داود ملكًا عظيمًا، وآتيت فلانًا كذا، وآتيت فلانًا كذا، قال: يا محمد ألمْ أجدك يتيمًا فآويتك؟ قلت: بلى أى رب، قال: ألمْ أجدك ضالا فهديتك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ قلت: بلى أى رب».

ومعنى الآية: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ صغيرًا فقيرًا ضعيفًا حين مات أبواك، ولم يخلفا لك مالا، ولا مأوى، فجعل لك مأوى تأوى إليه، ومنزلا تنزله، وضمك إلى عمّك أبى طالب حتى أحسن تربيتك، وكفاك المؤونة.

سمعت الأستاذ أبا القاسم الحبيبى يقول: سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله الأصفهانى يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندرانى يقول: سمعت أبا جعفر الملطى يقول: سمعت أبى يقول: سمعت على بن موسى الرضا يقول: سمعت أبى يقول: سئل جعفر بن محمد الصادق: لم أؤتم النبى ﷺ عن أبويه؟ فقال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق.

وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبرى يحكى بإسناد له لا أحفظه، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه أنه قال فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾: هو من أقوال العرب: درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل وقد جاء فى الشعر:

لا ولا درّة يتيمة بحر تتلالا فى جونة البياع

فمجاز الآية: ألم يجدك واحدًا فى شرفك، وفضلك، لا نظير لك، فآواك إليه.

(١) فى متن المخطوط: «أخبرك»، والتصويب من هامش المخطوط.

وقرأ أشهب العقيلى (فأوى) بالقصر: أى رحمك. تقول العرب: آويت لفلان مأواة أى رحمته.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾: عما أنت عليه اليوم، فهداك إلى الذى أنت عليه اليوم.

قال السدى: كان على أمر قومه أربعين عامًا، وقال الكلبى: وجدك فى قوم ضلال فهداك إلى التوحيد، والنبوة، وقيل: فهداهم بك، وقال الحسن والضحاك وشهر بن حوشب وابن كيسان: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة غافلاً عنها، فهداك إليها، نظيره ودليله قوله سبحانه: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾، وقيل: ضالا فى شعاب مكة، فهداك إلى جدّك عبد المطلب، وردّك إليه.

روى أبو الضحى، عن ابن عباس قال: إن رسول الله ضل، وهو صبى صغير فى شعاب مكّة، فرآه أبو جهل، منصرفًا من أغنامه، فردّه إلى جدّه عبد المطلب، فمنّ الله سبحانه عليه بذلك، حين ردّه إلى جدّه على يدى عدوّه.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبدوس قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا عمرو بن عوف قال: أخبرنا خالد، عن داود بن أبى هند، عن العباس بن عبد الرحمن، عن[1] كند بن سعيد، عن أبيه قال: حججت فى الجاهلية، فإذا أنا برجل يطوف بالبيت، وهو يرتجز، ويقول:

يا ربّ رد راكبى محمدا ... ردّ إلى واصطنع عندى يدا

فقلت: من هذا؟ قيل عبد المطلب بن هاشم، ذهبت إبل له فأرسل ابن ابنه فى طلبها، ولم يرسله فى حاجة قط إلاّ جاء بها، وقد احتبس عليه، قال: فما برحتُ أنْ جاء النبى ﷺ وجاء بالإبل، فقال: يا بُنى لقد حزنت عليك حزنًا لا يفارقنى أبدًا.

وفى حديث كعب الأحبار، فى مولد رسول الله ﷺ وبدء أمره أن حليمة لّما قضت حق الرضاع، جاء رسول الله ﷺ لتردّه إلى عبد المطلب، قالت حليمة: فأقبلتُ أسير حتى أتى الباب الأعظم من أبواب مكة، فسمعت مناديًا ينادى: هنيئًا لك يا بطحاء مكة، اليوم يرد عليك النور والدين والبهاء والجمال، قالت: ثم وضعت رسول الله ﷺ لأقضى حاجة وأصلح ثيابى[2]، فسمعت هدّة شديدة، فالتفت فلم أره، فقلت: معاشر الناس أين الصبى؟ فقالوا:

---

(١) كتب فوق هذه اللفظ فى المخطوط لفظ: «بن» والأول هو الأصوب فصححه الناسخ.

(٢) كذا فى متن المخطوط، وفى هامش المخطوط «شأنى».

أى الصبيان؟

قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذى نضر الله به وجهى، وأغنى عيلتى، ربيته حتى إذا أدركت فيه سرورى وأملى أتيت به لأرده، وأخرج هذا من أمانته، اختلس من بين يدى قبل أن يمس قدمه الأرض، واللات والعزى لئن لم أره لأرمين بنفسى من شاهق الجبل، فلأقطعنّ إربًا إربًا.

قالوا: ما رأينا شيئًا، فلما آيسونى وضعت يدى على أم رأسى، وقلت: وا محمداه، وا ولداه، فأبكيت الجوارى الأبكار لبكائى، وضجّ الناس معى بالبكاء حرقة لى، فإذا أنا بشيخ كالفانى يتوكأ على عصا، قال: مالك أيتها السعدية؟

قلت: فقدت ابنى محمداً، فقال: لا تبكى أنا أدلك على من يعلم علمه، وإن شاء أن يردّه فعل، قلت: فدتك نفسى، ومن هو؟ قال: الصنم الأعظم هبل.

قالت: فدخل وأنا أنظر، فطاف بهبل وقبّل رأسه وناداه: يا سيداه، لم تزل منتك على قريش قديمة، وهذه السعدية تزعم أن ابنًا لها قد ضل، فرده إن شئت، وأخرج هذه الوحشة عن بطحاء مكة، فإنها تزعم أن ابنها محمداً قد ضلّ، قال: فانكب هبل على وجهه، وتساقطت الأصنام، وقالت: إليك عنّا أيها الشيخ. إنما هلاكنا على يدى محمد.

قالت: فأقبل الشيخ أسمع لأسنانه اصطكاكًا، ولركبته ارتعاداً، وقد ألقى عكازته من يده وهو يقول: يا حليمة إن لابنك ربًا لا يضيعه فاطلبيه على مهل، قالت: فخفت أن يبلغ الخبر عبد المطلب قبلى، فقصدته فلمّا نظر إلى، قال: أسعد نزل بكِ أم نحوس؟، قلت: بل النحس الأكبر، ففهمها منّى، وقال: لعل ابنك ضلّ منك، قالت: قلتَ: نعم فظنّ أن بعض قريش قد اغتاله، فسل عبد المطلب سيفه لا يثبت له أحد من شدة غضبه، ونادى بأعلى صوته: يا آل غالب، يا آل غالب، وكانت دعوتهم فى الجاهلية فأجابته قريش بأجمعها، وقالوا: ما قصتك؟، قال: فقد ابنى محمد، قالت قريش: اركب نركب معك، فإن تسنمت جبلاً تسنمناه معك، وإن خضت بحراً خضناه معك، فركب وركبت قريش معه فأخذ على أعلى مكة وانحدر على أسفلها، فلما أن لم ير شيئًا ترك الناس واتشح وارتدى بآخر، وأقبل البيت الحرام، فطاف أسبوعًا[1] ثم أنشأ يقول:

يا ربّ ردّ راكبى محمداً ... ردّه ربى واتخذ عندى يدا
يا ربّ إنْ محمد لم يوجدا ... مجمع قومى كلّهم مبدّدا

(١) أى سبع أشواط.

فسمعنا مناديًا ينادى من الهواء(١): معاشر الناس لا تضجوا، فإن لمحمد ربًا لا يخذله ولا يضيعه، قال عبد المطلب: يا أيها الهاتف ومن لنا به وأين هو؟، قال بوادى تهامة عند شجرة اليمن. فأقبل عبد المطلب راكبًا متسلحًا، فلمّا صار فى بعض الطرق تلقاه ورقة بن نوفل فصارا جميعًا يسيران، فبينما هم كذلك إذ النبى ﷺ قائم تحت شجرة يجذب الأغصان ويعبث بالورق، قال له عبد المطلب: من أنت يا غلام؟

قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال عبد المطلب: فدتك نفسى وأنا جدّك، ثم حمله على قربوس سرجه وردّه إلى مكة واطمأنت قريش بعد ذلك(٢).

وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة، فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء على ناقة إذ جاء إبليس، وأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة وردّه إلى القافلة، فمنّ الله عليه بذلك.

وقيل: وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل لا تعرف الطريق، فهداك إلى ساق العرش.

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنى ابن حبيش قال: قال بعض أهل الكلام فى قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾: إن العرب إذا وجدت شجرة فى فلاة من الأرض وحيدة ليس معها ثانية يسمونها: ضالة، فيهتدون بها إلى الطريق.

قال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أى: وحيدًا ليس معك نبى غيرك فهديت بك الخلق إلى، وقال عبد العزيز بن يحيى ومحمد بن على الترمذى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ ووجدك خاملا لا تُذكر ولا يُعرف من أنت، فهداهم إليك حتى عرفوك، وأعلمهم بما منّ به عليك.

قال بسام بن عبد الله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ نفسك لا تدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك، وقال أبو بكر الورّاق وغيره: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ بحب أبى طالب فهداك إلى حبّه، وغيره: وجدك محبًا فهداك إلى محبوبك، دليله قوله سبحانه، إخبارًا عن إخوة يوسف ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ (يوسف: ٩٥) أى فرط الحب ليوسف.

---

(١) كذا فى متن المخطوط، وبهامشه تعليق عليها أو تصحيح لها نصه: السماء.

(٢) هذا خبر عن كعب الأحبار، وكعب الأحبار فيه من الكلام ما فيه، فمثل هذه الأخبار لا ينظر إليها بعين الاعتبار، وعلى العموم فأغلب ما كان قبل بعثه ﷺ لا يهم فى كثير من الأحيان وأغلبها، والله أعلم.

وقيل: وجدناك ناسيًا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح، دليله قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ (البقرة: ٢٨٢) أى تنسى، وقال سهل: وجد نفسك نفس الشهوة والطبع، فغيّره إلى سبيل المعرفة والشرع، قال جنيد: وجدك متحيرًا فى بيان الكتاب المنزل عليك فهداك لبيانه، لقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤)، وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ (النحل: ٦٤).

قال بندار بن الحسين: ليس قائمًا مقام الاستدلال فتعرفت إليك، وأغنيتك بالمعرفة عن الشواهد والأدلة، وقيل: وجدك طالبًا لقبلتك ضالا عنها فهداك إليها.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾: فقيرًا عديمًا فأغناك بمال خديجة، ثم بالغنائم، وقال مقاتل: فرضناك بما أعطاك من الرزق، وقرأ ابن السميقع: وجدك عيّلا بتشديد الياء من غير ألف على وزن فيعل، كقولك: طاب يطيب فهو طيب. وعن ابن عطاء: وجدك فقير النفس، وقيل: فقيرًا إليه فأغناك به، وقيل: غنيًا بالمعرفة فقيرًا عن أحكامها، فأغناك بأحكام المعرفة حتى تم لك الغنى.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حبيش، عن بعضهم أنه قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ تعول الخلق بالعلم فأغناك بالقرآن والعلم والحكمة، وقال الأخفش: وجدك ذا عيال. دليله قوله ﷺ: «وابدأ بمن تعول».

عن ابن عطاء: لم يكن معك كتاب ولا شريعة فأغناك بهما، وقيل: وجدك عائلا عن الصحابة محتاجًا إليهم، فأكثر لك الإخوان والأعوان، وحذف الكاف من قوله فآوى وأختيها لمشاكلة رؤوس الآى، ولأن المعنى معروف.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: واذكر يتمك، وقرأ النخعى والشعبى: فلا تكهر، بالكاف، وكذلك هو فى مصحف عبد الله، والعرب تعاقب بين القاف والكاف، يدل عليه حديث معاوية بن الحكم الذى تكلم فى الصلاة قال: ما كهرنى، ولا ضربنى[1].

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن مالك قال: حدّثنا ابن حنبل قال: حدّثنى أبى قال: حدثنا إسحاق بن عيسى قال: حدّثنا مالك، عن ثور بن زيد الديلمى قال: سمعت أبا الغيث يحدّث، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كافل اليتيم - له أو لغيره - أنا وهو كهاتين فى الجنّة إذا اتقى الله سبحانه». وأشار مالك بالسبابة والوسطى.

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن يوسف قال: حدثنا الحسن بن على بن نصر الطوسى

---

(١) يريد الحديث المشهور عن النهى عن الكلام فى الصلاة فقال هذا الصحابى فى نهايته: فلا والله ما كهرنى ولا ضربنى، أى ما أحرجنى ولا شتمنى، ولا عاتبنى ولا أمر بضربى، والله أعلم.

قال: حدثنا جعفر بن محمد بن الفضل برأس العين قال: حدّثنا إبراهيم بن زكريا قال: حدّثنا الحسين بن أبى جعفر، عن على، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن، فيقول الله سبحانه لملائكته: يا ملائكتى! من أبكى هذا اليتيم الذى غيبت أباه فى التراب؟ فيقول الملائكة: ربنا أنت أعلم، فيقول الله: يا ملائكتى! فإنى أشهدكم أنّ لمن أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة» فكان عمر إذا رأى يتيمًا مسح رأسه، وأعطاه شيئًا».

وأخبرنى عبد الله بن حامد الأصفهانى، حدثنا صالح بن محمد قال: حدّثنا سليمان بن عمرو، عن أبى حزم، عن أنس بن مالك قال: من ضمّ يتيمًا فكان فى نفقته وكفاه مؤونته كان له حجابًا من النار يوم القيامة، ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: فلا تزجر لكن بدّل يسيراً وردّ جميلا، واذكر فقرك.

وأخبرنا عبد الله بن حامد فيما أجاز لى روايته عنه قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الحلوانى قال: حدثنا العباس بن عبد الله قال: حدّثنا سعيد أبو عمرو البصرى قال: حدثنا سهل بن أسلم العنبرى، عن الحسن فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ قال: أما أنه ليس بالسائل الذى يأتيك لكن طالب العلم.

وأخبرنى عبد الله بن حامد الأصفهانى قال: حدثنى العباس بن محمد بن قوهيال قال: حدّثنا حاتم بن يونس قال: حدّثنى عبيد بن تعيش قال: سمعت يحيى بن آدم يقول: وأمّا السائل فلا تنهر، قال: إذا جاءك الطالب للعلم فلا تنهره.

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا أبو حذيفة قال: حدّثنا أبو عروبة قال: حدثنا يحيى بن حكيم والحسين بن سلمة بن أبى كبشة قالا: حدثنا أبو قتيبة قال: حدثنا الحسن بن على الهاشمى، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «لا يمنعن أحدكم السائل أن يعطيه إذا سأل وإن رأى فى يده قلبين من ذهب».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبة قال: حدثنا عبد الله بن أحمد الكسائى قال: حدّثنا أحمد بن ثابت بن غياث قال: حدثنا إبراهيم بن الشماس قال: حدّثنا أحمد بن أيوب الضبى، عن إبراهيم بن أدهم قال: نعم القوم السُّؤّال، يحملون زادنا إلى الآخرة.

وقال إبراهيم: السائل يريد الآخرة يجىء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون إلى أهليكم بشىء.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا الحسن بن على بن زكريا

القرشي قال: حدثنا هدبة بن خالد قال: حدثنا صبان بن على قال: حدثنا طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رددت السائل ثلاثًا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره».

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: يعنى النبوّة، عن مجاهد ابن أبى نجيح عنه قال: القرآن، وإليه ذهب الكلبى، وحكم الآية عام فى جميع الإنعام.

أخبرنى الغنجوى قال: حدثنا القطيعى قال: حدثنا ابن حنبل قال: حدثنى أبو عمرو الأزدى قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا نوح بن قيس قال: حدثنى نصر بن على وقال: كان عبد الله بن غالب إذا أصبح يقول: لقد رزقنى الله البارحة خيرًا، قرأت كذا وصليت كذا، وذكرت الله كذا وفعلت كذا، فيقال له: يا أبا فراس إن مثلك لا يقول مثل هذا فيقول: الله سبحانه يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: وتقولون أنتم: لا تحدّث بنعمة ربك.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن مالك قال: حدثنا شبر بن موسى قال: حدثنا عبد الله ابن يزيد المقرى قال: حدثنا أبو معمر، عن بكر بن عبد الله المزنى أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطى خيراً فلم ير عليه سُمى بغيض الله معاديًا لنعمه».

وأخبرنا الحسن قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدّثنا أبو القاسم بن منيع قال: حدثنا منصور بن أبى مزاحم قال: حدثنا وكيع، عن أبى عبد الرحمن يعنى القاسم بن وليد، عن الشعبى، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب».



سورة الشرح

مكية، وهى مائة وثلاثة أحرف،
وسبع وعشرون كلمة، وثمانى آيات

أخبرنا أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن على الجرجانى قال: حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إبراهيم قال: حدثنى أبو بكر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم البصرى قال: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال: حدثنا أبو عوانة، عن عاصم بن بهدلة، عن زرّ بن حبيش، عن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: ألمْ نفتح ونوسّع ونليّن لك قلبك بالإيمان والنبوّة والعلم والحكمة.

﴿وَوَضَعْنَا﴾: وحططنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾: أثقل ظهرك فأوهنه، ومنه قيل للبعير إذا كان رجيع سفر قد أوهنه وأنضاه: نقض. وقال الفراء: كسر ظهرك حين سمع نقيضه: أى صوته، قال الحسن وقتادة والضحّاك: يعنى ما سلف منه فى الجاهلية، وقال الحسين بن الفضل: يعنى الخطأ والسهو، وقيل: ذنوب أُمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بها واهتمامه لها، وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة: يعنى خفّفنا عليك أعباء النبوة والقيام بأمرها، وقيل: وعصمناك عن احتمال الوزر.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: أخبرنا عبد الخالق بقراءتى عليه قال: حدثنا ابن جنب قال: حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل قال: حدثنا صفوان يعنى ابن صالح الثقفى أبو عبد الملك قال:

حدثنا الوليد يعني ابن مسلم قال: حدثني عبد الله بن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ قال: «قال الله سبحانه: إذا ذكرتُ، ذكرتَ معي».

وحدثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ قال: حدثنا إسماعيل بن أحمد الجرجاني قال: أخبرنا عمران بن موسى قال: حدثنا أبو معمر قال: حدّثنا عباد، عن عوف، عن الحسن في قوله: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ قال: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي، وقال قتادة: يرفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلاّ ينادي بها: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله، وقال مجاهد: يعني بالتأذين، وفيه يقول حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ:

أغرّ عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهورٌ يلوح ويشهدُ
وضمَّ الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذّن أشهد

وقال ابن عطاء: يعني جعلت تمام الإيمان بي بذكرك، وقيل: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ عند الملائكة في السماء، وقيل: بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله، وقال ذو النون: همم الأنبياء تجول حول العرش وهمّة محمد ﷺ فوق العرش، لذلك قال: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾، فذكره ذكره، ومفزع الخلق يوم القيامة إلى محمد ﷺ كمفزعهم إلى الله، لعلمهم بجاهه عنده.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾: أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين، ومزاولة ما أنت بسبيله يسراً ورخاءً بأن يظهرك عليهم، حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به طوعًا وكرهًا.

﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾: كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء، وقيل: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾: في الدنيا، ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾: في الآخرة.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدّثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا عثمان قال: حدثنا ابن عليّة، عن يونس، عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية، قال: رسول الله ﷺ: «أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عُسْرٌ يُسرَين».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عمر بن الخطاب[1] قال: حدثنا علي بن مرداراد الخياط قال: حدثنا قطن بن بشير قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن رجل، عن إبراهيم النخعي:

(١) بعده في المخطوط عبارة (رضي الله عنه) فحذفتها لكونه ليس بالصحابي المعروف. وحتى لا تحدث العبارة لبسًا بينهما، ثم إن الناسخ كتب بالهامش تعليقًا عبارة: «ليس بعمر».

قال: قال ابن مسعود: والذى نفسى بيده، لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنّه لن يغلب عسرٌ يسرين، إنّه لن يغلب عسر يسرين.

قال العلماء فى معنى هذا الحديث: لأنه عرّف العسر ونكّر اليسر، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسمًا معرفة ثم أعادته فهو هو، وإذا نكرته ثم كررته فهما اثنان، وقال الحسن بن يحيى ابن نصر الجرجانى صاحب كتاب (النظم) وهو يكلم الناس فى قوله ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين» فلم يحصل على غير قولهم: إن العسر معرفة واليسر نكرة مكررة، فوجب أن يكون عسر واحد ويسران، وهذا قول مدخول إذ لا يجب على هذا التدريج إذا قال الرجل: إنّ مع الفارس سيفًا إنّ مع الفارس سيفًا أن يكون الفارس واحدًا والسيف اثنين، ولا يصح هذا فى نظم العربية.

فمجاز قوله: «لن يغلب عسر يسرين» أن الله بعث نبيه ﷺ مقلاّ مخففًا فعيّره المشركون لفقره، حتى قالوا أنجمع لك مالا؟ فاغتم، فظن أنهم كذبوه لفقره، فعزاه الله سبحانه وتعالى وعدد عليه نعماءه ووعده الغنى فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ إلى قوله: ﴿ذِكْرَكَ﴾، فهذا ذكر امتنانه عليه، ثم ابتدأ ما وعده من الغنى ليسليه مما خامر قلبه، فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، والدليل عليه دخول الفاء فى قوله: (فإنّ) ولا يدخل الفاء أبدًا إلاّ فى عطف أو جواب.

ومجازه: لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسرًا فى الدنيا عاجلاً، ثم أنجزه ما وعده وفتح عليه القرى العربية، ووسّع ذات يده، حتى يهب المائتين من الإبل، ثم ابتدأ فضلا آخر من الآخرة فقال تأسيةً له: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، والدليل على ابتدائه تعريّه من الفاء والواو وحروف النسق فهذا عام لجميع المؤمنين، ومجازه: إنّ مع العسر فى الدنيا للمؤمنين يسرًا فى الآخرة لا محالة، فقوله: «لن يغلب عسر يسرين»! أى لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذى وعد الله المؤمنين فى الدنيا، واليسر الذى وعدهم فى الآخرة، إنما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا، فأمّا يسر الآخرة فدائم غير زائل؛ اى لا يجمعهما فى الغلبة، كقوله ﷺ: «شهرا عيد لا ينقصان» أى لا يجتمعان فى النقصان.

وقال أبو بكر الوراق: إن مع اجتهاد الدنيا جزاء الجنة، قال القاسم: يزاد أهل السعادة من أشجان الدنيا إلى رضوان العقبى، وقراءة العامة بتخفيف السينين، وقرأ أبو جعفر وعيسى، بضمهما، وفى حرف عبد الله: إنّ مع العسر يسرًا، مرة واحدة غير مكررة.

أخبرنى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد الرمجاوى وأبو الحسن على بن محمد ابن محمد البغدادى قالا: حدثنا محمد بن يعقوب الأصم قال: حدثنا أحمد بن شيبان الرملى

قال: حدثنا عبد الله بن ميمون القداح قال: حدثنا شهاب بن خراش، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس قال: أُهدى للنبى ﷺ بغلة، أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفنى خلفه، ثم سار بى مليًّا، ثم التفت إلى فقال لى: «يا غلام»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك، لما قدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإنّ لم تستطع فاصبر، فإنّ فى الصبر على ما يُكره خيرًا كثيرًا، واعلم أنّ مع الصبر النصر، وأنّ مع الكرب الفرج و ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابورى يقول: سمعت أبا على محمد ابن عامر البغدادى يقول: سمعت عبد العزيز بن يحيى يقول: سمعت عمى يقول: سمعت العتبى يقول: كنت ذات يوم فى البادية بحالة من الغم فألقى فى روعى بيت شعر فقلت:

أرى الموت لن أصبح ولاح ... مغمومـــا له أروح

فلمّا جنّ الليل سمعت هاتفًا يهتف، من السماء(١).

ألا يا أيّها المرءُ الـ ... ـذى الهمُّ به برّح

وقد أنشد بيتًا لم ... يزل فى فكره يسنح

إذا اشتدّ بك العسر ... ففكّرْ فى ألم نشرح

فعسرٌ بين يسرين ... إذا فكّرتها فافرح

قال: فحفظت الأبيات، وفرّج الله غمى.

وأنشدنا أبو القاسم الحبيبى قال: أنشدنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إسحاق الجيزنجى قال: أنشدنا إسحاق بن بهلول القاضى:

فلا تيأس(٢) وإن أُعسرت يومًا ... فقد أُيسرت فى دهر طويل

ولا تظننّ بربك ظنّ ســـوء ... فإن الله أولى بالجميـــل

فإنّ العسرَ يتبعـــه يســـارٌ ... وقول الله أصدق كل قيل

وأنشدنى أبو القاسم الحبيبى قال: أنشدنى محمد بن سليمان بن معاذ الكرخى قال: أنشدنا

(١) فى هامش المخطوط: «الهواء».

(٢) فى متن المخطوط: «فلا تايس». وأثبت ما بالهامش منه.

أبو بكر الأنباري:

إذا بلغ العسر مجهوده فثق عند ذاك بيسر سريع
ألم تر بخس الشتاء القطيع يتلوه سعد الربيع البديع

ولزيد بن محمد العلوي:

إن يكن نالك الزمان ببلوى عظمت شدّة عليك وجلّت
وتلتها قوارع باكيات سئمت دونها الحياة وملّت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها فالرزايا إذا توالت[1] تولّت
وإذا أوهنت قواك وحلّت كُشفتْ عنك جملة فتخلّت

وقال آخر:

إذا الحادثات بلغن المدى وكادت تذوب لهنّ المهجْ
وحلّ البلاء وقلّ الرجاء فعند التناهي يكون الفرجْ

وأنشدني أبو القاسم الحسن بن محمد السلوسي قال: أنشدني أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي النسابة قال: أنشدني سليمان بن أحمد الرقي:

توقع إذا ما عرتك الخطوب سروراً يسيّرها عنك قسراً
ترى الله يخلف ميعاده وقد قال: إن مع العسر يُسراً

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾: قال ابن عباس: إذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك في الدعاء، واسأله حاجتك وارغب إليه. ابن أبي نجيح، عن مجاهد: إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك إلى ربك الضحاك: إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء، وأنت جالس قبل أن تسلم. قتادة: أمره أن يبالغ في دعائه إذا فرغ من صلاته، عن الحسن: إذا فرغت من جهاد عدوك، فانصب في عبادة ربك. عن زيد بن أسلم: إذا فرغت من جهاد العرب وانقطع جهادهم، فانصب لعبادة الله وإليه فارغب، عن منصور، عن مجاهد إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصلِّ.

وأخبرنا محمد بن عبدوس قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا محمد بن الحميم قال: حدثني الفراء قال: حدثني قيس بن الربيع، عن أبي حصين قال: مرّ شريح برجلين يصطرعان فقال: ليس بهذا أُمر الفارغ، وإنما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾. قال الفراء: فكأنه في قول شريح إذا فرغ الفارغ من الصلاة أو غيرها.

(١) في متن المخطوط: «تولت»، والتصويب من هامشه.

وقوله: ﴿فَٱنصَبۡ﴾ من النصب، وهو التعبد والدأب فى العمل وقيل: أمر بالقعود للتشهد إذا فرغ من الصلاة والانتصاب للدعاء. عن حيان، عن الكلبى إذا فرغت من تبليغ الرسالة، فانصب: أى استغفر لذنبك وللمؤمنين. عن جنيد: فإذا فرغت من أمر الخلق، فاجتهد فى عبادة الحق. عن أبى العباس بن عطاء، فإذا فرغت من تبيلغ الوحى، فانصب فى طلب الشفاعة.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾: فى جميع أحوالك لا إلى سواه، وقيل: إذا فرغت من أشغال الدنيا، ففرّغ قلبك لهموم العقبى عن جعفر اذكر ربك على فراغ منك عن كل ما ودنه، وقيل: إذا فرغت من العبادة، فانصب إلى الإعراض عنها مخافة ردّها عليك، وإلى ربّك فارغب والاستغفار لعملك كالخجل المستحى.

أخبرنا الشيخ أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعى المقرى قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المزنى قال: حدثنا الوليد بن بيان ويحيى بن محمد بن صاعد ومحمد بن أحمد السطوى قال: حدثنا ابن أبى برة قال: حدثنا عكرمة بن سليمان، قال: قرأت على إسماعيل بن عبد الله، فلما بلغت إلى والضحى قال: كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة، فإنى قرأت على شبل بن عباد وعلى بن عبد الله بن كثير، فأمرانى بذلك.

قال: وأخبرنى عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد، فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أُبى بن كعب، فأمره بذلك، وأخبره أُبىّ بن كعب أنه قرأ على النبى ﷺ، فأمره بذلك.



سُورَةُ التِّينِ

مكية، وهى ثمانمائة وخمسون حرفًا،
وأربع وثلاثون كلمة، وثمانى آيات

أخبرنى أبو الحسين الخبازى غير مرّة قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن أبى ميثم الجرجانى وأبو الشيخ قال: حدّثنا أبو إسحاق بن ميثم بن شريك قال: حدثنا أحمد بن يونس قال: حدثنا سلام بن سليم قال: حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبى أمامة، عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والتين أعطاه الله سبحانه خصلتين: العافية واليقين ما دام فى دار الدنيا، فإذا مات أعطى الله سبحانه من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم وعطاء بن أبى رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبى: هو تينكم هذا الذى تأكلون، وزيتونكم هذا الذى تعصرون منه الزيت.

أخبرنى الحسين قال: حدّثنا السّنى قال: وجدت فى كتاب أبى: حدّثنا القاسم بن أبى الحسين الزبيدى قال: حدثنا سهل بن إبراهيم الواسطى، عن عيسى بن يونس، عن الأوزاعى، عن يحيى بن أبى كثير قال: حدثنى الثقة عن أبى ذر قال: أُهدى للنبى ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا، ثم قال: لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت: هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبة قال: حدثنا يوسف بن أحمد أبو يعقوب قال:

حدثنا العباس بن أحمد بن أحمد بن على قال: حدثنا معلل بن نفيل الحدانى قال: حدثنا محمد بن محصن، عن إبراهيم بن أبى عبلة، عن عبد الله بن الديلمى، عن عبد الرحمن بن غنم قال: سافرت مع معاذ بن جبل، فكان يمرّ بشجرة الزيتون فيأخذ منها القضيب فيستاك به ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة، يطيب الفم، ويذهب بالحفر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هى مسواكى ومسواك الأنبياء قبلى».

وقال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وعبد الرحمن بن غنيم: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس. عن الضحّاك: هما مسجدان بالشام. عن محمد بن كعب: التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيليا، ومجازه على هذا التأويل، منابت التين والزيتون. أبو مكين، عن عكرمة: جبلان. عن عطية، عن ابن عباس: التين: مسجد نوح الذى بناه على الجودى، والزيتون: بيت المقدس. عن نهشل، عن الضحاك: التين: المسجد الحرام.

والزيتون: المسجد الأقصى.

وسمعت محمد بن عبدوس يقول: سمعت محمد بن الحميم يقول: سمعت الفرّاء يقول: سمعت رجلا من أهل الشام وكان صاحب تفسير قال: التين: جبال ما بين حلوان إلى همدان، والزيتون: جبال الشام.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: يعنى جبل موسى، قال عكرمة: السينين: الجسر بلغة الحبشة. الحكم والنضر عنه: كل جبل ينبت فهو طور سينين، كما ينبت فى السهل كذلك ينبت فى الجبل، وعن مجاهد: الطور الجبل، وسنين: المبارك. وعن قتادة: المبارك الحسن.

عن مقاتل: كل جبل فيه شجرة مثمرة فهو سينين وسينا وهو بلغة النبط. عن الكلبى: يعنى الجبل المشجر. عن شهر بن حوشب: التين: الكوفة، والزيتون الشام، وطور سنين: جبل فيه ألوان الأشجار.

قال عبد الله بن عمر: أربعة أجبال مقدّسة بين يدى الله سبحانه، طور تينا وطور زيتا وطور سينا وطور يتمانا، فأما طور تينا فدمشق، وأما طور زيتا فبيت المقدس، وأما طور سينا فهو الذى كان عليه موسى، وأما طور يتمانا فمكة.

أخبرنا أبو سفيان الحسين بن محمد بن عبد الله المقرى قال: حدثنا البغوى ببغداد قال: حدثنا ابن أبى شيبة قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا وكيع عن أبيه وسفيان، عن أبى إسحاق، عن عمرو قال: سمعت عمر بن الخطاب يقرأ بمكة فى المغرب: والتين والزيتون

وطور سيناء، قال: فظننت أنه إنما يقرؤها ليعلم حرمة البلد.

﴿وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾: الآمن، يعنى مكة، وأنشد الفراء:

ألم تعلمى يا أسم ويحك إننى حلفت يمينًا لا أخـون أمينى

يريد آمنى.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل شىء منكبًا على وجهه إلاّ الإنسان. وقال أبو بكر بن ظاهر: مزينًا بالعقل، مؤدبًا بالأمر، مهذبًا بالتمييز، مديد القامة، يتناول مأكوله بيده.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾: يعنى إلى أرذل العمر، ينقص عمره ويضعف بدنه ويذهب عقله.

قال ابن عباس: إن نفرًا ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ فأنزل الله عذرهم وأخبر أن لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم.

قال عكرمة: لم يضرّ هذا الشيخ الهرم كبره إذا ختم الله تعالى له بأحسن ما كان يعمل. قال أهل المعانى: السافلون: الضعفى والهرمى والزمنى، فقوله: ﴿أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾ نكرة تعمّ الجنس، كما تقول: فلان أكرم قائم، فإذا عرّفت قلت: القائمين.

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران قال: حدثنا جعفر بن محمد الفرابى قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا خالد الزيات قال: حدثنا داود أبو سليمان، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الأنصارى، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالديه، فإن عمل سيئة لم تكتب عليه، ولا على والديه، فإذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم، أمر الله الملكين اللذين معه يحفظانه ويسدّدانه، فإذا بلغ أربعين سنة فى الإسلام آمنه الله سبحانه من البلايا الثلاث: من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين خفف الله حسابه، فإذا بلغ ستين رزقه الله الإنابة إليه فيما يحب، فإذا بلغ سبعين أحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفّعه فى أهل بيته، وكان اسمه أسير الله فى الأرض، فإذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا، كتب الله سبحانه له مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير، وإن عمل سيئة لم تكتب عليه».

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: يعنى ثم رددناه إلى النار. وقال أبو العالية: يعنى إلى النار فى شر صورة، فى صورة خنزير.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدّثنا محمد بن عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن حواس قال: حدثنا أبو الأحوص، عن أبى إسحاق، عن هبيرة، عن على قال: أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، فيبدأ بالأسفل فيُملأ، فهى أسفل السافلين، وفى مصحف عبد الله، (أسفل السافلين) بالألف. ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: يعنى ثم رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا تثبت لهم حسنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: منهم، فإنه يكتب لهم فى حال هرمهم وخرفهم مثل الذى كانوا يعملونه فى حال شبابهم وصحتهم وقوّتهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: قال الضحاك: أجر بغير عمل، ثم قال: إلزامًا للحجة وتوبيخًا للكافر.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾: أيها الإنسان ﴿بَعْدُ﴾ هذه الحجة والبرهان ﴿بِٱلدِّينِ﴾: بالحساب والجزاء.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾: قال قتادة: بلغنا أن نبى الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين».



سُورَةُ العَلَق

مكية، وهى مائتان وثمانون حرفًا،
واثنتان وسبعون كلمة، وتسع عشرة آية

أخبرنا الخبازى قال: حدثنا ابن حيان قال: أخبرنا الفرقدى قال: حدثنا إسماعيل بن عمرو قال: حدثنا يوسف بن عطية قال: حدثنا هارون بن كثير قال: حدّثنا زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبى أمامة، عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فكأنّما قرأ المفصّل كله».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾: أى الدم، واحدتها علقة، وإنما جمع ولفظ الإنسان واحد، لأنه فى معنى الجمع، وهذه أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ من القرآن، وأول ما نزل منها خمس آيات من أولها إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وعلى هذا أكثر العلماء.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون وعبد الله بن حامد قال: أخبرنا ابن الشرقى قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى قال: أخبرنى عروة عن عائشة أنها قالت: أوّل ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم، فكان

لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب الله إليه الخلاء، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد فى الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده بمثلها، حتى فجأه الحق، وهو فى غار حراء.

قال: فجاءه الملك وقال: اقرأ فقال رسول الله ﷺ: «فقلت له: ما أنا بقارئ قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية، حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ باسم ربّك الذى خلق، حتى بلغ، ما لم يعلم».

فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زمّلونى زمّلونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: «يا خديجة ما لى؟» وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت علىّ؟ قالت له: كلاّ أبشر، فوالله لا يحزنك الله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتُقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وهو ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى، فقالت خديجة: أى ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة بن نوفل: يابن أخى ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ، ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذى أُنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذع، ليتنى أكون حيًا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجى هم؟»، فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلاّ عُودى وأُوذىَ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث[1] ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنًا غدا منه مرارًا كى يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى[2] بذروة جبل لكى يلقى نفسه منها تبدّى له جبريل (عليه السلام) فقال: يا محمد إنك رسول الله حقًا، فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا بمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك[3].

---

(١) فى الهامش: «يثبت».

(٢) فى الهامش: «وافا».

(٣) مثل هذا القول لا يجوز فى حق رسول الله ﷺ، ولا يليق أن يذكر مثل هذا عنه وكلنا يعلم أن الأحاديث فيها ما فيها مما هو موضوع وضعيف وليس هذا مقام تفصيل ذلك.

قال الزهرى: أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبى ﷺ يحدّث عن فترة الوحى فقال فى حديثه: «فبينما أنا أمشى سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض، فجثيت منه رعبًا، فرجعت فقلت: زمّلونى، زملونى، فدثرونى» وأنزل الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾. قبل: أن تفرض للصلاة، وهى الأوثان، ثم كان ما نزل على رسول الله ﷺ من القرآن بعد اقرأ والمدثر، ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ثم: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

أخبرنى عقيل أن أبا الفرج أخبرهم، عن ابن جرير قال: حدثنا ابن أبى الشوارب قال: حدثنا عبد الواحد قال: حدثنا سليمان الشيبانى قال: حدثنا عبد الله بن شداد قال: نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[1]، ثم[2] أبطأ عليه جبريل، فقالت له خديجة، ما أرى إلاّ قد قلاك، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكى قال: حدثنا عبد الرحمن بن بشير قال: حدثنا سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة قالت: إن أول سورة نزلت ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثنا على بن حرب قال: حدثنا أبو عمر العقدى، عن قرّة بن خالد، عن أبى رجاء العطاردى قال: كان أبو موسى يُقرئُنا القرآن فى هذا المسجد فنقعد له حلقًا حلقًا، كأنى أنظرُ إليه الآن فى ثوبين أبيضين، فعنه أخذت هذه السورة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

وقال: كانت أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب.

أخبرنا محمد بن حمدويه وعبد الله بن حامد قالا: حدّثنا محمد قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبى ميسرة عمرو بن شرحبيل أنّ رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إنى إذا خلوت وحدى سمعتُ نداءً وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرًا».

فقالت: معاذ الله، ما كان الله عزّ وجلّ ليفعل بك ذاك، فوالله إنّك لتؤدّى الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث.

(١) هذه نهاية الصفحة (٩٠/ أ) حسب ترقيم المخطوط.

(٢) وهذه بداية الصفحة (١٢١/ ب) حسب ترقيم المخطوط.

فلمّا دخل أبو بكر رضى الله عنه وليس رسول الله ﷺ فى الدار ثم ذكرت خديجة له وقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل، فلمّا دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده وقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: «من أخبرك؟» فقال: خديجة. فانطلقا إليه فقصّ عليه فقال: «إذا خلوت وحدى سمعت نداءً خلفى: يا محمد يا محمد فأنطلق هاربًا فى الأرض».

فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتنى فأخبرنى، فلمّا خلا ناداه يا محمد قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى بلغ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قل: لا إله إلا الله، فأتى ورقة فذكر ذلك له، فقال له ورقة: أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنّك الذى بشّر به ابن مريم، وأنّك على مثل ناموس موسى، وأنّك نبى مرسل، وأنّك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركنى ذلك لأجاهدنّ معك، فلمّا توفى ورقة قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت القس فى الجنة، عليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدّقنى» يعنى ورقة، قالوا: وقال ورقة:

فإن يك حقًا يا خديجة فاعلمى	حديثك إيّانا فأحمد مرسلُ
وجبريل يأتيه وميكال معْهما	من الله وحىٌ يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزٌّ لدينه	ويشقى به الغاوى الشقىّ المضلل
فريقان منهم فرقة فى جنانه	وأُخرى بأغلال الجحيم تغلغل

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: قال الكلبى: يعنى الحليم عن جهل العباد ولا يعجل عليهم بالعقوبة ﴿الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾: يعنى الخط والكتاب.

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شيبة قال: حدثنا ابن ماهان قال: حدثنا محمد بن أيوب بن هشام المزنى قال: حدثنا أبو الحسن عاصم بن على بن عاصم وعبد الله بن عاصم الجمانى قالا: حدّثنا محمد بن راشد عن مسلم بن موسى قال: أخبرنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قلت: يا نبى الله أكتب ما أسمع منك من الحديث؟ قال: «نعم، فاكتب فإنّ الله علم بالقلم».

﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: من البيان والعمل، قال قتادة: العلم نعمة من الله، لولا العلم لم يقم دين ولم يصلح عيش ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: من أنواع الهدى والبيان. وقيل: علّم آدم الأسماء كلها، وقيل: الإنسان ها هنا محمد ﷺ، بيانه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ (النساء: ١١٣).

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ ليتجاوز حدّه ويستكبر على ربّه ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾: قال الكلبى: يرتفع من منزلة فى اللباس والطعام وغيرهما، وكان رسول الله ﷺ يقول: «أعوذ بك من فقر

يُنسى ومن غنى يُطغى».

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ : المرجع فى الآخرة ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ نزلت فى أبى جهل ـ لعنه الله ـ نهى النبى ﷺ عن الصلاة حتى فرضت عليه.

أخبرنا عبد الله بن حامد فقال: أخبرنا أحمد بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن يعقوب بن إبراهيم الدورقى قال: حدثنا معمر بن سليمان عن أبيه قال: حدثنا نعيم بن أبى مهند عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟

قالو: نعم، قال: فوالذى يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن رقبته.

قال فما فجأهم منه إلاّ يتقى بيديه وينكص على عقبيه، قال: فقالوا له: ما ذاك يا أبا الحكم؟ قال: إن بينى وبينه خندقًا من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، فأنزل الله سبحانه ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ : أبو جهل لعنه الله ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ : لنأخذن بمقدم رأسه فَلَنُذلَّنّهُ، ثم قال على البدل: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

قال ابن عباس: لمّا نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ وقال: أبو جهل: أتُهدّدنى؟ فوالله لأملأن عليك إن شئت هذا خيلا جردًا أو رجالا مردًا، فأنزل الله سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ أى قومه: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ قال النبى ﷺ: «لأخذته الزبانية عيانًا».

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ : وصلّ واقترب من الله سبحانه وتعالى.



سُورَةُ القَدْرِ

مدنية فى قول أكثر المفسرين
وهى مائة واثنا عشر حرفًا وثلاثون كلمة وخمس آيات

قال على بن الحسين بن واقد: هى أول سورة نزلت بالمدينة، وروى شيبان عن قتادة أنها مكية، وهى رواية نوفل بن أبى عقرب عن ابن عباس.

أخبرنا الخبازى قال: حدثنا ابن حبيش قال: حدثنى أبو العباس محمد بن موسى الدقاق الرازى قال: حدثنا عبد الله بن روح المدائنى عن بكر بن سواد قال: حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد عن زر بن حبيش عن أُبى قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القدر أُعطى من الأجر كمن صام رمضان، وأُعطى إحياء ليلة القدر».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: يعنى القرآن كناية فى غير مذكور، جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعناه فى بيت العزّة وأملاه جبريل على السَّفَرة ثم كان يُنزله جبريل على محمد (عليهما السلام) بنحو ما كان، من أوّله إلى آخره بثلاث وعشرين سنة، ثم عجَّب نبيّه (عليه السلام) فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾.

والكلام فى ليلة القدر على خمسة أبواب:

الباب الأول: فى مأخذ هذا الاسم ومعناه:

واختلف العلماء، فقال أكثرهم: هى ليلة الحكم والفصل يقضى الله فيها قضاء السنة، وهو مصدر من قولهم: قدر الله الشىء قدْرًا وقَدَرًا لغتان كالنَّهْر والنَّهَر والشَّعْر والشَّعَر، وقدَّرهُ تقديرًا له بمعنى واحد، قالوا: وهى الليلة التى قال الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٣، ٤) وإنما سُميت ليلة القدر مباركة؛ لأن الله سبحانه

ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة.

وروى أبو الضحى عن ابن عباس أن الله عزّ وجلّ يقضى الأقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر.

روى أنه تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة إلاّ الكاهن أو الساحر أو مدمن الخمر أو عاق لوالديه أو مصر على الزنا أو مشاحن أو قاطع رحم.

وقيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله سبحانه المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: نعم، قال: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر.

أخبرنى عقيل أن أبا الفرج أخبرهم عن ابن جبير قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا مهران عن سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير قال: يؤذن للحجاج فى ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد ولا ينقص منهم.

وقال الزهرى: هى ليلة العظمة والشرف، من قول الناس لفلان عند الأمير قدر أى جاه ومنزلة، يقال: قدرت فلانا أى عظمته قال الله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ (الأنعام: ٩١) أى ما عظموا الله حق عظمته وقال أبو بكر الوراق: سميت بذلك لأن من لم يكن ذا قدر وخطر يصير فى هذه الليلة ذا قدر إذا أدركها وأحياها.

وقيل: إن كل عمل صالح يؤخذ فيها من المؤمن فيكون ذا قدر وقيمة عند الله لكونه مقبولا فيها.

وقيل: لأنه أنزل كتاب ذو قدر على رسول ذى قدر لأجل أمة ذات قدر، وقال سهل بن عبد الله: لأن الله سبحانه يقدر الرحمة فيها على عباده المؤمنين.

وقيل: لأنه ينزل فيها إلى الأرض ملائكة أولو قدر وذوو خطر.

وقال الخليل بن أحمد: سميت بذلك لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة من قوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ (القصص: ٨٢)، ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ (الطلاق: ٧).

الباب الثانى: اختلاف العلماء فى وقتها، وأى ليلة هى، وذكر اختلاف الصحابة فيها:

فقال بعضهم: إنما كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت.

أخبرنى عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن يوسف قال: حدثنا عبد الله قال: أخبرنا سفيان بن الأوزاعى عن مرثد أو عن أبى مرثد قال: كنت جالسًا مع أبى ذر عند جمرة الوسطى فسئل عن ليلة القدر فقال: كنت أسأل الناس عنها

رسول الله ﷺ - قال: قلت: يا رسول الله ليلة القدر هل هى تكون على عهد الأنبياء (عليهم السلام)، فإذا مضوا رفعت؟ قال: «لا، بل هى إلى يوم القيامة».

وأخبرنا عبد الله بن حاطب قال: أخبرنا محمد بن عامر السمرقندى قال: أخبرنا عمر بن الحسين قال: حدثنا عبد بن حميد عن روح بن عبادة قال: حدثنا ابن جريج قال: أخبرنى داود ابن أبى عاصم عن عبد الله بن عيسى مولى معاوية قال: قلت لأبى هريرة زعموا أن ليلة القدر قد رفعت قال: كذب من قال ذلك، قلت هى فى كل شهر رمضان استقبله؟ قال: نعم.

وقال بعضهم: هى فى ليالى السنة كلها، وإنّ من علق طلاق امرأته أو عتق عبده ليلة القدر لم يقع الطلاق ولم ينفذ العتاق إلى مضى سنة من يوم حلت[1]. وهى إحدى الروايات عن ابن مسعود قال: من يقم الحول كله يصبها.

قال: فبلغ ذلك عبد الله بن عمر، فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه علم أنها فى شهر رمضان؟ ولكن أراد أن لا يتكل الناس، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة أنها فى جميع السنة، وحكى عنه أيضًا أنه قال: رفعت ليلة القدر، وروى عن ابن مسعود أيضًا أنه قال: إذا كانت السنة[2] فى ليلة كانت العام المقبل فى ليلة أخرى، والجمهور من أهل العلم على أنها فى شهر رمضان فى كل عام.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن عامر قال: أخبرنا عمر بن يحيى قال: حدثنا عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن أبى عمير أنه سئل عن ليلة القدر: أفى كل رمضان هى؟ قال: نعم.

وأخبرنا عقيل أن المعافى أخبرهم عن محمد بن جرير قال: حدثنى يعقوب قال: حدثنا ابن علية قال: حدثنا ابن ربيعة بن كلثوم قال: قال رجل للحسين وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر أفى كل رمضان هى؟ قال: «نعم والله الذى لا إله إلاّ هو إنها لفى كل رمضان، وإنها ليلة يفرق فيها كلّ أمر حكيم، فيها يقضى كلّ أجل وعمل، ورزق وخلق إلى مثلها».

واختلفوا فى أول ليلة هى منها، فقال أنور بن العقيلى: هى أول ليلة فى شهر رمضان، وقال الحسن: هى ليلة سبع عشرة، وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر.

والصحيح أنها فى العشر الأواخر من شهر رمضان، وإليه ذهب الشافعى رضى الله عنه، يدلّ عليه ما أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد الشيبانى قال: أخبرنا عبد الله بن

(١) قلت بين العلماء خلاف فى الأيمان المعلقة والأرجح عدم وقوعها أو عدم صحتها.

(٢) فى هامش المخطوط: «سنة».

مسلم، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، وقال: أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن ابن مسلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أُريتُ ليلة القدر ثم أيقظنى بعض أهلى فنسيتها، فالتمسوها فى العشر الغوابر».

وأخبرنا أبو بكر العباسى قال: أخبرنا أبو الحسن المحفوظى قال: حدثنا عبد الله بن قاسم قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان وشعبة وإسرائيل عن ابن إسحاق عن هبيرة عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يوقظ أهله فى العشر الأواخر من رمضان.

وأخبرنا أبو محمد المخلّدى وعبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكى قال: حدّثنا عمار بن رجاء قال: حدثنا أحمد بن أبى طيبة عن عنبسة بن الأزهر عن أبى إسحاق عن الأسود بن يزيد قال: سمعت عليًّا رضى الله عنه يقول: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان دأب وأدأب أهله».

فدلَّت هذه الأخبار على أن ليلة القدر فى العشر الأواخر من شهر رمضان.

ثم اختلفوا فى أى ليلة فيه فقال أبو سعيد الخدرى: هى الليلة الحادية والعشرون، واحتج فى ذلك بما أخبرنا أبو نعيم الأزهرى قال: حدثنا أبو عوانة سنة ست عشرة وثلاثمائة، قال: أخبرنا المزنى قال: قال الشافعى: وأخبرنا أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن أحمد المطوعى، وأبو على السيورى، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله المطيبى قالوا: حدثنا أبو العباس الأصمّ قال: أخبرنا الشافعى قال: أخبرنا مالك عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبى سلمة، عن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الوسط من شهر رمضان، فلمّا كانت ليلة إحدى وعشرين وهى التى كان يخرج فى صبيحتها من اعتكافه قال ﷺ: «من كان اعتكف معى فليعتكف العشر الأواخر، فإنى رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها - وقال - ورأيتنى أسجد فى ماء وطين فالتمسوها فى العشر الأواخر، والتمسوها فى كل وتر» فأمطرت السماء فى تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد.

قال أبو سعيد فأبصرت عيناى رسول الله ﷺ انصرف، علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين.

وقال بعضهم هى الليلة الثالثة والعشرون منها.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الهمدانى قال: أخبرنا الحسين بن عبد الأعلى قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى رأيتُ فى النوم كأن ليلة القدر سابعة تبقى، فقال

رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين، من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئًا فليقم ليلة ثلاث وعشرين».

قال معمر: كان أيوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمسّ طيبًا.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكى قال: حدثنا أحمد بن حفص قال: حدثنى أبى قال: حدّثنى إبراهيم عن عباد وهو ابن إسحاق عن الزهرى عن ضمرة بن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: كنت فى مجلس من بنى سلمة وأنا أصغرهم فقالوا: من يسأل لنا رسول الله ﷺ عن ليلة القدر؟ وذلك صبيحة إحدى وعشرين من رمضان، قال: فخرجت فوافيت مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب ثم نمت بباب بيته فمرّ بى فقال: «ادخل» فدخلت فأُتى بعشائه فرأيتنى أكفّ عنه من قلته، فلمّا فرغ قال: «ناولنى نعلى» فقام وقمت معه فقال: كان لك حاجة؟ فقلت: أرسلنى إليك رهط من بنى سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال: «كم الليلة؟» فقلت: اثنان وعشرون، فقال: «هى الليلة» ثم رجع فقال: «أو الثالثة» يريد ليلة ثلاث وعشرين.

قال أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا طفران قال: حدثنا الحسن بن إسماعيل المحاملى قال: حدثنا يعقوب الدورقى قال: حدثنا عبد الله بن إدريس قال: سمعت عاصم بن كليب يروى عن أبيه عن خاله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى رأيت ليلة القدر ثم أُنسيتها ورأيت مسيح الضلالة فخرجت إليكم لأُبينها فرأيت رجلين يتلاحيان فحجزت بينهما فأنسيتهما وسأشدو لكم منها شدوًا، فأمّا ليلة القدر فاطلبوها فى العشر الأواخر وترًا، وأما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة، ممسوح العين اليسرى، عريض النحر، فيه دمامة كأنه فلان بن عبد العزى أو عبد العزى بن فلان».

قال: فذكرت هذا الحديث لابن عباس قال: وما عجبك؟ سأل عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله ﷺ وكان يسألنى معهم مع الأكابر منهم ويقول لى: لا تتكلم حتى يتكلّموا، فقال: علمتم أنّ رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر اطلبوها فى العشر الأواخر وترًا» ففى أى الوتر ترون؟

قال: فأكثر القوم فى الوتر، فقال: ما لك لا تكلّم ابن عباس؟ قال: قلت: إن شئت تكلمت، قال: عن رأيك أسألك؟ قال: قلت: رأيت الله سبحانه أكثر ذكر السبع، وذكر السموات سبعًا، والأرضين والطواف سبعة، والجمار سبعة، وما شاء الله من ذلك، خلق الإنسان من سبعة، وجعل رزقه من سبعة.

قال: قلت: خلق الإنسان، فقال: فكلّما ذكر عرقت، فما قولك خلق الإنسان من سبعة

وجعل رزقه من سبعة؟ قال: قلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

ثـم قرأت: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ إلى قـوله سبحانه: ﴿وَأَبًّا﴾ (عبس: ٢٥ ـ ٣١) والأب ما أنبتت الأرض مما لا تأكله الناس، فما أراها إلاّ ليلة ثلاث وعشرين لسبع بقين، فقال عمر: غلبتمونى أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذى لم تجتمع شؤون رأسه.

وأخبرنـا عبد الله بن حامـد عن صالح بن محمـد قال: حدثنا إبراهيم بن محمـد عن مسلم الأعور عن مجاهد عن ابن عباس أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له: أخبرنى برأيك فى ليلـة القدر، قال: فقلت: إن الله سبحـانه وتر يحب الوتر، السموات سبع، والأرضون سبع، وترزق من سبع، وتخرج من سبع، ولا أرها إلا فـى سبع بقين من رمضـان، فقال عمر: وافق رأيى رأيك، ثم ضرب منكبى وقال: ما أنت بأقل القوم علمًا.

وقال زيد بن ثـابت وبلال: هى ليلـة أربع وعشرين، ودليلهما ما أخبرنا عبـد الله بن حامد قال: أخبرنـا أحمد بن محمد بن أبـى سعيد قال: حدثنـا على بن حرب قال: حـدثنا محمد بن معاوية قال: حـدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبـى حبيب عن يزيد بن عـبد الله عن الضـابحى عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين».

وقـيل: هى الليلـة الخامسـة والعشرون، يدلّ عـليه ما أخـبرنا محمـد بن عبد الله الحـافظ فى آخـرين قالوا: حـدثنا محمـد بن يعقوب قـال: حدثنـا بحر بن نـصر قال: فـرأى على بن وهب أخبرك خبـر أحد منهم مـالك بن أنس عـن حميد الطـويل عن أنس بن مـالك أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة».

وقال قوم: هـى الليلة الـسابعة والعـشرون، وإليه ذهب علـى وأُبـى وعائـشة ومعاوية، يدل علـيه ما أخبرنـا أبو بكر محمـد بن أحمد بن عبـدوس قال: أخبرنـا أبو أحمد حـمزة بن العباس ببغـداد قال: حدثنا أحمـد بن الوليد النجـار[1] قال: حدثنا مـسوّد بن عامر شـاذان قال: أخبرنا شعبة قال: عبد الله بن دينار أخبرنى قـال: سمعت ابن عمر يحدّث عن النبى ﷺ فى ليلة القدر قال: «من كان متحريًا فليتحرها فى ليلة سبع وعشرين».

وأخبـرنا عبد الله بن حـامد قراءة عليه قـال: أخبرنا محمـد بن جعفر قال: حـدثنا الحسن بن على بن عفان قـال: حدثنا عمـرو العنقرى[2] قال: حـدثنا سفيان بن عـاصم عن زر بن حبيش

(١) فى هامش المخطوط: الفحام.

(٢) فى هامش المخطوط: الغنفرى.

قال: أتينا ابن مسعود فسألناه عن ليلة القدر فقال: من يقم الحول يصبها، فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن قد علم أنها فى شهر رمضان وأنها فى ليلة تسع وعشرين قال: فقال لنا أبا المنذر: إنى قد علمت ذلك فقال: بالآية التى أنبأنا بها رسول الله ﷺ فحفظنا وعددنا، قال: فوالله فإنها لفى ما تستثنى، قال: فقلنا: أبا المنذر ما الآية؟ قال: تطلع الشمس عندئذ كأنها طست ليس لها شعاع.

وروى عن أبى بن كعب أيضًا أنّه قال: سمعت النبى ﷺ بأذنى وإلا فصمتا أنه قال: «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين».

وقال بعض الصحابة: قام بنا رسول الله ﷺ ليلة الثالث والعشرين ثلث الليل، فلمّا كانت ليلة الخامس والعشرين قام بنا نصف الليل، فلمّا كانت الليلة السابعة والعشرون قام بنا الليل كلّه.

وقال أبو بكر الوراق: إنّ الله سبحانه وتعالى قسم كلمات هذه السورة على ليالى شهر رمضان، فلما بلغ السابعة والعشرين أشار إليها فقال: ﴿هِيَ﴾.

وقال بعضهم: هى ليلة التاسع والعشرين، وروى عن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة السابع والعشرين أو التاسع والعشرين وإن الملائكة فى تلك الليلة بعدد الحصى».

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكى قال: حدثنا محمد بن سعيد القطان قال: حدثنا عيينة بن عبد الرحمن قال: حدثنى أبى قال: ذكرت ليلة القدر عند أبى بكرة فقال: ما أنا بطالبها بعد شىء سمعته من رسول الله ﷺ إلاّ فى العشر الأواخر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها فى العشر الأواخر فى تسع بقين، أو سبع بقين، أو خمس بقين أو ثلاث بقين أو آخر ليلة» وكان أبو بكرة إذا دخل شهر رمضان ظلّ يُصلى فى سائر السنة، فإذا دخل العشر اجتهد.

وفى الجملة، أخفى الله علم هذه الليلة على الأُمة ليجتهدوا فى العبادة ليالى رمضان طمعًا فى إدراكها كما أخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات، واسمه الأعظم فى الأسماء، وساعة الإجابة فى ساعات الجمعة، وغضبه فى المعاصى، ورضاه فى الطاعات، وقيام الساعة فى الأوقات، رحمة منه وحكمة، والله أعلم.

الباب الثالث: فى علامتها وأماراتها:

أخبرنا أبو عمر الفراتى قال: أخبرنا أبو نصر السرخسى قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا النضر عن أشعث عن الحسين أن النبى ﷺ قال فى ليلة

القدر: «من أماراتها أنها ليلة بلجة سمحة، لا حارة ولا باردة، تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع».

وقال حميد بن عمر: كانت ليلة السابع والعشرين فى البحر فأخذت من مائه فوجدته سلسًا.

الباب الرابع: فى فضائلها وخصائصها:

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حفص الحيرى[1] بها قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن ببغداد قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: حدثنا محمد بن كثير عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

وفى الحديث: «إن الشيطان لا يخرج فى هذه الليلة حتى يُضىء فجرها، ولا يستطيع أن يصيب فيها أحدًا بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد، ولا ينفذ فيها سحر ساحر».

وروى عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «إذا كانت ليلة القدر ينزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى، ومنهم جبريل، فينزل جبريل ومعه ألوية ينصب لواءً منها على قبرى، ولواءً منها على بيت المقدس، ولواءً فى المسجد الحرام، ولواءً على طور سيناء، ولا يدع فيها مؤمنًا ولا مؤمنة إلاّ سلم عليه إلاّ مُدمن الخمر وآكل الخنزير والمتضمخ بالزعفران».

الباب الخامس: فى آدابها وفيما يستحب فيها:

حدثنا أبو بكر بن عبدوس قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا الحسين بن مكرم قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا كُهمس عن عبد الله بن بُريدة أنّ عائشة قالت للنبى ﷺ: إنْ وافيت[2] ليلة القدر فما أقول؟ قال: «قولى: اللهم إنّك عفوٌ تحب العفو فاعف عنى».

وروى شريح بن هانئ عن عائشة قالت: لو عرفت أى ليلة القدر ما سألت الله فيها إلا العافية.

وأخبرنا أبوعمر الفراتى قال: أخبرنا محمد بن إسحاق بن سهل قال: حدثنا سعيد بن عيسى قال: حدثنا فارس بن عمر قال: حدثنا صالح قال: حدثنا العمرى، عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أنّ النبى ﷺ قال: «من صلى المغرب والعشاء الآخرة فى

---

(١) أى بمدينة الحيرة.

(٢) فى هامش المخطوط: «وافقت».

ليلة القدر فى جماعة فقد أخذ حظه من ليلة القدر».

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أخبرنا أبو عمر الفراتى قال: أخبرنا أبو موسى قال: أخبرنا موسى بن عبد الله: قال: حدثنا أبو مصعب عن مالك أنّه سمع من يثق به أن رسول الله ﷺ أُرى أعمار الناس تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من الأعمال مثل الذى يبلغ غيره فى طول العمر، فأعطاه الله سبحانه: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

واختلفوا فى الحكمة الموجبة لهذا العدد، فأخبرنى الحسين قال: حدثنا الكندى قال: حدثنا عبد الرحمن بن حاتم قال: قرئ على يونس بن عبد الأعلى: أخبرنا ابن وهبة قال: حدثنا مسلمة عن على بن لهيعة قال: ذكر رسول الله ﷺ يومًا أربعة من بنى إسرائيل عبدوا الله ثمانين عامًا، لم يعصوه طرفة عين فذكر: أيوب، وزكريا وحزقيل ابن العجوز، ويوشع بن نون قال: فعجب أصحاب النبى ﷺ من ذلك وأتاه جبريل فقال: «يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين»، فقال: «أنزل الله تعالى عليك خيراً من ذلك»، ثم قرأ عليه ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: لأن هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك» قال: فسر بذلك النبى ﷺ والناس معه.

وأخبرنا أبو عمرو الفراتى قال: أخبرنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا سعيد بن عيسى قال: حدثنا فارس بن عمرو قال: حدثنا صالح قال: حدثنا مسلم بن خالد بن أبى نجيح أن النبى ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر قال: فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: الذى لبس ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله.

ويقال: إنّ ذلك الرجل كان شمشون (عليه السلام)، وكانت قصته على ما ذكر وهب بن منبه أنّه كان رجلاً مسلمًا وكانت أمّه قد جعلته نذيرًا، وكان من أهل قرية من قرى الروم وكانوا يعبدون الأصنام، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة، فكان يغزوهم وحده، ويجاهدهم فى الله فيصيب منهم[1] حاجته، ويقتل ويسبى ويصيب الأموال، وكان إذا لقيهم لقيهم بلحى بعير لا يلقاهم بغيره، فإذا قاتلوه وقاتلهم وتعب وعطش انفجر له من الحجر الذى فى اللحى ماء عذب فيشرب منه حتى يروى.

وكان قد أعطى قوة فى البطش، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره، فكان كذلك، فجاهدهم فى الله، يصيب منهم حاجته لا يقدرون منه على شىء حتى قالوا: لن تأتوه إلا من قبل امرأته،

(١) فى المخطوط: فيصيب منهم وفيهم حاجته، ولفظ فيهم زائد على السياق فحذفته من المتن.

فدخلوا على امرأته فجعلوا لها جعلا فقالت: نعم، أنا أوثقه لكم فأعطوها حبلاً وثيقًا، وقالوا لها إذا نـام فأوثقي يده إلى عنقه حتى نأتيه فنأخذه، فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بذلك الحبل، فلما هبَّ جذبه بيده فوقع من عنقه.

فقال لها: لـم فعلت ذلك؟ فقالـت: أجرب بها قـوتك، ما رأيت مثلك، فأرسلت إليهم: إني قد ربطته بالحبل فلم أُغن شيئًا، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد، وقالوا: إذا نام فاجعليها في عنقه، فلمّا نام جعلتها في عنقه، فلما هبَّ جذبها فوقعت من يده وعنقه، فقال لها: لم فعلت هذا؟ قالت: أجرب بها قـوتك، ما رأيت في الدنيا مثلك (يا)[1] شمشون، أما في الأرض شيء يغلبك؟ قال: إلا شيء واحد، قالت: وما هو؟ قال لها: ها أنا لمخبرك به، فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر كثير، فقال لها: ويحك إنّ أُمّي كانت جعلتني نذيرًا فلا يغلبني شيء أبدًا، ولا يضبطني إلاّ شعري، فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه، فأوثقه ذلك وبعثت إلى القوم.

فجاءوا فأخذوه فجدعوا أنفه وأنفدوا أذنيه وفقئوا عينيه، ووقفوا بين ظهراني المدينة، وكانت مدينة ذات أساطين، وكان ملكهم قد أشرف عليها بالناس لينظروا إلى شمشون وما يُصنع به، فدعا شمشون ربّه حين مثلوا به ووقفوه أن يسلّطه عليهم، فأمر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فاجتذبهما جميعًا فجذبهما، فرد الله تعالى إليه بصره وما أصابوا من جسده، ووقعت المئذنة بالملك ومن عليها من الناس، فهلكوا فيها هدمًا.

وقيل: هو أن الرجل فيما مضى كان لا يستحق أن يقال له: عابد، حتى يعبد الله ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فجعل الله سبحانه لأمّة محمد ﷺ ليلة خيرًا من ألف شهر كانوا يعبدون فيها.

وقال أبو بكر الوراق: كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر، فيحتمل أن يكون معنى الآية: ليلة القدر خير لمن أدركها مما ملكه سليمان وذو القرنين (عليها السلام).

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبة قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن الأشقر قال: حدثنا زيد بن أخرم قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا علقمة بن الفضل عن يوسف بن مازن الراسبي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي فقال: سوّدت وجوه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل فبايعته يعني معاوية فقال: «لا تؤنبني رحمك الله فإن رسول الله ﷺ قد أُرى بني أمية

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تملكه بنو أمية.

قال القاسم: اللهم فحسبنا ملك بنى أمية فإذا هو ألف شهر لا يزيد ولا ينقص».

وقال المفسرون: عمل صالح فى ليلة القدر خيرٌ من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وروى الربيع عن أبى العالية قال: ليلة القدر خيرٌ من عمر ألف شهر، وقال مجاهد: سلام الملائكة والروح عليك تلك الليلة خير من سلام الخلق عليك ألف شهر فذلك قوله سبحانه: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾.

قرأ طلحة بن مطرف تنزل خفيفة، من النزول، ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ يعنى جبريل فى قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روى قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلّون ويسلّمون على كلّ عبد قائم أو قاعد يذكر الله سبحانه».

وقال كعب ومقاتل بن حيان: الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلاّ تلك الليلة، ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

وقال الواقدى: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقًا يخلق من الملائكة.

﴿فِيهَا﴾: أى فى ليلة القدر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾: قدّره الله سبحانه وقضاه فى تلك السنة إلى قابل، لقوله سبحانه فى الرعد: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ (الرعد: ١١) أى بأمر الله.

وقد أخبرنا محمد بن عبدوس قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن الجهم قال: حدثنا يحيى بن زياد الفراء قال: حدثنى أبو بكر بن عباس عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أنّه كان يقرأ من كل امرئ سلام، ورويت هذه القراءة أيضًا عن على بن أبى طالب وعكرمة، ولها وجهان:

أحدهما: أنّه وجه معناه إلى الملك أى من كل ملك سلام.

والثانى: أن يكون من بمعنى على تقديره: على كل امرئ من المسلمين سلام من الملائكة كقوله سبحانه: ﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ (الأنبياء: ٧٧) أى على القوم، والقراءة الصحيحة ما عليه العامة؛ لإجماع الحجة من القراء عليها ولموافقتها خطّ المصاحف؛ لأنه ليس فيها ياء.

وقوله: ﴿سَلَـٰمٌ هِىَ﴾ تمام الكلام عند قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثم ابتدأ فقال سبحانه: ﴿سَلَـٰمٌ هِىَ﴾: أى ليلة القدر سلام وخير كلها ليس فيها شر.

قال الضحاك: لا يقدر الله سبحانه فى تلك الليلة إلاّ السلامة، فأمّا فى الليالى الأُخر فيقضى الله تعالى فيهن البلاء والسلامة، قال مجاهد: هى سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل

فيها سوءًا ولا أن يحدث فيها أذى .

وقال شعبي ومنصور بن زاذان : هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر ، يمرون على كل مؤمن ويقولون : السلام عليك يا مؤمن .

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ : حتى حرف غاية ، مجازها إلى مطلع الفجر . قرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي وخلف بكسر اللام ، غيرهم بفتحه وهو الاختيار ؛ لأن المطلع بفتح اللام بمعنى الطلوع يقال : طلعت الشمس طلوعًا ومطلعًا ، فأما المطلع بكسر اللام فإنه موضع الطلوع ، ولا معنى للاسم في هذا الموضع ، إنّما هو لمعنى المصدر ، والله أعلم .



سورة البينة

(المنفكين)

مدنية، وهى ثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفًا،
وأربع وتسعون كلمة وثمانى آيات

أخبرنا السلمى والخبازى قالا: أخبرنا محمد بن محمد بن يعقوب قال: أخبرنا محمد بن موسى بن النعمان قال: حدثنا فهد بن سليمان قال: حدثنا إسحاق بن بشير قال: حدثنا مالك ابن أنس عن محمد بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى الهاد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الناس ما فى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لعطّلوا الأهل والمال وتعلموها» فقال رجل من خزاعة: ما فيها من الأجر يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «لا يقرؤها منافق أبدًا ولا رجل فى قلبه شك فى الله عز وجل، والله إن الملائكة المقربين ليقرءونها منذ خلق الله السموات والأرض لا يفترون من قراءتها، وما من عبد يقرؤها بليل إلا بعث الله سبحانه ملائكة يحفظونه فى دينه ودنياه، ويدعون الله له بالمغفرة والرحمة، فإن قرأها نهارًا أعطى عليها من الثواب مثل ما أضاء عليه النهار وأظلم عليه الليل».

فقال رجل من قيس عيلان: زدنا من هذا الحديث فداك أبى وأمى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «تعلّموا ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (النبأ: ١)، وتعلموا ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ (ق: ١)، وتعلموا ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ (البروج: ١)، وتعلموا ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ (الطارق: ١)، وإنّكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما أنتم فيه وتعلمتموهن وتقربتم إلى الله سبحانه بهن فإن الله يغفر بهن كل ذنب إلا الشرك بالله. واعلموا أن ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ (الملك: ١) تجادل عن صاحبها وتستغفر له من الذنوب».

وأخبرنى الخبازى قال: حدثنا ظفران قال: حدثنا ابن أبى داود قال: حدثنا محمد بن عاصم قال: حدثنا شبابة بن سوار قال: حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد عن زر عن أبى قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ كان يوم القيامة من[1] خير البرية مسافرًا أو مقيمًا».

---

(١) فى الهامش: «مع».

وأخبرنى الحسين قال: حدثنا محمد بن الحسن بن على قال: حدثنا أبو يعلى الموصلى قال: حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد ربه قال: حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأُبى بن كعب: «إن الله عزّ وجلّ أمرنى أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾» قال: وسمانى؟ قال: «نعم» فبكى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: وهم اليهود والنصارى، والمشركون وهم عبدة الأوثان، ﴿مُنفَكِّينَ﴾: منتهين عن كفرهم وشركهم، وقال أهل اللغة: زائلين، يقول العرب: ما انفك فلان يفعل كذا، أى ما زال، وأصل الفكّ الفتح، ومنه فكّ الكتاب، وفكّ الخلخال، وفكّ البيالم وهى خورنق العطر، قال طرفة:

وآليت لا ينفك كشحى بطانة ... لعضب رقيق الشفرتين مهند

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: الحجة الواضحة وهى محمد ﷺ أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم، وهداهم إلى الإيمان، وقال ابن كيسان معناه لم يكن هؤلاء الكفار تاركين صفة محمد ﷺ حتى بعث، فلما بعث تفرقوا فيه.

ثم فسر البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾. فأبدل النكرة من المعرفة كقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (البروج: ١٥، ١٦).

﴿يَتْلُوا۟﴾: يقرأ ﴿صُحُفًا﴾: كتبًا ﴿مُّطَهَّرَةً﴾: من الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾: من الله ﴿قَيِّمَةٌ﴾:

مستقيمة عادلة ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: فى أمر محمد ﷺ فكذّبوه ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: البيان فى كتبهم أنه نبىٌّ مرسل.

قال العلماء: من أول السورة إلى قوله: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: حكمها فى من آمن من أهل الكتاب والمشركين، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ﴾: حكمه فى من لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيام الحجج عليها.

قال بعض أئمة أهل اللغة قوله: ﴿مُنفَكِّينَ﴾ أى هالكين من قوله انفك صلا المرأة عند الولادة وهو أن تنفصل ولا يلتئم فهلك، ومعنى الآية: لم يكونوا هالكين أى معذبين إلاّ بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتب.

وقرأ الأعمش (والمشركون) رفعًا، وفى مصحف عبد الله (لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين) وفى حرف أُبىّ (ما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسولاً من الله) بالنصب على القطع والحال.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾: يعنى هؤلاء الكفار ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾: يعنى إلاّ أن يعبدوا الله مخلصين ﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ التوحيد والطاعة ﴿حُنَفَآءَ﴾: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام.

وقال ابن عباس: حجاجًا، وقال قتادة: الحنيفية هى الختان وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمّات والخالات، وإقامة المناسك.

وقال سعيد بن حمزة: لا تسمى العرب حنيفًا إلاّ من حجّ واختتن ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ﴾: الذى ذكرت ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾: المستقيمة فأضاف الدين إلى القيمة وهو أمر فيه اختلاف اللفظين وأنث القيمة لأنه رجع بها إلى الملة والشريعة، وقيل: الهاء فيه للمبالغة.

سمعت أبا القاسم الحنبلى يقول: سمعت أبا سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقانى يقول: إن القيمة هاهنا الكتب التى جرى ذكرها، والدين مضاف إليها على معنى: وذلك دين الكتب القيمة فيما يدعو إليها ويأمر به، نظيرها قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣).

وقال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن قوله سبحانه: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ فقال: القيمة جمع القيم، والقيم والقائم واحد ومجاز الآية: وذلك دين القائمين لك بالتوحيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: الخليقة، قرأ نافع (البرئة) بالهمزة فى الحرفين ومثله روى ابن ذكوان عن أهل الشام على

الأصل لأنه من قولهم: برأ الله الخلق يبرؤهم برءًا، قال الله سبحانه: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ (الحديد: ٢٢)، وقرأ الآخرون بالتشديد من غير همزة، ولها وجهان: أحدهما: أنه ترك الهمزة وأدخل الشبه به عوضًا منه. والآخر: أن يكون (فعيلة) من البراء وهو التراب، تقول العرب: بفيك البراء، مجازه: المخلوقين[1] من التراب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.

قال الصادق رضى الله عنه: بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق، ورضوا عنه بما منَّ عليهم بمتابعتهم لرسوله، وقبولهم ما جاءهم به.

(قال)[2] ابن زنيار: رضا الخلق عن الله رضاهم بما يرد عليهم من أحكامه ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضا عنه».

(وقال)[2] محمد بن الفضيل: الروح والراحة فى الرضا واليقين، والرضا باب الله الأعظم ومستراح العابدين.

(وقال)[2] محمد بن خفيف: الرضا ينقسم قسمين: رضًا به ورضا عنه، فالرضا به ربًّا ومدبّرًا، والرضا عنه فيما يقضى ويقدّر. وقيل: الرضا رفع الاختيار.

(وقال)[2] ذو النون: الرضا: سرور القلب لمرِّ القضاء.

(وقال)[2] الحارث: الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم.

(وقال)[2] أبو عمرو الدمشقى: الرضا نهاية الصبر.

(وقال)[2] أبو بكر بن طاهر: الرضا خروج الكراهية من القلب حتى لا يكون إلاّ فرح وسرور.

(وقال)[2] الواسطى: هو النظر إلى الأشياء يعنى الرضا حتى لا يسخطك شىء إلاّ ما يسخط مولاك.

(وقال)[2] ابن عطاء: هو النظر إلى قديم إحسان الله للعبد فيترك السخط عليه.

سمعت محمد بن الحسين بن محمد يقول: سمعت محمد بن أحمد بن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت على بن عبد الحميد يقول: سمعت السهمى يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟.

---

(١) فى الهامش: «المخلوقون».

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

سورة الزلزلة

مكّية، وهى مائة وتسعة وأربعون حرفًا،
وخمس وثلاثون كلمة، وثمانى آيات

أخبرنا يعقوب بن أحمد بن السهمى العروضى فى درب الحاجب قال: أخبرنا محمد بن عبد الله العمانى قال: حدثنا أبو القاسم الطائى قال: حدثنا أبى قال: حدّثنى على بن موسى الرضا قال: حدّثنى أبى موسى بن جعفر قال: حدثنى أبى جعفر بن محمد قال: حدثنى أبى محمد بن على قال: حدثنى أبى على بن الحسين قال: حدثنى أبى الحسين بن على قال: حدثنى أبى على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله».

وأخبرنى محمد بن القاسم قال: حدثنى أبو بكر محمد بن عبد الله قال: حدثنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا على بن حجر قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا اليمان بن المغيرة عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾: حُرّكت الأرض حركة شديدة لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾: تحركها وقراءة العامة بكسر الزاى.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا الباقرجى قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن ياسين البغدادى قال: حدثنا جميل بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن موسى صاحب اللؤلؤ قال:

سمعت عاصمًا الجحدري يقرأ[١] : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زَلْزَالَهَا﴾ الزاي مفتوحة وهو مصدر أيضًا كالوسواس والقلقال والجرجار، وقيل: الكسر المصدر والفتح الاسم.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ : موتاها وكنوزها فتقلبها على ظهرها ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ : وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ : فيقول الإنسان: ما لها.

قال المفسرون: تُخْبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر فتقول للمؤمن يوم القيامة: جدّ عليَّ وصام وصلّى واجتهد وأطاع ربه، فيفرح المؤمن بذلك، وتقول للكافر: شرك عليَّ وزنى وسرق وشرب الخمر فيوبخ بالمشهد، وتشهد عليه الجوارح والملائكة مع علم الله سبحانه به حتى يودّ أنه سيق إلى النار مما يرى من الفضوح.

حدثنا أبو بكر محمد بن عبدوس المزكى إملاءً قال: أخبرنا أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل المروزي قال: حدثنا عبد الله بن حمّاد[٢] الآملي قال: حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: حدثنا رشد بن سعد قال: حدثنا يحيى بن أبي سلمى عن أبي حازم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عُمل على ظهرها» قال: وتلا رسول الله ﷺ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟ إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عُملَ على ظهرها».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا علي بن الحسن بن مطرف الجراحي قال: حدثنا أبو عيسى عبد الرحمن بن عبد الله الأنباري قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا خالد بن يزيد العمري قال: حدثنا شعبة عن يحيى بن سليم أبي بلج عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ ذكر هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال: «تدري ما أخبارها؟» قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كلّ عبد وأمة بما عمل على ظهرها من شيء، تقول: عمل على ظهري كذا وكذا، أو حملتُ على ظهري كذا وكذا يوم كذا لكذا وكذا، فهذه أخبارها».

وفي حرف ابن مسعود: يومئذ تنبئُ أخبارها.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا المطرفي قال: حدّثنا بشر بن مطر قال: حدثنا سفيان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه - وكان أبوه يتيمًا في حجر أبي سعيد

---

(١) في هامش المخطوط: يقول.

(٢) في هامش المخطوط: ابن حامد.

الخدرى ـ قال: قال لى يعنى أبا سعيد: يا بُنى إذا كنت فى البوادى فارفع صوتك بالأذان فإنى سمعت النبى ﷺ يقول: «لا يسمعه جنّ ولا إنس ولا حجر إلا يشهد له».

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: حدثنا محمد بن عامر السمرقندى قال: حدثنا ابن الحسين قال: حدثنا على بن حميد عن إبراهيم عن أبيه قال: رأيت أبا أميّة صلّى فى المسجد الحرام المكتوبة، ثم تقدم فجعل يصلى ههنا وههنا، فلمّا فرغ قلت: يا أبا أمية ما هذا الذى رأيتك تصنع؟ قال قرأت هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فأردت أن تشهد لى يوم القيامة.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: أى أمرها بالكلام وأذن لها فيه، قال العجاج يصف الأرض:

أوحى لها القرار فاستقرّت وشدّها بالراسيات الثُّبَّت

أى أمرها بالقرار.

وقال ابن عباس والقرظى وابن زيد: أوحى إليها. ومجاز الآية: يوحى الله إليها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: عن موقف الحساب، ﴿أَشْتَاتًا﴾: متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾: قيل: فى هذه الآية تقديم وتأخير تقديرها: (يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم، يومئذ يصدر الناس أشتاتًا) وقراءة العامّة ليُروا بضم الياء، وقرأ الحسن والأعرج بفتح الياء وروى ذلك عن النبى ﷺ.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾: أى يُرى ثوابه ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

قرأ هشام بإسكان الهاء فى الحرفين، (وقرأ)[1] الباقون بضمهما.

قال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً فى الدنيا إلاّ أراه الله إياه، أما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته، فيغفر له سيئاته ويثيبه لحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذبه بسيئاته.

وقال محمد بن كعب فى هذه الآية: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من كافر يرى ثوابه فى نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير، ومن يعمل مثقال ذرة شراً من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا، وليس له عند الله شر.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا عقيل أن أبا الفرج أخبرهم عن ابن جرير قال: حدثنى أبو الخطاب الجنائى قال: حدثنا الهيثم بن الربيع قال: حدثنا سماك بن عطية عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبى ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

(١) زيادة يتطلبها السياق.

﴿يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فرفع أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يده وقال: يا رسول الله أخبرنى بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال: «يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذرّ الشرّ، ويدخر الله لك مثاقيل الخيرحتى تُوفّاه يوم القيامة».

له عن محمد بن جرير قال: حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: حدثنى حُيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الجيلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قاعد فبكى حين أُنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: أبكتنى هذه السورة، فقال له رسول الله ﷺ: «والله لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون ويغفر الله لكم لخلق الله أُمّة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم».

وقراءة العامة ﴿يَرَهُۥ﴾ بفتح الياء فى الحرفين، وقرأ خالد بن نشيط وعاصم الجحدرى بضم الياءين لقوله: ﴿لِّيُرَوْاْ﴾.

قال مقاتل: نزلت هذه الآية فى رجلين وذلك أنه لما نزلت ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ (الدهر: ٨) كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها ويقول: ما هذا بشىء إنّما نُؤجر على ما نعطى ونحن نحبه يقول الله سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ فما أحب لنا هذا فرده غفران، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، الكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول: ليس علىّ من هذا شىء إنما وعد الله سبحانه النار على الكبائر، وليس فى هذا إثم، فأنزل الله سبحانه يرغبهم فى القليل من الخير أن يعطوه، فإنّه يوشك أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنب فإنّه يوشك أن يكبر، فالإثم الصغير فى عين صاحبه يوم القيامة أعلى من الجبال، وجميع محاسنه أقل فى عينه من كل شىء فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

سئل ثعلبة عن الذرّة قال: إن مائة مثل وزن حبّة والذرّة واحدة منها. وقال يزيد بن مروان: زعموا أن الذرّة ليس لها وزن، ومعنى المثقال الوزن، وهو مفعال من الثقل، وقال ابن مسعود: أحكم آية فى القرآن: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ وكان رسول الله ﷺ يسميها: «الجامعة الفاذة»، و تصدق سعد بن أبى وقاص بتمرتين وقبض السائل يده فقال سعد: ويحك تقبل الله منا مثقال الذرّة والخردلة وكأين فى هذه من مثاقيل.

وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة بحبة من عنب وقالا فيها مثاقيل ذرّ كُثر.

وروى المطلب بن عبد الله عن عائشة أن رسول الله ﷺ قرأ فى مجلس ومعهم أعرابى

جالس فقال رسول الله ﷺ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فقال الأعرابي: يا رسول الله مثقال ذرة؟ قال له: «نعم»، فقال الأعرابي: يا رسول الله مثقال ذرة؟ قال له: «نعم»، فقال الأعرابي: وا سوأتاه منّا إذن، ثم قام وهو يقولها فقال رسول الله ﷺ: «لقد دخل قلب الأعرابي الإيمان».

وأخبرنا عبد الله بن حاطب قال: أخبرنا محمد بن عامر السمرقندي قال: حدثنا عمر بن يحيى قال: حدثنا عبد بن حميد عن وهب بن جرير عن أبيه قال: سمعت الحسن يقول: «قدم صعصعة عمّ الفرزدق على النبي ﷺ فلمّا سمع ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ قال: حسبي ما أبالي ولا أسمع من القرآن غير هذا».

وقال الربيع بن صبيح: مرّ رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة، فلمّا بلغ آخرها قال: «حسبي قد أتممت الموعظة» فقال الحسن: «لقد فقه الرجل».

أنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد المفسّر قال: أنشدني أبو الفضل أحمد بن محمد بن حمدون الفقيه قال: أنشدني أبو بكر أحمد بن محمد بن إبراهيم الحواربي بواسط:

إنّ من يعتدي ويكسب إثمًا	وزن مثقال ذرّة سيراه
ويجازي بفعله الشر شرًّا	وبفعل الجميل أيضًا جزاه
هكذا قوله تبارك ربّي	في إذا زلزلت جلّ ثناه



سورة العاديات

مكية، وهى مائة وثلاث وسبعون حرفًا،
وأربعون كلمة وإحدى عشرة آية

أخبرنا أبو الحسن الخبازى المقرئ أخبرنا أبو على ابن حبش المقرئ أخبرنا أبو العباس الدقاق أخبرنا عبد الله بن روح أخبرنا شبابة أخبرنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (والعاديات) أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعًا».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، والكلبى، وأبو العالية، والربيع، وعطية، وقتادة، والمقاتلان، وابن كيسان: هى الخيل التى تعدو فى سبيل الله فتضبح وهو صوت أنفاسها إذا جهدت فى الجرى فيكون الرّبو فى أجوافها من شدة العدو، قال ابن عباس: وليس شىء من الدواب يضبح غير: الفرس، والكلب، والثعلب.

قال أهل اللغة: وأصل الضبح والضباح، للثعلب، واستعير فى الخيل، وهو من قول العرب: ضبحته النار إذا غيّرت لونه وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغيرت حالها من تعب أو فزع أو طمع، ونصب قوله: (ضبحًا) على المصدر مجازه والعاديات تضبح ضبحًا، قال الشاعر:

لست بالتُّبّع اليمانى إن لم ... تضبح الخيل فى سواد العراق

وقال آخر:

والعاديات أسابى الدماء بها كأن أعناقها أنصاب ترجيب

يعنى الخيل.

قال مقاتل: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حىّ من كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى أحد النقباء فتأخر خبرهم، وقال المنافقون: قتلوا جميعًا، فأخبر الله تعالى عنها، فقال: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ يعنى تلك الخيل عدت حتى ضبحت، وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة. وقالت الحكماء: وهو تقلقل الجُرذان فى القتب. وقيل: هو صوت إرخاء مشافرها إذا عدت؛ قال أبو الضحى: وكان ابن عباس يحكى ضباحها: أحْ أحْ. وقال قوم: هى الإبل.

أخبرنا أبو عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد بن أبى سعيد أخبرنا الحسن بن محمد ابن الصباح أخبرنا مروان بن معاوية أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ قال: نازلت فيه عكرمة، فقال عكرمة قال ابن عباس: هى الخيل فى القتال. فقلت: أنا: قال: هى الإبل فى الحج. فقلت: مولاى أعلم من مولاك.

وقال الشعبى: تمارى علىّ، وابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾.

فقال ابن عباس: هى الخيل، ألا تراه يقول: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ فهل تثيره إلا بحوافرها، وهل تضبح الإبل، وإنما تضبح الخيل.

فقال على عليه السلام: ليس[1] كما قلت، ولقد رأيتنا يوم بدر، وما معنا إلا فرس أبلق للمقداد بن الأسود، وفى أخرى: وفرس لمرثد بن أبى مرثد الغنوى.

وأخبرنى عقيل بن محمد بن أحمد الجرجانى أخبرنا أبو الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمد بن جرير حدثنى يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب حدثنى أبو صخر عن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثه قال: بينا أنا جالس فى الحجر إذ أتى رجل فسألنى عن: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ فقلت له: الخيل حين تغير فى سبيل الله، ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون النار؛ فانفتل عنى فذهب إلى على بن أبى طالب وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ ، فقال: سألت عنها أحدًا قبلى؟

قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير فى سبيل الله تعالى. فقال:

(١) فى متن المخطوط: ليست، والتصويب من الهامش.

اذهب، فادعه لى. فلما وقفت على رأسه، قال: تفتى الناس بما لا علم لك به، والله إن كانت لأول غزوة غزاها النبى ﷺ فى الإسلام وهى بدر، وما كان معنا إلاّ فرسان، فرس للزبير، وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون العاديات ضبحًا؟! إنما ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ الإبل من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى.

قال ابن عباس: فنزعت عن قولى ورجعت إلى الذى قاله على عليه السلام. وإلى قول على ذهب ابن مسعود، وعبيد بن عمير، ومحمد بن كعب، والسدى.

وقال بعضهم: من قال هى الإبل، قال ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ يعنى ضبحًا تمد أعناقها فى السير، وضبحت وضبعت بمعنى واحد، قالت صفية بنت عبد المطلب:

ألا والعاديات غداة جمع ... بأيديها إذا سطع الغبار

قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا﴾ قال عكرمة، وعطاء، والضحاك: هى الخيل تورى النار بحوافرها إذا سارت فى الحجارة والأرض المحصبة.

وقال مقاتل، والكلبى: والعرب تسمى تلك النار نار أبى حُبَاحب.

وكان أبو حباحب شيخا من مضر فى الجاهلية من أبخل الناس، وكان لا يوقد نارًا لخبز ولا لغيره حتى ينام كل ذى عين، فإذا نام أصحابه، أوقد نويرة، تقد مرة وتخمد أخرى، فإذا استيقظ به أحد أطفأها كراهية أن ينتفع بها أحد. فشبهت العرب هذه النار بناره أى لا ينتفع به أحد كما لا ينتفع بنار أبى حباحب.

ومجاز الآية: والقادحات قدحًا، فخالف بين الصدر والمصدر.

وقال قتادة: هى الخيل تهيج الحروب، ونار العداوة بين أصحابها وفرسانها.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هى الخيل تغير فى سبيل الله، ثم تأوى إلى الليل، فيصنعون طعامهم ويورون نارهم.

وقال مجاهد، وزيد بن أسلم: هى مكر الرجل، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحن لك، ثم لأورين لك.

قال سعيد بن جبير: يعنى رجال الحرب، وقال عكرمة: هى ألسنة الرجال تورى النار من عظيم ما تتكلم به.

قال ابن جريج عن بعضهم: يعنى فالمنجحات عملا كنجاح الوتد إذا أورى، وقال محمد ابن كعب: هى النيران بجمع.

قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ يعنى الخيل تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح، هذا

قول أكثر المفسرين.

وقال القرطبى هى الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى. والسنة أن لا يدفع حتى يصبح. والإغارة سرعة السير ومنه قولهم: أشرق ثبير كيما نُغير.

﴿فَأَثَرْنَ﴾ فيهيجن: وقرأ أبو حيوة: فَأَثَّرن بالتشديد من التأثير ﴿بِهِۦ﴾: أى بذلك المكان الذى انتهينا إليه، كناية عن غير مذكور، لأن المعنى مفهوم مشهور.

﴿نَقْعًا﴾: أى غباراً ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أى دخلنا به وسطهم، يقال: وسطت القوم بالتخفيف، ووسطتهم بالتشديد، وتوسطتهم، كلها بمعنى واحد. وقرأ قتادة: فَوَسَّطْن بالتشديد.

أى جمع العدو وهم الكتيبة، وقال القرظى يعنى جمع ﴿جَمْعًا﴾: منًى.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والربيع: لكفور جحود لنعم الله تعالى. قال الكلبى: هو بلسان كندة وحضرموت الكفور، وبلسان بنى مالك: البخيل.

وروى شعبة عن سماك أنه قال: إنما سميت كندة لأنها قطعت أباها.

وقال ابن سيرين: هو اللّوّام لربه، وقال الحسن: هو الذى يعد المصائب، وينسى النعم. أخذه الشاعر فقال:

يا أيها الظالم فى فعله ... والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى ... تشكو المصائب وتنسى النعَم

أخبرنا الأستاذ أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب يوم الخميس فى صفر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازى أخبرنا العباس ابن حمزة أخبرنا أحمد بن حرب أخبرنا صالح بن محمد أخبرنا سلمة بن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى إمامة عن رسول الله ﷺ فى هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ «أتدرون ما الكنود؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: الكنود الذى يأكل وحده، ويمنع رفده، ويضرب عبده».

وقال عطاء: الكنود الذى لا يعطى فى النائبة مع قومه، وقال أبو عبيد: هو قليل الخير. والأرض الكنود التى لا تنبت شيئًا، قال أبو زيد:

إن نفسى ولم أطب عنك نفسا ... غير أنى أُمَنَّى بدهر كنود

وقال الفضيل بن عياض: الكنود الذى أنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان.

والشكور الذى أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة، وقال أبو

بكر الوراق: الكنود الذى يرى النعمة من نفسه وأعوانه، وقال محمد بن الترمذى: هو الذى يرى النعمة ولا يرى المنعم، وقال أبو بكر الواسطى: هو الذى ينفق نعم الله فى معاصى الله، وقال بسام بن عبد الله: هو الذى يعامل ربه على عقد العوض؛ قال ذو النون: تفسير الهلوع والكنود قوله؛ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (المعارج: ١٩، ٢٠).

وقيل: هو الذى يكفر اليسير، ولا يشكر الكثير. وقيل: الحقود. وقيل: الحسود. وقيل: جهول لقدره. وفى الحكمة: من جهل قدره هتك ستره.

وقال بعضهم والحسن: رأسه على وسادة النعمة، وقلبه فى ميدان الغفلة. وقيل: يرى ما منه ولا يرى ما إليه، وجمع الكنود: كند، قال الأعشى:

أحدث لها تحدث لوصلك إنها   كنــد لوصـل الزائر المعتـاد

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قال أكثر المفسرين: وإن الله على كنود هذا الإنسان وعلى صنيعه لشاهد، وقال ابن كيسان: الهاء راجعة إلى الإنسان يعنى أنه شاهد على نفسه بما يصنع ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: يعنى الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾: أى المال.

قال ابن زيد: سمى الله تعالى المال خيراً، وعسى أن يكون خبيثًا وحرامًا ولكن الناس يعدونه خيراً فسماه الله خيراً لأن الناس يسمونه خيراً، وسمى الجهاد سوءًا، قال: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ (آل عمران: ١٧٤) أى قتال وليس هو عند الله بسوء، ولكن لأن الناس يسمونه سوءًا.

ومعنى الآية: وإن الإنسان من أجل حب المال لشديد لبخيل. ويقال للبخيل: شديد، ومتشدد، قال طرفة:

أرى الموت يغتام الكرام ويصطفى   عقيلة مـــال الفاحش المتشـــدد

والفاحش البخيل أيضًا، قال الله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ (البقرة: ٢٦٨) أى بالبخل. وقيل معناه: وإنه لحب الخير لقوى، وقال الفراء: موضع (الحب) أن يكون بعد (لشديد) وأن يضاف شديد إليه فيقال: إنه لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قيل شديد وحذف من آخره لما جرى ذكره فى أوله، ولرؤوس الآى كقوله: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ (إبراهيم: ١٨) والعصوف لا يكون للأيام وإنما يكون للريح، فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره كأنه قيل فى يوم عاصف الريح.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ بحثر وأثير؛ قال الفراء: سمعت بعض أعراب بنى أسد يقرأ: بحتر بالحاء. قال: وهما لغتان.

﴿مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ فأخرجوا منها ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ : أى مَيَّز ، وأبرز ما فيها من خير أو شر وقرأ عبيد بن عمير ، وسعيد بن جبير ؛ حَصَل بفتح الحاء ، وتخفيف الصاد أى ظهر .

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ : جمع الكناية لأن الإنسان اسم الجنس .

﴿يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ : عالم . والقراءة بكسر الألف لأجل اللام ولولاها لكانت مفتوحة بوقوع العلم عليها . وبلغنى أن الحجاج بن يوسف قرأ على المنبر هذه السورة يحض الناس على الجهاد والغزو ، فجرى على لسانه : أن ربهم بفتح الألف ، ثم استدركها من جهة العربية فقال : خبيرٌ ، وأسقط اللام .



سورة القارعة

مكية، وهى مائة واثنان وخمسون حرفًا،
وست وثلاثون كلمة وإحدى عشرة آية

أخبرنا ابن المقرئ أخبرنا ابن مطر أخبرنا ابن شريك ابن يونس أخبرنا ابن سليم أخبرنا ابن كثير عن ابن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: (القارعة) ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝﴾

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ﴾: وهو الطير الذى يتساقط فى النار.

﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾: المتفرق: قال الفراء: كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضًا من الهول.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: كالصوف المصبوغ المبلل.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: مرضية فى الجنة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: فمسكنه، ومأواه النار؛ قال قتادة: هى كلمة عربية كان الرجل منهم إذا وقع فى أمر شديد قال: هَوَتْ أُمُّهُ.

وقال بعضهم: أراد أم رأسه، يعنى أنهم يهوون فى النار على رؤوسهم. وإلى هذا التّأويل ذهب قتادة، وأبو صالح.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ أى من؟ فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

قرأ حمزة: هى بغير هاء فى الوصل. ثم بَيَّنَ فقال:

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ : أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا ابن شاذان أخبرنا جيعويه أخبرنا صالح بن محمد أخبرنا إبراهيم بن محمد عن جعفر بن يزيد عن أنس بن مالك قال : إن ملكًا من ملائكة الله تعالى يوكل يوم القيامة بميزان ابن آدم فيجاء به حتى يوقف بين كفتى الميزان فيوزن عمله ، فإن ثقل ميزانه ، نادى الملك بصوت يسمع جميع الخلق باسم الرجل : ألا سعد فلان سعادة لا شقاوة بعدها وإن خفت موازينه ، نادى الملك : ألا شقى فلان شقاوةً لا سعادة بعدها .



سورة التكاثر

مكية، وهى مائة وعشرون حرفًا، وثمان وعشرون كلمة وثمان آيات

أخبرنى محمد بن القاسم أخبرنا محمد بن مطر أخبرنا إبراهيم بن شريك أخبرنا أحمد بن يونس أخبرنا سلام بن سُليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة عن أُبى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ لم يحاسبه الله تعالى بالنعم التى أنعم عليه[1] فى دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾. شغلتكم المباهاة، والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه عليكم ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: أى مُتّم فدفنتم فيها.

قال قتادة: نزلت هذه الآية فى اليهود حين قالوا: نحن اليهود أكثر من بنى فلان، وبنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً، وقال ابن بريدة: نزلت فى فخذ من الأنصار تفاخروا.

قال مقاتل والكلبى: نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف بن قصى، وبنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، كان بينهم لحاء فتعادّوا السادة والأشراف أيهم أكثر.

فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيداً، وأعز عزيزاً، وأعظم نفراً، وأكثر عدداً.

وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم وقالوا: هذا قبر فلان، وهذا قبر فلان، فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا أكثر عدداً فى الجاهلية، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

(١) فى الهامش: بالنعيم الذى أنعم به عليه.

وأخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر وأبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحيريان[1] قالا: أخبرنا أبو محمد حاجب بن أحمد بن سفيان أخبرنا عبد الرحيم بن منيب أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه السورة[2]: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقول ابن آدم مالى مالى، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟».

وروى زر بن حبيش عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: مازلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعنى فى القبر.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ لهم: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ والتكرير على التأكيد، وقال الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعنى الكفار: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال المؤمنون. وكذلك كان يقرؤها الأولى بالتاء والثانية بالياء.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾: كقوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ (الواقعة: ٩٥) قال قتادة: كنا نحدث أن علم اليقين: أن تعلم أن الله باعثه بعد الموت ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾: يصلح أن يكون فى معنى المضى جوابًا للَوْ تقديره: لو تعلمون العلم اليقين لرأيتم الجحيم بقلوبكم ثم رأيتموها بالعين اليقين.

وقيل معناه: لو تعلمون علم اليقين لشغلكم عن التكاثر والتفاخر، ثم استأنف: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ على نية القسم، وإلى هذا ذهب مقاتل. وقيل: معناه: لو علمتم يقينًا أنكم ترون النار لشغلكم ذلك عما أنتم فيه.

وقيل ذكر ﴿كَلَّآ﴾ ثلاث مرات أراد تعلمون عند النزع، وتعلمون فى القبر، وتعلمون فى يوم القيامة، ثم ذكر فى الثالثة: ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ لأنه صائر عيانًا ما كان مُغيَّبًا.

وقراءة العامة: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ بفتح التاء فى الحرفين. وضم ابن عامر والكسائى التاء الأولى منهما وفتح الأخرى، ورواه الكسائى عن على عليه السلام أخبرنا محمد بن عبدوس أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن الجهم أخبرنا الفراء أخبرنا محمد بن الفضل عن عطاء عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب. أنه قرأ: (لَتُرَوُنَّ) بضم التاء الأولى وفتح الثانية، وقال الفراء: الأول أشبه بكلام العرب لأنه تغليظ ولا ينبغى أن يختلف لفظه.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: اختلفوا فيه وأكثروا: فأخبرنا أبو على الحسين بن محمد بن

(١) فى الهامش: «الحرميان».

(٢) فوق هذه الكلمة بالمخطوط كلمة: الآية.

على بن إبراهيم السراج بقراءتى عليه فى الجامع يوم الجمعة فى المحرم سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو بكر محمد بن على بن مهران الخشاب أخبرنا على بن سعد العسكرى أخبرنا الحسن بن معاذ الأخفش مستملى أبى حفص الغلاس أخبرنا إبراهيم بن أبى سويد الذَّرَّاع أخبرنا سويد أبو حاتم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: «عن الماء البارد».

أخبرنا أبو الحسين محمد بن على بن الحسين ابن القاسم الحسينى السُّنّىّ أخبرنا أحمد بن على بن مهدى بن صدقة بالرملة حدثنى أبى حدثنى على بن موسى الرضا حدثنى أبى موسى ابن جعفر حدثنى أبى جعفر بن محمد حدثنى أبى محمد بن على حدثنى أبى على بن الحسين حدثنا أبى الحسين بن على حدثنا أبى على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ فى قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: «الرُّطب والماء البارد».

وقال عبد الله بن عمر: هو الماء البارد فى الصيف. دليل هذا التأويل الخبر المأثور: إن أول ما يسأل الله العبد يوم القيامة أن يقول له: ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد.

وقال أنس بن مالك: ضاف رسول الله ﷺ إلى المقداد بن الأسود، فَقَدَّم إليه طعامًا، فأكله، ثم سقاه ماءً باردًا، فاستطابه وقال: «يا بردها على الكبد». ثم قال: «إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ماء يقدر عليه». قيل: ولِمَ؟ قال: «إنه أطيب للمعدة، وأنفع للغُلة، وأبعث على الشكر».

وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول: سمعت أبا زكريا العنبرى يقول سمعت أبا العباس الأزهرى يقول سمعت أبا حاتم يقول: الماء العذب البارد يستخرج الحمد من جوف القلب.

قال مالك بن دينار: قال رجل للحسن: إن لنا جارًا لا يأكل الفالوذج ويقول: لا أقوم بشكره. قال: ما أجهل جاركم، نعمة الله عليه بالماء البارد أكثر من نعمته عليه بجميع الحلاوى[1].

وأخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله بن سلمة بنت عياش أخبرنا الأشعث ابن نزار عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قول الله عز وجل: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: «من أكل خبز البُر، وشرب الماء البارد، وكان له ظل فذلك النعيم الذى يُسأل عنه».

أخبرنا ابن فنجويه الحافظ أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن

(١) فى هامش المخطوط: الحلوى وهو تفسير للكلمة التى جمعها ما هو فى المتن.

حنبل حدثنى الوليد بن شجاع أخبرنا محمد بن سعيد بن الأصفهانى عن ابن أبى ليلى عن الشعبى عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: «الأمن والصحة».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن عبد الله بن برزة أخبرنا محمد بن غالب بن حرب أخبرنا زكريا بن يحيى الرقاش المقرئ أخبرنا عبد الله بن عيسى بن خلف أخبرنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ عند الظهيرة، فوجد أبا بكر فى المسجد فقال له: «يا أبا بكر ما الذى أخرجك فى هذه الساعة؟». قال: أخرجنى الذى أخرجك. قال: وجاء عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب، ما أخرجك؟». قال: أخرجنى يا رسول الله الذى أخرجكما، فقعد معهما عمر، فأقبل رسول الله يُحدّثهما، ثم قال: «هل لكما من قوة فتنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعامًا وشرابًا وظلالاً؟» فقلنا: نعم. قال: «مروا إلى أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى». قال: فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا فاستأذن وسلم عليهم ثلاث مرات، وأم الهيثم تسمع الكلام من وراء الباب، وتريد أن يزيدهم رسول الله من السلام، فلما أراد رسول الله ﷺ أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم، فقالت: يا رسول الله لقد سمعت تسليمك، ولكنى أردت أن تزيدنا من سلامك. فقال لها رسول الله ﷺ: «أين أبو الهيثم»؟ فقالت: يا رسول الله، هو قريب ذهب يستعذب لنا الماء، ادخلوا، فإنه يأتى الساعة إن شاء الله.

وبسطت لهم بساطًا تحت شجرة حتى جاء أبو الهيثم ففرح بهم أبو الهيثم وقرت عينه، وصعد أبو الهيثم إلى نخلة يصرم لهم عذقًا، فقال له رسول الله ﷺ: «حسبك يا أبا الهيثم». فقال: يا رسول الله تأكلون من بسره ورطبه ومن تذنوبه. ثم أتاهم بماء فشربوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذى تسئلون عنه».

ثم قام أبو الهيثم إلى شاة له ليذبحها، فقال رسول الله ﷺ: «إياك واللبون». وقامت أم الهيثم تعجن لهم وتخبز، فوضع رسول الله، وأبو بكر، وعمر رضى الله عنهما رؤوسهم للقائلة، فانتبهوا وقد أدرك طعامهم، فوضع بين أيديهم الطعام فأكلوا، وشبعوا، وحمدوا الله تعالى، ثم رد عليهم أبو الهيثم بقية الأعذاق فأكلوا من رطبه وتذنوبه، فسلم عليهم رسول الله ودعا لهم بخير.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا الفريابى أخبرنا منصور بن مزاحم أخبرنا أبو سعيد المؤدب وهو

محمد بن مسلم بن أبي الوضاح عن محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن محمود[1] بن لبيد قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ، قالوا: يا رسول الله عن أي نعيم نُسأل، وإنما هما هذان الأسودان التمر والماء وسيوفنا على عواتقنا؟! قال: «إن ذلك لكائن».

وأخبرنا أبو عبد الله الفنجوي أخبرنا ابن مالك يعني القطعي أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبي أخبرنا عفان أخبرنا يزيد بن إبراهيم أخبرنا يوسف بن أخت ابن سيرين عن أبي قلابة عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: «ناس من أمتي يعقدون السمن بالعسل بالنقي فيأكلونه».

وأخبرنا ابن فنجويه الدينوري أخبرنا عبد الله ابن محمد بن شنبة أخبرنا الغرياني أخبرنا إبراهيم بن عبد الله أخبرنا هيثم أخبرنا منصور ابن زاذان عن ابن سيرين عن ابن عمر قال: «لا تدخلوا الحمام، فإنه مما أحدثوا من النعيم». قال: وكان منصور لا يدخل الحمام.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا محمود بن الفرج أخبرنا ابن أبي الشوارب أخبرنا أبو عوانة عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ليَعُدّ نعمه على العبد حتى يعد عليه سألتني فلانة أن أزوجكها يسميها باسمها فزوجتكها».

وأخبرني ابن فنجويه أخبرنا ابن صقلاب أخبرنا ابن أبي الخطيب أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا فضل بن سهل أخبرنا حفص بن عمر أخبرنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال الصحابة: يا رسول الله، أي نعيم نحن فيه، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا الشعير؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ قال: «قل لهم: أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم».

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو زرعة الرازي أخبرنا أبو الحسن الأشناني القاضي أخبرنا أحمد بن الحسن بن سعيد الخزّاز حدثني أبي حدثني محمد بن مروان عن أبان بن ثعلب عن أنس بن مالك قال: لما نزلت: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ جاء رجل محتاج، فقال: يا رسول الله هل عَلَي من النعمة شيء؟ قال: «نعم النعلان، والظل، والماء البارد».

وأخبرنا محمد بن محمد بن هارون أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد الروياني أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا ابن نمير عن ابن جريج عن مجاهد: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: عن كل لذة من لذات الدنيا.

---

(١) في هامش المخطوط: «محمد».

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن الحسين أخبرنا على بن الحسن بن أبى عيسى أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا أبو عامر اليمانى[١] عن يحيى - وهو عندنا ابن أبى كثير. قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: «هل تدرون ما ذاك النعيم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «بيت يكنك، وخرقة توارى عورتك، وكسرة تشد بها صلبك، ما سوى ذلك فهو نعيم».

أخبرنا عبد الله بن حامد إجازة أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى المكى حدثنى أبو بكر محمد ابن جعفر المقرئ بشمشاط[٢] أخبرنا أحمد بن سفيان بن علقمة عن عبد الله المقدمى أخبرنا عمرو بن خالد أخبرنا النصر بن عدى عن عكرمة عن ابن عباس قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ثم قال: «تكاثر الأموال جمعها من غير حقها، ومنعها عن حقها، وشدها فى الأوعية ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ حتى دخلتم قبوركم ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لو قد دخلتم قبوركم ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لو قد خرجتم من قبوركم إلى حشركم ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ قد تطايرت الصحف فَشَقىٌّ وسعيد ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾، قال: «وذلكم حين يؤتى بالصراط فينصب بين جسرَى جهنم ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: «عن خمس: عن شبع البطون، وبارد الشراب، ولذة النوم، وظل المساكن، واعتدال الخلق».

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الله أخبرنا الحسين ابن زياد أخبرنا أبو خالد الأحمر عن مفضل عن مغيرة عن إبراهيم قال: من أكل فسمى، وفرغ فحمد الله لم يُسأل عن نعيم ذلك الطعام».

وقال ابن عباس: النعيم صحة الأبدان والأسماع، والأبصار؛ قال: يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦) وقال أبو جعفر: العافية.

أخبرنا عقيل بن محمد الفقيه: أن المعافى بن زكريا أخبرنا ابن جرير الطبرى أخبرنا أبو حميد أخبرنا مهران عن إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن الحارث التميمى عن ثابت البنانى عن أنس عن النبى ﷺ: «النعيم المسئول عنه يوم القيامة كسرة تقويه، وماء يرويه وثوب يواريه».

وبه عن ابن مهران عن سفيان عن بكير بن عتيق العامرى قال: أُتى سعيد بن جبير بشربة

---

(١) فى الهامش: «اليمامى».

(٢) فى هامش المخطوط: سميساط بالسين غير المعجمة.

عسل، فقال: أما إن هذا من النعيم الذى يسأل الله تعالى عنه.

وقال محمد بن كعب يعنى عما أنعم عليكم بمحمد ﷺ ودليل هذا قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ (النحل: ٨٣) وقال عكرمة: عن الصحة والفراغ والمال.

وقال سعيد بن جبير: عن الصحة والفراغ والمال، ودليله ما روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

وقال عروة بن محمد: كنا مع وهب بن منبه فرأينا رجلا: أصمّ، أعمى، مقعدًا، مجذومًا، مصابًا؛ فقلت لوهب: هل بقى على هذا من النعيم شىء؟ قال: نعم أعظمه يسيغه ما يأكل ويشرب ويسهل عليه إذا خرج لذلك.

وقال بكر بن عبد الله المزنى: يا لها من نعمة نأكل لذة، ونخرج شرجًا، وقال أبو العالية: عن الإسلام والسنن، وقال الحسين بن الفضل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن، وقال أبو بكر ـ يعنى الوراق ـ عن الآلاء والنعماء.



سورة العصر

مكية، وهى ثمانية وستون حرفًا، وأربع عشرة كلمة وثلاث آيات

أخبرنا كامل بن أحمد أخبرنا محمد بن مطر[١] أخبرنا إبراهيم بن شريك أخبرنا أحمد بن يونس أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أبى بن كعب قال قال رسول الله: «من قرأ والعصر ختم الله له بالصبر وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝﴾

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ قال ابن عباس: والدهر، وقال ابن كيسان: الليل والنهار يقال لهما العصران والغداة والعشى أيضًا عصران، وقال حميد بن ثور:

ولن يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تَيمَّما

وقال الحسن: بعد زوال الشمس إلى غروبها، وقال قتادة: أخر ساعة من ساعات النهار، وقال مقاتل: صلاة العصر، وهى الوسطى.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: خسران ونقصان، وقال الأخفش: هلكة، وقال الغزالى: عقوبة، وقرأ الأعرج: خُسُر. بضمتين.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: فإنهم ليسوا فى خُسر.

﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾: وتحاثوا، وأوصى بعضهم بعضًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالقرآن: وروى عن الحسن، وقتادة، ومقاتل: الإيمان والتوحيد. وقيل: على العمل بالحق.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾: أى على أداء الفرائض، وإقامة أمر الله. وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عُمِّر فى الدنيا وهرم لفى نقص وضعف وتراجع إلاّ المؤمنين فإنه

(١) فى الهامش مطرف وقد صوبها الناسخ على ما فى المتن.

تكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التى كانوا يعملونها فى حال شبابهم وقوتهم وصحتهم وهى مثل قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ (التين: ٤ـ٦) الآية.

وقراءة على رضى الله عنه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ وإنه فيه إلى آخر الدهر.

وكذلك هى فى قراءة ابن مسعود، وكان على يقرؤها: والعصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفى خسر وإنه فيه إلى آخر الدهر.

والقراءة الصحيحة ما عليه العامة، والمصاحف.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن على بن محمد بن حمدان الخطيب الشجرى قراءة عليه فى رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن دلان أخبرنا القاضى منصور بن محمد أخبرنا محمد بن أحمد البزاز أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن داود بن سليمان الدينورى أخبرنا على بن إسماعيل أخبرنا الحسن بن علقمة أخبرنا أسباط بن محمد عن القاسم بن رفيعة عن أبى أمامة عن أبى بن كعب قال: قرأت على رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ فقلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما تفسيرها؟ قال: «﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ قسم من الله أقسم ربكم بآخر النهار﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾». قال: «أبو جهل بن هشام ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أبو بكر ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ عمر ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ عثمان ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين.

وأخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن على بن عبد الخالق المؤذن يقرئنى عليه أخبرنا أبو بكر محمد بن يوسف بن حاتم بن نصر أخبرنا الحسن بن عثمان أخبرنا أبو هشام محمد بن يزيد بن رفاعة أخبرنا عمى على بن رفاعة عن أبيه قال: حججت فوافيت على عبد الله بن عباس يخطب على منبر رسول الله ﷺ فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ أبو جهل بن هشام ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أبو بكر ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ عمر بن الخطاب ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ عثمان بن عفان ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الهُمَزَة

مكية، وهى مائة وثلاثون حرفًا، وثلاث وثلاثون كلمة وتسع آيات

أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم بقراءتى عليه أخبرنا أبو عمرو إسماعيل بن نُجيد بن أحمد بن يوسف السلمى أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجى أخبرنا سعيد ابن حفص قال: قرأت على معقل بن عبد الله عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد ﷺ وأصحابه».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾. قال ابن عباس: هم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البرآء العنت.

قال سعيد بن جبير، وقتادة: الهُمَزَة: الذى يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة: الطعان عليهم.

قال مجاهد: الهُمَزَة: الطاعن فى الناس، واللمزة: الطاعن فى أنساب الناس.

وقال أبو العالية، والحسن، وعطاء بن أبى رباح: الهمزة: الذى يعيب ويطعن فى وجه الرجل إذا أقبل، واللمزة: الذى يغتابه من خلفه إذا أدبر وغاب ضدُّهُ؛ قال مقاتل مرة: يعنى كل طعّان عيّاب مغتاب للمرء إذا غاب، دليلهُ قول زياد بن الأعجمَ:

إذا لقيتك عن سخط تكاشرنى | وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

وقال ابن زيد: الهمزة: الذى يهمز الناس بيده، ويضربهم، واللمزة الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم.

قال سفيان الثوري: يهمز بلسانه، ويلمز بعينه؛ قال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكثر عينه على جليسه ويشير برأسه، ويرمض بعينه، ويرمز بحاجبه. وهما نعتان للفاعل نحو سُخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس.

وروى عن أبي جعفر، والأعرج بسكون الميم فيهما، فإن صحت القراءة فهي المعنى المفعول، وهو الذي يتعرض للناس حتى يهمزوه ويضحكوا منه ويحملهم على الاغتياب وقرأ عبد الله والأعمش: ويل للهمزة واللمزة، وأصل الهمزة الكسر، والغض على الشيء بالعين، ومنه همز الحرف، وحكى أن أعرابيًا قيل له: أتُهْمَز الفَارَة فقال: الهرة تهمزها، وقال العجاج:

❖ ومن همزنا رأسه تهشما ❖

واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية: فقال قوم نزلت في جميل بن عامر الجمحي وإليه ذهب ابن أبي نجيح، وقال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق، ووهب بن عمرو الثقفي، وكان يقع في الناس ويغتابهم مقبلين ومدبرين.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: مازلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجمحي.

وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان يغتاب النبي ﷺ ويطعن في وجهه.

وقال مجاهد وغيره: ليست خاصة لأحد بل لكل من كانت هذه صفته.

قول تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ شيبة وعاصم، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو وأيوب بتخفيف الميم واختاره أبو حاتم غيرهم بالتشديد واختاره أبو عبيد. واختلف فيه عن يعقوب.

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾: أحصاه، وقال مقاتل: استعده وذخره وجعله عتادًا له، وقرأ الحسن: وعَدَدَهُ بالتخفيف، وهو بعيد. وقد جاء مثل ذاك في الشعر لما أبرزوا التضعيف خففوه قال الشاعر:

مهلاً أعاذل قد جربت خُلُقِي   إني أجود لأقوام وإن ضنوا

أي ضنوا أو بخلوا.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿كَلَّا﴾ رد عليه.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو علي بن حبش المقرى أخبرنا القاسم بن الفضل أخبرنا أبو زرعة أخبرنا ابن السرح أخبرنا ابن وهب أخبرنا حرملة بن عمر: أنه سمع عمر بن عبد الله مولى عفرة يقول: إذا سمعت الله عز وجل يقول: ﴿كَلَّا﴾ فإنما يقول كذبت.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: ليقذفن ويطرحن، وقرأ الحسن: لينبذان، بالألف على التثنية يريد هو وماله.

﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ : وهى النار سميت بذلك لأنها تحطم أى تكسر.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ : يعنى حتى تبلغ ألمها ووجعها القلوب، والاطلاع والبلوغ قد يكون بمعنى الطلوع وحكى عن العرب سماعًا متى طلعت أرضنا بمعنى بلغت، ومعنى الآية: أنها تأكل كل شىء منه حتى تنتهى إلى فؤاده.

قال القرظى والكلبى ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ : مطبقة مغلقة ﴿فِى عَمَدٍ﴾ : قرأ أهل الكوفة إلاّ حَفْصًا بضمتين. وغيرهم بالنصب، واختاره أبو حاتم لقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد:٢) وهما جمعان للعمود مثل: أديم وأدُم، وأَدَم[1]، وأفيق وأُفُق وأَفَق، وقَضيم، وقُضُمٍ، وقَضَمٍ قاله الفراء، وقال أبو عبيدة: هو جمعٍ عماد مثَل إهاب وأُهُبٍ، وأَهَبٍ.

﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ : قرأها العامة بالخفض على نعت العَمَدِ. وقرأها عاصم الجحدرى. مُمَدَّة بالرفع جعلها نعتًا للمؤصدة.

واختلفوا فى معنى الآية: فقال ابن عباس: أدخلهم فى عمد فمُدَّت عليهم بعماد، وفى أعناقهم السلاسل فسدت عليهم بها الأبواب.

وقال قتادة: وبلغنا أنها عُمد يعذبون بها فى النار. قيل: هى عمد موتدة على أبوابها ليتأكد يأسهم منها. قيل معناه: أنها عليهم مؤصدة بعمد، وكذلك فى حرف مصحف عبد الله بعَمَدٍ بالباء.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا شاذان، أخبرنا جيعويه أخبرنا صالح بن محمد أخبرنا سليمان بن عمرو عن أبان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن كَيّسٌ فطنٌ، حذر، وقاف متثبت، لا يعجل، عالم ورع، والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يبالى من أين كسب، ولا فيما أنفق».



(١) فى الهامش تعليق هذا نصه: وفى غير هذه النسخة: أَدِيم، وأدم، وأَفِيق وأَفَق، وقضِيم، وقضم.

سورة الفيل

مكية، وهي ست وتسعون حرفًا، وعشرون كلمة، وخمس آيات

أخبرنا ناقل بن راقم أخبرنا محمد بن شاذه أخبرنا أحمد بن الحسن أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا سالم بن قتيبة عن شعبة، عن عاصم عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفيل عافاه الله أيام حياته في الدنيا من القذف والمسخ».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝﴾

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ذكر القصة وبالله التوفيق:

قال محمد بن إسحاق بن يسار: كان من حديث أصحاب الفيل في ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير، وعكرمة عن ابن عباس، وعمن لقي من علماء أهل اليمن وغيرهم: أن ملكًا من ملوك حمير يقال له: زُرعة ذو نواس كان قد تهود، واستجمعت معه حمير على ذلك إلاّ ما كان من أهل نجران، فإنهم كانوا على النصرانية على أصل حكم أهل الإنجيل، ولهم رأس يقال له: عبد الله بن التامر. فدعاهم إلى اليهودية، فأبوا فخيرهم، فاختاروا القتل، فخدّ لهم أخدودًا، وصنف لهم أصناف القتل.

فمنهم من قتل صبرًا، ومنهم من خد له فألقاه في النار إلا رجل من أهل سبأ يقال له: دوس بن ثعلبان، فإنه ذهب على فرس له فركض حتى أعجزهم في الرمل، فأتى قيصر، فذكر له ما بلغ منهم واستنصره؛ فقال له: بعدت بلادكم عنا، ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة، فإنه على ديننا فينصرك، فكتب له إلى النجاشي يأمره بنصره.

فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلاً من أهل الحبشة يقال له: أرياط، فلما بعثه قال له: إن دخلت اليمن، فاقتل ثلث رجالها، وأخرب ثلث بلادها، وابعث إليّ بثلث سباياهم؛ فلما دخل ناوش شيئًا من قتال، فتفرقوا عن ذي نواس وخرج به فرسه فاستعرض به البحر فضربه،

فهلكا جميعًا، فكان آخر العهد به. ودخلها أرياط فعمل بما أمر النجاشى فقال ذو وجدن الحميرى فيما أصاب أهل اليمن ونزل بهم:

دعينى لا أبالَكِ لم[١] تطيقى لحاكِ الله قد أنزفتِ ريقى
إذا عزف القيان إذا انتشينا وإذ تسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس علىّ عارًا إذا لم يشكنى فيها رقيقى
وغمدان الذى حدثت عليه بنوه ممسك فى رأس نيق
مصابيح السليط تَلُحْنَ فيه إذا تمسى كتوماض البُرُوق
فأصبح بعد جدته رمادًا وغير حُسنه لهب الحريق
وأسلم ذو نواس مستكنًا وحذر قومه ضنك المضيق

قال: فأقام أرياط باليمن، وكتب إليه النجاشى: أن اثبت بجندك ومن معك. فأقام حينًا، ثم إن أبرهة بن الصباح ساخطه فى أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكان معه طائفة، ومع أبرهة طائفة. ثم تراجفا، فلما دنا بعضهم إلى بعض أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض شيئًا حتى تلقانا، ولكن اخرج إلىّ، فأيُّنا قتل صاحبه انضم إليه الجند، فأرسل إليه: إنك قد أنصفت. ثم خرجا.

وكان أرياط جسيمًا عظيمًا[٢] وسيمًا، فى يده حربة. وكان أبرهة رجلاً قصيرًا حادبًا لحيمًا، وكان ذا دين فى النصرانية. وخلف أبرهة وزيرًا له يقال له: عتودة. فلما دنوا رفع أرياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة، فوقعت فى جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه، فلذلك سمى: الأشرم.

وحمل عتودة على أرياط فقتله. فاجتمعت الحبشة لأبرهة، وقال عتودة فى قتل أرياط:

أنا عتودة من خلفه أرده ولا أبٌ ولا أمٌّ تحده

وقال أبرهة: ما كان لك قتله يا عتودة لآدينه. قال: فبلغ النجاشى ما صنع أبرهة، فغضب وحلف لا يدع أبرهة حتى يجز ناصيته، ويطأ بلاده، وكتب إلى أبرهة: إنك عدوت على أميرى فقتلته بغير أمرى.

وكان أبرهة رجلاً ماردًا، فلما بلغه ما كان من قول النجاشى حلق رأسه، وملأ جرابًا من تراب أرضه، وكتب إلى النجاشى: أيها الملك إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، فاختلفنا فى

(١) فى الهامش: «لا».
(٢) فى الهامش: «حليما».

أمرك، وكنت أعلم بالحبشة وأسوس لها، وقد كنت أردته على أن يعتزل وأكون أنا أسوسه فأبى فقتلته، وقد بلغنى الذى حَلَفَ عليه الملك، وقد حلقت رأسى وبعثت به إليه وبعثت إليك بجراب من تراب أرضى ليضعه تحت قدمه وتبر يمينه. فلما انتهى إليه ذلك رضى عنه فأقره على عمله، وكتب إليه أن يثبت بمن معه فى الجند.

ثم إن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء لم يُبْنَ لملك مثلها قط يقال لها القلَّيس. وكتب النجاشى: قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم تبن لملك مثلها قط، ولست منتهيًا حتى أجعل إليها حجيج العرب. فسمع بذلك رجل من بنى مالك بن كنانة فخرج إلى القليس فدخلها ليلاً فقعد فيها[1] فبلغ أبرهة: ويقال: إنه أتاها ناظرًا إليها فدخلها أبرهة، فوجد تلك العذرة، فقال: من اجترأ علىَّ؟ فقيل: صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذى قلت، فصنع هذا. فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها.

فخرج سائرًا فى الحبشة إلى الكعبة، وخرج معه بالفيل. فبلغ ذلك العرب، فأعظموه، وفظعوا لها، ورأوا جهاده حقًا عليهم، فخرج ملك من ملوك حمير يقال له: ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتل فهزمه وأخذ ذو نفر، فأُتى به؛ فقال: أيها الملك لا تقتلنى، فإن استبقائى خير لك من قتلى. فاستبقاه، وأوثقه.

وكان أبرهة رجلاً حليمًا. ثم خرج سائرًا حتى دنا من بلاد خثعم، فخرج نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلتى خثعم شهران وباهش، ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن، فقاتلوه، فهزمهم، وأخذ النفيل، فقال النفيل: أيها الملك، إنى دليل بأرض العرب، فلا تقتلنى، وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة، فاستبقاه. وخرج معه يدله حتى إذا مَرَّ بالطائف، خرج إليه مسعود بن مغيث الثقفى فى رجال من ثقيف. فقال: أيها الملك، إنما نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذى تريد يعنون اللات - إنما تريد البيت الذى بمكة، فنحن نبعث معك من يدلك عليه؛ فبعثوا أبا رغال مولى لهم، فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال، وهو الذى يرجم قبره.

فبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتى بعير. فقال عبد الله بن عمر بن مخزوم:

اللهم اخز الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة ذات التقليد

---

(١) أى قضى حاجته فيها.

من حرى فثبير فالبيـــــد فضمها إلى طماطم ســـود

قد أجمعوا ألا يكون معبود ويهدموا البيت الحرام العمود

والمروتين والمشاعر الســـود حقر بهم ربى وأنت محمـود

ثـم إن أبرهـة بعث خَبَاطَةَ الحميرى إلى أهـل مكة، فقال: سل عـن شريفهـا، ثم بلـغه ما أرسلك به إليه. أخبره أنى لم آت لقتال، إنما جئت لأهدم هذا البيت. فانطلق حتى دخل مكة، فلقى عبد المطلب بن هاشم، فقالَ له: إن الملك أرسلنى إليك لأخبرك: إنه لم يأت لقتال إلاّ أن تقاتلوه، وإنما جاء لهدم هذا البيت، ثم الانصراف عنكم.

فقال عبد المطلـب: ما له عندنا قتلا، وما لنا به يدان، سنخلـى بينه وبين ما جاء إليه فإن هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السـلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخلّ بينه وبـين ذلك فهو والله ما لنا به قـوة؛ قال: فانطلق معى إلـى الملك. فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة له كان عليها، وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر.

وكان ذو نفر صـديقًا لعبد المطلب، فأتـاه، فقال: يا ذا نفر هل عندك من غنـاء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غنـاء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكـرةً وعشيًا، ولكن سـأبعث لك إلى أنـيس سائس الفيل، فإنه لى صـديق، فأسأله أن يصنـع لك عند الملك ما استطـاع من خير، ويعـظم خطرك ومنزلتك عنده.

قال: فـأرسل إلى أنيس، فأتاه، فقال له: إن هذا هـو سيد قريش، وصاحب عير مكة الذى يطعـم الناس فـى السهل والـوحوش فـى رؤوس الجبال، وقـد أصاب له الملك مـائتى بعـير فإن استطعت أن تنفعه عـنده فانفعه فإنه صديق لى أحب مـا وصل إليه من الخير. فدخل أنيس على أبرهة: فقـال له: أيها الملك هذا سيد قـريش وصـاحب عير مكة الـذى يطعم الناس فـى السهل، والـوحوش فـى رؤوس الجبال يستـأذن عليك، وأنـا أحب أن تأذن له فـيكلمك، وقد جـاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك. فأذن له.

وكان عبد المطلب جسيمًا وسيمًا عظيمًا.

فلمـا رآه أعظمـه، وأكرمه، وكـره أن يجلس معه فـى سريره وأن يجلـس تحته. فهبط إلى البساط، فجلس عليه، ثم دعاه فـأجلسه معه، ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك.

فقال عبـد المطلب: حـاجتى إلـى الملك أن يردّ علـى مائتـى بعيرٍ أصابها لـى. فقال أبـرهة

لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت فيك. قال: لمَ؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك، ودين آبائك وعصمتهم لأهدمه، ولم تكلمني فيه، وتكلَمني في مائتي بعير أصبتها؛ قال عبد المطلب: أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت رب سيمنعه.

قال: ما كان ليمنعه مني؛ قال: فأنت وذاك؛ فأمر بإبله فردت عليه.

قال ابن إسحاق: وكان فيما زعم بعض أهل العلم: قد ذهب عبد المطلب إلى أبرهة بعمر ابن نفاثة بن عدي بن الديل بن عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد بني كنانة. وخويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد بني هذيل. فعرضوا على أبرهة ثلث أموال أهل تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم. فلما رُدَّت الإبل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر، وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفًا عليهم من معرة الجيش إذا دخل ففعلوا. وأتى عبد المطلب الكعبة، فأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواك ... يا رب فامنع منهم حماك

إن عدو البيت من عاداك ... امنعهم أن يخربوا فناك

وقال أيضًا:

لاهم إن العبد يمنع رحله ... وحلاله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم ... عَدْوًا محالك

جرو جموع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم ... جهلاً وما رقبوا جلالك

إن كنت تاركهم وكعبـ ... ـتنا فأمرٌ ما بَدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه. وأصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول. وعبأ جيشه، وهيأ فيله، وكان اسم الفيل: محمودًا ـ وكان فيل النجاشي، بعثة إلى أبرهة. وكان فيلا لم يُر مثله في الأرض عظمًا وجسمًا وقوة.

ويقال: كان معه اثنا عشر فيلاً. فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود، وارجع راشدًا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، فبرك الفيل. فبعثوه، فأبى، فضربوه بالمعول في رأسه فأبى. فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه، فنزعوه ليقوم، فأبى. فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم فبرك، وأبى أن يقوم، وخرج الفيل يشتد حتى صعد في الجبل.

وأرسل الله تعالى طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران فى رجليه، وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس، فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم. فلم تصب تلك الحجارة أحدًا إلاّ أهلكته.

وليس كل القوم أصابت. وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن. فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله تعالى بهم من نقمته:

أين المفر؟ والإله طالب ... والأشرم المغلوب غير الغالب

وقال نفيل فى ذلك أيضًا:

ألا جئت عنا يا ردينًا ... نعمناكم مع الإصباح عينا
ردينة لو رأيت ولن تريه ... لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتنى وحمدت أمرى ... ولم تأسى على ما بات فينا
حمدت الله إذ عاينت طيراً ... وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسأل عن نفيل ... كأن علىَّ للحبشان دينًا

ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال وقد صرخ القوم وماج بعضهم فى بعض، فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون فى كل منهل. وبعث الله على أبرهة داء فى جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة تبعتها مَدة من قيح ودم، فانتهى إلى صنعاء، وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من أصحابه. وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، ثم هلك. وزعم مقاتل ابن سليمان: أن السبب الذى جَرّ حديث الفيل:

أن فتية من قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشى، فساروا حتى دنوا من ساحل البحر، وفى حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش: الهيكل، ويسميها النجاشى وأهل أرضه: الماسرجسان. فنزل القوم فى سندها فجمعوا حطبًا، ثم أججوا نارًا، فاشتووا. فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف، فعجت الريح فاضطرم الهيكل ناراً وانطلق الصريخ إلى النجاشى. فأخبره فأسف عند ذلك غضبًا للبيعة، فبعث أبرهة لهدم الكعبة.

وقال فيه: وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفى، وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبيهًا نبيلاً، وكانت تستقيم الأمور برأيه. وهو أول فاتق وأول راتق، وكان خليلاً لعبد المطلب. فقال عبد المطلب يا أبا مسعود ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك؟

فقال أبو مسعود: اصعد بنا حراء؛ فصعد الجبل فمكثا فيه، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى مائة من الإبل، فاجعلها حرمًا لله وقلدها نعالاً، ثم ابثها في الحرم، لعل بعض هذه السودان يعقر منها، فيغضب رب هذ البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطلب. فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها، وعقروا بعضها، فجعل عبد المطلب يدعو.

فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت لربا يمنعه فقد نزل تُبّع ملك اليمن بصحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله تعالى وابتلاه، وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى ذلك تبع كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزرًا؛ فانظر نحو البحر.

فنظر عبد المطلب فقال: أرى طيرًا بيضا نشأت من شاطئ البحر. قال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها قد أزرّت على رؤوسنا. قال: هل تعرفها؟. قال: والله ما أعرفها. ولا هي بنجدية، ولا تهامية ولا عدنية ولا شامية، وإنها طير بأرضنا غير مؤنسة.

قال: ما قدرها؟ قال: أمثال اليعاسيب في مناقرها حصى كأنها حصى الخذف، قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضًا أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار وأسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى حادت بعسكر القوم ركبت فوق رؤوسهم.

فلما توافت الرغال كلها أهالت الطيور ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب في كل حجر اسم صاحبه، ثم إنها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا رَتْوة[1].

فلم يؤنسا أحدًا، ثم دنيا رتوة، فلم يسمعا حسا. فقالا: بات القوم سامدين فأصبحوا نيامًا فلما دنيا من عسكر القوم فإذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه وتخرق الفيل أو الدابة وتغيب الحجارة في الأرض من شدة وقعها. فعمد عبد المطلب، فأخذ فأسًا من فؤوسهم فحفر حتى أعمق في الأرض فملأه من الذهب الأحمر، والجوهر الجيد، وحضر أصحابه فملأه؛ ثم قال لأبي مسعود: هات خاتمك، فاختر فإن شئت أن تأخذ حفرتي وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك معًا.

فقال أبو مسعود: اختر لي على نفسك. فقال عبد المطلب: إني لم آل أن أجعل أجود المتاع في حفرتي فهي لك. وجلس كل واحد منهما على حفرته، ونادى عبد المطلب في الناس، فتراجعوا، وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به ذرعًا وساد عبد المطلب بذلك قريشًا، وأعطته

(١) في الهامش: «ربوة».

المقادة، فلم يزل عبد المطلب، وأبو مسعود فى أهلهما فى غِنًى من ذلك المال. ودفع الله عز وجل عن كعبته وقبلته، فسلط عليهم جنودًا لا قبل لهم بها.

وقال الواقدى بأسانيده: وجّه النجاشى أرياط فى أربعة آلاف إلى اليمن، فغلب عليها فأكرم الملوك واستذل الفقراء.

فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم فدعا إلى طاعته، فأجابوه، فقتل أرياط وغلب على اليمن. فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج، فسأل أين يذهب الناس؟ قالوا: يحجون بيتا لله بمكة.

قال: مما هو؟ قالوا: من حجارة. قال: فما كسوته؟ قالوا: مما يأتى من هنا وهناك الوصائل.

قال: والمسيح لأبنين لكم خيرًا منه؛ فبنى لهم بيتًا عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر، والأسود، وحلاّه بالذهب، والفضة، وحفّه بالجواهر، وجعل له أبوابًا عليها صفائح الذهب، وفصّل بينها بالجواهر وجعل فيها ياقوتةً حمراء عظيمة، وجعل لها حجابًا[1] فكان يوقد بالمندل ويلطخ جدره بالمسك فيسودها حتى تغيب الجواهر. وأمر الناس بحجه، فحجه كثير من قبائل العرب سنين. ومكث فيه رجال يتعبدون، ويتألهون نسكوا له.

وكان نفيل الخثعمى يؤرض له ما يكره، فأمهل.

فلما كان ليلة من الليالى لم ير أحدًا يتحرك، فقام، فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته، وجمع جيفًا وألقاها فيه. فأخبر أبرهة بذلك فغضب غضبًا شديدًا وقال: إنما فعلت هذا العرب غضبًا لبيتهم لأنقضنه حجرًا حجرًا، وكتب النجاشى بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيله محمود، وكان فيلا لم يُر مثله فى الأرض عظما وجسمًا وقوة فبعث به إليه.

فلما قدم عليه الفيل، سار أبرهة بالناس ومعه ملك حمير، ونفيل بن حبيب الخثعمى فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نعم الناس، فأصابوا إبلا لعبد المطلب وكان نفيل صديقًا لعبد المطلب، فكلمه فى إبله؛ فكلم نفيل أبرهة فقال: أيها الملك، قد أتاك سيد العرب وأفضلهم قدرًا وأقدمهم شرفًا يحمل على الجياد، ويعطى الأموال، ويطعم الناس، فأدخله على أبرهة. فقال: حاجتك. قال: ترد علىّ إبلى. قال: ما أرى ما بلغنى عنك إلا الغرور، وقد ظننت أنك تكلمنى فى بيتكم الذى هو شرفكم. فقال عبد المطلب: اردد علىّ إبلى،

(١) فى المتن: «حجاجًا». والتصويب من الهامش.

ودونك البيت ، فإن له ربًا سيمنعه .

فأمر برد إبله عليه ؛ فلما قبضها قلدها النعال وأشعرها وجعلها هديًا وبثها فى الحرم لكى يصاب منها شىء فيغضب رب الحرم ، وأوفى عبد المطلب على حراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومطعم بن عدى ، وأبو مسعود الثقفى ؛ فقال : عبد المطلب :

اللهم إن المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك

قال : فأقبلت الطير من البحر أبابيل ، مع كل طير ثلاثة أحجار ، حجران فى رجليه ، وحجر فى منقاره ، فقذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيئًا إلاّ هشمته وملأ نفطه ذلك الموضع . وكان ذلك أول ما رؤى الجدرى والحصبة ، والأشجار المرة . فأهمدتهم الحجارة ، وبعث الله سبحانه وتعالى سيلاً عاتيًا ، فذهب بهم إلى البحر ، فألقاهم فيه . وذهب أبرهة ومن بقى معه هاربًا ، فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً .

وأما محمود فيل النجاشى ، فربض ولم يشجع على الحرم ، فنجا . وأما الفيل الآخر فشجع فحصب . ويقال : كانت اثنى عشر فيلاً .

قال ابن إسحاق : ولما ردّ الله سبحانه وتعالى الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشًا وقالوا : أهل الله ، قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم ، وقال عبد الله بن عمر بن مخزوم فى قصة أصحاب الفيل :

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمس

من بعد ما هم بشر مُلْبِسِ حبسته فى هيئة المكركسِ

وما لهم من فرج ومفلس

المكركس : المنكوس المطروح ، وقال أبو الصلت بن أمية بن مسعود فى ذلك أيضًا .

إن آيات ربنا باقيات ما يمارى بهن إلاّ الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور

حوله من رجال كهذه فتيان مصاليت فى الحروب صقور

غادروه ثم انذعروا سراعًا كلهم عظم ساقه مكسور

قال الكلبى ، ومقاتل : كان أبرهة صاحب الجيش . وكان أبو يكسوم من ندمائه ووزرائه ، فلما أهلكهم الله بالحجارة ، لم يفلت منهم إلا أبو يكسوم ، فسار ، وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشى فأخبره بما أصابهم ، فلما استتم كلامه رماه الطائر فسقط فمات .

فأرى الله تعالى النجاشى كيف كان هلاك أصحابه.

وقال الآخرون: أبو يكسوم هو أبرهة بن الصباح، وقال الواقدى: كان أبرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله ﷺ.

واختلفوا فى تاريخ عام الفيل: فقال مقاتل: كان أمر الفيل قبل مولد النبى ﷺ بأربعين سنة، وقال الكلبى، وعبد بن عمير: كان قبل مولد النبى ﷺ بثلاث وعشرين سنة.

وروى أنه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله ﷺ، وعليه أكثر العلماء. يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقى أخبرنا أبو العباس الدعولى أخبرنا أبو بكر بن أبى خيثمة إبراهيم بن المنذر الجذامى، أخبرنا عبد العزيز بن أبى ثابت، أخبرنا الزبير بن موسى عن أبى الحويرث قال: سمعت عبد الملك بن مروان يقول: لقباث بن أشيم الكنانى الليثى: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر منى وأنا أسنّ منه، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقفت بى أمى على روث الفيل.

وقالت عائشة رضى الله عنها: رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين، مقعدين، يستطعمان.

❖ **التفسير:**

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾. قال مقاتل: كان معهم فيل واحد.

وقال الضحاك: كانت الفيلة ثمانية. وإنما وجد على هذا التأويل لوفاق رؤوس الآى. ويقال: نسبهم إلى الفيل الأعظم واسمه محمود.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ عما أرادوا من تخريب الكعبة. وقيل: فى بطلان وأباطيل. وقال مقاتل: فى خسار.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾: من البحر ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضًا.

قال عبد الرحمن بن أبزى أقاطيع كالإبل المؤبلة؛ قال الأعشى:

طريق وجبار رواء أصــوله ... عليه أبابيل من الطير تنعَبُ

قال امرؤ القيس:

تراهم إلى الداعى سراعًا كأنهم ... أبابيل طير تحت دجن مسخر

وقال آخر:

كادت تهذ من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرض بالجراد الأبابيل

واختلفوا فى واحدتها : فقال الفراء : لا واحد لها من لفظها مثل : الشماطيط ، والعباديد ، والسفافيد ، كل هذا لا يفرد له واحد . قال : وزعم لى الرؤاسى - وكان ثقة مأمونًا - : أنه سمع واحدها . أبالةً . ولقد سمعت من العرب من يقول ضغثٌ على إبالة يريد خصب على خصب .

قال : ولو قال قائل : واحدها أبالة كان صوابًا ، مثل دينار ودنانير . ويقال أيضًا للفضلة التى تكون على ظهر الحمار أو علف البعير أبالة ، وقال الكسائى : كنت أسمع النحويين يقولون : واحدها أَبَّوْلٌ مثل عجَّوْل ، وعجاجيل .

وحكى محمد بن جرير عن بعض النحويين : أن واحدها أبيل ، يقال : جاءت الخيل أبابيل من هاهنا وهاهنا .

وقال ابن عباس : لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب .

قال عكرمة : لها رؤوس كرؤوس السباع لم تر قبل ذلك ولا بعده .

قال ربيع : لها أنياب كأنياب السباع ؛ وقالت عائشة رضى الله عنها : أشبه شىء بالخطاطيف .

قال سعيد بن جبير : طير خضر لها مناقير صفر ؛ قال أبو الجوزاء : أنشأها الله تعالى فى الهواء فى ذلك الوقت[١] .

قال تعالى : ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ﴾ قراءة العامة بالتاء للطير . وقراءة طلحة وأشهب العقيلى : يرميهم بالياء وهو اختيار أبى حنيفة ، يعنون إليه سبحانه وتعالى لقوله عز وجل : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال : ١٧) . ويجوز أن يكون راجعًا إلى الطير لخلوها من علامات التأنيث .

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ : قال ابن مسعود : صاحت الطير ورمتهم بالحجارة ، وبعث الله تعالى ريحًا فضربت الحجارة فزادتها شدة ، فما وقع منها حجر على رجل إلاّ خرج من الجانب الآخر ، وإن وقع على رأسه خرج من دبره .

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ : كزرع أكلته الدواب فراثته ويبس وتفرقت أجزاؤه . وشبه تقطيع أوصالهم بتفريق أجزاء الروث .

وقال مجاهد : العصف : ورق الحنطة ، وقال قتادة : هو التبن ، وقال الحسن : كُنَّا ونحن غلمان بالمدينة نأكل الشعير إذا قضب ، وكان يسمى العصف ؛ قال سعيد بن جبير : هو الشعير

---

(١) قلت : الكلام فى كيفيتها وأشكالها لا طائل من ورائه ولا فائدة من معرفته وجهله لا يضر . وأحسبها كما قال الأخير والله أعلم لقضاء أمره .

النابت الذى يؤكل ورقه.

قال الفراء: أطراف الزرع قبل أن يُسَنْبِل ويدرك؛ قال عكرمة: فصار الحب إذا أُكل فصار أجوف؛ قال ابن عباس: هو القشر الخارج الذى يكون على حَب الحنطة كهيئة الغلاف له.

وقال المؤرج: هو ما تَعَصَّفَ من الزرع فسقطت أطرافه.

وقال ابن السكيت: هو العصف والعصيفة، والجل. وقيل: كزرع قد أُكل حبه وبقى تبنه، وقال الضحاك: كطعام مطعوم.



سورة قريش

مكية، وهى ثلاث وسبعون حرفًا وسبع عشرة كلمة وأربع آيات

وأخبرنا أرقم بن ناقل البابى أخبرنا عبد الله ابن أحمد بن محمد البلخى أخبرنا عمرو بن محمد الكرباسى أخبرنا أسباط بن اليسع أخبرنا يحيى بن عبيد الله السلمى أخبرنا نوح بن أبى مريم عن على بن زيد عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين بن فنجويه أخبرنا هارون بن محمد بن هارون أخبرنا حازم بن يحيى الحلوانى أخبرنا أبو مصعب عن إبراهيم بن محمد بن ثابت أخبرنى عثمان بن عبد الله بن أبى عتيق عن سعيد بن عمر بن جعدة[1] عن أبيه عن جدَّته أم هانئ بنت أبى طالب، قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «فضّل الله قريشًا بسبع خصال لم يعطها أحدًا قبلهم ولا يعطيها أحدًا بعدهم: فَضَّلَ الله قريشا بأنى منهم، وأن النبوة فيهم، وأن الحجابة فيهم والسقاية، ونصرهم على الفيل، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله تعالى فيهم سورة لم يشرك فيها أحد غيرهم».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ اختلف القراء فيها: فقرأ عبد الله بن عامر لإلاف قريش مهموزًا مختلسًا بلا ياء، وقرأ أبو جعفر: ليلاَف بغير همز، وإنما ذهب إلى طلب الخفة. وقرأ الباقون: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ بالياء مهموزة مشبعة؛ فأما قوله: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾: فروى العُمرى عن أبى جعفر الغلنجى[2] عن ابن كثير: «إلْفهِم» ساكنة اللام بغير ياء، وتصديق هذه القراءة ما

(١) فى المخطوط: جدته. والتصويب من الهامش.

(٢) فى الهامش: الطليحى.

أخبرنا به الحسين بن الحسين بن فنجويه أخبرنا محمد بن حبيش بن عمر المقرئ أخبرنا أبو خديجة أحمد بن داود أخبرنا محمد بن حميد أخبرنا مهران عن سفيان عن شهر بن حوشب عن أبيها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: (إلفهم رحلة الشتاء والصيف).

وروى المفضل بن شاذان بإسناده عن أبى جعفر والوليد عن أهل الشام: إلاَفِهم مهموزة مختلسة بلا ياء.

وروى الفضل بن شاذان بإسناده عن أبى جعفر والوليد عن أهل الشام (إلافهم) مهموزة مختلسة بلا ياء وروى محمد بن حبيب الشمونى عن أبى يوسف الأعشى عن أبى بكر عن عاصم: إئْلافهم بهمزتين الأولى مكسورة والثانية ساكنة؛ الباقون: إيلافهم.

وأخبرنا عقيل بن حمد أن المعافى ابن زكريا أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا أبو كريب أخبرنا وكيع عن أبى مكين عن عكرمة: أنه كان يقرأ: لِيَالف قريش إلفهم.

وعدّ بعضهم السورتين واحدة منهم: أُبى بن كعب ولا فصْلَ بينهما فى مصحفه، وقال سفيان بن عيينة: كان لنا إمام لا يفصل بينهما ويقرأهما معًا، وقال عمرو بن ميمون الأودى: صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقرأ فى الأولى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ (التين: ١) وفى الثانية ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ (الفيل: ١) و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾.

واختلفوا فى العلة الجالبة لهذه اللام. فقال الفراء: هى متصلة بالسورة الأولى وذلك أنه ذَكَّرَ أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، ثم قال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ يعنى فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منَّا على قريش إلى نعمتنا عليهم فى رحلتهم الشتاء والصيف، فكأنه قال: نعمة إلى نعمة فتكون اللام بمعنى إلى.

وقال الكسائى، والأخفش: هى لام التعجب يقول: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته.

وهذا كما تقول فى الكلام لزيد وإكرامنا إياه على وجه التعجب أى اعجبوا لذلك.

والعرب إذاجاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل كقول الشاعر:

أغرَّك أن قالوا لقُرَّة شاعرًا ... أباه أعنى من عريف وشاعر

أى اعجبوا لقُرّة شاعرًا.

وقيل: هى لام كى مجازها: ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٍ مَّأۡكُولِۭ﴾ (الفيل: ٥) ليؤلف قريشًا فكان هلاك أصحاب الفيل سببًا لبقاء ائتلاف قريش ونظام حالهم وقوام أمرهم ومالهم، وقال الزجاج: هى مردودة إلى ما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف.

وقريش هم ولد النضر بن كنانة، فمن ولده النضر فهو قرشى، ومن لم يلده النضر فليس بقرشى.

قال رسول الله ﷺ: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنًا ولا ننتفى من أبينا».

أخبرنا أبو بكر الجوزى أخبرنا أبو العباس الدغولى أخبرنا محمد بن يحيى الذهلى أخبرنا أبو المغيرة أخبرنا الأوزاعى أخبرنا أبو عمار شداد عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى بنى كنانة من بنى إسماعيل واصطفى من بنى كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم».

وسموا قريشًا من التقرش وهو التكسُّب والتقلب، والجمع والطلب، وكانوا قومًا تجارًا، وكانوا على المال والأفضال حراصًا.

وسأل معاوية عبد الله بن عباس: لمَ سميت قريش قريشًا؟. فقال: لدابة فى البحر يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تُعلَى. قال: وهل تعرف العرب ذلك فى أشعارهم؟ قال: نعم. قال الشاعر فى فضلهم وفخرهم:

وقريش هى التى يسكن البحر بها ... سميت قريش قريشا

سلطت بالعلو فى لجة البحر على ... سائر البحور[1] جيوشا

تأكل الغث والسمين ولا ... تترك فيه لذى جناحين ريشا

هكذا فى الكتاب جيء قريش ... يأكلون البلاد أكلاً كشيشا[2]

ولهم آخر الزمان نبى ... يكثر القتل فيهم والخموشا

تملأ الأرض خيله ورجالاً ... يحشرون المطى حشرًا كميشا[3]

قوله تعالى: ﴿إِۦلَـٰفِهِمْ﴾ بدل من لإيلاف الأولى وترجمة له. ومن أسقط الياء من لإيلاف احتج بقول أبى طالب يوصى أبا لهب برسول الله ﷺ:

ولا تتركنه ما حييت لمعظم وكن ... رجلاً ذا نجدة وعفاف

تذود العدى عن عُصبة هاشمية ... إلافهم فى الناس خير إلاف

﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ واختلفوا فى وجه انتصاب الرحلة؛ فقيل نُصِبَ على المصدر، أى

---

(١) فى الهامش: البحار.

(٢) فى الهامش: نشيشا.

(٣) وجاء بهامش المخطوط: زيادة نصها: ويقال إن قصيًا وهو رجل من بنى كنانة جمع قريشًا بمكة، وولى أمرهم فسمى مجمعًا.

وسميت قريش قريشًا لتجمعهم إلى قصى، والتجمع القرش. وقيل: إن النضر بن كنانة كان يسمى القرش.

ارتحالهم رحْلَةَ وإن شئت نصبته بوقوع إيلافهم عليه وإن شئت على الظرف بمعنى على رحلة. وإن بنيت جعلتها فى محل الرفع على معنى هما رحلتا الشتاء والصيف. والأول أعجب وأحب إلىّ لأنها مكتوبة فى المصحف بغير ياء.

فأما التفسير: فروى عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانوا يشتون بمكة، ويصيفون بالطائف، فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم، ويعبدوا رب هذا البيت.

وقال أبو صالح كاتب الشام: منها أرض باردة وأرض حارة، فكانوا يرحلون فى الشتاء إلى الحارة، وفى الصيف إلى الباردة، وقال الآخرون: كانت لهم رحلتان فى كل عام للتجارة إحداهما فى الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى فى الصيف إلى الشام، وكان الحرم واديًا جدبًا لا زرع فيه ولا ضرع ولا ماء ولا شجر، وإنما كانت قريش تعيش بها بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يعرض لهم أحد بسوء.

كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله تعالى وولاة بيته، فلولا الرحلتان لم يكن لأحد بمكة مقام ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، فشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام، فأخصبت تُبالة وجرش والجنة من بلاد اليمن فحملوا الطعام إلى مكة أهل الساحل فى البحر على السفن وأهل البر على الإبل والحمير، فأتى أهل الساحل بجدة، وأهل البر بالمحصب، وأخصبت الشام، فحملوا الطعام إلى مكة، فحمل أهل الشام إلى الأبطح، وحمل أهل اليمن إلى جدة، فأماروا من قريب وكفاهم الله تعالى مؤنة الرحلتين، وأمرهم بعبادة رب البيت.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب أخبرنا أبو الوليد حسان بن محمد أخبرنا القاسم بن زكريا المطرز أخبرنا محمد بن سليمان أخبرنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال: مَرَّ رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وبلال رضى الله عنهما بملأ، وهم ينشدون:

قل للذى طلب السماحة والندى ... هلاّ مررت بآل عبد الدار

هلا مررت بهم تريد قراهم ... منعوك من جهد ومن إقتار

فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: «أهكذا قال الشاعر يا أبا بكر»؟ قال: لا، والذى بعثك بالحق بل قال:

قل للذى طلب السماحة والندى ... هلاّ مررت بآل عبد مناف

هلاّ مررت بهم تريد قِراهم ... منعول من فقر[1] ومن إجحاف

(١) فى الهامش: جهد.

الرايشين وليس يوجد رايش — والقائلين هلم للأضياف
والخالطين[1] غنيهم لفقيرهم — حتى يصير غنيهم بالكاف
والقائلين بكل وعد صادق — والراحلين لرحلة الإيلاف
عمرو العلى هَشَم الثريد لقومه — ورجال مكة مُسْنِتُونَ عجاف
سفرين سَنّهما له ولقومه — سفر الشتاء ورحلَة الأصياف

قال الكلبي: وكان أول من حمل السمراء من الشام ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد المطلب.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾لام الأمر ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله الحسيني بن محمد بن فنجويه الحافظ، أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد أخبرنا حمزة بن القاسم بن عبد العزيز أخبرنا حنبل بن إسحاق أخبرنا سيار أخبرنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول: ما سقطت أمة من عين الله تعالى إلا ضرب أكبادها بالجوع.

﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون: نحن قطان حرم الله تعالى، فلا يعرض لهم أحد في الجاهلية، وإن كان الرجل ليصاب في الحي من أحياء العرب فيقال حَرَمِي فيخلى عنه وعن ماله تعظيمًا للحرم. وكان غيرهم من قبائل العرب إذا خرج أُغير عليه.

وقال الضحاك، والربيع، وشريك، وسفيان: وآمنهم من الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام.

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسن الجرجاني المقرئ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عيسى البروجردي ببغداد أخبرنا أبو سعيد عمير بن مرداس أخبرنا محمد بن بكير الحضرمي أخبرنا القاسم بن عبد الله عن أبي بكر بن محمد عن سالم قال: قال رسول الله ﷺ: «غبار المدينة يبرئ من الجذام».

وقال علي رضي الله عنه: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ من أن تكون الخلافة إلا فيهم.



(١) في الهامش: نسخة:
والخالطين غنيهم بفقيرهم — حتى يظن فقيرهم كالكاف

سورة الماعون

مكية، وهى مائة وثلاثة وعشرون حرفًا،
وخمس وعشرون كلمة وسبع آيات

أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه أخبرنا أبو محمد بن أبى حامد أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن الأصفهانى أخبرنا المؤمل بن إسماعيل أخبرنا سفيان الثورى أخبرنا سالم المنقرى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ غفر الله له إن كان للزكاة مؤديًا».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ قال مقاتل، والكلبى: نزلت فى العاص بن وائل السهمى، وقال السدى ومقاتل بن حيان، وابن كيسان: يعنى الوليد بن المغيرة، وقال الضحاك: فى عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم. وقيل: هبيرة بن أبى وهب المخزومى ابن جريج؛ كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل أسبوع جزورين، فأتاه يتيم فسأله شيئًا فقرعه بعصاة، فأنزل الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أى يقهره[1] ويزجره ويدفعه عن حقه. والدّعُّ: الدّفع فى حقوه. وقيل عن حقوقه.

وقرأ أبو رجاء: يَدَعُ اليَتِيْمَ: أى يتركه ويقصر فى حقه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

حدثنا أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن بن الشرقى أخبرنا محمد بن إسحاق الصنعانى ببغداد أخبرنا عمرو بن الربيع بن طارق أخبرنا

(١) فى الهامش: ينهره.

عكرمة بن إبراهيم، عن عبد الملك بن عمير، عن مصعب بن سعد عن سعد قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. قال: «الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها» وقال ابن عباس: هم المنافقون، يتركون الصلاة فى السر إذا غاب الناس، ويصلونها فى العلانية إذا حضروا. وبيانه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ (النساء: ١٤٢) الآية؛ قال مجاهد: لاهون غافلون عنها متهاونون بها، وقال قتادة: ساه عنها لا يبالى صلى أو لم يصل.

أخبرنا عقيل بن محمد بن أبى الفرج البغدادى أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا كريب أخبرنا معاوية بن هشام عن شيبان النحوى عن جابر الجعفى، حدثنى رجل عن أبى برزة الأسلمى قال: قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ «الله أكبر هذه خير لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا، هو الذى إن صلى لم يرج خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه». وبه عن ابن جرير حدثنى أحمد بن عبد الرحيم الرقى أخبرنا عمرو بن أبى سلمة قال: سمعت عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذى قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل فى صلاتهم؛ قال الحسن: هو الذى إن صلاها صلاها رياءً، وإن فاتته لم يندم أبو العالية لا يصلونها لمواقيتها، ولا يتمون ركوعها ولا سجودها. وعنه أيضًا: هو الذى إن سجد قال برأسه هكذا ملتفتا.

قال الضحاك: هم الذين يتركون الصلاة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ أخبرنا أبو بكر الجمشاذى أخبرنا أبو بكر القطيعى أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أخبرنا أبو عمر الضرير أخبرنا أبو عوانة عن السدى عن أبى صالح عن على رضى الله عنه: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ قال: هى الزكاة. وإليه ذهب ابن عمر؛ والحسن، وقتادة، وابن الحنفية، والضحاك.

وأخبرنا أبو بكر الجمشاذى أخبرنا أبو بكر القطيعى أخبرنا إبراهيم بن عبد الله ابن مسلم أخبرنا أبو عمر الضرير أخبرنا حماد عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود فى الماعون، قال الفأس، والدلو، والقدر، وأشباه ذلك.

وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال مجاهد عنه: هو العارية ومتاع البيت.

وقال عطية عنه: هو الطاعة، قال محمد بن كعب، والكلبى: الماعون المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم؛ قال سعيد بن المسيب، والزهرى، ومقاتل الماعون: الماء بلغة قريش، قال الأعشى:

بأجـــود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغم

أخبرنا محمد بن عبدوس فى آخرين أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن الجهم أخبرنا الفراء قال سمعت بعض العرب تقول: الماعون: هو الماء. وأنشدنى فيه:

❖ يمج صبيره الماعون صبًا ❖

والصبير: السحاب.

وقال أبو عبيدة، والمبرد: الماعون فى الجاهلية: كل منفعة وعطية، وعارية وهو فى الإسلام: الطاعة والزكاة وقال هميان بن قحافة:

❖ لا يحرم الماعون منه الخابطا ❖

وتقول العرب: رُضْ ناقتك حتى تعطيك الماعون: أى الطاعة والانقياد؛ قال الشاعر:

متى تجاهدهن فى البرين يخضعن ويعطين بالماعون

وحكى الفراء أيضًا عن بعضهم: أنه ماعون من الماء المعين، وقال قطرب: أصل الماعون من القلة. تقول العرب: ما له سَعْنَة ولا مَعْنَة، أى شىء قليل. وسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونًا لأنه قليل من كثير. وقيل: الماعون ما لا يحل منعه مثل النار والملح والماء، يدل عليه ما أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا عمير بن مرداس أخبرنا محمد بن بكير أخبرنا عثمان بن مطر عن الحسن عن أبى جعفر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد ابن المسيب عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: يا رسول الله ما الذى لا يحل منعه؟ قال: «الماء، والنار، والملح».

فقالت: يا رسول هذا الماء، فما بال النار، والملح؟ فقال لها: «يا حميراء، من أعطى نارًا فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بتلك النار ومن أعطى ملحًا فكأنما تصدق بجميع ما طيب بذلك الملح، ومن سقى شربة من الماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق ستين نسمة، ومن سقى شربة حيث لا يوجد الماء فكأنما أحيا نفسًا». قال الراعى:

قوم من الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويمنعوا التهليلا



سورة الكوثر

مكية وهى اثنان وأربعون حرفًا وعشر كلمات وثلاث آيات

أخبرنا الأستاذ أبو الحسن الفارسى الماوردى أخبرنا أبو محمد الشيبانى أخبرنا أبو عمر الحيرى، وأبو عثمان البصرى قالا: أخبرنا محمد بن عبد الوهاب العبدى، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ سقاه الله من أنهار الجنة، وأعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل قربان قرّبه العباد فى كل يوم عيد يقربون من أهل الكتاب والمشركين».

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن محمد بن شنبة أخبرنا أبو على حمزة بن محمد الكاتب أخبرنا نعيم بن حماد أخبرنا نوح بن أبى مريم عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ كان له كما بين المشرق والمغرب أبعرة على كل بعير كراريس كل كراس مثل الدنيا وما فيها كُتبًا بدقة الشعر ليس فيها إلا صفة قصوره ومنازله فى الجنة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝﴾

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه السورة فى العاص بن وائل بن هشام ابن سعد بن سهم، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد، وهو يدخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا، وأناس من صناديد قريش فى المسجد جلوس فلما دخل العاص قالوا له: من الذى كنت تُحَدِّث؟ قال: ذاك الأبتر.

يعنى النبى ﷺ، وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ، وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فسمته قريش عند موت ابنه أبتر وصنبورًا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

قرأ العامة بالعين. وقرأ الحسن وطلحة بن مصرف: أنطيناك بالنون، وروى ذلك عن النبى ﷺ.

أخبرنا أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن أحمد ابن على المطوعى بقراءتى عليه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الأصفهانى أخبرنا أبو المثنى معاذ بن المثنى بن معاذ بن نصر العنبرى أخبرنا عمرو بن المحرم أبو قتادة النصرى أخبرنا عبد الوارث بن عمرو عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أن النبى ﷺ قرأ: (إنا أنطيناك الكوثر).

والكوثر فوعل من الكثرة، كنوفل من النفل وحوفز من الحفز، والعرب تسمى كل شىء كثير فى العدد أو كبير القدر والخطر كوثراً؛ قال سفيان بن عيينة: قيل لعجوز رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر - تعنى بمال كثير -.

واختلفوا فى المراد به هاهنا، فحدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدى إملاءً أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم الثقفى أخبرنا أبو همام الوليد بن شجاع السكونى، وعبد الله ابن عمرو بن آبان قالا حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله ﷺ معنا إذ أغفى إغفاءة أو أغمى عليه، فرفع رأسه مبتسماً، فقال: «هل تدرون ممَّ ضحكت؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «إنه نزلت علىّ سورة» فقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَـٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾» فقرأ حتى ختم السورة، فلما قرأها، قال: أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر فى الجنة وعدنيه ربى عز وجل فيه خير كثير، لذلك النهر حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب فيختلج منهم القرن، فأقول رب إنه من أمتى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك».

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد أخبرنا أبو عتبة[1] أحمد بن الفرج الحمصى أخبرنا أيوب ابن سويد أخبرنا محمد بن إبراهيم عن عمه العباس بن عبد الله بن معبد عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَـٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ صعد رسول الله ﷺ المنبر، وقرأها على الناس، فلما نزل قالوا: يا رسول الله، ما هذا الذى أعطاك الله؟ قال: «نهر فى الجنة، أشد بياضًا من اللبن، وأشد استقامة من القدح، حافتاه قباب الدّر والياقوت، يرد عليه طير خضر لها أعناق كأعناق البخت» قالوا: يا رسول الله، ما أنعم هذا الطائر!! قال: «أفلا أخبركم بأنعم منه»؟ قالوا: بلى، قال: «من أكل الطائر، وشرب الماء وفاز برضوان الله تعالى».

(١) فى الهامش: عبيد.

وأخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد أخبرنا محمد بن جعفر المطيرى أخبرنا على بن حرب، أخبرنا فضيل أخبرنا عطاء عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدر والياقوت وتربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأشد بياضًا من الثلج» وقالت عائشة رضى الله عنها: الكوثر نهر فى الجنة يقرقر فى الحوض فمن أحب أن يسمع خريره فليجعل أصبعيه فى أذنيه[1].

وقال بعضهم: (هو الحوض بعينه وصفته على ما جاء فى التفسير والأخبار، أن رسول الله ﷺ وصف حوضه الكوثر، فقال: «حصباؤه الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، والدّر، والمرجان، وحمأته المسك الأذفر، وترابه الكافور ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، يخرج من أصل السدرة، عرضه وطوله كما بين المشرق والمغرب، حافتاه الزعفران وقباب الدّر والمرجان من دخله أمِنَ من الغرق، لا يشرب منه أحد فيظمأ ولا يتوضأ منه أحد فيشعث، فيه طيور أعناقها كأعَنَاقَ الجُزُر» فقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما: إنها لناعمة. فقال: «آكلها أنعم منها».

وفى خبر آخر: «لتزدحمن هذه الأمة على الحوض ازدحام واردات الحُمُر».

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قراءة عليه فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار الأصفهانى أخبرنا أبو عبد الله العُمرى الكوفى بالكوفة أخبرنا بشر بن داود القرشى أخبرنا مسعود بن سابور عن على بن عاصم عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لحوضى أربعة أركان فأول ركن منها فى يد أبى بكر، والثانى فى يد عمر، والثالث فى يد عثمان، والرابع فى يد على، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحب عثمان وأبغض عليًا لم يسقه عثمان ومن أحب عليًّا وأبغض عثمان لم يسقه على، ومن أحسن القول فى أبى بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول فى عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول فى عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحسن القول فى على فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول فى أصحابى فهو مؤمن، ومن أساء القول فى أصحابى فهو منافق»[2].

---

(١) هذا خبر لا يصح عن عائشة رضى الله عنها ولا عن غيرها ممن يعتد بقوله.

(٢) خبر لا يصح وهو كلام يدعو إلى عدم الاختلاف ولا يصح نسبته إلى النبى ﷺ وفيه افتراء عليه بل وافتراء على الله وإخبار بما لم يخبر على لسان نبى أو فى قرآن منزل عافانا الله وإياكم عن مثل هذا وإن كانت نية قائله الألفة والله أعلم.

قال قطر بن خليفة: سألت عطاء عن الكوثر، ونحن نطوف بالبيت فقال: حوض أُعطى رسول الله ﷺ فى الجنة، وروى حميد عن أنس قال: دخلنا على عبيد الله ابن زياد، وهم يتذاكرون الحوض.

فقال: يا أبا حمزة ما تقول فى الحوض؟ فقلت: ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يتمارون فى الحوض، لقد تركت خلفى عجائز ما تصلى امرأة منهن إلاّ سألت الله عز وجل أن يسقيها من حوض النبى ﷺ، وفيه يقول الشاعر:

يا صاحب الحوض من يدانيكا وأنت حقًا حبيب باريكا

وقال سعيد بن جبير، ومجاهد: الخير الكثير. وقال الحسن: هو القرآن العظيم. وقال عكرمة: النبوة والكتاب، وقال محمد بن إسحاق: هو العظيم من الأمر وذكر بيت لبيد:

وصاحب منحوب فجعنا بيومه وعند الرداع بيت آخر كوثر

يقول: أى عظيم، وقال أبو بكر بن عياش، ويمان بن رئاب: هو كثرة الأصحاب والأشياع؛ قال ابن كيسان: هو كلمة من الكتب الأولى، ومعناها الإيثار؛ قال الحسينى بن الفضل: الكوثر شيئان تيسير القرآن وتخفيف الشرائع؛ قال جعفر الصادق: يعنى بالكوثر: نور فى قلبك دلك علىّ ويقطعك عمن سواى وعنه أيضًا: الشفاعة، وقيل معجزات أكثرت بها الإجابة لدعوتك؛ قال هلال بن يساف: هو قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: الفقه فى الدين، وقيل: الصلوات الخمس.

قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال محمد بن كعب: إن ناسًا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فإنا أعطيناك الكوثر، فلا تكن صلاتك ونحرك إلاّ لى، وقال عكرمة، وعطاء، وقتادة: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة العيد يوم النحر ﴿وَٱنْحَرْ﴾ نسكك، وقال أنس بن مالك: كان النبى ﷺ ينحر قبل أن يصلى، فأمر أن يصلى ثم ينحر، وقال سعيد بن جبير ومجاهد: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة الغداة المفروضة بجمع ﴿وَٱنْحَرْ﴾ البدن بمنى.

وقال بعضهم نزلت هذه الآية يوم الحديبية حين حضر النبى ﷺ وأصحابه وصدوا عن البيت فأمره الله تعالى أن يصلى، وينحر البدن، وينصرف، ففعل ذلك. وهذه رواية عن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن الحسين أخبرنا أحمد بن يوسف أخبرنا الحجاج أخبرنا حماد عن عاصم الجحدرى عن أبيه عن عقبة بن ظبيان عن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال فى هذه الآية: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال: وضع اليد اليمنى على ساعده اليسرى

ثم وضعهما على صدره.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا على بن إبراهيم بن أحمد العطار أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز أخبرنا هاشم بن الحارث المروزى أخبرنا محمد بن ربيعة أخبرنا يزيد بن زياد ابن أبى الجعد عن عاصم الجحدرى عن عقبة بن ظهير عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى هذه الآية: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال: وضع اليمنى على الشمال فى الصلاة.

أخبرنا عبد الخالق بن على بن عبد الخالق المؤذن أخبرنا محمد بن أحمد بن خنب أخبرنا يحيى بن أبى طالب أخبرنا زيد بن الحباب أخبرنا روح بن المسيب أخبرنى بكر بن مالك البكرى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس، فى قول الله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال: وضع اليمين على الشمال فى الصلاة عند النحر.

يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قراءة عليه أخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا على بن حرب أخبرنا المعافى بن داود أخبرنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن قبيصة بن المهلب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يضرب بإحدى يديه على الأخرى فى الصلاة.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا مكى بن عبدان، أخبرنا عبد الله بن هاشم، أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا سفيان عن سماك عن قبيصة بن هلب عن أبيه قال: رأيت النبى ﷺ واضعًا يمينه على شماله فى الصلاة، وقال عبد الله بن حامد ـ هُلْب لقبه، واسمه يزيد بن قتادة.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا إبراهيم بن الحارث أخبرنا يحيى بن أبى بكير أخبرنا زهير بن معاوية أخبرنا أبو إسحاق عن عبد الجبار بن وائل عن وائل بن حجر قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع يده اليمنى على اليسرى فى الصلاة قريبًا من الرسغ، ويرفع يديه حتى يبلغا أذنيه.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن الحسين أخبرنا أحمد بن يوسف أخبرنا الحجاج أخبرنا هشام عن الحجاج بن أبى زينب السلمى أخبرنا أبو عثمان النهدى عن ابن مسعود: أن النبى ﷺ رأى رجلاً يصلى واضعًا يده اليسرى على اليمنى فنزع اليسرى عن اليمنى، ووضع اليمنى على اليسرى.

وأخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن على المخلدى أخبرنا أبو الفضل يعقوب بن يوسف بن عاصم البخارى الفقيه، أخبرنا الحسن بن الفضل البصرانى أخبرنا وهب بن إبراهيم الرازى أخبرنا أبو عبد الله إسرائيل بن حاتم المروزى ـ وكان ثقة مأمونًا ـ أخبرنا مقاتل بن حيان عن أصبغ بن نباتة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه السورة: ﴿إِنَّآ

أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال النبى ﷺ لجبريل عليه السلام «ما هذه النحيرة التى أمرنى بها ربى عز وجل»؟ قال: ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا أحرمت بالصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت، وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت، فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة الذين فى السموات السبع، وإن لكل شىء زينة وإن زينة الصلاة رفع الأيدى عند كل تكبيرة، وقال رسول الله ﷺ: «رفع اليدين فى الصلاة من الاستكانة» قلت: فما الاستكانة؟ قال: «أما تقرأ هذه الآية: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٦)» قال: «هو الخضوع».

يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال أخبرنا أبو زرعة الرازى أخبرنا عبد الجبار بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن ماجه العامرى أخبرنا ابن أبى الزناد عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن الفضل عن عبد الرحمن الأعرج عن عبيد الله بن أبى رافع عن على بن أبى طالب عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه، ويصنع مثلى ذلك إذا قضى قراءته وأراد أن يركع، ويصنعه إذا رفع من الركوع ولا يرفع يديه فى شىء من صلاته وهو قاعد.

وأخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس العبدى قراءة عليه فى رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الأزهر الأزهرى، وعبد الله بن يحيى بن أحمد بن مهران المذكور قالا: سمعنا إسماعيل الترمذى، وحدثنا أبو محمد المخلدى إملاءً أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن أحمد المذكور أخبرنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمى قال: صليت خلف عارم أبى النعمان فرأيته يرفع يديه حين افتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع؛ فقلت له: ما هذا؟ فقال: صليت خلف أحمد بن نجيد فرأيته يرفع يديه حين افتتح الصلاة، وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع؛ فقلت له: ما هذا؟ فقال: صليت خلف أيوب السجستانى فرأيته رفع يديه حين افتتح الصلاة، وحين ركع، وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صليت إلى جنب عطاء بن أبى رباح فرأيته يرفع يديه حين افتتح الصلاة، وحين ركع، وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ فقال: صليت خلف عبد الله بن الزبير فرأيته رفع يديه حين افتتح الصلاة، وحين ركع، وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت: ما هذا؟ فقال: صليت خلف أبى بكر الصديق رضى الله عنه فرأيته رفع يديه حين افتتح الصلاة وحين ركع، وحين رفع رأسه من الركوع فقلت له: ما هذا؟ فقال: صليت خلف النبى ﷺ، فرأيته يرفع يديه حين افتتح الصلاة، وحين ركع، وحين رفع رأسه من الركوع.

وأنبأني عقيل بن محمد الفقيه أخبرنا المعافى بن زكريا أخبرنا محمد بن جرير، وأخبرنا أبو كريب أخبرنا وكيع عن إسرائيل عن جابر عن أبي جعفر (في قوله)[١]: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال: يرفع يديه أول ما يكبر في الافتتاح إلى النحر.

وأخبرنا محمد بن عبدوس أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن الجهم أخبرنا الفراء قال: يقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ أي استقبل القبلة بنحرك، وسمعت بعض العرب يقول: منازلنا تتناحر أي هذا ينحر هذا أي قبالته. وأنشدني بعض بني أسد:

أبا حكم ما أنت عم مجالد وسيد أهل الأبطح المتناحر

أي ينحر بعضه بعضًا.

وإليه ذهب الضحاك والكلبي وقال واصل بن السائب: سألت عطاء عن قوله تعالى: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ فقال: أمر رسول الله ﷺ أن يستوي بين السجدتين جالسًا حتى يبدو نحره، قال سليمان التيمي: يعني وارفع يديك بالدعاء إلى نحرك؛ قال ذو النون: اذبح هواك في قلبك.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ يعني أن عدوك ومبغضك[٢] هو الأقل الأذل المنقطع دابره، ونزلت في العاص بن وائل، وقال شمر بن عطية: هو عقبة بن أبي مُعَيْط، وقال عكرمة عن ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشراف، وجماعة من قريش، وذلك أنه لما قدم كعب مكة، قالت له قريش: نحن أهل السقاية، والسدانة، وأنت سيد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه؟ فقال: بل أنتم خير منه؛ فنزلت في كعب بن الأشرف: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (آل عمران: ٢٣) الآية ونزلت في الذين قالوا للنبي ﷺ: أبتر.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ يعني المنقطع من كل خير، قال الجنيد: أي المنقطع عن بلوغ أمله فيك.

❖ ❖ ❖

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) في المتن: مغبضك. وفي الهامش: معيبك.

سورة الكافرون

مكية، وهى أربعة وتسعون حرفًا وست وعشرون كلمة وست آيات

أخبرنا أبو الحسين محمد بن القاسم بن أحمد بقراءتى عليه أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر أخبرنا أبو عمر الحرشى أخبرنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا يعقوب بن حميد أخبرنا إسماعيل بن داود عن سليمان بن بلال بن أبى حسن عن الحكم بن عبد الله بن سعد أن محمد بن سعيد بن جبير بن مطعم حدثهم أنه سمع جبير بن مطعم يقول: قال لى رسول الله ﷺ: «أتحب يا جبير أن تكون إذا خرجت سفرًا من أمثل أصحابك هيبة[1] وأكثرهم زادًا؟» قال: قلت: نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله، قال: «فاقرأ بهذه السور الخمس: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (الكافرون: ١) و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ (النصر: ١) و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ (الفلق: ١) و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ (الناس: ١) وافتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم» قال: فقال جبير: وكنت غير كثير المال، وكنت أخرج مع من شاء الله أن أخرج معه فى السفر، فأكون أبذّهم هيبة وأقلهم زادًا، فما زلت منذ علمنيهن رسول الله ﷺ وقرأتهن أكون من أحسنهم هيبة وأكثرهم زادًا حتى أرجع من سفرى ذلك.

وأخبرنا أبو العباس السليطى أخبرنا أبو حامد بن الشرقى أخبرنا أحمد بن يوسف أخبرنا عبد الرزاق، ومحمد بن يوسف قالا أخبرنا سفيان عن أبى إسحاق عن فروة بن نوفل الأشجعى يرفعه إلى النبى ﷺ أنه قال لرجل: «اقرأ عند منامك: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فإنها براءة من الشرك».

وأخبرنا أبو عمر أحمد بن أبى الفراتى أخبرنا منصور بن محمد أخبرنا محمد بن أيوب أخبرنا القعنبى أخبرنا سلمة بن وردان قال سمعت أنسًا يقول: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ربع القرآن».

وأخبرنا محمد بن القاسم الفقيه أخبرنا محمد بن زيد المعدل أخبرنا أبو يحيى البزاز أخبرنا محمد بن منصور أخبرنا محمد بن عمران بن أبى ليلى حدثنى أبى عن مجاهد عن الحجاج عن عبد الله بن أبى الخليل عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ

(١) هذه الكلمة بهامش المخطوط: «نهب» وصوبت بالهامش على ما هى عليه وهو تصحيح من الناسخ.

سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فكأنما قرأ ربع القرآن، وتباعدت منه مردة الشياطين، وبرئ من الشرك، ويعافى من الفزع الأكبر».

قال رسول الله ﷺ: «مروا صبيانكم أن يقرءوها عند المنام فلا يعرض لهم شيء».

وقال ابن عباس: ليس فى القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة لأنها توحيد، وبراءة من الشرك.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ إلى آخر السورة. نزلت فى رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمى، والعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهرى والأسود بن عبد المطلب بن أسد، وأمية بن خلف قالوا: يا محمد هَلُمّ فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى أمرنا كله تعبد إلهنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذى جئتنا به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما بيدك كنت قد شركتنا فى أمرنا، وأخذت بحظك منه، فقال: «معاذ الله أن أشرك به غيره».

قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك.

فقال: «حتى أنظر ما يأتينى من عند ربى». فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ إلى آخر السورة.

فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم، ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك، وآذوه، وآذوا أصحابه.

وأما وجه تكرار الكلام فإن معنى الآية ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فى الحال، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فى الحال. ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ فى الاستقبال ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فى الاستقبال، وهذا خطاب فيمن سبق فى علم الله أنهم لا يؤمنون، وقال أكثر أهل المعانى: نزل القرآن بلسان عربى، وعلى مجارى خطابهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام؛ كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز لأن افتتاح المتكلم، والخطيب، وخروجه من شيء إلى شيء أفضل من اختصاره فى المقام على شيء واحد، قال الله تعالى:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن) و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات) فى غير موضع من سورة واحدة، وقال: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر: ٣، ٤) وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ (الانفطار: ١٧، ١٨) وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥، ٦) كل هذه يزداد بها التأكيد وقد يقول قائل: ارْمِ ارْمِ، عَجِّل عَجِّل. ومنه الحديث: أن النبى ﷺ ذات يوم فقال: «إن بنى مخزوم استأذنوا أن ينكحوا فتاتهم عليًا، فلا آذن، ثم لا آذن لأن فاطمة بضعة منى يسرها ما يسرنى ويسوءها ما يسوءنى».

ومنه قول الشاعر:

هلا سألت جموع كندة ... يوم ولوا أين أين

وقال آخر:

يا علقمة يا علقمة يا علقمه ... خير تميم كلها وأكرمه

وقال آخر:

قربا مربط النعامة منى ... لقحت حرب وائل عن حيال

ثم قال فى عدة أبيات من هذه القصيدة:

❖ لقحت حرب وائل عن حيال ❖

أنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، قال أنشدنى أبو القاسم عبد الرحمن بن المظفر الأنبارى قال: أنشدنا أبو بكر محمد بن أحمد بن القاسم الأنبارى لبعض نساء الأعراب:

يقول رجال زوجوها لعلها ... تقر وترضى بعده بخليل

فأخفيت فى النفس التى ليس دونها ... رجاء وأن الصدق أنبل قيل

أبعد ابن عمى سيد القوم مالكًا ... أزف إلى بعل ألدّ كليل

وحدثنى أصحابه أن مالكًا ... أقام ونادى صحبه برحيل

وحدثنى أصحابه أن مالكًا ... صروم كما سنى الشفرتين صقيل

وحدثنى أصحابه أن مالكًا ... جواد بما فى الرجل غير بخيل

وقال القتيبى فيه وجه آخر: وهو أن قريشًا قالوا: إن سرك أن ندخل فى دينك عامًا فادخل فى ديننا عامًا فنزلت هذه السورة فتكرر الكلام بتكرار الوقت؛ قال: وفيه وجه آخر: وهو أن

القرآن نـزل شيئًا بعد شيء، وآية بعد آية، فكأنهم قالـوا: اعبد إلهنـا سنة، وقـال الله سبحانه وتعـالى قل لهم ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ ثم قالـوا بعد ذلك: استلم بعض آلهتنـا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ الشرك ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام.

وهـذه الآية منسوخـة بآية السـيف، وقرأ أهل المدينـة، وعيسى بن عـمر ﴿وَلِيَ﴾ بفتح الياء، ومثله روى حفص عن عاصم، وهشام عن أهل الشام غيرهم بجزمه وأبو حاتم بجره.



سُورَةُ النَّصْرِ

مدنية، هى سبعة وسبعون حرفًا وتسع عشرة كلمة وثلاث آيات

أخبرنا أبو الحسين الخبازى المقرئ غير مرة أخبرنا الإمامان أبو بكر الإسماعيلى الجرجانى، وأبو الشيخ الحافظ الأصفهانى قالا: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك أخبرنا أبو عبد الله اليربوعى أخبرنا سلام بن سليم أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد مع محمد ﷺ فتح مكة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ على من عاداك، وناوأك ﴿وَالْفَتْحُ﴾ قال يمان: فتح المدائن والقصور، وقال عامة المفسرين: فتح مكة، وكانت قصته على ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار، والعلماء من أصحاب الأخبار: أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشًا عام الحديبية كان فيما اشترطوا: أن من أحب أن يدخل فى عهد رسول الله ﷺ وعقده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه؛ فدخلت بنو بكر فى عقد قريش، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ، وكان بينهما شرٌّ قديم، وكان السبب الذى أهاج ما بين بكر وخزاعةَ أن رجلاً من آل حضرمى يقال له: مالك بن عامر خرج تاجرًا، فلما توسط أرض خُزاعة عدوا عليه فقتلوه، فعدت خزاعة قُبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزين الدئلىّ وهم من أشراف بكر فقتلوه بعرفة عند أنصاب الحرم، وأخذوا ماله؛ فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فبينا بنو بكر، وخزاعة على ذلك من الشر، حجز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس، فلما كان صلح الحديبية، ووقعت تلك الهدنة، اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بنى الأسود بن رزين فخرج نوفل بن

معاوية الديلى فى بنى الديل وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بنى بكر تابعه حتى بيَّت خزاعة على الوتير ـ ماء لهم بأسفل مكة ـ فأصابوا منهم رجلاً، واقتتلوا، ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيًا حتى حازوا خزاعة إلى الحرم.

وكان ممن أعان بين قريش بنى بكر على خزاعة ليلتين بأنفسهم متنكرين صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبى جهل، وسهل بن عمرو مع عبيدهم، قالوا: فلما انتهوا إلى الحرم، قالت بنو بكر: يا نوفل، إنّا دخلنا فى الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة: إنه لا إله لى اليوم، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم فيه.

فلما دخلت خزاعة مكة لجئوا إلى دار بُديل بن ورقاء الخزاعى، ودخل[1] مولى لهم يقال له: رافع، فلما تظاهرت قريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد بما استحلوا من خزاعة فكانوا فى عقدة خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس، فقال: اللهم إنى ناشد محمداً وذكر الأبيات كما ذكرناها فى سورة براءة إلى قوله:

هم بيتونا بالوتير هَجَّدا فقتلونا ركعًا وسجـدا

يريد بقوله ركعا وسجدا: أنا قد كنا أسلمنا قبل أن يقتلونا.

فقال رسول الله ﷺ: «قد نصرت يا عمرو بن سالم».

ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب» وهم رهط عمرو بن سالم.

ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة.

وقد كان رسول الله ﷺ قد قال للناس: «كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليسدد العقد، ويزيد فى المدة» ومضى بديل بن ورقاء، فلقوا أبا سفيان بعسفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ليشدد العقد ويزيد فى المدة، وقد رهبوا الذى صنعوا.

ولما لقى أبو سفيان بديلاً قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وقد ظن أنه أتى رسول الله ﷺ.

قال: سرت فى خزاعة فى هذا الساحل أو فى بطن هذا الوادى. قال: أوما أتيت محمداً؟ قال: لا. قال: فلما راح بديل إلى مكة، قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة لقد علف بها

(١) فى المخطوط تعليق بالهامش: ودار. بيد أنه تصحيح لهذه الكلمة كان خطأ فى المخطوط المنقول عنه هذا.

النوى، فعمد إلى مبرك ناقته، فأخذ من بعرها ففته فرأى أن فيه النوى. فقال: أحلف بالله لقد أتى بديل محمداً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه؛ فقال: يا بنية، أرغبت بى عن الفراش؟ أم رغبت به عنى؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ. فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فلم يرد عليه شيئًا.

ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه، فكلمه وسأله أن يكلم رسول الله ﷺ. فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلمه. فقال: ما أنا بشافع لكم إلى رسول الله ﷺ، فوالله لو لم أجد أحداً إلا الذر لجاهدتكم؛ ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهه، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندها الحسين بن على غلام يدب بين يديها. فقال: يا على، إنك أمس القوم رحمًا وأقربهم منى قرابة، وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبًا، اشفع لنا إلى رسول الله ﷺ. قال: ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه؛ فالتفت إلى فاطمة، فقال: يا بنت محمد هل لك[1] أن تأمرى بُنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر.

قالت: والله ما بلغ بنيى أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله ﷺ أحد. فقال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت علىّ فانصحنى. قال: والله ما أعلم شيئًا يغنى عنك شيئًا ولكنك سيد بنى كنانة، فقم فاجر بين الناس، ثم الحق بأرضك. قال: وترى ذلك مغنيًا عنى شيئًا؟ قال: لا والله لا أظن. ثم قال لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان إلى المسجد، فقال: أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره، فانطلق. فلما أن قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته، فوالله ما رد علىّ شيئًا، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد عنده خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدل القوم، ثم أتيت على بن أبى طالب فوجدته ألين القوم، وقد أشار على بشىء صنعته، فوالله ما أدرى هل يغنينى شيئًا أم لا؟ قالوا: ماذا أمرك؟ قال: أمرنى أن أجير بين الناس، ففعلت. قالوا: فهل أجاز بذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: والله إن زاد علىّ أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت؟. قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

(١) تكررت عبارة: هل لك. فحذفت التكرار.

قال: وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه. فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها، وهى تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ فقال: أى بنية أمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم. فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: ما أدرى. ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: «اللهم خذ بالعيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها» فتجهز الناس.

فكتب حاطب بن أبى بلتعة كتابًا إلى قريش، وأعطاه سارة، فأتى رسول الله ﷺ بذلك الخبر من السماء، فبعث رسول الله ﷺ عليًا والزبير رضى الله عنهما، وقد مضت القصة فى سورة الممتحنة.

ثم استخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رُهم كلثوم بن حصين بن خلف العطاردى.

وخرج عامدًا إلى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان، فصام رسول الله ﷺ. وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد ما بين عسفان وأمج أفطر رسول الله ﷺ، ثم مضى حتى نزل مرّ الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين، ولم يكن يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد. وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية بن المغيرة، قد لقيا رسول الله ﷺ بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة، والتمسا الدخول على رسول الله ﷺ فلم يأذن لهما. فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت يا رسول الله ابن عمك، وابن عمتك، وصهرك. قال: «لا حاجة لى بهما أما ابن عمى فهتك عرضى، أما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال».

فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبى سفيان بُنى له، فقال: والله ليأذنن لى أو لآخذن بيد هذا بنيى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشًا وجوعًا؛ فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، فأذن لهما، فدخلا عليه، فأسلما، فلما نزل رسول الله ﷺ مَرّ الظهران، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم عن رسول الله ﷺ خبر، ولا يدرون ما هو فاعل.

فخرج فى تلك الليلة أبو سفيان ابن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار هل يجدون خبرًا أو يسمعونه؟ وقد قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ: يا صباح قريش والله لئن بغتها رسول الله ﷺ فى بلادها فدخل مكة عنوة إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فخرج على بغلة رسول الله ﷺ وقال: أخرج إلى الأراك لعلى أرى حاطبًا. أو صاحب لبن، أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، فيأتونه فيستأمنونه؛ قال العباس: فخرجت، فوالله إنى لأجول فى الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبى سفيان،

وحكيم بن حزام، وبديل ابن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فسمعت أبا سفيان يقول: والله ما رأيت كاليوم قط نيرانًا.

فقال بديل: هذه والله نيران خزاعة خمشتها الحرب. فقال أبو سفيان: خزاعة ألأم من ذلك وأذل. فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة. فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم. قال: لبيك فداك أبى وأمى، فما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ وراءكم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين. قال: فما تأمرنى؟ قال: تركب عجز هذه البغلة، فأستأمن لك رسول الله ﷺ، فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك.

فردفنى، فخرجت أركض به ببغلة رسول الله ﷺ، نحو رسول الله ﷺ، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين، فنظروا إلىّ، وقالوا: هذا عمّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: أبو سفيان؟! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عهد ولا عبد، ثم اشتد نحو النبى ﷺ، فركضت بالبغلة، وقد أردفت أبا سفيان حتى اقتحمت باب القبة، وسبقت عمر بما يسبق به الدابة البطيئة الرجل البطىء.

فدخل عمر على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعنى أضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله، إنى قد أجرته. ثم إنى جلست إلى رسول الله ﷺ، وأخذت برأسه، وقلت: والله لا يناجيه اليوم أحد دونى؛ فلما أكثر فيه عمر، قلت: مهلاً يا عمر، والله ما نصنع هذا إلاّ أنه رجل من بنى عبد مناف، ولو كان رجلاً من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا. فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وذلك أنى أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم.

فقال رسول الله ﷺ: «اذهب فقد أمناه حتى تعدو علىّ به بالغداة». فرجع به إلى منزله، فلما أصبح غدا به إلى رسول الله ﷺ، قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله»؟. فقال: بأبى أنت وأمى، ما أوصلك وأحلمك، وأكرمك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئًا.

قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله»؟ فقال: بأبى أنت وأمى، ما أوصلك، وأحلمك، وأكرمك أما هذه فإن فى النفس منها شيئًا. فقال العباس: فقلت له: ويلك تشهد شهادة الحق قبل والله أن تضرب عنقك، فتشهد، فقال رسول الله ﷺ للعباس حين

تشهد أبو سفيان: «انصرف يا عباس، فاحبسه حطيم[1] الجبل بمضيق الوادى حتى تمر عليه جنود الله تعالى». فقلت له: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئًا يكون فى قومه، فقال: «نعم، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن».

فخرجت به حتى حبسته فى حطيم[2] الجبل بمضيق الوادى، فمرت عليه القبائل (فجعل)[3] يقول: من هؤلاء؟ فأقول: سُلَيْم. فيقول: ما لى ولسليم. فتمر قبيلة، فيقول: من هذه؟. فأقول: أسلم. فيقول: ما لى ولأسلم. وتمر جهينة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: جهينة. فيقول: ما لى ولجهينة. حتى مَرَّ رسول الله ﷺ فى الخضراء - كتيبة رسول الله ﷺ من[4] المهاجرين والأنصار فى الحديد لا يرى منهم إلاّ الحدق - فقال: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار. فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا. فقلت: ويحك، إنها النبوة. فقال: نعم إذًا. فقلت: الحق بقومك، فحذرهم. فخرج سريعًا حتى أتى مكة، فصرخ فى المسجد؛ يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به. قالوا: فمه. قال: فمن دخل دارى فهو آمن. قالوا: ويحك وما تغنى عنا دارك؟! قال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

قالوا: وجاء حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء رسول الله ﷺ أيضًا بمَرٍّ فأسلما وبايعاه. فلما بايعاه بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام، وقال: «من دخل دار أبى سفيان وهى بأعلى مكة - فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام - وهى بأسفل مكة - فهو آمن، ومن أغلق بابه وكفّ يده فهو آمن».

وإنه لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبى ﷺ عامدين إلى مكة بعث فى أثرهما الزبير وأعطاه رايته، وأمّره على خيل المهاجرين والأنصار، وأمر بغرز رايته بأعلى مكة بالحجون، وقال للزبير: «لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتى حتى آتيك» ومن ثمَّ دخل رسول الله ﷺ مكة، وضربت هناك قبته.

وأمر خالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قضاعة وبنى سليم، وأناس إنما قُبيل ذلك، وأمره

(١) فى الهامش: طم. وما فى المتن تصحيح من الناسخ.

(٢) فى الهامش: حطم، وما فى المتن تصحيح من الناسخ.

(٣) زيادة يتطلبها السياق.

(٤) فى الهامش: بين. وما بالمتن تصحيح من الناسخ.

أن يدخل من أسفل مكة، وبها بنو بكر، قد استفزتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة. وأن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا أناسًا بالخندمة ليقاتلوا.

وقال النبى ﷺ لخالد، والزبير حين بعثهما: «لا تقاتلا إلاّ من قاتلكم» وأمر رسول الله ﷺ أيضًا سعد بن عبادة، أن يدخل فى بعض الناس من كذا.

فقال سعد حين توجه داخلاً: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحُرْمة. فسمعها رجل من المهاجرين، فقال: يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة، وما نأمن أن تكون له فى قريش صولة. فقال رسول الله ﷺ لعلى ابن أبى طالب عليه السلام: «أدركه، فخذ الراية فكن أنت الذى تدخل بها». فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال. وأما خالد بن الوليد: فقدم على قريش وبنى بكر، والأحابيش بأسفل مكة فقاتلهم فهزمهم الله، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك. وقتل من المشركين أناس قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر. ولم يقتل من المسلمين إلا من جهينة رجل يقال له: سلمة بن جيلان، من خيل خالد بن الوليد، ورجلان يقال لهما: كرز بن جابر، وحسن بن خالد - وهو الأشعر - كانا فى خيل خالد بن الوليد فشذًا عنه، وسلكا طريقًا غير طريقه فقتلا جميعًا.

وروى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى نجيح، وعبد الله بن أبى بكر: أن جماش بن قيس بن خالد أخا بنى بكر كان يُعد سلاحًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ مكة ويصلح منها. فقالت له امرأته: لماذا تُعدّ ما أرى؟ فقال: لمحمد وأصحابه. فقالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء. قال: واَلله إنى لأرجو أن أُخدمَك بعضهم. وقال:

إن تقبلوا اليوم فما لىَ علّه ... هـذا سلاح كامل وألّه

وذو غرارين سريع السله

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسُهيل وعكرمة بن أبى جهل فلما انهزموا، خرج جماش منهزمًا حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته أغلقى علىّ بابى. قالت: فأين ما كنت تقول؟ قال:

إنك لو شهدت يوم الخندمه ... إذ فرَّ صفوان وفرَّ عكرمه

وأبو بديل قائم كالمأتمه ... واستقبلتهم بالسيوف المسلمه

يقطع كل ساعد وجمجمه ... ضربًا فلا تسمع إلا غمغمه

لهم نهيب خلفنا وهمهمة ... لا تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أُمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة: أن

لا يقتلوا أحداً إلاّ من قاتلهم، إلاّ أنه عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم: عبد الله بن سعد بن أبى سرح بن حبيب ابن خزيمة بن نصر بن مالك بن جبيل ابن عامر بن لؤى.

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله، أنه كان قد أسلم، فارتد مشركًا، وفرّ إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكان أخاه من الرضاع، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة، فاستأمن له، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال: «نعم» فلما انصرف به عثمان، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: «أما والله لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه».

فقال رجل من الأنصار، فهلاّ أومأت إلىّ يا رسول الله، فقال: «إن النبى لا يقتل بالإشارة». وعبد الله بن خطل رجل من تميم بن غالب وإنما أمر بقتله أنه كان مسلمًا فبعثه رسول الله ﷺ، وكان له مولى يخدمه وكان مسلمًا فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيسًا ويصنع له طعامًا، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركًا. وكانت له قينتان، فرتنا، وأخرى معها وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما معه، والحويرث بن نفيل بن وهب بن عبد بن قصى، وكان ممن يؤذيه بمكة. ومقيس بن ضبابة، وإنما أمر بقتله لقتله الأنصارى الذى قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مرتداً، وعكرمة بن أبى جهل، وسارة مولاة، كانت لبعض بنى عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة.

فأما عكرمة، فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسول الله ﷺ، فأمنه، فخرجت فى طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم.

فكان عكرمة يحدثه فيما يذكرون: أن الذى ردّه إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن، أنه كان يقول: أردت ركوب البحر لألحق بالحبشة، فلما أتيت لأركب السفينة قال صاحبها: يا عبد الله لا تركب سفينتى حتى توحد الله عز وجل وتخلع ما دونه من الأنداد، فإنى أخشى أن لا تفعل أن تهلك فيها؛ قلت: وما يركبها أحدٌ إلاّ قال هذا؟ قال: نعم لا يركبها أحد إلا أخلص. قال: قلت: ففيم أفارق محمداً ﷺ، فهذا الذى جاءنا به، فوالله إن إلهنا فى البحر إلهنا فى البر، فعرفت الإسلام عند ذلك، ودخل فى نفسى.

وأما عبد الله بن خطل، فقتله سعيد بن حريث المخزومى، وأبو برزة الأسلمى، اشتركا فى دمه.

وأما مقيس بن ضبابة، فقتله ثميلة بن عبد الله رجل من قومه، فقالت أخت مقيس:

لعمرى لقد أخزى ثميلة رهطه ... وفجع أضياف الشتاء بمقيس

فلله عينا من رأى مثل مقيس إذا النفسـاء أصبحت تحرس

وأما قينتا ابن خطل: فقتلت إحداهما وهربت فرتنا حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ فأمنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسًا له فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالأبطح فقتلها.

وأما الحويرث بن نفيل، فقتله على بن أبى طالب عليه السلام؛ فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، وقف قائمًا على باب الكعبة، ثم قال: «لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة أو دم أو مال يُدّعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتل العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة منها أربعون خلفة فى بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) يا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم»؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». فأعتقهم رسول الله ﷺ، وقد كان الله سبحانه وتعالى أمكنه من رقابهم عنوة، وكانوا له فيئًا، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء.

ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس لهم على الصفا، وعمر ابن الخطاب رضى الله عنه أسفل من مجلسه يأخذ على الناس البيعة. فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء. وقال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن.

فقال عمير بن وهب؛ يا نبى الله إن صفوان ابن أمية سيد قومه، قد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه فى البحر فأَمِّنْهُ صلى الله عليك، فقال: «هو آمن» قال: يا رسول الله، أعطنى ما يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التى دخل بها مكة؛ فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر. فقال: يا صفوان، فداك أبى وأمى أذكرك الله تعالى فى نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جئتك به؛ فقال له: ويلك اغرب عنى، فلا تكلمنى. قال: يا صفوان فداك أبى وأمى، أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس ابن عمتك عزّه عزك، وشرفه شرفك وملكه ملكك. قال: إنى أخافه على نفسى. قال: هو أحلم من ذلك وأكرم؛ فرجع معه حتى قدم به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: هذا زعم أنك أمنتنى، قال: «صدق».

قال: فاجعلني في أمري بالخيار شهرين، قال: «أنت فيه بالخيار أربعة أشهر». قالوا: ولما دخل رسول الله ﷺ مكة هرب هبيرة بن أبي وهب المخزومي وعبد الله بن الزبعرى السَّهمي إلى نجران. فرمى حسان بن ثابت عبد الله بن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاد عليه:

لا تعدمن رجلاً أحلك بغضه نجران في عيش أجدّ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى رجع إلى رسول الله ﷺ وأسلم، فقال حين أسلم:

يا رسول المليك إن لساني مراتق ما فتقت إذ أنا بور

إذا نادى الشيطان في سنن الغمي ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام لربي ثم نفسي الشهيد أنت النذير

أما هبيرة بن أبي وهب فقد أقام بمكة كافرًا وقد قال حين بلغه إسلام أم هانئ بنت أبي طالب، وكانت تحته، واسمها هند:

أشاقتك هند أم أتاك سؤالها كذلك النوى أسبابها وانتقالها

القصيدة.

قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، ومن مزينة ألف، ومن بني سليم سبعمائة، ومن جهينة ألف وأربعمائة رجل سائرها من قريش، والأنصار، وحلفائهم، وطوائف العرب من: تميم، وقيس، وأسد.

قالوا: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان. وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة. ثم خرج إلى هوازن، وثقيف، وقد نزلوا حنين.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ زمرًا وأرسالاً، القبيلة بأسرها، والقوم بأجمعهم من غير قتال.

قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، قالت العرب بعضها لبعض أما إذ ظفر محمد ﷺ بأهل الحرم، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به بد. فكانوا يدخلون في دين الله أفواجًا، وقال عكرمة، ومقاتل؛ أراد بالناس: أهل اليمن. قال ابن عباس، وأبو هريرة: لما نزلت هذه السورة قال رسول الله ﷺ «الله أكبر جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن، قوم رقيقة قلوبهم لينة طاعتهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية».

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا جعفر بن محمد

الفريابى أخبرنا جعفر بن منصور أخبرنا بقية بن الوليد أخبرنا الأوزاعى أخبرنا شداد أبو[١] عمار حدثنى جار لجابر قال: غدا جابر ليسلم علىّ، فجعل يسألنى عن حال الناس، فجعلت أخبره نحواً مما رأيت من اختلافهم، وفرقتهم، فجعلت أخبره وهو يبكى، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجًا، وسيخرجون من دين الله أفواجًا».

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾.

فإنك حينئذ لاحق به، وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل وعند الكمال يرتقب الزوال، كما قيل:

إذا تم أمردنا نقصُـهُ توقع زوالاً إذا قيل تم

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن عمر بن الخطاب كان يدنيه، ويأذن لأهل بدر، ويأذن له معهم. فقال عبد الرحمن بن عوف؛ أتاذن لهذا الفتى معنا ومن أبنائنا من هو مثله؟! فقال: إنه ممن قد علمتم. قال ابن عباس: فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم، فسألهم عن قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية، ولا أراه سألهم إلاّ من أجلى؛ فقال بعضهم: أمر الله تعالى نبيه ﷺ إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه؛ فسألنى، فقلت: ليس كذلك، ولكن أخبر نبى الله ﷺ بحضور أجله ونعيت إليه نفسه، فذلك علامة موته. فقال عمر رضى الله عنه: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم؛ ثم قال: كيف تلوموننى عليه بعدما ترون؟

وأخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهانى قراءة عليه أخبرنا محمد بن جعفر المطيرى أخبرنا على بن حرب أخبرنا ابن فضيل، أخبرنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ قال النبى ﷺ: «نُعيت إلىّ نفسى بأنه[٢] مقبوض فى تلك السنة» وقال قتادة ومقاتل: عاش النبى ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين.

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا محمد بن جعفر المطيرى أخبرنا على بن حرب أخبرنا أبو عامر العقدى عن سفيان عن أبى إسحاق عبيدة عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾، كان النبى ﷺ يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لى إنك أنت التواب».

وأخبرنا عبيد الله بن حامد أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا عبد الله بن هاشم أخبرنا أبو معاوية

---

(١) فى الهامش: «ابن».

(٢) فى متن المخطوط: فإنه وفى الهامش «بأنه» فأثبت ما بالهامش لاقترابه من المعنى.

عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها. قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك» قالت: فقلت: يا رسول الله، ما هؤلاء الكلمات التى أراك قد أخذت تقولها؟ قال: «جعلتها علامة فى أمتى إذا رأيتها قلتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ . إلى آخر السورة».

وأخبرنا عبد الله بن هاشم أخبرنا عبد الله بن نُمير أخبرنا الأعمش عن مسلم، وهو ابن صبيح عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إلى آخرها ما رأيت رسول الله ﷺ صلى صلاة إلاّ قال: «سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لى».

وأخبرنا ابن فنجويه الحافظ أخبرنا أحمد بن جعفر أخبرنا إبراهيم بن بُهلويه أخبرنا على بن محمد الطنافسى أخبرنا حفص بن غياث عن عاصم الأحول عن الشعبى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ بآخره لا يقوم ولا يقعد، ولا يجىء ولا يذهب إلاّ قال: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» فقلنا: يا رسول الله، ما لك لا تقوم ولا تقعد، ولا تجىء ولا تذهب إلا قلت: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»؟ قال: «إنى أمرت بها» ثم قرأ: «﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ » حتى ختمها، وقال مقاتل: لما نزلت هذه الآية وقرأها على أصحابه، وفيهم أبو بكر وعمر، وسعد بن أبى وقاص، فرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى، فقال النبى ﷺ: «ما يبكيك يا عم»؟ قال: نُعِيَتْ إليك نفسك، قال: «إنه لكما تقول» فعاش بعدها سنتين، ما رُئى فيهما ضاحكًا مستبشرًا.

وهذه السورة تسمى سورة التوديع.

وأخبرنا ابن فنجويه الحافظ أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا محمد بن عمران أخبرنا أبو الدرداء عبد العزيز بن المنيب أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان حدثنى أبى عن عكرمة عن ابن عباس قال: أقبل رسول الله ﷺ من غزوة حُنين فنزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ السورة، فقال رسول الله ﷺ: «يا على، ويا فاطمة بنت محمد، قد جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا، سبحان الله وبحمده وأستغفره إنه كان توابًا، ويا على بن أبى طالب إنه يكون من بعدى فى المؤمنين الجهاد»؛ فقال على رضى الله عنه، علام نجاهد المؤمنين الذين يقولون آمنا؟ قال: «على الإحداث بالدين إذا عملوا بالرأى، ولا رأى فى الدين، إنما الدين من الرب أمره ونهيه».

فقال على: يا رسول الله أرأيت إن عرض لنا أمر لم يبين الله سبحانه فيه قرآنًا، ولم تنص فيه سنة عنك؟ قال: «تجعلونه شورى بين العابدين ولا تقضين برأى خاصة، ولو كنت

مستخلفًا أحدًا لم يكن أحد أحق منك لتقدمتك فى الإسلام، وقرابتك من رسول الله ﷺ وصهرك، وعندك فاطمة سيدة نساء العالمين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبى طالب إياى حين نزل القرآن فأنا حريص على أن أرى ذلك فى ولده»[١].

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا أحمد بن منصور المروزى أخبرنا عمر بن إبراهيم أخبرنا عيسى بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ جاء العباس إلى على بن أبى طالب رضى الله عنهما فقال: ادخل على رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر لنا بعده لم تشاحنا عليه قريش، وإن كان لغيرنا سألناه الوصاة بنا؛ قال: سأفعل، فدخل العباس على رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبى ﷺ: «يا عباس، يا عم رسول الله إن الله سبحانه جعل أبا بكر خليفتى على دين الله ووحيه، فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوه ترشدوا»

قال ابن عباس رضى الله عنهما ففعلوا والله فرشدوا[٢].



(١) هذا خبر موضوع لا يحتاج إلى بحث عن إسناد فمتنه صارخ بالوضع عافانا الله وإياكم من الميل مع الهوى.

(٢) هذا أيضًا مثل سابقه.

سورة المسد
(تبت)

مكية، وهى سبعة وسبعون حرفًا، وثلاث وعشرون كلمة وخمس آيات

أخبرنا أبو الحسين الخبازى المقرئ أخبرنا أبو الشيخ الحافظ أخبرنا إبراهيم بن شريك أخبرنا أحمد بن يونس اليربوعى أخبرنا سلام بن سليم المدائنى أخبرنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة الباهلى عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿تبّت﴾ رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا مكى بن عبدان، أخبرنا عبد الله بن هاشم أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) أتى رسول الله ﷺ الصَّفَا فصعد عليه، ثم نادى: «يا صباحاه». فاجتمع إليه الناس بين رجل يجىء وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يا بنى عبد المطلب، يا بنى فهر، يا بنى عدى لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل يريد أن يغير عليكم صدقتمونى»؟ قالوا: نعم، قال: «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبًا لك سائر هذا اليوم[1] ما دعوتمونى إلاّ لهذا؛ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾ أى خابت وخسرت ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أى تبَّ هو، أخبر عن يديه والمراد به نفسه على عادة العرب فى التعبير ببعض الشىء عن كله كقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠) ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (آل عمران: ١٨٢) ونحوهما، وقيل: اليد صلة، تقول العرب: يد الدهر، ويد الرزايا، والمنايا؛ قال الشاعر:

---

(١) فى الهامش تعليق نصه: الفجر.

لما أكبت يد الرزايا عليه نادى ألا مُجيرُ

وقيل: المراد به ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال.

والتباب الخسار والهلاك. سمعت الأستاذ أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت نفطويه قال: سمعت المنقرى عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال: لما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه سمعوا صوت هاتف من الجن يبكى عليه ويقول:

لقد خلوك وانصدعوا[1] فما عطفوا ولا رجعوا

ولم يوفوا بنذرهم فتبًا للذى صنعوا[2]

وأبو لهب: هو ابن عبد المطلب واسمه عبد العزى، فلذلك لم يسمه، وقيل: باسمه كنيته؛ قال مقاتل: كنى باللهب لحسنه، وإشراق وجهه، وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان.

﴿وَتَبَّ﴾ أبو لهب الواو فيه واو العطف. وقرأ عبد الله وأُبى بن كعب، وقد تب. فالأول دعاء، والثانى خبر، كما يقال: غفر الله لك، وقد فعل وأهلكه الله، وقد فعل، والواو فيه واو الحال.

وقرأ العامة: لهب بفتح الهاء. وقراءة أهل مكة بجزمها. ولم يختلفوا فى قوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أنها مفتوحة الهاء لأنهم راعوا فيها رؤوس الآى.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسن الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى أخبرنا حامد بن محمد بن شيب البلخى أخبرنا سريج بن يونس أخبرنا هشيم أخبرنا منصور عن الحكم عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال: لما خلق الله القلم قال: اكتب ما هو كائن، فكتب فيما كتب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن أخبرنا أبو الطيب محمد بن عبد الله بن المبارك الشعيرى أخبرنا محمد بن أشرس السلمى أخبرنا عبد الصمد بن حسان هو المروذى عن سفيان عن منصور قال: فسئل الحسن عن قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ هل كان فى أم الكتاب؟ وهل كان أبو لهب يستطيع أن لا يصلى النار؟ فقال الحسن: والله ما كان يستطيع أن لا يصلاها، وإنها لفى كتاب الله تعالى، قبل أن يخلق أبو لهب وأبواه.

ويؤيد هذا ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا معاوية عن عمر وأخبرنا زائدة عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى

(١) فى هامش المخطوط بديل للكلمة بخط الناسخ وهو: انصرفوا.

(٢) بالهامش بديل للشطر الثانى: تبا لما صنعوا.

هريرة عن النبى ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال: موسى يا آدم أنت الذى خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة. فقال آدم وأنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه تلومنى على عمل أعمله كتبه الله على قبل أن يخلق السموات والأرض». قال: «فحج آدم موسى عليهما السلام»[١].

وأخبرنا محمد بن الفضل أخبرنا جدى قال: حضرت مجلس إسحاق بن إبراهيم وأنا عن يمين الدكان[٢] فقرأ علينا: أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار مولى بنى هاشم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لقى موسى آدم عليهما السلام» فقال: أنت آدم الذى خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته فأخرجت ولدك من الجنة؟ قال له: يا موسى، أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك، فأنا أقدم أم الذِّكر؟ قال: بل الذِّكر، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى عليهما السلام».

وأخبرنا محمد بن الفضل أخبرنا جدى أخبرنا عبد الله بن محمد الزهرى أخبرنا سفيان أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال آدم: يا موسى أنت الذى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومنى على أمر قدره الله تعالى على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى فحج آدم موسى.

قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ قال ابن مسعود:

لما دعا رسول الله ﷺ أقربيه إلى الله تعالى، قال أبو لهب لأصحابه: إن كان ما يقوله ابن

---

(١) وجاء بهامش هذه الورقة (١٨٣/ ب) تعليق هذا نصه:

آدم فى السماء الدنيا تعرض عليه أعمال ذريته، ويوسف فى السماء الثانية، وابنا الخالة يحيى وعيسى فى السماء الثالثة، وإدريس فى السماء الرابعة، وهارون فى السماء الخامسة، وموسى فى السماء السادسة، وإبراهيم فى السماء السابعة ثم تعليق آخر لا أرى مناسبة لذكره بهامشها هو: إذا أدخل الله الموحدين النار أماتهم فيها، فإذا أراد أن يخرجهم منها أمسهم ألم العذاب تلك الساعة.

قلت: وكلا التعليقين لا يصح فيهما شىء وخصوصًا هذا الأخير فإنه يبطل حكمة الله فى العقاب.

ثم تعليق ثالث لا أرى مناسبة لذكره كذلك وهو:

إذا خطب أحدكم المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن جمالها، فإن الشعر أحد الجمالين. قلت: ولا أدرى ما مراده بهذا ولا ما المناسبة لذكره والسؤال لا يفيد اليقين فقد يكذب عليه مبلغه فى كليهما.

(٢) الدكان: هو المكان المرتفع يصنع من الطين للجلوس عليه يشبه الكرسى بلا مخادع ولا ينقل من مكانه بل يكون من طين إلى جوار الحائط يجلس عليه فرد واحد فى أغلب الأحيان أو هو يسع شخصًا واحدًا، وهو معروف فى بعض ريف مصر ويسمى الكبير منه مصطبة ويجلس عليها عدد من الأشخاص وهى تشبه التكة أو الصفة وتكون من الطين أيضًا.

أخي حقًا، فإني أفتدي نفسي بمالي وولدي؛ فأنزل الله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ أي ما يغني. وقيل: أي شيء أغنى عنه ماله من عذاب الله تعالى.

قال أبو العالية: يعني أغنامه، وكان صاحب سائمة ومواش. ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعني ولده.

وقرأ الأعمش: وما اكتسب، ورواه عن ابن مسعود.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا إبراهيم بن هاشم البغوي أخبرنا أحمد بن حنبل أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن أبي الطفيل قال: كنت عند ابن عباس يومًا فجاءه بنو أبي لهب يختصمون في شيء بينهم، فاقتتلوا عنده في البيت، فقام يحجز بينهم، فدفعه بعضهم، فوقع على الفراش، فغضب ابن عباس، فقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث - يعني ولده أنهم كسبه.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو حمزة أخبرنا عمارة بن عمير التيمي عن عمته سودة قالت: قالت لعائشة رضي الله عنها آكل من مال ولدي؟ فقالت سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إن أطيب ما أكل أحدكم من كسبه وإن ولده من كسبه».

قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ هو سين سوف. وقيل: سين الوعيد.

وقرأه العامة بفتح الياء الأولى، وقرأ أبو رجاء بضم الياء، وقرأ أبو الأشهب العقيلي بضم الياء وتشديد اللام.

﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾

أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وكانت عوراء ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ يقال: الحديث والكذب. قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي: كانت تمشي بالنميمة تقول العرب: فلان يحطب على فلان إذا وشى وأغرب، قال شاعرهم:

من البيض لم يظهر على ظهر لامه ... ولم يمش بين الحيّ بالحطب الرطب

يعني: تمشي بالنمائم، وقال آخر:

فلسنا كمن يرجى المقالة شطره ... يقرف العصاة الرطب والعبل اليبس

ومعمر عن قتادة قال: كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب فعُيّرت بذلك.

وهذا قول غير قوي لأن الله تعالى، وصفهم بالمال والولد، وحمل الحطب ليس بعيب.

وقال الضحاك، وابن زيد: كانت بالشوك والعضاة فتطرحها في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه لتعفرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس. قال الربيع بن أنس: كانت تنثر السعدان على طريق رسول الله ﷺ فيطؤه كما يطأ أحدكم الحرير القرمز.

قال مرة الهمداني: كانت أم جميل تأتى كل يوم بإبالة من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين، فبينا هى ذات يوم تحمله أعيت فقعدت على حجر تستريح، فأتى ملك فجذبها من خلفها فأهلكها.

وقال سعيد بن جبير: حمالة الخطايا، دليله قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ (الأنعام: ٣١). ويقول العرب: فلان يحطب على ظهره، إذا أساء. وفلان حاطب قريته، إذا كان الجانى فيهم، وفلان محطوب عليه، إذا كان مجنيًا عليه. وقراءة العامة بالرفع فيهما، واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، ولها وجهان: أحدهما: (سيصلى نارًا) هو وامرأته الحَطب، والثانى: (وامرأته حمالة الحطب) فى النار أيضًا.

وحجة الرافعين ما أخبرنا محمد بن نعيم أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا على بن عبد العزيز أخبرنا أبو عبيد أخبرنا الحجاج عن هارون قال فى قراءة عبد الله: وامرأته حمالة الحطب. وقرأ الحسن وابن أبى إسحاق، وابن محيصن، والأعرج، وعاصم حَمَّالَةَ بالنصب ولها وجهان: أحدهما: الحال، والقطع لأن أصله، وامرأته الحمالة الحطب، فلما ألقيت[1] الألف واللام نُصب الكلام. والثانى: على الذم والشتم كقوله (ملعونين).

وروى ابن أبى الزناد عن أبيه قال: كان عامة قراء العرب يقرءون (حمالةَ) بالنصب، وقرأ أبو قلابة: وامرأته حَاملَة الحطب على فاعله، والحطب: جمع واحدتها حطبة.

وقال بعض أهل اللغة: الحطب هاهنا جمع الحاطب وهو الجانى والمذنب، يعنى أنها كانت تحملهم بالنميمة على معاداته. ونظيره من الكلام: رَاصدٌ ورَصدٌ، وحَارسٌ وحَرَسٌ، وطَالبٌ وطَلَبٌ وغائب وغيب، والعلة فى تشبيههم النميمة بالحطب هى أن الحطب يوقد ويضرم كذلك النميمة. قال أكثم بن صيفى لولده: إياكم والنميمة فإنها محرقة، وإن النمام ليعمل فى ساعة ما لا يعمل الساحر فى شهر. فأخذه الشاعر فقال:

إن النميمة نار ـ ويك ـ محرقة ... فعد عنها وحارب من تعاطاها

ولذلك قيل: نار الحقد لا تخبو.

والعلة الثانية: أن الحطب يصير ناراً والنار سبب التفريق، فكذلك النميمة. وأنشدنى أبو القاسم الحبيبى قال أبو محمد الهارانى الجوينى:

إن بنى الأدرم حمالو الحطب ... هم الوشاة فى الرضا وفى الغضب

عليهم اللعنة تترى والحرب

---

(١) فى هامش: «ألغيت» والمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ أى عنقها. قال ذو الرمة:

فعيناك عيناها ولونك لونها　　　وجيدك ألا أنها غير عاطل

جمعه أجياد، قال الأعشى:

وبيداء تحسب آرامها　　　رجال أياد بأجيادها

﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾. اختلفوا فيه، فقال ابن عباس، وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعًا تدخل من فيها فتخرج من دبرها، ويلوى سائرها فى عنقها. وقال السدى: حلق الحديد، وهى السلسلة تختلف فى جهنم كما يختلف الحبل والدلو فى البئر، وروى الأعمش عن مجاهد: من حديد. قال منصور عنه: المسد: الحديدة التى تكون فى البكرة. ويقال له: المحور، وإليه ذهب عطاء، وعكرمة، والشعبى. وقال مقاتل: من ليف. قال الضحاك وغيره: فى الدنيا من ليف وهو الحبل الذى كانت تحتطب به فخنقها الله تعالى به فأهلكها، وفى الآخرة من نار. قال قتادة: من ودع. قال الحسن: إنما كانت خرزات فى عنقها. قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فى عنقها فاخرة، فقالت لأنفقها فى عداوة محمد ﷺ. قال ابن زيد: حبال من شجر ينبت باليمن يقال لها مسد، وكان تُفْتَل. قال المورج: من شجر الحرم والسلم والمسد فى كلام العرب: كل حبل أغير وأمرّ ليفًا كان أو غيره، وأصله من المسد وهو الفتل، ودابة ممسودة الخلق: إذا كانت شديدة الأسْر. قال الشاعر:

ومسد أمرَّ من أيانق　　　ليس بأنياب ولا حقائق

وجمعها أمساد؛ قال الأعشى:

تمشى تصرف نابها من دوننا　　　غلقًا صريف مَحَالَة الأمساد

سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد النيسابورى يقول سمعت أبا نصر أحمد ابن محمد بن ملجان البصرى يقول سمعت بشر بن موسى الأسدى يقول: سمعت الأصمعى يقول: صلى أربعة من الشعراء خلف إمام اسمه يحيى، فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) فتتعتع فيها:

فقال أحدهم:

أكثر يحيى غلطًا　　　فى (قل هو الله أحد)

فقال الثانى:

قام طويلاً ساكتًا　　　حتى إذا أعيا سجد

فقال الثالث:

يدخر فى محرابه　　　زحير حبلى بولد

فقال الرابع:

كأنمـــا لسانـــه شد بحبل من مسد

وفى هذه السورة دلالة واضحة على نبوة نبينا محمد ﷺ، وذلك أن الله تعالى أخبر عن مصير أبى لهب وامرأته إلى النار، وكانا من أحرص الناس على تكذيب النبى ﷺ، فلم يحملهما ذلك على إظهار الإيمان حتى يكذبا رسول الله ﷺ بل داما على كفرهما حتى علم أن وعيد الله تعالى إياهما وإخباره عن مصيرهما إلى النار حق وصدق.



سورة الإخلاص

مكية، وهى سبعة وأربعون حرفًا وخمس عشرة كلمة وأربع آيات

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهانى بقراءتى عليه أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن جعفر بن أحمد بن فارس أخبرنا يونس بن حبيب أخبرنا أبو داود الطيالسى أخبرنا شعبة عن قتادة قال سمعت سالم بن أبى الجعد يحدث عن معدان بن أبى طلحة عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة»؟ قلت: يا رسول الله، ومن يطيق ذلك؟ قال: «اقرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾».

وأخبرنا الشيخ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى الحافظ بقراءتى عليه أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف الصرصرى أخبرنا عمر بن أيوب السقطى حدثنا محمد بن الفرج أخبرنا محمد بن الزبرقان أخبرنا مروان بن سالم عن أبى عمر مولى جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يدخل منزله، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل، والجيران».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا ابن صقلاب أخبرنا ابن أبى الخصيب حدثنى أبى أخبرنا سعيد بن المغيرة أخبرنا محمد ابن مروان عن أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة بورك عليه، ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهل بيته، فإن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى أهل بيته وعلى جميع جيرانه، فإن قرأها اثنتى عشرة مرة بنى الله عز وجل له اثنى عشر قصرًا فى الجنة، ويقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر إلى قصر أخينا، فإن قرأها مائة مرة كفِّرت عنه ذنوب خمس وعشرين سنة، ما خلا الدماء والأموال، فإن قرأها أربعمائة مرة كفرت عنه ذنوب أربعمائة سنة، فإن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له».

أخبرنا أحمد بن أبى الفراتى أخبرنا عبد الله بن محمد بن يعقوب أخبرنا عبد الله بن جامع الحلوانى أخبرنا محمد بن العباس أخبرنا عمر بن سعيد العطار القلزمى أخبرنا ابن أبى ذئب أخبرنا محمد بن غيلان عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فشكا إليه الفقر، وضيق المعاش، فقال رسول الله ﷺ: «إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد، وإن

لم يكن فيه أحد فسلم عليّ واقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة واحدة».

ففعل الرجل، فأدرّ الله عليه رزقًا حتى أفاض على جيرانه.

وأخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن يحيى أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر أخبرنا الحسن بن محمد ابن الصباح الزعفرانى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا العلاء أبو محمد الثقفى قال: سمعت أنس بن مالك قال؛ كنا مع النبى ﷺ بتبوك، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور، ولم أرها طلعت فيما قبل كذلك فأتى جبريل رسول الله ﷺ، فقال: «يا جبريل، ما لى أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى»؟. فقال: ذاك معاوية بن معاوية الليثى مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه، قال: «وفيم ذاك»؟. قال: كان يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بالليل والنهار وفى ممشاه وقيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلى عليه؟ قال: «نعم». فصلى عليه، ثم رجع.

وأخبرنا أحمد بن أبى الفراتى أخبرنا عبد الله بن محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن عيسى ابن يزيد أخبرنا سليمان بن داود المنقرى أخبرنا عبد العزيز بن محمد بن عبيد الله بن عمر عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك: أن رجلاً كان يصلى على عهد رسول الله ﷺ فكان لا يقرأ سورة فى الصلاة إلاّ قرأ فى أثرها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ما حملك على لزومها»؟ فقال: يا رسول الله إنى أُحبها. فقال له رسول الله ﷺ: «حبك إياها يدخلك الجنة».

وأخبرنا ناقل بن راقم بن أحمد البابى أخبرنا على ابن الحسن بن بختيار أخبرنا أبو إبراهيم القطان أخبرنا عثمان بن عبد الله القرشى أخبرنا سلمة ابن سنان عن محمد بن المنكدر: أن رسول الله ﷺ قال: «نزل ملك من السماء السابعة، وخرج من الأرض السابعة ملك، فالتقيا على هذه الأرض، فقال الذى نزل من السماء، قد رفعت اليوم عملاً لم يرفع مثله، قال الذى خرج من تحت الأرض ما ذاك؟ قال: قرأ رجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرة. قال: ما صنع الله به؟ قال: غفر له».

وأخبرنا محمد بن القاسم أخبرنا محمد بن يزيد أخبرنا أبو يحيى البزاز أخبرنا محمد بن الأزهر أخبرنا أبو عامر العقدى عن مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن ابن جبير عن أبى هريرة: أن النبى ﷺ سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال: «وجبت». قيل: يا رسول الله، ما وجبت؟ قال: «وجبت له الجنة».

وأخبرنا محمد بن القاسم أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن الدشت حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن بن قريش أخبرنا معاذ بن يوسف التاجر أخبرنا مسدد بن مسرهد أخبرنا أحمد ابن رزام أخبرنا محمد بن عبد الله عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة واحدة أعطاه الله من الثواب ما يحمل ثوابه سبعين قنطاراً من ياقوت فينفخ الله فيه الروح ويحملون كتبه كتاباً واحداً أشد تقرمطًا من شعر الزنجى وأدق من الشعر».

وأخبرنا محمد بن القاسم أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر أخبرنا أبو حسان العثمانى أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن مكحول عن عبد الرحمن بن غنم عن أُبى بن كعب قال: سئل رسول الله ﷺ عن ثواب ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تناثر الخير على مفرق رأسه من عنان السماء، ونزلت عليه السكينة وتغشاه الرحمة، وله دوى حول العرش، وينظر الله إلى قارئها، ولا يسأله شيئًا إلا أعطاه إياه، ويجعله فى كلاءته وحرزه».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أخبرنا الشيخ أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة المكى قراءة عليه أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة أخبرنا منيع، ومحمد[1] بن خداش قالا: حدثنا أبو سعيد الصنعانى أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخر السورة.

وروى أبو ظبيان وأبو صالح عن ابن عباس: أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبى ﷺ، فقال عامر: إلى ما تدعونا يا محمد؟. قال: «إلى الله». فقال: صفه لنا، أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من حديد، أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة، وأرسل الله تعالى الصاعقة إلى أربد فأحرقته، وطعن عامر فى خنصره فمات. وقد ذكرت قصتهما فى سورة الرعد.

وقال الضحاك وقتادة ومقاتل: جاء ناس من أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا

---

(١) فوقه فى المخطوط: محمود. بقلم الناسخ.

محمد، صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك، فإن الله تعالى أنزل نعته فى التوراة، فأخْبرنا به من أى شىء هو؟ ومن أى جنس؟ أمن ذهب هو، أم من نحاس، أم صفر أم حديد، أَم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا؟ ومن يورثها؟ فأنزل الله تعالى هذه السورة، وهى نسب الله تعالى خاصة.

وأخبرنا عقيل بن محمد أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم عن أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى أخبرنا ابن حميد أخبرنا سلمة حدثنى ابن إسحاق عن محمد عن سعيد قال: أتى رهط من اليهود النبى ﷺ قالوا: يا محمد، هذا الله تعالى خلق الخلق فمن خلقه؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى امتقع لونه، ثم ساورهم غضبًا لربه فجاءه جبريل فَسَكَّنَهُ، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ السورة، فلما تلاها عليهم النبى ﷺ. قالوا له: صف لنا ربك كيف خلقه؟ وكيف عضده؟ وكيف ذراعه؟ فغضب النبى ﷺ أشد من غضبه الأول، فساورهم. فأتاه جبريل عليه السلام فقال له مثل مقالته وأتاه بجواب ما سألوا، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ﴾ (الزمر: ٦٧) الآية.

وقال الضحاك عن ابن عباس: أن وفد نجران قدموا على رسول الله ﷺ وسبعة أساقفة من بنى الحارث بن كعب فيهم: السيد، والعاقب، فقالوا للنبى ﷺ: صف لنا ربك، من أى شىء هو؟ فقال النبى ﷺ: «إن ربى ليس هو من شىء، وهو بائن عن الأشياء». فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أى واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد عند أكثر أصحابنا، يدل عليه قراءة عبد الله: قل هو الله الواحد.

وفرق قوم بينهما، فقال بعضهم: الواحد للفصل، والأحد للغاية. وقيل: واحد بصفاته، أحد بذاته. وقيل: إن الواحد يدل على أزليته، لأن الواحد فى الأعداد ركنها وأصلها، ومبدؤها، والأحد يدل على بينونته من خلقه فى جميع الصفات، ونفى أبواب الشرك عنه، فالأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد، والواحد اسم لمفتتح العدد، فأحد تصلح فى الكلام فى موضع الجحود، والواحد فى موضع الإثبات تقول: لم يأت منهم أحد، وجاءنى منهم واحد، ولا يقال: جاءنى منهم أحد، لأنك إذا قلت: لم يأتنى منهم أحد فمعناه: أنه لا واحد أتانى ولا اثنان، وإذا قلت: جاءنى منهم واحد، فمعناه: أنه لم يأتنى اثنان. وقال ابن الأنبارى: أحد فى الأصل واحد كما قالوا للمرأه أناة، والأصل وناة من الونى، وهو الفتور، قال الشاعر:

رمته أناة من ربيعـــة عامر نَئُوم الضحى فى مأْتم أىّ مأْتم

وقال النابغة فى الواحد:

كأن رحلى وقـــد زال النهار بذى الجليل على مستأنس واحد

سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزار يقول: سمعت عطاء يقول فى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو المنفرد بإيجاد المفقودات والمتوحد بإظهار الخفيات.

وقراءة العامة (أحدٌ) بالتنوين وقرأ الحسن، ونصر بن عاصم، وابن أبى إسحاق، وأبان بن عثمان، وهارون ابن عيسى: (أحدُ اللهُ) بلا تنوين طلبًا للخفة، وفرارًا من التقاء الساكنين كقراءة من قرأ: (عزيرُ بن الله) بغير تنوين.

وأما قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾. فاختلفوا فيه، فقال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذى لا جوف له. وقال سعيد بن المسيب: الذى لا حشو له. (وقال)[1] الشعبى: الذى لا يأكل ولا يشرب. (وقال)[1] عكرمة: الذى لا يخرج منه شىء. وقيل: تفسيره ما بعده.

وإليه ذهب القرطبى. أخبرنا محمد بن الفضل أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة أخبرنا أحمد بن منيع، ومحمود بن خداش قالا: حدثنا أبو سعيد الصنعانى أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذى لم يلد، ولم يولد لأنه ليس شىء يولد إلاّ سيموت، وليس شىء يموت إلاّ سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث.

وقال أبو وائل شقيق بن سلمة: هو السيد الذى قد انتهى سؤدده، وهى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: هو السيد الذى قد كمل فى جميع أنواع الشرف والسؤدد.

(وقال)[1] غيره: هو السيد المقصود فى الحوائج، تقول العرب: صمدت فلانًا أصمده، واصْمَدَهُ صَمْدًا بسكون الميم: إذا قصدته، فالمصمود صَمَد كالقبض والنقض. ويقال بيت معمود ومصمد إذا قصده الناس فى حوائجهم، قال طَرَفَة:

وإن يلتقى الحى الجميع تلاقنى إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

وأنشد الأئمة فى الصَّمد:

ألا بكر النـــاعى بخيرى بنى أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال آخر:

علوته بحسام ثم قلت له خذها حـــذيف فأنت السيد الصّمـــد

(١) زيادة يتطلبها السياق.

وقال قتادة: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الباقى بعد خلقه. (وقال)[1] عاصم، ومعمر: هو الدائم. (وقال)[1] على بن موسى الرضا: هو الذى أيست العقول عن الاطلاع على كيفيته. (وقال)[1] محمد بن على الترمذى: هو الأزلى بلا عدد، والباقى بلا أمد، والقائم بلا عمد. وقال الحسين بن الفضل: هو الأزلى بلا ابتداء. وقيل: الذى جَلَّ عن شبه المصورين. وقيل: هو بمعنى نفى التجزؤ والتأليف عن ذاته. (وقال)[1] ميسرة: المصمت. (وقال)[1] ابن مسعود: هو الذى ليست له أحشاء. وروى أبو إسحاق الكوفى عن عكرمة الذى ليس فوقه أحد، وهو قول على عليه السلام. (قال)[1] السدى: هو المقصود إليه فى الرغائب، المستغاث به عند المصائب. (قال)[1] يمان: الذى لا ينام. قال كعب الأحبار: الذى لا يكافئه من خلقه أحد. قال مقاتل بن حيان: الذى لا عيب فيه. قال ربيع: الذى لا تعتريه الآفات.

قال سعيد بن جبير أيضًا: الكامل فى جميع صفاته، وأفعاله. قال الصادق: هو الغالب الذى لا يُغلب. قال أبو هريرة: هو المستغنى عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد. قال مرة الهمدانى: الذى لا يبلى ولا يفنى. قال الحسين بن الفضل أيضًا: هو الذى يحكم ما يريد، ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

قال محمد بن على أيضًا: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذى لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأفكار، ولا تبلغه الأقطار، وكل شيء عنده بمقدار.

قال ابن عطاء: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذى لم يتبين عليه أثر فيما أظهر. قال جعفر: الذى لم يعط لخلقه من معرفته إلا الاسم والصفة. قال الجنيد: الذى لم يجعل لأعدائه سبيلاً إلى معرفته. وقيل: هو الذى لا تدرك حقيقة نعوته وصفاته، ولا يتسع له اللسان، ولا يشير إليه البنان. قال ابن عطاء أيضًا: هو المتعالى عن الكون والفساد. وقال الواسطى: هو الذى لا يستخرق ولا يستغرق، ولا تعترض عليه القواطع والعلل.

وقال جعفر الصادق أيضًا: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ خمسة حروف فالألف: دليل على أحديته، واللام: دليل على إلهيته، وهما مدغمان لا يظهران على اللسان ويظهران فى الكتابة، فدل ذلك على أن أحديته وألوهيته خفية لا تدرك بالحواس، وأنه لا يقاس بالناس، فخفاؤه فى اللفظ دليل على أن العقول لا تدركه ولا تحيط به علما، وإظهاره فى الكتابة دليل على أنه يظهر فى قلوب العارفين، ويبدو لأعين المحبين فى دار السلام، والصاد: دليل على صدقه، فوعده صدق، وقوله صدق، وفعله صدق، ودعا عباده إلى الصدق، والميم: دليل على ملكه، فهو الملك

(١) زيادة يتطلبها السياق.

على الحقيقة، والدال: علامة دوامه فى أبديته وأزليته.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ اختلف القراء فيه، فقرأ حمزة ويعقوب ساكنة الفاء مهموزة، ومثله روى العباس عن أبى عمرو، وإسماعيل عن نافع، وقرأ شيبة مشبعة غير مهموزة، ومثله روى حفص عن عاصم، وقرأ الآخرون مثقلاً مهموزاً، وكلها لغات صحيحة فصيحة، ومعناه المثل.

﴿أَحَدٌ﴾ أى هو واحد، وقيل: على التقديم والتأخير مجازه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وقال عبد خير: سأل رجل على بن أبى طالب عليه السلام عن تفسير هذه السورة فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بلا تأويل عدد، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ بلا تبعيض بدد، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيكون موروثا هالكًا، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيكون إلهًا مشاركًا، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ﴾ من خلقه، ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى قال: سمعت أبا بكر الرازى يقول: سمعت أبا على الروذبارى يقول: وجدنا أنواع الشرك ثمانية: النقص، والتقلب، والكثرة، والعدد، وكونه علة أو معلولاً، والأشكال، والأضداد، فنفى الله سبحانه وتعالى عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ونفى النقص والتقلب بقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ ونفى العلل والمعلول بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ونفى الأشكال والأضداد بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فحصلت الوحدانية لذلك سميت سورة الإخلاص.



سورة الفلق

الفلق والناس (المعوذتين)

مدنية، وهى أربعة وسبعون حرفًا وثلاث وعشرون كلمة وخمس آيات

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن الفراتى أخبرنا أبو موسى أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا سليمان ابن داود أخبرنا أحمد بن نصر أخبرنا أبو معاذ عن أبى عصمة نوح بن أبى مريم عن زيد العمى عن أبى نضرة عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ قال: «من قرأ المعوذتين، فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى ذكر كلها».

وأخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد العدل، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتى، أخبرنى أبى، أخبرنا الأوزاعى، أخبرنا يحيى بن أبى كثير حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون»؟ قلت: بلى، قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

أخبرنا الحسين الخبازى المقرئ أخبرنا ابن عدى أخبرنا إبراهيم بن دحيم أخبرنا أبى أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا هشام بن الفار عن يزيد بن يزيد بن جابر عن القاسم أبى عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا عقبة، ألا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن ـ أو من أفضل القرآن»؟ قلت: بلى يا رسول الله؛ فعلمنى المعوذتين، ثم قرأ بهما فى صلاة الغداة وقال لى: «اقرأ بهما كلما قمت ونمت».

أخبرنا أبو العباس سهل بن محمد ابن سعيد المروزى الفقيه أخبرنا جدى أبو الحسن المحمودى أخبرنا محمد بن على أخبرنا أبو العباس بن أحمد بن عمرو العصفرى أخبرنا عمير ابن عمير بن عبد الحميد أخبرنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى غريب عن كثير بن مرة عن عبد العزيز بن مروان قال سمعت عقبة بن عامر الجهنى يقول سمعت النبى ﷺ يقول: «إنك ما تقرأ سورة أحب إلى الله تعالى ولا أقرب عنده من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ فإن استطعت أن لا تدعها فى صلاة فافعل».

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن يعقوب المذكى أخبرنا أبو الحسن أحمد

ابن محمد بن عبدوس الطرائفى أخبرنا معاذ ابن نجدة بن العريان أخبرنا خلاد - يعنى ابن يحيى - أخبرنا سفيان عن إسماعيل عن قيس بن أبى حازم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل على الليلة سورتان لم أسمع بمثلهن، ولم أر مثلهن، المعوذتين».

❖ **ذكر القصة:**

قال ابن عباس، وعائشة رضى الله عنهما دخل حديث بعضهما فى بعض: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ، فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبى ﷺ وعدة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وكان الذى تولى ذلك رجل منهم يقال له: لبيد بن أعصم، ثم دسها فى بئر لبنى ذريف يقال لها: دروان، فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدرى ما عراه، فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبّ، قال: وما طُبّ؟ قال: سُحِرَ، قال: ومن سحره؟ قال لبيد بن أعصم اليهودى، قال: وبم طبَّه؟ قال: بمشط ومشاطة، قال: وأين هو؟ قال فى جُفّ طلعة تحت راعوفة فى بئر ذروان.

والجف قشر الطلع، والراعوفة حجر أسفل البئر ناتئ يقوم عليه المائح - فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً، ثم قال: «يا عائشة، أما شعرت أن الله تعالى أخبرنى بدائى»؟

ثم بعث رسول الله ﷺ عليًا، والزبير، وعمار بن ياسر، فنزعوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فأنزل الله تعالى هاتين السورتين، فجعل كلما قرأهما رسول الله ﷺ خفّ حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام ﷺ كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين، والله يشفيك»؛ قال: فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فقد شفانى الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شراً».

قالت عائشة رضى الله عنها: ما غضب رسول الله ﷺ غضبًا ينتقم من أحد لنفسه قط إلاّ أن يكون هو لله عز وجل فيغضب لله تعالى وينتقم[1].

(١) قلت: هذا الخبر ما تستريح إليه النفس، ومن المعلوم لدى كل مسلم أن الله عصم النبى ﷺ من الناس كما جاء ذلك صريحًا فى القرآن الكريم: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ومثل هذه الأقوال لا يليق أن تنسب إلى رسول ﷺ وقد قال ابن كثير عقب ذكره لهذا الخبر فى تفسيره: هكذا أورده بلا إسناد وفيه غرابة وفى بعضه نكارة شديدة. =

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ : قال ابن عباس : هو سجن فى جهنم.

وروى هشيم عن العوام عن عبد الجبار الخولانى قال : قدم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ الشام فنظر إلى دور أهل الذمة ، وما هم فيه من العيش والنضارة ، وما وسع عليهم فى دنياهم ، فقال : لا أبالى أليس من ورائهم الفلق ؛ قيل : وما الفلق؟ قال : بيت فى جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره.

وقال أبو عبد الرحمن الجبلى : ﴿الْفَلَقِ﴾ اسم من أسماء جهنم ؛ قال جابر بن عبد الله ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومجاهد ، والقرطبى ، وابن زيد : ﴿الْفَلَقِ﴾ الصبح ، وهى رواية العوفى عن ابن عباس ، ودليل هذا التأويل قوله تعالى : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ (الأنعام: ٩٦).

قال الضحاك ، والوالبى عن ابن عباس : يعنى الخلق . وقال السدى ، ووهب : هو جُب فى جهنم . وقال الكلبى : هو واد فى جهنم . وقال عبد الله بن عمر : شجرة فى النار . وقيل : ﴿الْفَلَقِ﴾ : الجبال والصخور تنفلق بالمياه ، أى تنشق . وقيل : هو الرحم ينفلق عن الحيوان . وقيل : الحَبُّ والنَّوى ينفلق عن النبات ، والنخل دليله قوله تعالى : ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ (الأنعام: ٩٥) ، والأصل فيه الشق.

وقال محمد بن على الترمذى : فى هذه الآية عطف الله سبحانه وتعالى على قلوب خواص عباده فقذف النور فيها فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الله الدينورى أخبرنا محمد بن عبد الله بن برزة أخبرنا ابن أبى ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن أخبرنا عبيد بن عبد الواحد ابن شريك البزار أخبرنا آدم بن أبى إياس أخبرنا ابن أبىّ ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت : أخذ رسول الله ﷺ بيدى ، فأشار

= فلا تغتر أخى القارئ بمثل هذه الأحاديث مهما كانت واعلم أن رسول الله ﷺ بشر غير أنه معصوم ولا يليق اعتقاد مثل هذا فى حقه ﷺ ولا تسمع لرجف المرجفين.

إلى القمر، فقال: «يا عائشة تعوذى بالله من شر هذا فإن هذا الغاسق إذا وقب».

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا أبو بكر ابن الهيثم بن عبد الرحمن بن جرزاذ البصرى بمكة أخبرنا نصر بن على أخبرنا بكار بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: «النجم إذا طلع».

وقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، ومحمد بن كعب: يعنى الليل إذا أقبل ودخل.

وقال ابن زيد: يعنى الثريا إذا سقطت. قال: وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، وأصل الغسق الظلمة، (والوقب) الدخل مجازه: ومن شر مظلم إذا دخل. وقال يمان: سكن بظلامه.

وقيل: سمى الليل غاسقًا لأنه أبرد من النهار، والغسق البرد.

قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾. يعنى الساحرات المهيجات اللاتى ينفثن فى عقد الخيط حين يرقين عليها، و(النفث) شبه النفخ كما يعمل من يرقى، قال عنترة:

فإن يبرأ فلم أنفث عليه   وإن يفقد فحق له الفقود

وقرأ عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن سابط: ومن شر النافثات فى العقد، وهى رواية زيد، وداود، والمنهال، وكعب، وخالد، وعاصم الجحدرى كلهم عن يعقوب. فيما قرأت هذا قول المروزى فاعلم ذلك.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قال الحسين بن الفضل: جمع الله سبحانه وتعالى الشرور فى هذه السورة وختمها بالحسد ليعلم أنه أخس الطبائع.



سُورَةُ النَّاسِ

مدنية، وهى تسعة وسبعون حرفًا وعشرون كلمة وست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَـٰهِ النَّاسِ ۝ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝﴾

﴿الْخَنَّاسِ﴾ يعنى الشيطان يكون مصدراً واسماً. ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الرجاع، وهو الشيطان جاثم على قلب الإنسان فإذا غفل وسوس وإذا ذكر الله سبحانه انخنس.

قال قتادة: إن الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الإنسان[١]، فإذا ذكر العبد ربه خنس.

وروى ابن فضالة عن عروة بن رويم: أن عيسى ابن مريم عليه السلام دعا الله تعالى أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم، فجلى له، فإذا رأسه مثل الحية، واضع رأسه على ثمرة قلبه، فإذا ذكر العبد ربه خنس، وإذا لم يذكره وضع رأسه عليه فمنَّاه وحدثه[٢].

---

(١) جاء بهامش الورقة (١٩٤/ب) والذى نهايتها هذه الكلمة هذا التعليق والذى نصه:
وإنما ذكر أنه رب الناس وملكهم وإلههم لأن فى الناس معظمين وملوكًا ومن يعبد غيره ومن يستعاذ به، فأعلمهم أنه ربهم وملكهم... يستعاذ به دون من سواه من الملوك والعظماء.
وتعليق آخر نصه: ووسوسة الشيطان هو الدعاء إلى طاعته ما يصل إلى القلب ووقع فى النفس من أمر متوهم، وأصله الصوت الخفى.
وقيل: أى ما وسوس إنكاراً.
قال محققه: وأما القول يكون الشيطان له خرطوم أو رسم معين فهذا ما لا يجب الوثوق به ولا الاغترار بمثله حيث لم يخبر به الله تعالى وسكت عنه فلا يحق لأحد أن يتحدث فيه وإلا لما كان قوله ذا بال.

(٢) هذا من الإخبار عن أهل الكتاب وما أمرنا إلاّ بما جاء به نبينا محمد ﷺ وما أنزل عليه فى القرآن الكريم، وما سكت الله تعالى عنه فعلينا أن نؤمن به جملة وعلى الغيب وإلاّ لما كنا مؤمنين مسلمين بما هو فى غيب الله وعلمه من جنة، ونار، وصراط، وميزان، وحساب، وعقاب، فالمسلم يؤمن أن الله خلق الإنس، والجن، والملائكة، ولم لا يتصور عنهم أكثر مما صوره الله لنا أو ما أراد أن يعرفه لنا عنهم ككونهم لهم أجنحة مثنى وكونهم يروننا من حيث لا نراهم، وما شابه ذلك مما ذكر الله تعالى فى كتابه، والله أسأل أن يرزقنا حسن الاعتقاد وحسن العمل وحسن الختام، اللهم آمين.

أنبأني عبد الله بن حامد الوزان الأصفهاني، أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى أخبرنا أبو عبد الله أمية بن محمد بن إبراهيم الباهلي بالبصرة أخبرنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب أخبرنا عدي بن أبي عمار الجرمي، حدثني زياد بن النميري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله عز وجل خنس وإذا نسي الله عز وجل التقم قلبه».

وأخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهاني الوزان أخبرنا أحمد بن عبد الله، أخبرنا محمد بن عبد الله أخبرنا عثمان أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال: أول ما يبدأ الوسواس من قبل الوضوء. وقال مقاتل: إن الشيطان في صورة خنزير، يجري في جسد العبد مجرى الدم في العروق سلطه الله عز وجل على ذلك، فذلك قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾. قال ابن عباس: أي يوسوس على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله سبحانه خنس من قلبه فذهب، وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومَنَّاه.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ يعني وفي صدور الجنَّة يدخل في الجِني ما يدخل في الإنسي، قاله الكلبي. فإن قال قائل: فالجنُّ ناس؛ فالجوابَ عنه: أن الله تعالى قد سماهم في هذا الموضع ناسًا كما سماهم رجالاً فقالَ عز من قائل: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (الجن: ٦). وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث: جاء قوم من الجن فوقفوا، فقيل: من أنتم؟ فقالوا: ناس من الجن؛ فجعل منهم ناس، وهذا معنى قول الفراء وواصل لوسواس الحركة ومنه وسواس الحلي.

وحكى لنا الأستاذ أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر الحنيني عن أبي الهيثم الشجري: أنه حكى عن بعضهم: أنه كان يثبت الوسواس من الناس من الإنسان للإنسان كالوسوسة من الشيطان فيجعل الوسواس من فعل الجنة والناس، ويحتج بخبر أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل: هل تعوذت بالله من شياطين الإنس لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ (الأنعام: ١١٢).

والاختيار أن يكون (الناس) عطفًا على (الوسواس)، المعنى من شر الوسواس الذي هو من الجن ومن شر الناس. قال عبد الله بن عمر: إن الرقى والتمائم والتولة شرك، إنما يكفيك أن تقول: أذهب الباس رب الناس. واشف أنت الشافي، لا شفاء إلاّ شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما.

❖ ❖ ❖

تم كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ومنّه وذلك يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة وكتبه العبد الفقير إلى الله المرجو غفران ربه ورحمته: حامد بن محمد بن حامد بن عدل الشترى في الفيوم من أعمال الديار المصرية غفر الله له ولوالديه ولقارئه وسامعه وجميع المسلمين.

وصلى الله على سيدنا ونبيه ورسوله وخير خلقه محمد وآله أجمعين وصحبه الأكرمين المنتخبين وسلم تسليمًا[1].



انتهى بفضل الله تعالى الجزء السادس من تفسير الثعلبي

وبه تم الكتاب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



(١) قال محققه سيد بن كسروى بن حسن: إلى هنا كان التمام ونسأل الله حسن الختام بالموت على دين الإسلام والصلاة والسلام على نبي الإسلام وآله وصحبه الكرام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة